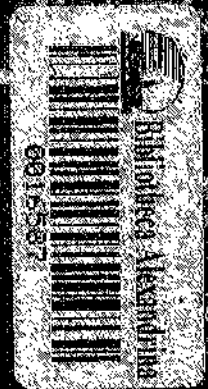


تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

انجيل مرقس



إنجيل مرقس

قله إلى العربية
الكتور القس فزيم عمزير



[طبعة ثانية]

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز ان يستخدم اقتباس
او اعادة نشر او طبع بالزويو للكتاب او اى جزء منه بدون اذن الناشر ،
والناشر وحده حتى اعادة الطبع) ١٠ / ٢٢ طم (١) (س ٧٢ - ٨٦) / ٥ - ٧
رقم الايداع بدار الكتب ١٨٠٧ لسنة ١٩٨٦ .
طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

دكتور بطريرش عبد الملك

الأستاذ جيبب سعييد

القس صموئيل جيبب

القس فايز فارس

القس فهد سليم عزيز

◊ يشترك عدد كبير من المترجمين في إصدار
هذه السلسلة .

◊ ويقوم بنشرها :

— دار الثقافة المسيحية .

— ودار التأليف والنشر للكنيسة
الأسقفية .

— بالتعاون مع مجمع الكنائس في الشرق
الأدنى .

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٦	حيث الحاجة أكبر	٩	المقدمة
٧٩	الزمرة السعيدة		
٨٢	ضرورة الاحتفاظ بشباب العقل		الأصحاح الأول :
٨٤	التقوى الحقيقية والزينة	٢١	بدء القصة
	الأصحاح الثالث :	٢٧	يشير الملك
٨٩	تصارع الأفكار	٣٠	اليوم الفاضل
٩٣	في وسط الجماهير	٣٤	وقت الاختبار
٩٧	الجماعة المختارة	٣٨	البشارة المفرحة
١٠٠	القرار الخاص به	٤١	يسوع يختار رفقاءه
١٠٢	حلف أم غزو	٤٥	يسوع يبدأ معسكر عمله
١٠٤	الخطية التي لا تنتقر		انتصار المسيح الأول على قوات
١٠٧	القرابة وأساسها	٤٩	الشر
	الأصحاح الرابع :	٥٣	المعجزة الخاصة
١١١	التعليم بالأمثال	٥٦	ابتداء التجمهر حول يسوع
١١٥	من الأرض إلى السماء	٥٨	ساعات التأمل ونداء العمل
١١٩	سر الملوكوت	٦٠	شفاء الأبرص
١٢٣	الحصاد مؤكدا		الأصحاح الثاني :
١٢٨	النور الذي يبني أن يرفع عالياً	٦٥	الإيمان الذي لا يمكن أن يحتفى
١٣٢	الحق الذي لا يمكن أن يخفى	٦٨	الناقشة التي لا نجواب
١٣٤	ميزان الحياة		دعوة الرجل المسكروه من كل
		٧١	الناس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	الأصحاح السابع :	١٣٦	شريعة الزيادة
٢٠٤	الظاهر والنجس	١٣٨	النمو الغير متطور والنهاية المؤكدة
٢٠٨	شرائع الله وأحكام الناس	١٤٢	من الصغر إلى الاتساع
٢١١	الفرصة الآتية	١٤٦	المعلم الحكيم والمتعلم النابه
٢١٣	النجاسة الحقيقية	١٤٨	السلام في حضرته
٢١٨	الإعلان أن العالم للمسيح		الأصحاح الثامن :
٢٢٢	يعمل كل شيء حسناً	١٥٢	طرد الشياطين
	الأصحاح الثامن :	١٥٥	الذين طلبوا من يسوع أن يتركهم
٢٢٦	حنان وتحد	١٥٩	شاهد للمسيح
٢٢٩	العيان الذين يطلبون آية	١٦١	في ساعة الحاجة
٢٣١	الفشل في التعليم من الاختبار	١٦٤	الرجاء الأخير للمعذب
٢٣٣	رجل أعمى يتعلم كيف يرى	١٦٦	نعم الشفاء
٢٣٦	الإكتشاف العظيم	١٦٩	الرغبة والرجاء
٢٣٨	التفكير اليهودي عن المسيا	١٧٢	الاختلاف الذي يعمله الإنسان
٢٤٢	المجرب يتكلم بلسان صديق		الأصحاح السادس :
٢٤٤	طريق التلمذة	١٧٤	بلا كرامة في وطنه
٢٤٧	من يضيع حياته يجدها	١٧٨	بشروا الملك
٢٤٩	القيمة العظمى في الحياة	١٨١	رسالة الملك والرحمة
٢٥١	عندما يأتي الملك إلى خاصته	١٨٤	ثلاثة أحكام على يسوع
	الأصحاح التاسع :	١٨٦	إنتقام امرأة شريرة
٢٥٣	المجد في قمة الجبل	١٩٣	أشدجان الجوع
٢٥٦	مصير النذير (بوخنا الممدان)	١٩٦	القليل الذي تسكّر في يد يسوع
٢٥٨	النزول من على الجبل	١٩٩	التغلب على العاصفة
٢٦١	صرخة الإيمان	٢٠٢	الجوع الباحث

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٢٦	سؤال مكبر وجواب قاطع	٢٦٣	سبب القتل
	الاصحاح الثاني عشر :	٢٦٥	مواجهة النهاية
٣٢٩	الرقص والجزاء	٢٦٧	الطموح الحقيقي
٣٣٣	قيصر والله		مساعدة المحتاجين هي خدمة
٣٣٧	الافكار الخاطئة عن الحياة الآتية	٢٧٠	للمسيح نفسه
٣٤١	الحبة لله والحبة للقریب	٢٧١	درس في عدم التمسك
٣٤٦	ابن داود	٢٧٤	الثواب والعقاب
٣٤٨	ديانة خاطئة		المهدف الذي يستحق كل تضحية ٢٧٦
٣٥١	أعظم عطية		الاصحاح العاشر :
	الاصحاح الثالث عشر :	٢٨٣	للخير أم للشر
٣٥٣	يوم الرب	٢٨٧	مثل هؤلاء ملكوت السموات
٣٥٨	خراب مدينة	٢٩٠	كم من الصلاح يحتاج
٣٦٠	آلام مدينة	٢٩٣	خطورة الغنى
٣٦٢	الطريق الصعب	٢٩٦	المسيح ليس مديناً لأحد
٣٦٥	أخطار الأيام الأخيرة	٢٩٩	النهاية تقترب
٣٦٨	مجئته الثاني	٣٠١	مطلب الطموح
٣٧٠	إصحوا	٣٠٥	نؤمن خلاص الإنسان
	الاصحاح الرابع عشر :	٣٠٨	معجزة على جانب الطريق
٣٧٤	العمل الأخير يبدأ		الاصحاح الحادي عشر :
٣٧٧	الحية السرفة	٣١٢	مجىء الملك
٣٨٠	الحائن	٣١٥	الآن
٣٨٣	الإستعداد للصيد	٣١٧	الهدوء الذي يسبق العاصفة
٣٨٧	آخر صيحات الحبة	٣١٨	التينة الغير مشورة
٣٩٠	رمز الخلاص	٣٢٠	غضب يسوع
		٣٢٤	قواعد الصلاة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢	رغبة الجماهير	٣٩٤	فشل الأصدقاء
١٥	استهزاء الساكر	٣٩٧	لتكن إرادتك
١٧	الصليب	٣٩٩	القبض عليه
٢٠	الحبة اللانهاية	٤٠٢	شاب ما
٤٢١	المأساة والإنتصار	٤٠٣	المحاكمة
٤٢٤	الرجل الذي وهب يسوع قبره	٤٠٧	الشجاعة والجبين
	الأصعاج السادس عشر :		
٤٢٧	قولوا لبطرس		الأصعاج الخامس عشر :
٤٢٩	إرسالية الكنيسة	٤١٠	صمت يسوع

مقدمة إنجيل مرقس

الانجيل الثلاثة الاول :

تعتبر الانجيل الثلاثة الاول ، متى ومرقس ولوقا ، وحدة واحدة ، وقد أطلق عليها العلماء الكلمة الإنجليزية Synoptics وهي كلمة مشتقة من فعل يوناني مركب يعني « يمكن الإحاطة به » . ولقد سميت بهذا الإسم لما فيها من تشابه كبير يجعل من السهل دراستها معا . ومن هذه المجموعة يعتبر إنجيل مرقس أكثرها أهمية ، بل يذهب البعض إلى حد القول بأنه أهم كتاب في العالم طرأ ، إذ ، أنه - بشهادة الجميع - أول إنجيل كتب ، ولهذا فهو أول كتاب عن حياة يسوع وصل إلينا . قد لا يعني هذا أن مرقس كان أول شخص يكتب عن حياة يسوع فلا بد أنه كانت هناك محاولات أولية سابقة ، ولكنه أصبح من المؤكد أن هذا الإنجيل هو أقدم إنجيل وصل إلينا .

أصل الانجيل :

عندما نبحث عن أصل الانجيل وكتابتها يجب أن نرجع قرونا طويلة إلى الوراء حيث لم تكن هناك مطابع ولا كتب مطبوعة .. حينما كانت كتابة الكتب عملية شاقة مكلفة ، إذ كانت تكتب بخط اليد ؛ في ذلك العصر كتبت الانجيل ، ولهذا فلم تكن هناك سوى نسخ محدودة مكتوبة بخط اليد . فكيف يمكن إذا أن نقول إن إنجيل مرقس كان أول ما كتب من هذه المجموعة الثلاثة ؟

إن أول ما يقابل الدارس لهذه الأناجيل الثلاثة هو المشابهات الواضحة بينهما ، فقد يقرأ الحادثة الواحدة في الأناجيل الثلاثة بنفس الكلمات تقريباً ويجد تعاليم المسيح بنفس الصيغة ، فحادثة إشباع الخمسة آلاف مثلاً جاءت في صيغة واحدة في كل من مرقس ٦ : ٣٠ - ٤٤ م متى ١٤ : ١٢ - ٢١ م لوقا ٩ : ١٠ - ١٧ ؛ ولعل خير مثل على هذا التشابه هو قصة شفاء المفلوج المذكورة مرقس ٢ : ١ - ١٢ م متى ٩ : ١ - ٨ م لوقا ٥ : ١٧ - ٢٦ . فقد جاءت متطابقة تقريباً في مواضعها الثلاثة ، حتى إن الجملة الإخبارية « حينئذ قال للمفلوج » تأتي في نفس الموضع في القصص الثلاث . هذا التشابه الواضح يقودنا إلى أحد إفتراضين : إما أن ثلاثتهم استقوا معلوماتهم من مصدر واحد وإما أن اثنين منهم اتخذوا الإنجيل الثالث مصدراً أساسياً لهما . فأيهما أصح^(١) .

لدى التعمق في الدراسة نجد أن إنجيل مرقس ينقسم إلى ١٠٥ قسماً منها ٨٣ قسماً جاءت في إنجيل متى و٨١ قسماً جاءت في إنجيل لوقا ولم تبق غير أربعة أقسام فقط موجودة في إنجيل مرقس وحده .

بل لعل الفكرة تتضح أكثر لو أخذت الأعداد أساساً للمقارنة : فإنجيل مرقس يحتوي على ٦٦١ عدداً وإنجيل متى يحتوي على ١٠٦٨ عدداً بينما يتكون إنجيل لوقا من ١١٤٩ عدداً . لكن عندما يكتب متى إنجيله يستعمل بما لا يقل عن ٦٠٦ عدداً من إنجيل مرقس مستخدماً ٥١٪ من نفس الفاظه ، أما لوقا فإنه يستعمل حوالي ٣٢٠ عدداً مستخدماً كذلك ٥٣٪ من نفس الفاظ مرقس بل وأكثر من ذلك فالخمس والخمسون عدداً الباقية من مرقس التي لا يستعملها

(١) هذه المقارنة من الناحية العلمية فقط ولكن هذا لا يبيّن إنكار الحقيقة الأساسية أن الوحي هو أساس وحدة الأفكار (الناشر)

متى نجد منها واحداً وثلاثين عدداً في إنجيل لوقا . . ومن هذا يتضح أن أربعة وعشرين عدداً فقط هي التي نجدها في مرقس لم يستمرها متى أو لوقا .

هذه الدراسة للمقارنة جعلت الباحثين يتمسكون بالنظرية القائلة : إن متى ولوقا كانا يستخدمان إنجيل مرقس مصدراً أساسياً لهما عند كتابة إنجيليهما .

لكن الذى يحول النظرية إلى حقيقة واقعة هو مقارنة ترتيب الحوادث . فإنجيل متى وإنجيل لوقا يتبعان في غالبية الأحوال ترتيب مرقس للحوادث . نعم : قد يدخل أحدهما بعض التغيير ، ولكن لم يحدث قط أن اتفقا على ترتيب خلافه ، ففى الأمكنة التى يغير متى فيها الترتيب المذكور نجد أن لوقا يخالفه ويتبع نفس ترتيب مرقس ، وبالعكس .

من هذه الدراسة نستخلص أن متى ولوقا كان أمامهما إنجيل مرقس عند كتابة إنجيليهما ، ولقد زادا عليه كثيراً من المعلومات التى اختص بها كلاهما أو أحدهما ، لكنهما ، فى هذه الزيادة ، لم يغيرا كثيراً من ألفاظ مرقس أو طريقة ترتيبه للحوادث بل وضعوا المعلومات بين ثنايا الإنجيل .

أليس من اللئير حقا أننا عندما نقرأ إنجيل مرقس نعرف أنه أول قصة وصلت إلينا عن حياة يسوع ؟ وأن كل ما كتب بعد ذلك كان مبنياً أساساً على هذه القصة ؟؟

مرقس كاتب الإنجيل :

إذن من هو مرقس كاتب الإنجيل هذا ؟ إن العهد الجديد يعطينا معلومات كثيرة عنه . فهو ابن امرأة غنية من أورشليم اسمها مريم ، ويظهر أنها قبلت

المسيحية مبكراً وفتحت بينها ليكون مقراً للكنيسة (أعمال ١٢ : ١٢) ،
 وساعد هذا مرقس على الاندماج مع التلاميذ في سن مبكرة ، وعندما بدأ بولس
 رحلته التبشيرية الأولى مع برنابا (خال مرقس) أخذاه معهما ليكون مرافقاً
 ومساعداً لهما (أعمال ١٢ : ٢٥) ، ولكن هذه الرحلة لم تشجع مرقس على
 إتمامها فرجع من منتصف الرحلة عندما وصلوا برجة بمقيلية ، ولكن سفر
 الأعمال لم يذكر السبب المباشر لرجوعه هذا : هل لأنه خاف السير في طريق
 يعتبر من أصعب وأخطر طرق العالم ؟ أم لأنه شعر بأن زمام الرحلة بدأ يتحول
 إلى يدي بولس فيصبح الرجل الأول والقائد بينما أصبح خاله في المرتبة الثانية ؟
 أم لأنه لم يكن راضياً تماماً عن أعمال وتصرفات بولس الرسول ؟ أم لأنه —
 كما قال كريستوم — لم يستطع فراق أمه ؟ ... ولقد تأثر بولس من
 رجوع مرقس حتى أنه رفض رفضاً باتاً أن يصطحبه معه في رحلته التبشيرية
 الثانية مع برنابا خاله ، ولكن برنابا لم يقبل من بولس هذا الإصرار فافترق
 عنه ولم يعد — على قدر ما نعلم — يرافقه مرة أخرى [أعمال ١٥ : ٣٧ — ٤٠] .
 وبعد هذا التاريخ يزوي مرقس من على مسرح الأحداث لفترة طويلة ولا يعرف
 أحد عن مصيره شيئاً ، وتقول بعض التقاليد إنه ذهب إلى مصر وأسس هناك
 كنيسة الإسكندرية . ولكن الأمر العجيب هو أن مرقس يعود إلى الظهور
 مرة أخرى وفي حالة تختلف كل الاختلاف عن ذي قبل ، فهو مع بولس في
 سجنه في روما كما يذكر الرسول نفسه ذلك في رسالته لكولوسي [كولوسي
 ٤ : ١٠] . وفي رسالة فلبيون يؤكد مرة أخرى حقيقة وجوده معه [فلبيون ٢٤] ،
 وعندما كان يواجه خطر الموت يكتب لتلميذه تيموثاوس قائلاً « خذ مرقس
 واحضره معك لأنه نافع لي للخدمة » (٢ تيموثاوس ٤ : ١١) . ما أبعد هذه
 النعمة عن تلك التي صدرت عنه يوم أن رفض قبوله معه في رحلته التبشيرية

الثانية ، فما الذى حدث لمرقس ؟ وما الذى غيره حتى جعل بولس يطلبه وبالطبع ليكون معه ؟ إلا يجدر بنا أن نسميه « الرجل الذى فدى نفسه ؟ » .

المصادر التى استقى منها مرقس معلوماته :

لما كانت قيمة القصة تتوقف على قيمة المصادر التى استقيت منها كان لنا الحق فى التساؤل عن المصادر التى استقى منها مرقس معلوماته عن حياة يسوع وعمله . مما لا شك فيه أن المصدر الأول له هو اختبارات أعضاء الكنيسة الأوائل الذين اتخذوا من بيت أمه كنيسة لهم . ولكن هذا المصدر لا يمكن أن يكون كافياً ليفسر المعلومات التى نجدتها فى هذا الإنجيل إذ تعتبر من أدق المعلومات وأكثرها صحة ، فلا بد من وجود مصدر آخر فى غاية الأهمية والثقة .. وهذا صحيح فى كتابات بايياس Papias الذى كان يعيش فى نهاية القرن الثانى للمسيح (وكان يهودى جمع المعلومات الخاصة بالكنيسة الأولى) نجد مفتاح السر عندما يقول إن إنجيل مرقس ما هو الا خلاصة شهادة ومواظب بطرس أعظم الرسل . فلقد كان مرقس قريباً من بطرس حتى أنه يصفه بأنه إبنة [١ بط : ٥ : ١٣] .

وهذه هى شهادة بايياس نفسه :

« مرقس الذى كان شارحاً لآراء بطرس interpreter كتب » .

« بكل دقة — ولكن بغير ترتيب زمنى — كل ما سمعته منه عما »

« فعله يسوع وتكلم به . لأنه لم يكن تلميذاً للرب ولم يستمع »

« إليه شخصياً ، ولكنه كان تلميذاً لبطرس — كما قلت — فى »

« أواخر حياته ، ولقد حاول بطرس أن يذكر تعاليم يسوع »

« بحسب الحاجة الماسة في حياة الناس اليومية دون أن يصعها في ترتيب منطقي خاص » .

هذه هي شهادة بايياس التي تعلن بدون لبس أو إبهام أن إنجيل مرقس ما هو إلا ذكريات بطرس ومواعظه .

فلدبنا إذن سببان رئيسيان يعطيان إنجيل مرقس أهمية لاتفوقها أهمية : أولهما أنه أول كتاب كتب عن حياة يسوع إذ كتب بعد موت بطرس مباشرة حوالي ٦٥ م. وثانيهما هو أن هذا الإنجيل كان خلاصة تعاليم بطرس ومواعظه ، وبعبارة أخرى فإنجيل مرقس هو أدق سجل تمتلكه المسيحية جاء من شاهد عيان عن حياة يسوع وقصته .

نهاية الانجيل المفقودة :

هناك حقيقة مثيرة في إنجيل مرقس وهي أنه يتوقف في نسخته الأصلية إلى حد ١٦ : ٨ ، أما الأعداد الباقية [١٦ : ٩ - ٢٠] فليست موجودة في أقدم النسخ وأصحها ، كل ما هناك هو أنها وجدت مؤخراً في نسخ أقل قيمة ومتأخرة في ترتيبها الزمني . كما أن أسلوبها اللغوي يختلف عن بقية الإنجيل حتى أنه يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الإنجيل . ومن الناحية الأخرى نجد أنه من غير المعقول أن يتوقف مرقس عند ١٦ : ٨ فهي نهاية فجائية تعسفية . ولهذا فأمامنا أحد احتمالين الأول : إما أن يكون مرقس قد استشهد قبل أن يتم كتابة إنجيله وهذا بعيد الوقوع ، وإما - وهذا أقرب الاحتمالين - أن تكون النسخة الأصلية للإنجيل قد بلى جزؤها الأخير ؛ فلقد جاء وقت فيه أهملت الكنيسة إنجيل مرقس وفضلت عليه إنجيلي متى ولوقا ، ومن الجائز جداً أن

تكون جميع نسخ هذا الإنجيل قد ضاعت ولم تبقى منها سوى نسخة واحدة
بلى جزؤها الأخير . فإذا كان الأمر كذلك فلقد كانت الكنييسة إذن في خطر
فقد أم انجيل كتب عن حياة ابن الله .

مميزات انجيل مرقس :

لندرس الآن الخصائص المميزة لهذا الانجيل لتتعرف عليها حين نقابلها .

١ - أنه يعتبر أدق محاولة لكتابة كتاب عن حياة يسوع إذ أنه يعطى
صورة حقيقية عنه قولاً وفعلاً . ولهذا يقول عنه وستكوت Westcott
« إنه مقتطفات من الحياة » ويصفه ا . ب . بروس A. B. Bruce « إنه
مجموعة ذكريات كتبها شخص محب غيور » ولهذا فقد اتسم هذا الإنجيل
بالواقعية وأصبح مرجعاً أساسياً لكل من يحاول كتابة كتاب عن حياة يسوع .
إن أهم صفة فيه هو أنه يقدم الحقائق في أبسط الأساليب وأكثرها حيوية .

٢ - يؤكد مرقس توكيداً جازماً لاهوت المسيح . فيبدأ إنجيله بقانون
الإيمان « بدء أنجيل يسوع المسيح ابن الله » ، ثم يتطرق في قصته عنه بحيث
لا تغيب عن ناظره هذه الحقيقة ، فهو يذكر أثر يسوع على عقول سامعيه
وقلوبهم والرهبنة والدهشة اللتين كثيراً ما عقدتا ألسنتهم في حضرته . اسمه
يقول « فبهتوا من تعاليمه » ١ : ٢٢ ، « فتحيروا كلهم ... » ١ : ٢٧ . ولم
يقصر تأثيره على الجموع الغريبة فقط بل تعداهم إلى تلاميذه المقربين إليه ،
وما أكرر العبارات التي يرددها مرقس في ذلك مثل « تخافوا خوفاً عظيماً وقالوا
بعضهم لبعض من هو هذا ... ٤ : ٤١ » . فبهتوا وتمجبوا في أنفسهم جدا

إلى النهاية . ٥٠ : ٦ ، ٥١ ، « . . فتحير التلاميذ من كلامه . . فبهتوا إلى النهاية . »
١٠ : ٢٤ ، ٢٦ . فالمسيح بالنسبة لمرقس لم يكن واحداً من الناس بل كان الله
نفسه سار في وسط الجموع بتأثيره البالغ على عقولهم وقلوبهم .

٣ — ولكن في غمرة الدهشة لم ينس مرقس ناسوت المسيح ، بل لقد
كان يؤكد الجانب الإلهي من حياة يسوع حتى أن الكتّاب الذين تبعوه
اضطروا إلى إدخال بعض التعديلات في كثير من عباراته . فبينما يذكر هو أن
يسوع كان نجاراً ٦ : ٣ يتحرج متى فيذكر عنه أنه ابن النجار متى ١٣ : ٢٥ .
وبينما لا يتردد في قصة التجربة في أن يقول أن الروح أخرج يسوع إلى البرية
١ : ١٢ : ١ يتنعم متى ولوقا عن استعمال هذا التعبير فيقولان إما أصعد متى ٤ : ١
أو يقتاد لوقا ٤ : ١ . وأكثر من ذلك فقد كان مرقس أكثر من أى إنجيل
آخر يظهر بطريقة جريئة عواطف يسوع وإحساساته فيذكر أنه « أن » ٧ : ٣٤ ،
١٢ : ٨ ، وأنه « تحمّن على الجموع » ٦ : ٢٤ ، وأنه « تعجب لعدم إيمانهم »
٦ : ٦ ، وأنه « غضب حزينا » ٣ : ٥ ، ٨ ، ٣٣ : ١٠ ، ١٤ . وأنه نظر إلى
الشاب الغني « وأحبه » ١٠ : ١٢ . وأوضح إلى جانب ذلك احتياجاته الجسدية :
فقد كان يجوع ١١ : ١٢ . ويتعب فيحتاج إلى الراحة ٦ : ٣١ . ففي هذا
الإنجيل نجد يسوع الذي يشاركنا عواطفنا وإحساساتنا ويظهر بصورة تجلّه
قريباً جداً منا .

٤ — ولعل من أبرز خصائصه أنه يضع هنا وهناك في قلب القصة تعبيرات
حية تشهد أن قائلها كان شاهد عيان لحوائدها . فمثلاً : حين يذكر (مع متى)
أن يسوع أخذ ولداً وأقامه في الوسط : يقول متى « فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه

في وسطهم» (متى ١٨ : ٢) بينما يقول هو « فأخذ ولدا وأقامه في وسطهم ثم احتضنه وقال لهم» (مر ٩ : ٣٦) هذه الكلمة احتضنه تعطي صورة حية متحركة للمشهد. وهكذا يفعل في قصة مجيء الأطفال إليه وتوبيخه لتلاميذه على منعهم إياهم من الاقتراب منه، إذ يقول «... واحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم» (مر ١٠ : ١٣-١٦) قابل متى ١٩ : ١٣-١٥، لوقا ١٨ : ١٥-١٧] وفي قصة إشباع الخمسة الآلاف يرسم صورة الحادثة في قوله «.. واتسكأوا صفوفًا صفوفًا مئة مئة وخمسين خمسين» (مر ٦ : ٤٠). وما أقوى الصورة التي يرسمها لوحده يسوع حين سار إلى اورشليم في قوله « وكانوا في الطريق صاعدين إلى اورشليم ويتقدمهم يسوع...» (مرقس ١٠ : ٣٢ قابل متى ٢٠ : ١٧، لوقا ١٨ : ٣١). بل هناك عبارة واحدة يضيفها مرقس في قصة اسكات البحر فتجعلها حية شاهدة على أن قائلها كان شاهد عيان.. هذه العبارة هي « وكان هو... على وسادة ناعما».

ألا تشهد هذه كلها على أن أحد شهود العيان هو الذي يذكر هذه التفاصيل؟ أولا تثبت هذه الشهادة أن أصل هذه القصص من بطرس؟

٥ - ويمتاز مرقس كذلك بواقعيته وبساطته. وتظهر هذه البساطة في الأمور التالية :

(١) لا يهتم كثيراً بالأساليب البليغة بل يذكر قصته في بساطة الطفل وحماسته، ولهذا فهو يرص عباراته الواحدة تلو الأخرى ولا يربط بينهما إلا بحرف العطف « و » كما يفعل في الاصحاح الثالث إذ ذكر (٣٤) عبارة وجملة بعد فعل رئيسي واحد ولم يربطها إلا بحرف العطف « و ».

(ب) وهو مفرم كثيراً باستعمال الكلمتين « للوقت » « وفي الحال »
فاستخدمها حوالي ٣٠ مرة في إنجيله وهو يفعل ذلك في حماس واندفاع في سرد
قصته وهو يستطيع بذلك أن يوضع في نفوس القراء نفس الأثر الذي يشمر
به هو .

(ج) وكثيراً ما يستخدم الفعل المضارع في سرد حوادث قد مضت (١٧:٢ ،
١١ : ٢١ ، ١٤ : ٤٣) هذا بالضبط ما يفعله الرجل البسيط في سرد قصته
حتى يجعل منها حركة مستمرة

(د) ومن امتيازاته أيضاً أيضاً أنه كثيراً ما يذكر نفس الكلمة الأرامية
التي خرجت من فم يسوع في بعض المواقف الخطيرة ، مثل : « طليثا فومي »
٥ : ٤١ ، إفتنا (٧ : ٣٤) ، « قربان » (٧ : ١١) ، « أبا الآب » (١٤ : ٣٦)
« الوى الوى لما نفسه شبقتنى » (١٥ : ٣٤) . ويلوح لنا أن هذه الكلمات
كانت ترن في أذن بطرس حين كان يذكر قصة سيده ، فلم يكن يغالب نفسه
في ذكرها دون ترجمة لها .

الانجيل الجوهري :

إننا لأنجانب الصواب إذا ما وصفنا إنجيل مرقس بأنه الانجيل الجوهري .
وحسنا نفعل إذا درسنا هذا الانجيل الأول في ترتيبه الزمني في حب
إنه الانجيل الذي نسمع في ثناياه صوت وإعزاز وتدقيق . . بطرس الرسول
واعظا .

التفسير

بدء القصة

الأصحاح الأول

بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله .

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ . هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ
مَلَاكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ . صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ
أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً . كَمَا أَنَّ يُوحَنَّا يَعْمِدُ
فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِغُفْرَةِ الْخَطَايَا .

(مرقس ١ : ١ - ٤)

يبدأ مرقس قصته من أعماق القدم ، قصة يسوع لم تبدأ حين ظهر يوحنا المعمدان في البرية ، ولا حتى عندما ولد وجاء في أرضنا ، إنها تبدأ في أحلام الأنبياء الأقدمين ، بلا بل إنها بدأت في علم الله وتدييره قبل ذلك بكثير . فأعمال الله معروفة لديه . ولقد صدق مرقس أوريليوس الرواق في قوله « إن أعمال الله مملوءة حكمة ، إن كل الأشياء تنبع من السماء » .

ومن هذه الأعداد تتعلم بعض الأشياء :

١ - حسنا قيل عن تفكير الشباب إنه تفكير طويل ، وهكذا

تدبيرات الله . فهو عندما يجرى قصده يجريه في تأن وإتقان ، والتاريخ لا يعتبر مجموعة من الحوادث المخلخلة لا رابط لها ، بل هو عمل متصل متواصل يوجهه الله - الذي يعرف النهاية وقت البداية - إلى هدف سام عظيم .

٢ - ولكن هذا التدبير الإلهي يضع علينا نحن مسئولية عظيمة لأننا لسنا بمنزلة من دائرة بل إننا في الحقيقة هدفه ، ولهذا فقد نساعد بمجهودنا على تحقيقه وقد نكون السبب في تعطيله أو تأخيريه ، وكما تصبح حياتنا غنية بمثلثة إذا عملنا بكل ما نستطيع من جهد أن نقترب ذلك اليوم الذي فيه يتحقق هدف الله السامي وتدييره الأفضل . وحسنا قال الشاعر :

« في شبابي حين كنت عاجزا عن الفناء

امتنت حتى عن كتابة الأغنية

ولم أزرع شجرة صغيرة على جانب الطريق

لأنني عرفت أن نموها سيقطول أيامه

ولكن السمون أعطتني الحكمة والعلم

علمتني أن البركة في أن أزرع ، وشخص آخر يسقى

وإن أكتب أغنيتي . وشخص آخر يغنيها . »

فالهدف لن يتحقق ما لم يكن هناك من يعمل ويساعد على تحقيقه .

والنبوة التي يقتبسها مرقس مملوءة بالمعاني :

« ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء الطريق قدامك . »

وردت هذه النبوة في سفر ملاخي ٣ : ١ ولقد نطق بها النبي تهديداً للشعب

في العهد القديم فكهنته لم يكونوا فوق مستوى الشبهات ، وذبايحهم لم تكن سليمة لأنفة بمذبح الرب ، وعبادة الهيكل أصبحت ثقلا على الشعب والكهنة ، ولهذا هددهم الرب بارسال ملاكه حتى يطهر الهيكل من العبادة الفاسدة ويهيئ الطريق قدام المسيح . فجاء المسيح كان لهدف أسمي هو تطهير الحياة في عالم كان في مسيس الحاجة لهذا العمل الجبار . وما أشر العالم أيام مجيء المسيح : فروما سيدة العالم في ذلك الوقت وصفها سينكا بأنها بؤرة فساد وقال عنها جوفينال « إنها بركة قدرة كانت أوحال الشرق والغرب تصب فيها » ولم يكن غير المسيحية العلاج الناجح لها . وليست هذه باسطورة خرافية بل هي حقيقة واقعية تشهد على صحتها أمجاد تأثير المسيحية في عصرنا الحاضر . ومما يذكره بروس بارثون الصحفي المعروف أنه في بدء حياته الصحفية طلب إليه أن يكتب سلسلة مقالات منددا بعمل بلي صنداي البشر الشهير . فاختار لذلك ثلاثة مدن عمل فيها هذا البشر وبدأ يتحرى تأثيره فيها . ولما سأل جماعة من التجار عنه ذكروا له أن كثيرين منهم بعد أن تركوا الاجتماعات التي كان يعظ فيها صنداي ذهبوا توا ليدفعوا ما عليهم من ديون كانوا يماطلون في دفعها . ثم سأل رئيس الغرفة التجارية في المدينة الثانية فأجابه هذا بالحرف الواحد « أنا لست عضوا في كنيسة ما ولم احضر اجتماعا دينيا في حياتي ولكن دعني أقول لك إنه لو أتى بلي صنداي إلى المدينة وعرفت أن نتيجة عمله ستكون مائة لمارفله في مدينتنا من قبل بلجعت له كل تكاليف رحلته في الحال . لقد كلف المدينة ١١ ألف دولار طيلة مدة خدمته هنا ولكنه ترك أثرا لن نساها بينما يكلفنا سيرك يعمل هنا ثلاثة أضعاف هذا المبلغ في اليوم الواحد ولكن لا نستفيد منه شيئا » . وبهذه الكيفية أضحى التعريض الذي أراده هذا الصحفي بهذا البشر العظيم

أكبر شاهد على قوة المسيحية المطهرة . وما لنا نذهب بهيذا ، فمتدما وعظ بلى جراهام في مدينة شريفيبورت بولاية لويزيانا انخفضت فيها تجارة الخمر بمعدل ٤٠٪ وارتفع توزيع الكتاب المقدس بمعدل ٣٠٠٪ ، وعندما خدم في سيقل انخفضت نسبة الطلاق بشكل ملحوظ ، وفي مدينة جرينبور بولاية كارولينا الشمالية تأثر النظام الاجتماعي كله من تأثير خدمته .

بل لعل من أروع القصص عن عظمة تأثير المسيحية هو ما ذكر في تاريخ ثورة سفينة بوتى : فمتدما قامت الثورة بين بحارة السفينة تغلب القائد ثم اتى بالثوار على شواطئ جزر بنكارين ، وكانوا جماعة مكونة من تسعة بحارة وتسعة رجال وعشر نساء من الوطنيين وفتاة في الخامسة عشرة من عمرها . ولقد نجح واحد من هذه الجماعة في استخلاص مادة مخدرة من الاعشاب فكان هذا العمل سبباً في هلاكهم جميعاً ما عدا رجلاً اسمه الكساندر سميت كان يمتلك كتاباً مقدساً يقرأ باستمرار . وقد فكر سميت هذا في بناء مستعمرة مسيحية تبنى حياتها على تعاليم الكتاب المقدس ، وقد نجح فعلاً . وبعد عشرين سنة من هذه الحوادث زارتهم أول سفينة أمريكية صغيرة فوجدت هناك العجب : إنها لم تجد سجناً واحداً لأنه لم تكن هناك جرائم ، لم تجد مستشفى لأنه لم يكن هناك مرض ، لم تجد مصحات عقلية لأن الجميع كانوا أصحاء نفسياً وعقلياً ، لم يكن هناك أميون ، ولم تكن هناك سرقات بل كان المكان الوحيد على وجه الأرض الذى تبقى فيه الممتلكات فى أمان أينما وجدت . هذا كله من عمل المسيحية ، فأينما فتح الباب للمسيح طهر الإيمان المسيحي المجتمع من آفة الأخلاق الضائعة وتركه نظيفاً مقدساً .

يوحنا يكرز بمعمودية التوبة : (عدد ٤)

لقد كانت الحياة اليهودية حياة تطهير خارجي بواسطة غسلات طقسية مذكورة في لاويين ١١ - ١٥ . ويقول ترتليان عن اليهودي إنه كان يطهر نفسه يومياً لأنه كان يتنجس كل يوم . فالتطهير بالغسلات كان عنصراً أساسياً في الديانة اليهودية ، ولهذا السبب اعتبروا الأمم جماعة نجسة لأنهم لا يؤمنون بالشريعة الموسوية ، وحتموا على كل دخيل أُمي إلى اليهودية أن يقوم بثلاثة طقوس : الأول أن يحتتن لكي يدخل في جماعة العهد ، والثاني أن يقدم ذبيحة خطية لتغفر له خطايه ، والثالث أن يتمدد لكي يتطهر من حياته السابقة النجسة . فالعمودية في نظرهم ليست رش الجسم بالماء بل غسله وتطهيره بالمياه المقدسة ، وبهذا العمل يصبح الأُمي يهودياً .

ولكن الأمر الغريب في كرازة يوحنا أنه كان يطلب من اليهود أن تقسم أن يتمعدوا لافرق بينهم وبين الأُمي في ذلك ، وبهذا العمل أعلن يوحنا للمعدان حقيقة رائجة - كان أول من اكتشفها - وهي أنه لكي يكون الفرد من شعب الله لا يكفي أن يكون يهودياً لأن اليهودي والأُمي سواء في نظر الله جميعاً يحتاجون إلى غفران الخطايا فليست الحياة اليهودية هي التي يطلبها الله بل الحياة للطهرة .

ويصاحب هذه للعمودية الاعتراف ، وفي رجوعه إلى الله يجب أن يعترف الإنسان لثلاثة شخصيات مختلفة :

١ - يجب أن يعترف لنفسه : إن الإنسان - لطبيعته البشرية - يفض عينيه عن كل شيء لا يريد أن يراه ، فبالأولى جدا يفضها عن خطيته هو

ويعاود أن ينساها . فالخطوة الأولى إذن هي أن يعترف لنفسه على نفسه، ويذكر أحدهم اختباره ويقول إنه خطأ الخطوة الأولى في طريق النعمة عندما نظر إلى نفسه في المرآة ذات صباح فلم ير سوى مخلوقاً قذراً دنساً . كان هذا نفس إختبار الإبن الضال فقد كان يظن في نفسه عندما ترك بيت أبيه أنه شاب مغامر جرىء ، ولكنه عندما بدأ يرجع إلى نفسه قال أقوم وأرجع إلى بيت أبي وأقول له إنني مخلوق دنس تمس . هذه هي الخطوة الأولى وهي أشق خطوة ، فواجهة نفسك على حقيقتها البداية الحقيقية في مواجهةك لله .

٢ - أن يعترف إلى كل من أساء إليهم ، فلن يرفع الإنسان شيئاً أن يذهب ليعترف لله إن لم يذهب أولاً ويعترف لإخوته بإساءته لهم . فالحواجر التي تحجب الإنسان عن أخيه يجب أن تزال أولاً ثم بعد ذلك الحواجز التي تحجب الإنسان عن الله . يقولون إن الطابع الأساسي للنهضة التي حدثت في كنيسة أفريقيا الشرقية كان الاعتراف ، وحدث أن زوجين جاءا إلى الخادم الوطني ليعترفا له إنهما تشاجرا في المنزل فكان رد الخادم عليهما « كان يجب عليكما أن تتصالحا قبل أن تأتيا لتعترفا بذلك » ؛ نعم إن الاعتراف لله أسهل بكثير من الاعتراف للاخوة ، ولكن الغفران يتطلب التواضع .

٣ - أن يعترف الانسان لله . إن نهاية الكبرياء هي بداية الغفران ، وعندما يقرع الانسان على صدره قائلاً « أخطأت » يجيبه الله « لقد غفرت » فالانسان الذي ينال المغفرة هو الشخص الذي يأتي إلى الله لا كئذله بل في توبة وخضوع وحزن قائلاً « اللهم ارحمني أنا الخاطيء » .

بشير الملك

وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ
وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الْأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ . وَكَانَ
يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الْأَبْلِ وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدِ عَلَى حَقْوَيْهِ وَيَأْكُلُ
جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِيًّا . وَكَانَ يَكْرَهُ قَائِلًا يَا بَنِي بَعْدِي مَنْ هُوَ
أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَنْحِي وَأَحُلَّ سُبُورَ حِذَائِهِ . أَنَا
عَمَدُكُمْ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَسَيَعْمِدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ .

(مرقس ١ : ٥ - ٨)

من الواضح أن لإرسالية يوحنا كان لها التأثير القوي على الجماهير فقد سمعت
إليه في جماعات كبيرة لتسمع كلماته وتعتمد منه ، فما هو السر الذي جعل ليوحنا
هذا التأثير الكبير ؟ هناك عدة أسباب :

١ - السبب الأول هو أن يوحنا لم يقتصر على الوعظ فقط بل كانت
حياته رسالة حياة حقيقية ، فإن كانت عظامه إحتجاجاً صارخاً ضد عصره فإن
حياته أعلنت هذا الإحتجاج في صورة حياة متحركة . وظهر هذا الإحتجاج
الحق في صور ثلاث :

(١) في المكان الذي اختاره سكناً له : فقد سكن في بركة اليهودية التي
تقع بين أورشليم مركز اليهودية والبحر الميت . وهي صحراء مروعة إذ تعتبر
من أقسى صحارى العالم . فالأحجار الجيرية التي تتوهج في حرارة الشمس فتؤذي

الأرجل والأعين تملؤها ، وسطحها الغير مستو الذى يرتفع فيصل إلى ارتفاع مرتفعات البحر الميت ثم ينخفض فجأة إلى مستوى البحر الميت الذى يعد من أكثر أمكنة العالم انخفاضاً ، يجعل منها مكاناً غير مريح بل يجمعه من أقسى الأمكنة وأشدها شظفاً . ولهذا سعى في العهد القديم « جشمون » أى الخراب والدمار .. فى هذا المكان الموحش سكن بوحناء المعمدان بعيداً عن قصور الملوك .. وفيه أيضاً كان يسمع صوت الله .

(ب) ثم فى الثياب التى كان يلبسها : فقد كان لباسه من وبر الجمل وكان يضع منطقة من الجلد على حقويه تماماً كما كان يفعل إيليا [٢ مل ١ : ٨] وبهذا أظهر للعالم إنه اختار طريق الأنبياء فى العهد القديم فى بساطتهم وخشونة عيشهم وتركهم للمذات عصرهم وبهرجتهم .

(ج) وأخيراً فى طعامه : فقد كان جراداً وعسلاً برياً . وتحمل هذه الكلمات معنيين : فالجراد إما أن يكون الحشرة المعروفة للجميع ولقد أبحاث الشريعة أكلها [لاوين ١١ : ٢٢ و ٢٣] وإما أن يكون نوعاً من البقول اسمه « كاروب » وكان طعام الفقراء المعدمين . وكذلك العسل البرى : فلما أن يكون شهد النحل وإما أن يكون عصارة الأشجار التى تتساقط من خدوش فى جذعها ؛ وسواء أكان هذا أم ذلك فإنما المهم هو أن طعام بوحناء كان فى غاية البساطة . .

لهذا الإنسان أصنى الناس لأنه كان إنساناً يعيش رسالته التى يقدمها للناس فى كرازته ، وكَم من رسائل ضاعت لأن حاملها كانوا يحميون على خلاف ما يبشرون به . كأن يبشر ساكن القصر بالتقشف وينادى صاحب الملايين بأن

يكنز الناس كنوزهم في السماء . وحديثاً أراد كارليل أن يعلم الناس الصمت
فكتب تعاليمه في عشرين مجلداً !!

٢ - وكانت رسالته مؤثرة لأنه عبر للناس عما يعتمل في نفوسهم وكشف
لهم عن رجائهم وانتظاراتهم وظهر ذلك في ناحيتين :

(١) قديماً قال علماء اليهود : « إنه لو حفظ كل اليهود كل الناموس حفظاً
تاماً لمدة يوم واحد لظهر ملكوت الله في الحال . ولطالما تمنى الناس إتمام هذا
القول ، وعندما جاء يوحنا كان يركز لهم بالتوبة وهي عين ما كان يتمنون
عمله والقيام به ، ولهذا أصغوا إليه لأنه عبر عن أعماق أمنياتهم ، ولقد ذكر
أفلاطون في حديثه شيئاً مثل ذلك إذ قال : « إن التعليم الحقيقي ليس أن تعطى
الناس شيئاً جديداً بل أن تبصرهم بما في نفوسهم » . فلا توجد هناك رسالة أبلغ
من الرسالة التي تخاطب الضمير إذا نادى بها الشخص الصحيح .

(ب) وكان اليهود في عصر يوحنا متلهفين على سماع صوت الله من نبي كما
سمع أجدادهم ، ولكن صوت النبوة كان قد انقطع لمدة ثلاثمائة عام ونجأة ظهر
يوحنا وعرف فيه الشعب النبي الذي يحمل كلمة الله ، ولا غرابة في ذلك فالعين
لا تستطيع أن تخطيء الرجل الصحيح والأذن لا بد وأن تعرف صوت النبي
الحقيقي ، ولقد ذكر أحد عازفي الكمان المشهورين عن توسكانيي أنه حالما صعد
على منصة القيادة عرف فيه كل أفراد الأوركسترا القائد الحقيقي ، وكان سلطانه
عليهم كبيراً ، وما أسهل أن يعرف الطبيب الماهر والخطيب للفوه ، وبهذه
الكيفية جاء يوحنا العمدان ينادى بكلمة الله :

٣ - وكان تواضعه عاملاً أصيلاً في صبح رسالته بالقوة والتأثير . ألم يعتبر نفسه أقل من عبد يفحنى ليحل سيور حذاء سيده ؟ ويستطيع المرء أن يدرك عمق هذا القول عندما يعرف أن الحذاء في ذلك العصر لم يكن سوى قطعة من الجلد تغطى باطن القدم تربطها بالقدم سيور جلدية ، ولهذا فقد كان يتملىء بالتراب والوحل في طرق فلسطين الخشنة . إن يوحنا ينسى نفسه ، إنه يعرف رسالته فقط . . إن المسيح في عقيدته هو كل شيء أما هو . . فلا شيء . هذا التواضع كان من أكبر الدوافع للناس أن يسموه .

٤ - وبمعنى آخر كان يوحنا يشير إلى شخص وإلى شيء بعيدين عن نفسه . فعموديته كانت معمودية الماء التي لا تؤدي إلا إلى إزالة وسخ الجسد ، أما للمسيح الآتى فسيمدهم بالروح القدس الذي يظهر قلوبهم . ولقد عبر ج ج جفرى عن هذا الموقف الجليل بتشبيه جميل إذ قال أنه عندما يطلب صديقاً ما بالتليفون قد يتأخر وصول الخط التليفونى إليه ، ويسمع صوت عامل التليفون يقول : « إنتى أحاول أن أوصلك بالخط حالا » وحالما يتصل الخطان معاً ويسمع صوت صديقه يحتفى عامل التليفون منكرأ لذاته ولنفسه . هذا ما فعله يوحنا المعمدان إنه لم يحاول أن يكون مركز الاهتمام بل كان يعمل جاهداً أن يتوصل الناس بمن هو أعظم وأقوى منه ، ولقد سمع الناس له لأنه لم يشر إلى نفسه بل كان يشير إلى الشخص الذى يحتاج إليه الجميع .

اليوم الفاصل

وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَعَاسَمَدَ مِنْ
يُوحَنَّا فِي الْأَرْدُنِّ . وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَوَاتِ

قَدَرِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ مِثْلَ سَهَامَةٍ نَازِلًا عَلَيْهِ . وَكَانَ صَوْتُ مِنْ
السَّمَوَاتِ . أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ .

(مرقس ١ : ٩ - ١١)

يقف المتأمل حائراً أمام مجيء يسوع للعمودية على يدي يوحنا المعمدان ،
فقد كان يوحنا يقصد بعموديته أن تكون للتوبة والندم على الخطايا السالمة
والعزم على تركها ، فما ليسوع وهذه العمودية وهو المصوم من الخطية ؟ ألا
يمد هذا العمل بالنسبة له غير ضروري بل غير لائق ؟ كلا ، لقد كانت العمودية
ليسوع تعني أموراً أربعة :

١ - لقد كانت بالنسبة له اليوم الفاصل .. يوم التقرير الحاسم ، لقد مكث
ثلاثين سنة في الناصرة أميناً في عمله اليومي وواجباته المنزلية ، ولكنه كان
يتربص الساعة التي تأتيه فيها الدعوة للعمل ، كان ينتظر العلامة وتسدر آها
في ظهور يوحنا المعمدان ، فقد رأى في ظهوره إشارة من السماء له لكي يبدأ
عمله الإلهي . وهكذا في حياة كل إنسان تأتي لحظات فاصلة يقف فيها الإنسان
أمام تحدٍ خطير : فإما أن يقبلها فينجح في حياته وإما أن يرفضها أو يؤجل
عملها فيكون مصيره الفشل المرير ، كما قال لوييل :

« لكل أمة ولكل رجل لحظة فاصلة .

لكي يقف للشر أو للخير في نضالها الأبدي

إنها قضية الله ، بل مسيحه الجديد الذي يهبنا الازدهار أو الجفاف .

وتذهب الفرصة إلى الأبد « وهو يرمج بين النور والظلام »

نعم فلكل إنسان تأتي لحظة العزم الذي كما يقول شكسبير :
في حياة الناس توجد حركة مد وجزر
فن يتهمز فرصة المد فلسوف يحمله حيث الراحة والغنى
ولكن إذا رفضه فسوف تكون رحلة الحياة
متمذرة في الوحل والتعاسة .

فالحياة الضائعة . . الحياة المضطربة المشوشة . . الحياة القلقة الجائنة . . الحياة
التي تنحدر إلى الهاوية هي الحياة التي لا عزيمة فيها كما يقول أوكسنهام :
« لكل إنسان يتفتح طريق وطرق .
والنفس ذات الهمة العالية تجرى فوق السكك الممتدة .
والنفس ذات الهمة القعيسة تتردى في المنخفضات .
وبين الآئنين في طريق الضباب .
يتعثر كثيرون بين هذا وذاك » .

فالحياة المنجرفة مع التيار لا يمكن أن تكون حياة سعيدة ، ولهذا فعندما
رأى يسوع أن ظهور يوحنا هو إشارة السماء إليه للبدء خرج إلى العمل بكل
همة ولم تجذبه الحياة الهادئة وسط أسرة كريمة في قرية مسالمة ، لقد ترك الجميع
ولهي نداء الآب .

٢ — لقد كانت فرصة لتحقيق ذاتيته :

لم يكن يسوع في حاجة إلى التوبة لأنه كان بلا خطية ، ولكنه مع ذلك

شارك الناس في هذه الحركة . . حركة الاتجاه إلى الله ، مثله في ذلك مثل الثرى الذى لا حاجة له إلى مال أو رفاهية ولكنه يشارك في حركة شعبية تقصد خلق مجتمع عظيم يجد فيه الفقراء المعوزون حاجاتهم الجسدية والنفسية . فتحقيق الذاتية لا يتأتى إلا إذا شارك المرء في حركة لا لأجل منفعته الشخصية بل لأجل الآخرين . يقول يوحنا بنيان في كتابه سياحة المسيحي أن المسيحي في سيره مع المفسر جاء إلى قصر منيف يحيط به حراس أشداء يمنعون الناس من دخوله ، وكان على الباب رجل يمسك بقله ليكتب اسم أى رجل يريد أن يهجم ليدخل ، ولكن الناس كانوا مترجمين إلى الورا من الخوف ، وعلى حين فجأة رأى المسيحي رجلا ضخما تقدم بكل شجاعة وقال « سيدى أكتب اسمى عندك » . هذا ما يجب أن يفعله المسيحي ، وهذا ما فعله يسوع عندما جاء ليعتمد من يوحنا .

٣ — لقد كانت فرصة موافقة الأب على عمله :

لا يستطيع أى إنسان أن يترك أهله وعشيرته إلى بلاد بعيدة إلا إذا تأكد أنه سير في الطريق الصحيح ، وهكذا فعل يسوع ، فقد عرف أنه يدعى للعمل نفرج وذهب لينال استحسان الأب وموافقته . كان اليهود في ذلك الوقت يمتقدون بما يسمى « باث قول » أى « ابنة الصوت » ومعنى هذا أن الله موجود في السماء السابعة ساكن في نور لا يدنى منه ولا يستطيع إنسان أن يسمع صوته ، أما ما يسمونه الآن فما هو إلا صدى بعيد منه ، لكن يسوع اختبر غير ذلك لقد جاءه الصوت مباشرة وكما يقول مرقس خاطبه الصوت الإلهي « أنت ابني الحبيب » فكان الصوت له لا للجماهير كما يصرح بذلك متى عندما يعلن أن الصوت مال « هذا هو ابني الحبيب » .

ففي المعمودية أعلن يسوع خطته للآب ونال استحسانه وموافقته .

٤ - فرصة الإعداد .

في تلك الفرصة نزل الروح القدس على يسوع وكان في هذا العمل رمزية واضحة ، فنزل الروح القدس عليه في شكل حمامة كان يعبر عن مغزى رسالته وجوهرها . . إنهار رسالة اللطف والمحبة ، فما أبعد الشقة بينها وبين رسالة يوحنا المعمدان التي كان شعارها فأسا موضوعا على أصل الشجرة (متى ٣ : ٧ - ١٠ ، لو ٣ : ٩) . لقد جاء يسوع معلنا قلب الحب والحنان . . جاء فأفحما ، ولكن سلاحه القوى المحبة .

وقت الاختبار

وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ . وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ . وَصَارَتْ
الْمَلَائِكَةُ تَخْدُمُهُ .

(١ : ١٢ و ١٣)

حالما انتهت ساعة التمجيد عند المعمودية بدأت ساعة التجربة في البرية . ولكن هناك أمر على جانب عظيم من الأهمية وهو أن الروح الذي نزل على يسوع وقت المعمودية للتمجيد كان هو بنفسه الذي حمله إلى البرية لمواجهة التجربة . هذا يلمن أن التجارب أمر ضروري ولازم في هذه الحياة ، وهي لانقلابنا لكي نسقط ونفشل بل لكي تثبت أقدامنا وتتجدد قوى عقولنا

ونفوسنا ، إنها ليست لضياعنا بل لخيرنا . . إنها لتخلق منا جنودا أقوياء أشداء
لله . لنفرض أن مدربا رأى لاعبا صغيرا في فريق الدرجة الثانية يلعب بمهارة
وكفاءة فإذا يعمل له ؟ هل يرسله إلى فريق الدرجة الثالثة ، أم إلى فريق الدرجة
الأولى ؟ بلا شك يرسله إلى الفريق الأكبر لأنه لو أرسله إلى الفريق الثالث
لموده الكسل والخمول ولكن في فريق الدرجة الأولى يجد نفسه مضطرا إلى
التمرين المتواصل وبذل الجهد العظيم حتى يساير هذا الفريق الكبير . هذا
بالضبط هو الهدف الأول للتجربة ، إنها اختبار لإثبات رجولتنا وتقوية
عضلاتنا .

اربعين يوما : هو عدد رمزي يجب ألا يؤخذ حرفيا ، فهو رقم يهودي
يعبر عن مدة معينة من الزمن ؛ فقد قيل عن موسى أنه بقي أربعين يوما في الجبل
مع الله (خروج ٢٤ : ١٨) وعن ايليا أنه سار أربعين يوما بقوة الأكلة التي
أعطاهها له الملك (١ ملوك ١٩ : ٨) إنها عادة تشابه عادتنا عندما نقول عشرة
أيام وتقصد بها مدة من الزمن ، فأربعين يوما ليست مدة حرفية ولكنها تعبر
عن مدة طويلة نوعا ما .

الشیطان

لقد كان الشيطان هو الذي واجه يسوع في البرية ، ويجدر بنا أن ندرس شيئا
عن تطور فكرة الشيطان . قال الكلمة العبرية التي تترجم شيطان كانت تترجم
« مقاوم » ولقد أطلقت هذه الكلمة على بعض الأفراد من المقاومين أو الأعداء
فإلاك الرب هو للمقاوم الذي يقف ضد بليعام [عدد ٢٢ : ٢٢] والفاستينيون
يحافون لثلاثا ينقلب داود مقاوما لهم [١ صموئيل ٢٩ : ٤] وداود يعتبر أيشاي

ابن صروبة مقاوما له [٢ صموئيل ١٩ : ٢٢] وبفرح سليمان لأن الرب منحه السلام الكامل حتى أنه لم يجد مقاوما ضده [١ مل ٥ : ٤] . ولهذا بدأت الكلمة بمعنى المقاوم .

ولكن مع مرور الزمن يحدث تطور لهذه الكلمة فنستخدم بمعنى المشتكى وبهذا المعنى استخدمت في الأصحاح الأول من سفر أيوب . حيث يظهر أن الشيطان يعتبر واحداً من أبناء الله (أيوب ١ : ٦) ولكنه اختار لنفسه عملاً قاسياً وهو أن يفتش في حياة الناس حتى يجد ما يشتكى به ضدهم أمام الله (أيوب ٢ : ٢ و ٣ : ٢) فعمله هنا هو أن يقول ما يمكن أن يقال ضد أى فرد . أما اللقب الثانى للشيطان في تلك الفترة فهو الشرير وهي ترجمة للكلمة اليونانية « diabolos » ومعناها الحرفى : « المقتري » وهذا ما يبعد كثيراً عن المعنى السابق : أى أنه الشخص الذى يفتاب شخصا آخر مقترياً عليه في محضر الرب . ومع ذلك فى العهد القديم يستمر الشيطان رسولا للرب فالمعنى لم يكن قد تطور بعد حتى يظهره عدواً لله ، إنه العدو المقاوم للإنسان .

ولكن معنى الكلمة لا يبقى كما هو بل يتطور . وقد ساعد على هذا التطور بقاء اليهود مدة طويلة في بلاد فارس أثناء السبي ، فالفرس يعتقدون أن الكون قوين تتطاحنان : قوة النور وتمثل في الإله أورمود وقوة الظلام وتمثل في الإله أهريمان وعلى الإنسان أن يختار لنفسه أحد الطرفين . وهذا تفسير للحياة تؤيده وقائع الحياة نفسها . وأخذ اليهود هذه الفكرة وعرفوا أن المقاوم لا يقف ضد الإنسان فقط بل ضد الله أيضاً ، وهذا المقاوم هو الشيطان نفسه فلا يوجد إلا مقاوم واحد .

وعندما نأتى إلى العهد الجديد يتضح لنا أن الشيطان هو الذى يقف وراء أمراض وآلام البشر (لوقا ١٣ : ١٦) وهو الذى ملأ قلب يهوذا ليخون سيده (لوقا ٢٢ : ٣) وهو العدو الذى يجب أن نحاربه (١ بط ٥ : ٨ و ٩ ويعقوب ٤ : ٧) ولكنه مع ذلك انكسر أمام حمل المسيح (لوقا ١٠ : ١ - ١٩) وهو الآن محفوظ للملاك الأبدى (مى ٢٥ : ٤١) . إنه القوة التى تقف ضد الله .

هنا فقط يتضح لنا المعنى العميق لتجربة المسيح فى البرية ، فقد كان يعرف أنه جاء ليعمل عملاً جباراً ، ويشعر أنه قد زود بقوة هائلة ليقوم بهذا العمل ، وجاء إلى البرية وحيداً لكي يقرر الطريقة التى بها يتم عمله هذا . لقد كانت رسالة الأب له « خذ محبتي للناس .. أحببهم حتى تموت لأجلهم ، اجذبهم إليك حتى وإن أدى ذلك إلى رفك على الصليب » وهنا يدخل الشيطان المفترى ليقول له « آه إن لك قوة جبارة .. استخدمها فى سحق الإنسان الخاطيء .. حطمه .. أقم ملكوتك بقوة السيف » الأب يطلب منه أن يقيم ملكوت المحبة والشيطان يجربه بأن يقيم ملكوت القوة والدكتاتورية — وكان على يسوع أن يختار بين الإثنين .

وهنا ينهى مرقس قصته القصيرة عن تجربة بلستين إنسانيتين :

١ — إن الوحوش كانت رفيقة المسيح . عندما تسمع فى البرية زئير الفهد والدب ، وزئير الخنزير البرى وابن آوى نحس بانتباض ورعب فى الصورة المعطاة لنا ، ولكن هذا لم يكن شعور يسوع فقد كانت الوحوش أصدقاء له ، ولقد كان حلم الأنبياء الأقدمين أنه فى أيام المسيا سوف تزول المداوة بين

الإنسان والوحوش ، ويقول هوشع « وقطع لهم عهداً في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات السماء .. » [هوشع ٢ : ١٨] ويقول إسميئيل « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى .. ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد القطيم يده على جحر الإفموان لا يسؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسى » (١ ش ١١ : ٦ - ٩) . ولعل فرنسيس الأسيسى وهو يعظ للحيوانات كان يتنبأ بالحالة الجميلة التي يملك فيها البر والسلام بل لعل الوحوش أثناء التجربة عرفت قبل أن يعرف الإنسان نفسه أن هذا هو ملكها .

٢ - وكانت ملائكة تخدمه : عندما تواجهنا التجربة نجد هناك المعونة الإلهية فعندما حوَّصر اليسع وغلَّامه في دوَّتان ورأى الغلام أنه لا مفر من الهلاك ، فتح النبي عينى الغلام فرأى جند الرب ومركباته تملأ الجبل (٢ ملوك ٦ : ١٧) . إن الآب لم يترك يسوع يحارب حروبه وحيداً .. وهكذا يفعل معنا أيضاً .

البشارة المفرحة

وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ
مَلَكُوتِ اللَّهِ . وَيَقُولُ قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ
اللَّهِ . فَتَوْبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ .

٢ (١ : ١٤ - ١٥)

هذه الرسالة المختصرة التي نادى بها المسيح تحتوى على ثلاث كلمات لها أهمية قصوى للايمان المسيحي وهى :

١ - الانجيل :

ورسالة يسوع كانت إنجيل أو بشارة والكلمة اليونانية euaggelion التي ترجمت بشارة أو إنجيل لها مضمون عميق في العهد الجديد .

(١) انجيل الحق : [غلاطية ٢ : ٥ ، كو ١ : ٥] حاول الناس قبل مجيء المسيح أن يبحثوا عن الله فلم يزيدوا عن التخمين ، ولهذا يصرخ أيوب : « من يعطينى فأجده » . [أبو ٢٣ : ٣] ويصرح مرقس أوريليوس « إن النفس لا تستطيع أن ترى بوضوح — وهو يستعمل كلمة تضىء ترى في الماء » . ولكن عندما جاء يسوع بدأ الناس يعرفون الله ويلمسونه ولم يعد لهم حاجة بعد إلى التخمين .

(ب) انه انجيل الرجاء : (كولو ١ : ٢٣) ولكم هم اليأس والتشاؤم قلوب الناس قبل مجيء المسيح ، فيتحدث سينكا عن عجز الإنسان عن نوال الأشياء الضرورية لأنه انهزم في نضاله ليكون صالحاً ، ولكن عندما جاء يسوع جاء بالرجاء للبشرية .

(ج) انه انجيل السلام : [أفسس ٦ : ١٥] إن مأساة الإنسان الكبرى هي انقسام شخصيته فهو ملاك متعدد مع شيطان في رباط غريب . ولقد قيل عن شونيهور الفيلسوف المتشائم أنه كان يتجول مرة على غير هدى فسأله أحدهم « من أنت ؟ » فأجابه شونيهور « ليتك تخبرني أنت من أنا » ويقول

روبرت برنز « إن حياتي تذكركني بمعبد مهتمد يختلط فيه المجد والعظمة بالضياع
والخراب » فالمشكلة البشرية تكمن في أن الإنسان موزع بين البر والشر ،
ولكن يسوع يستطيع أن يوحد تلك الشخصية المنفصلة في وحدة متكاملة ،
ونصرته معناها رد السلام إلى الإنسان .

(د) انجيل هواعيد الله : [أنسس ٣ : ٦] في كل زمان ومكان ودين
كان الناس يظنون أن الله إله الموعد لا إله الوعد يطالب ولكنه لا يعطي ،
ولكن المسيحية وحدها هي التي أعلنت أن سرور الله الكامل هو في أن يعطي
لا أن يأخذ .

(هـ) انجيل الخلود : [تيمو ١ : ١٠] إن فكرة الوثني عن الحياة هي
أنها طريق إلى الموت فالإنسان مخلوق مانت ، ولكن يسوع أعلن أن
الإنسان خالق للحياة وليس للموت .

(و) انجيل الخلاص : [أفسس ١ : ١٣] والخلاص هنا لا يعنى حالة سلمية
ولكنه عمل إيجابى فهو ليس فقط في التحرر من الخطية الماضية وعقابها ولكنه
القوة للحياة المنتصرة على قوة الشر . فرسالة يسوع حقاً هي رسالة مطمئنة .

٢ - التوبة :

يفتقد بعض الناس خطأ أن التوبة شيء سهل ، ولكنها ليست كذلك ،
فالكلمة اليونانية Metanoia معناها تغيير التفكير ، وكثيراً ما يخلط البعض
في حالة الندم والحزن : بين الحزن على الخطيئة نفسها والحزن على نتائجها فكم
من شخص يحزن ويكتئب ولكن على الحالة التي أوصلته إليها الخطية ولو عرف

أنه يستطيع أن يخطيء دون أن يصيبه من أذاها شيء لما تأخر عن ارتكابها فهو لا يكره الخطية نفسها بل يكره نتائجها الوخيمة ؛ ولكن التوبة الحقيقية هي الحزن والندم على الخطية نفسها ولقد عبر عن ذلك القديس الحكيم فوثقاني « يجب أن يتعلم الأطفال أن يكرهوا الرذيلة لأنها رذيلة حتى يستطيعوا لا أن يتجنبوها فقط بل أن يكرهوها في قلوبهم حتى يشمئزوا منها في أية صورة تراءت لهم » . فالتوبة تعني أن الإنسان الذي كان يحب الخطية تفتتح عيناه فيعرف حقيقتها الشريرة فيكرهها .

٣ - يؤمن :

كما يقول يسوع « آمنوا بالإنجيل » ومعنى ذلك أن يؤمن الناس بما أعلنه يسوع عن الله ، يؤمنوا بأنه قد أحب العالم حتى أنه بذل ابنه ليردنا إليه . . . وؤمنوا أن الأمور التي كانت بعيدة التصديق أصبحت حقيقة واقعة .

يسوع يختار رفقاءه

وَفِيْمَا هُوَ يَمْشِي عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ سَمْعَانَ وَأَنْدْرَاوسَ
أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ . فَإِنَهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ . فَقَالَ لَهُمَا
يَسُوعُ هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمْ تَصِيرَانِ صَيَّادِي النَّاسِ . فَلِلْوَقْتِ
تَرَكَمَا شِبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ . ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ قَلِيلًا فَرَأَى
يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدَى وَيُوْحَنَّا أَخَاهُ وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصْلِحَانِ الشِّبَاكَ .

فَدَعَاهُمَا لِلْوَقْتِ . فَتَرَكَمَا أَبَاهُمَا زَبَدْتِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الْأَجْرَى
وَذَهَبَا وَرَاءَهُ .

(١٦ : ١ — ٢٠)

حالما انتهى يسوع من تقرير مصيره ووضع قدمه على الطريق للقيام بالرسالة
التي أخذها الآب بدأ يدعو إليه رفقاء العمل ، فلا بد للقائد من نقطة يبدأ عمله
منها ، ونقطة البدء الطبيعية هي أن يختار لنفسه جماعة صغيرة يكشف لهم عما في
نفسه ، ويكتب رسالته على قلوبهم ، وفي هذا الفصل يحكي مرقس عن الخطوة
الأولى التي اتخذها يسوع في بناء ملكوت الله .

وكان صيد الأسماك مهنة رائجة في الجليل ، وامتلات تلك المقاطعة بصيادي
السمك ، ويذكر يوسفوس المؤرخ اليهودي الشهير — وكان يوما حاكما
على الجليل — يذكر أن ما لا يقل عن ٣٣٠ قارباً للصيد كانت تنجول
في بحيرة الجليل للصيد . وقد كان لفقير الناس وعدم قدرتهم على شراء اللحوم
وأكلها أكثر من مرة واحسنة أسبوعياً دافعاً لهم على استبداله بالسمك ،
[لو ١١ : ١١ ، ٢٤ : ٤٢ ، في ٧ : ١٠ ، مر ٦ : ٣٠ — ٤٤] وزاد على ذلك
ما كانوا يصدرونه إلى روما حيث وجدت هناك سوق رائجة له . وبالطبع كان
السمك مملحا حتى لا يفسد بطول مدة نقله وبطء وسائل النقل في ذلك الوقت .
ولقد اشتهرت بلاد كثيرة بصيد السمك مثل « بيت صيدا » أي بيت السمك ،
وبتمليحه مثل « تراخيا » أي « مكان تمليح السمك » وتذكر الأناجيل —
تلميحا أو تصریحا — إن الصيادين كانوا يستخدمون نوعين من الشباك : النوع
الأول اسمه « ساجينا » Sagéne وهي شبكة ضخمة في نهايتها أوتقال وتطرح

من القارب فتنزّل مستقيمة في الماء ، وعندما يتحرك القارب تنجذب الأطراف الأربعة بعضها إلى بعض فيصبح كأنها حقيبة كبيرة تحفظ داخلها السمك . أما النوع الثاني ، وهو ما كان يستعمله بطرس ويوحنا . فقد كان اسمه أمفيلسترون Amphiblestron وهو نوع أصفر كثيراً من النوع الأول ويشبه المظلة ويستخدمها الإنسان بنفسه ويجرها بيديه فتجمع السمك داخلها .

ولإنه لفي غاية الأهمية أن ندرس نوع الرجال الذين اختارهم يسوع

لخدمته :

١ - يجب أن نلاحظ من هم : كانوا قوماً بسطاء لم يتخرجوا من كليات ولم ينشأوا في أوساط أرسقراطية مدنية كانت أم كهنوتية . . لا علم ولا مال كانوا صيادين بمعنى آخر كانوا أناساً عاديين ؛ ولم يظهر إنسان في التاريخ وثق بالرجل العادي مثلاً وثق به يسوع . فيقول برنارد شو « إنني لأحس تجاه هذه الطبقة إلا بشعور واحد وهو رغبتى في إزالتهم من الوجود حتى يأتي مكانهم أناس ممتدلون » وفي باثريشبان يقول جون جالسورتي على لسان أحد شخصيات روايته واسمه ملتون « الرعاع .. كم أكرههم .. أكره غباوتهم المتناهية .. أكره نبرة صوتهم .. أكره منظر وجوههم .. إنه قبيح تافه » . وفي لحظة غضب قال كارليل : « في إنجلترا ٢٧ مليوناً من الناس في غاية الفباوة » . ما أبعد الشقة بين شعور هؤلاء وشعور يسوع تجاه الإنسان العادي . قال لستكولن « لا بد أن الله يحب الرجل لأنه خلق الكثير منهم » . وفي عمله هذا كأنما كان يسوع يقول « أعطيت إنني عشر رجلاً عادياً وأنا أفن بهم المسكونة » وهكذا دعنا لانهم بأى نوع من الناس نحن بقدر ماتهم بما يخلقهم يسوع منا ، وألا نفلن في شخص غير ما بظنه يسوع فيه .

٢ - ماذا كانوا يعملون : عندما دعاهم السيد كانوا يقومون بعملهم اليومي : صيد الأسماك وإصلاح الشباك . وهكذا جاءت دعوة الله إلى كثيرين من الأنبياء .

لقد جاءتهم ليس فقط وهم في بيت الله بل وفي أثناء عملهم أيضاً . يقول عاموس « لست أنا نبياً ولا أنا بن نبي بل أنا راعى وجانى جميز فأخذنى الرب من وراء الضأن وقال لى الرب اذهب تنبأ لشعبى اسرائيل » [عاموس ٧: ١٤ و ١٥] وفي نفس المعنى يقول ما كندرو وهو أحد شخصيات روايات كبلنج « وفي كل شيء أرى يدك يا الله وأنت الذى تدبر كل شيء » .

فالإنسان الذى يعيش فى عالم يملأه الله لا يستطيع أن يهرب من الدعوة الإلهية .

٣ - كيف دعاهم : كانت دعوة يسوع لهم « إتبعنى » لم تكن هذه أول مرة يقابلون فيها يسوع ، فلا بد وأنهم كانوا يقفون بين الجموع يصغون إليه . ولا بد أنهم كانوا ييقنون معه بعد انقضاء الجماهير ويتحدثون إليه حديثاً ودياً ، ولا بد أنهم وقعوا تحت تأثير شخصيته الجذابة وكلامه الجميل ، ولكنه عندما دعاهم لم يقل لهم « تعالوا لنبحث معا بعض العقائد اللاهوتية أو هاكم هى نظرياتى أرجوكم أن تدلوا برأيكم فيها ، أو هذه مجموعة من القواعد الأخلاقية أود أن أستشيركم فيها .. » كلا إنه لم يقل ذلك ، فقد قال « إتبعنى » إنها دعوة شخصية لارتباط شخصى ، دعوة توجه إلى القلب قبل العقل ؛ هذا لا يعنى أن الذين يتبعون المسيح يجب أن يتركوا تفكيرهم ، ولكننا نقصد أن الذى يتبع يسوع كمن يحب إنساناً ما ، فقد قيل « نعجب بالناس لأسباب معلومة .

ولكننا نحبهم بدون سبب معروف . وهكذا يقول السيد « وأنا إن ارتفعت أُجذب إلى الجميع (يوحنا ١٢ : ٣٢) واننا نعتقد أن الجمع الغفير الذي آمن يسوع لم يفعل ذلك بسبب ما قاله ولكن بسبب شخصيته فقط .

٤ - ماذا منحهم يسوع :

لقد منحهم عملا يقومون به ، دعاهم للخدمة لا للنوم ، وكما قال أحدهم « إن أعظم مهمة للانسان هي أن يجد عملا يجد فيه نفسه » هكذا فعل يسوع .. دعاهم ليبدلوا أنفسهم في عمل وخدمة مضحية .. ليحرقوا أنفسهم لكي يضيئوا للآخرين .. دعاهم لعمل يستفيدون منه فقط لأنهم يعطونه كل أنفسهم .

يسوع يبدأ معسكر عمله

ثُمَّ دَخَلُوا كَفَرًا حُومَ وَ لِلْوَقْتِ دَخَلَ الْمَجْمَعِ فِي السَّبْتِ وَصَارَ يُعَلِّمُ . فَبِهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَ لَيْسَ كَالْكَتَبَةِ .

(مرقس ١ : ٢١ ر ٢٢)

تسير قصة مرقس في تقايح منطقي ، فيذكر عندما عرف في ظهور يوحنا للمعدان بشارة السماء له لبدء العمل ، ذهب لتوه ليعتمد منه ، وينال موافقة الآب على هذا البدء ، وبعد ذلك واجه الشيطان حتى يختار طريقة العمل ووسائله ، ثم اختار أتباعه الذين أراد أن يجهزهم ليحملوا رسالته والآن يبدأ عمله الذي جاء من أجله ، وكان من الطبيعي أن يبدأ هذا العمل في المكان الطبيعي له وهو

الجمع ، تماماً كما يفعل أى واحد منا عندما يبدأ خدمته إذ يتخذ الكنيسة مكان الابتداء .

ولكن ما هو الجمع ؟ وما هو الفرق بينه وبين كنيسة اليوم ؟ هناك بعض الفروق الأساسية بينهما :

(أ) كان الجمع عبارة عن معهد تعليمي ، وكانت العبادة فيه تقتصر على الصلاة وقراءة الكلمة ونفسيرها . فلم تكن هناك موسيقى ولا ترانيم ولا ذبيحة ، هذه كلها كان الهيكل مكانها الطبيعي . وكان الجمع أعمق تأثيراً من الهيكل في حياة اليهود ، ومهما قيل فلم يكن هناك غير هيكل واحد بينما صرحت الشريعة لكل عشرة أفراد أن يقيموا لأنفسهم مجعاً ، ولهذا فقد كان الجمع في كل مكان في العالم يعيش فيه جماعة من اليهود . فمن الطبيعي إذا ، لكل حامل رسالة ، أن يبدأ عمله من الجمع .

(ب) وأكثر من ذلك فقد كان الجمع معداً ليقوم برسالته ، ففيه مجموعة من الأفراد مخصصين للقيام بالخدمة : كان هناك رئيس الجمع وهو الشخص المسئول عن رعاية شئونه وتسيير الخدمات فيه ؛ وإلى جانبه كان موزعوا الصدقات وهم الذين كانوا يجمعون العطايا والهبات التي يقدمها الموسرون في الجمع ، ثم يوزعونها على الفقراء من الناس ، (وكانت العادة أن يتناول - أفقر الفقراء ، ١٤ وجبة طعام في الأسبوع الواحد) ؛ وكان هناك ثالثاً الخزان أى الخادم وهو المسئول عن حفظ الرقوق والأدراج التي كتبت عليها الأسفار المقدسة ، وعن نظافة الجمع وضرب الأبواق لإعلان إبتداء يوم السبت ، وتعليم الأطفال . ومع كل ذلك فقد كانت في الجمع وظيفة شاغرة دائماً وهي وظيفة

الواعظ ، فلم يكن هناك واعظ متفرغ له ، ولهذا فقد كان رئيس المجمع يدعو أى إنسان عنده رسالة ليقوم بشرح كلمة الله ، وكان هذا الأمر هو العامل الأول الذى جعل يسوع يتخذ من المجمع المكان الطبيعى لشرح رسالته ، قبلما اتخذت السلطات موقف العداوة منه كان كلما ذهب إلى مجمع دعوه ليقول كلمة الوعظ للناس .

وحالما كان يسوع يدخل المجمع ويبدأ فى تقديم رسالته كان الناس يشعرون أن هذا رجل جسد يد برسالة جديدة تختلف عن رسالة الكنيسة ، فهو إذ يتكلم فإنما يتكلم كمن له سلطان وليس كالكنيسة . ولكن من هم هؤلاء الكنيسة ؟ كانت التوراة أو الناموس هى أقدم المقدسات عند اليهود ، ومع أن الوصايا العشر كانت أساس الناموس إلا أن « التوراة » كانت تعنى أسفار موسى الخمسة . وكان اليهود يعتقدون أنها كلمات الله أنزلها مباشرة إلى موسى وكل من ينكر أصلها الإلهى فلن يرى الحياة الأبدية ؛ فموسى لم يكتب حرفاً من عندياته بل أملاها عليه الله ؛ وعلى هذا فقد كانت هذه الكتب لهم (١) القانون المصوم للايمان والأعمال (٢) إنه يحتوى على الإرشادات لكل مواقف الحياة المختلفة . وبنى على هذا الإعتقاد شيثان : الأول هو أن يدرس دراسة دقيقة مفصلة ؛ والثانى أن يوضع فى مبادئ عامة عظيمة وأن يستخرج منه المبادئ المتضمنة فيه حتى وإن لم تكن قد ذكرت صريحاً ، وتكون بذلك مرشداً للناس . ولهذا كله نشأت طبقة من الناس - إماما الكنيسة - تخصصت فى هذا العمل ، وأطلق على رؤسائهم لاسم « رباى » أى المعلم وكان يتحتم على الكنيسة أن يقوموا بثلاثة أعمال :

١ - كان عليهم أن يحولوا المبادئ العامة في التوراة إلى قوانين وأحكام تصلح لكل موقف من مواقف الحياة ، وكان هذا عملاً لانهاية له ، وبهذا بدأت الديانة اليهودية بمبادئ وانتهت بمجموعة من الأحكام والقوانين .. بدأت كديانة وانتهت كتشريع

٢ - كان عليهم أن ينقلوا هذا التراث الضخم للأجيال الآتية وأن يعلموه للشعب ، فقد كانت هذه التقاليد والأحكام شفوية ، لم توضع في كتاب وكان على الكاتب أن يحفظها كلها في ذاكرته التي كانت تشبه الحافظة التي لا تفقد حرفاً واحداً .

٣ - كان عليهم أن يصدروا الفتاوى في الحالات الفردية ، ومن الطبيعي أن تتحول هذه الفتاوى إلى قانون تضاف إلى ما سبقها من قوانين كثيرة .

فما هو الفرق إذن بين تعاليم يسوع وتعاليم الكتبة ؟ لقد كانت تعاليم يسوع تركز على سلطانه الشخصي ، ولم يكن يعلم كما كان يفعل الكتاب الذي يبدأ درسه بالقول « يوجد تعليم يقول ... » ثم يقتبس عن بعض العلماء . وكان رأيه الشخصي هو آخر ما يقوله ويقدمه للناس . وما أبعد الشقة بين هؤلاء وبين يسوع الذي لم يحتاج إلى معلم سابق ينقل عنه .. لقد تكلم بكلمة الله من اختياره هو ... كان هو بنفسه صوت الله الآتي إلى الناس ، فأنصت الناس إلى صوت السماء مباشرة . وكانت نبرته الإيجابية الفعالة أكبر عامل على جذب الناس إليه وإصفاؤهم بفرح إلى صوته وتعليمه .

إنتصار المسيح الأول على قوات الشر

وَكَانَ فِي مَجْمَعِهِمْ رَجُلٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ . فَصَرَخَ . قَائِلاً آه
مَالَنَا وَآلِكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ . أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا . أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ
أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ . فَأَتَهَرَّهُ يَسُوعُ قَائِلاً اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ .
فَصَرَعَهُ الرُّوحُ النَّجِسُ وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَجَ مِنْهُ .
فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ مَا هَذَا . مَا هُوَ
هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ لِأَنَّهُ بَسُلْطَانٌ يَأْمُرُ حَتَّى الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ
فَتَطِيعُهُ . فَخَرَجَ خَبْرُهُ فِي كُلِّ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْجَلِيلِ .

(مرقس ١ : ٢٣ - ٢٨)

لم تكن أعمال المسيح أقل تأثيراً عن تعليمه ، فقد جعلت الناس يقفون
مبهوتين منها ، وكان العمل الأول في هذا الإنجيل هو شفاء رجل كان به روح
نجس سبب بعض الفوضى والذعر في الجميع ، ولم يكن هذا الرجل هو الوحيد من
هذا الصنف في رسالة يسوع ، فقد كان هناك كثير منهم . وسنقابل معهم
في حوادث كثيرة ، فإهو السر الذي يكمن وراء هذه الجماعة للسكينة
من الناس ؟

كان اليهود - مع غالبية الشعوب القديمة - يعتقدون في الشياطين والأرواح
النجسة وفي ذلك يقول هارنيك « كان العالم كله مملوفاً بالأرواح الشريرة فهي

لم تكن تسكن الأضنام فقط بل كانت تملأ أجواء الأرض نفسها ، وتتحكم في كل أوجه حياة الناس ، لقد جلسوا على العروش وأحاطوا بكل مهد ، فأضحى العالم جميعاً ضحياً . « أما د . رندل شورت ، فلكني يظهر عمق هذا الاعتقاد وسيطرته على عقول الجميع في تلك الأيام فإنه يقص الحقيقة التالية فيقول إن الكثير من الجماجم الباقية من ذلك العصر بها ثقوب صغيرة ، ونسبة هذه الجماجم المثقوبة لم تسكن صغيرة فقد وجدت ستة جماجم مثقوبة من بين ١٢٠ جمجمة وجدت في مقبرة ، وبعد الفحص وجد أن هذه الثقوب حدثت في الرأس أثناء الحياة . ولم تكن هذه العملية سهلة هينة لأطباء ذلك العصر نظراً لضعف إستعدادهم الطبي . ومن المعتقد أن هذه الثقوب عملت في الرأس حتى تخرج منها الأرواح النجسة التي سكنت في ذلك الجسد . ثم يضيف شورت « أنه إذا كان جراحوا ذلك العصر وهم طبقة المثقفين يجرون هذه العمليات لهذا الغرض . . وإذا كان الناس يقبلون على هذه العملية رغم بشاعتها فلا بد أن الاعتقاد في الشياطين كان عميقاً .

ولكن من أين جاءت هذه الأرواح النجسة ؟ هناك ثلاثة أجوبة على ذلك :

- ١ - بعضهم يظن إنها من القدم منذ أن كانت الخليقة .
- ٢ - وبعضهم يظن أنهم عبارة عن أرواح الناس الأشرار الذين ماتوا باقية ولا زالت تقوم بأعمالهم الشريرة .
- ٣ - ولكن معظم الناس يربطون بين الشياطين وبين القصة الواردة في نك ١ : ٦ - ١٨ ، ٢ بط ٢ : ٤ ر ٤ . وتروى تقاليد اليهود عن ملاكين

أحدهما بإسمة عزرائيل والثاني سماغشاسى جذبتهما شهوة شريرة نحو بنات الناس الجميلات فتركا خدمة الله ونزلا إلى الأرض ، ولكن أحدهما ندم ورجع إلى الله ، أما الثاني فبقي في غوايته وأنجب نسلا ، وكان نسله هو الشياطين . وبديل إسم الجمع لهذه الفئة على عملها فهم يدعون مزيكين Mazzikin أى الذين يتسببون في الضرر فالشياطين هم جماعة شريرة في مكانة متوسطة بين الله والناس وهدفها هو ضرر الناس وأذيتها .

واليهود عقائد غريبة عنهم . فهم يقولون إنهم يأكلون ويشربون وينجبون أطفالا ولا يقل عددهم عن سبعة ملايين ونصف ، يقف عشرة آلاف منهم على يمين كل إنسان وعشرة آلاف على يساره ، وهم يعيشون في الأمكنة القذرة كالتقاير والأماكن المحرومة من ماء التطهير ، ويسمع عواءهم دائما في الصحارى ، وتشتد خطورتهم على الرجل الذى يسافر وحيدا وخصوصا أثناء الليل ، وعلى المرأة التى قاربت أن تلد والعرايس والأطفال الذين يخرجون ليلا ، ويظهر نشاطهم بالخصوص وقت الظهيرة وأثناء الليل . وهناك أنواع منهم ، فهناك شياطين العمى وشياطين البرص وشياطين مرض القلب ، ويمكنهم أن يحولوا طاقتهم الشريرة إلى أى إنسان فمعين الحسود مثلا هى عطية شيطانية إلى إنسان شرير ، ويستطيعون أن يملوا بواسطة الحيوانات مثل الحية والثور والحمار والبعوض ؛ إسم الذكر فيهم شيديم وإسم الأنثى ليلين وهى تزين بشعر طويل وتكره الأطفال ، ولذا كان الأطفال ملاءسكتهم الحارسة (متى ١٨ : ١٠) .

والمهم فى هذه المسائل ليس أننا نعتقد فى الشياطين أم لا ، الأمر المهم هو أن

الشعوب القديمة وخاصة اليهود كانوا متمسكين جداً بهذه العقائد ، وكان الرجل الذى يعتقد أن به روح نجس يصرخ خائفاً عندما يرى يسوع لأنه يتكلم باسم الروح الذى فيه ، وهو يعرف أن مجيء المسيا معناه زوال ملكوت الشيطان . ولم يكن يسوع وحده هو الذى يخرج الشياطين بل كانت جماعة من المحترفين فى هذا العمل ، لكن الفرق الأكبر بينهم وبين يسوع هو أن يسوع كان يخرج الشيطان بكلمة واحدة بينما كانوا يستخدمون التعاويذ والرقى والشعوذة بقوة يسوع كانت فى كلمته بينما كانت قوتهم فى شعوتهم .

فأهو موقفنا إزاء هذه المشكلة ؟ يقول بول ثورنر فى كتابه « مذكرة طبيب » « إنه من المؤكد أن كثيرين من الأطباء ، وأنا واحد منهم ، يواجهون أنواعاً من الأمراض تعمل لا فى سلبية بل فى إيجابية واضحة فهى فى عداوتها مصدر كبير للشر والأذى » . ويقول دكتور راندل شورت بعد تجاربه الطويلة « إن حوادث هذا العالم المرعبة من كوارث أديبة كالحروب والانحلال الخلقى وكوارث طبيعية كالأمراض والبراكين هى عنوان على حرب ضروس تدور رحاها بين قوات الشر وعلى رأسها الشيطان وبين قوة الخير يقودها الله نفسه تماماً كما يظهر فى سفر أيوب » .

هذا موضوع لا يستطيع الواحد أن يقطع فيه برأى وإنما يستطيع أن يتخذ أحد مواقف ثلاثة نأما :

١ - إنها عقيدة بدائية حينما كان الناس يجهلون الكثير جداً عن الجسد والنفس فظنوا أن لكل مرض شيطاناً خاصاً .

٢ - أو أن يصدق العهد الجديد ويمتقد أنها ظاهرة باقية على صحتها إلى يومنا هذا .

٣ - إن قبل الرأي الأول فعليه أن يجد شرحاً لتفكير يسوع ، فهو - أى يسوع ، لم يكن يعرف عن هذا الموضوع أكثر من معاصريه ، لأنه موضوع على ويسوع لم يأت ليبشر بالعلم ، أو أن يسوع جارى مرضى ذلك العصر في عقيدتهم حتى يستطيع أن يشفيهم .

ولكن القول النهائى فى ذلك هو أنه لا بد أن هناك جواباً لم نستطع نحن أن نصل إليه .

المعجزة الخاصة

وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْمَجْمَعِ جَاءُوا لِلْوَقْتِ إِلَى بَيْتِ سَمْعَانَ
وَأَنْدَرَاوسَ مَعَ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا . وَكَانَتْ حَمَاءُ سَمْعَانَ مُضْطَجِعَةً
مَحْمُومَةً . فَلِلْوَقْتِ أَخْبَرُوهُ عَنْهَا . فَتَقَدَّمَ وَأَقَامَهَا مَاسِكًا يَدَيْهَا
فَقَرَّرَ كَتَبَهَا الْحُمَّى حَالاً وَصَارَتْ تَخْدُمُهُمْ .

(١ : ٢٩ - ٣١)

كان يسوع فى المجمع مذهلاً سواء فى تعليمه أو فى عمله ، وخرج وذهب إلى حيث أحد أصدقائه المقربين : سمعان بطرس ، وكان من عادة اليهود أن يتناولوا الوجبة الرئيسية ليوم السبت بعد الإنهاء من خدمة السبت مباشرة أى فى الساعة السادسة ، وهى الساعة الثانية عشر بحسب توقيتنا نحن (فالיום اليهودى كان

يبدأ من الساعة السادسة صباحاً ثم يحسبون من ذلك الوقت ساعات النهار) وكان يسوع في حاجة إلى قليل من الراحة بعد العمل المضني الذي قام به في الجمع ولكنه لم يستطع لأنه وجد من يحتاج إليه وكان عليه أن ينفق قوته على المحتاجين . وفي هذه القصة تبرز ثلاث شخصيات مهمة :

١ - الشخصية الأولى كانت شخصية يسوع نفسه . من العجيب أنه يقوم بخدمته في بيت وسط جماعة صغيرة تماماً كما فعل في الجمع وسط جمع مزدحم ، إنه لم يحتج إلى جماهير تصفق له عندما يقدم خدمته إلى الغير ؛ هذا إلى جانب تفضيله راحة الناس على راحته هو ، فلم يمنع نفسه وهو التعب المجهود من أن يبذل جزءاً آخر من قوته لشفاء إنسان مريض . لكن الشيء الغريب حقاً هو أنه يستخدم في البيت نفس الطريقة التي يستخدمها في الجمع ، وهي شفاء المريض بكلمة واحدة لها سلطانها المطلق ؛ ولقد مر بنا أن كثيرين من اليهود كانوا يخرجون الشياطين بما يقومون به من أسحار وتعاويذ وشعوذة ، وهذا ما كانوا يفعلونه في مرض كهذا الذي أصيبت به حمة بطرس ، فقد كانوا يسمونه - حسب ما يقوله التقليد - « الحمى المحرقة » ، وكانوا يعالجونه بواسطة سكين مصنوعة من الحديد مربوطة إلى شجرة شوك ، ثم يقرأون في أول يوم خروج ٣ : ٢ و ٣ ونافى يوم خروج ٣ : ٤ ، والثالث خروج ٣ : ٥ وأخيراً يقرأون نوعاً من الشعوذة المخصوصة وهكذا يقولون إن المريض قد نال الشفاء . أما يسوع فلم يفارق السلطان المطلق كفته ولم يلتجئ إلى شعوذة اليهود ورقيمهم . ولقد استخدم الكاتب كلمة أ كروسيا Exosia ليعبر بها عن سلطان المسيح وهي تعني الجمع بين المعرفة الكاملة والقوة المطلقة ، وهذا ما ظهر في عمل

يسوع وتعاليمه سواء أ كان في البيت أم في المجمع . يقول الدكتور ثورنر « إن أحد المرضى قال له : إني أعجب من قدرتك على الإصغاء لكل ما يقوله المريض » ، فيجيبه ثورنر بالقول « إنها ليست مقدرة ولكنه اهتمام بالناس » هكذا كان موقف يسوع إنه لم يستخدم معجزاته لينال مركزاً مشرفاً أو شهرة واسعة ، ولكنه استخدمها لأنه كان يهتم بالناس .

٢ - الشخصية الثانية هي التلاميذ : للآن لم يكن التلاميذ قد قضوا وقتاً طويلاً في صحبة يسوع ومع ذلك فقد تعلموا كيف يخبرونه عن كل متاعبهم ، فعندما شعر بطرس بمرض حماته واضطراب منزله البسيط لم يسعه إلا أن يخبر يسوع بمتاعبه المنزلية ، وكذلك كان يفعل كل رفاقه التلاميذ حتى أضحي هذا العمل أسلوب حياتهم معه . يخبرنا الدكتور ثورنر عن زيارته المتكررة لأحد الرعاة وكان متقدماً في السن ، ولم يكن هذا الراعي يتركه قبل أن يصلبياً مساءً ، وكان الشيء الذي أدهش ثورنر هو البساطة التناهية في صلاة هذا الراعي ، كان يتكلم مع الله كابتكلم مع أي فرد عادي يذكر له أتعابه . ويضيف ثورنر إنه أخبر زوجته بأمر صلاة ذلك الراعي فما كان منها إلا أنها ركعت مع زوجها وطلبا من الله أن يعطيها أن تكون لها هذه الصداقة البسيطة معه ، وقد كان فقد صار يسوع صديقاً لها بينماه كل أتعابها ويستشيرانه في كل شئونهما الخاصة . ويقول ثورنر إنه تأكد أن يسوع بنفسه كان بنصت إلى كل مريض يأتي إلى عيادته ويشكوه آلامه . نعم لقد أضحي يسوع صديق العمر . هذه هي الحياة المسيحية التي تصبح شعارها في كل الظروف كلمات الترنيمة القائلة « خذ أتعابك إلى يسوع » . وهكذا تعلم التلاميذ هذا الدرس الأول أن يأخذوا كل همومهم إلى يسوع ويسألونه المعونة .

٣ - والشخصية الأخيرة هي حماة بطرس : يقول عنها البشير إنها حالما شفيت قامت لتخدمهم ، فاستخدمت هذه الصحة التي نالتها من يسوع في الخدمة المضحية . هذا كان شعار أسرة اسكتلندية عظيمة إذ رفعت شعارها « أنا مختص لكي أخدم » .

ابتداء التجمهر حول يسوع

وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ إِذْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السَّقَمَاءِ
وَالْمَجَانِينَ . وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةً عَلَى الْبَابِ . فَشَفَى
كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَخْرَجَ شَيَاطِينَ
كَثِيرَةً وَلَمْ يَدْعِ الشَّيَاطِينَ يَتَكَلَّمُونَ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ .

(١ : ٢٢ - ٣٤)

إن أعمالا كهذا التي يقوم بها يسوع لا يمكن أن يبقى خيرا محصورا في مكان واحد فلم تكدمضى بضع ساعات حتى انتشر خبر سلطانه القوى وتعاليمه الجديدة ، ولم يقبل المساء حتى حاصرت الجماهير منزل بطرس آنين إلى يسوع طالبين استه الشافية وكان من الممكن أن يتوافدوا عليه قبل المساء لولا أن شريعة السبت كانت تقض ألا يحمل الإنسان حملا ما في يوم السبت (ارميا ١٧ : ٢٤) فقد حرم التقليد حمل حتى المريض لأنه يعتبر عملا وكل عمل محظور يوب السبت ، وكان اليوم يبدأ في الساعة السادسة صباحا وينتهي في السادسة مساء ولكنهم لم يعرفوا شيئا عن الساعة فكانوا يحددون السبت بظهور ثلاثة

نجوم في السماء . فكان لما غربت الشمس وظهرت النجوم الثلاثة انطلق أهل كفر ناحوم حاملين مرضاهم إلى يسوع ليشفيهم واستجاب لهم وشفاهم .
إلى الآن قام يسوع بثلاث عمليات شفاء : مرة في المجمع والثانية في البيت والثالثة في الشارع ، فلكل إنسان في أي مكان استجاب يسوع لنداء الحاجة البشرية ، ولقد قيل عن دكتور جونسون أنه صديق الحاجة . . هكذا كان يسوع .

اندفعت الجماهير إلى يسوع لأنها عرفت فيه إنسانا يستطيع أن يفعل شيئا ولكم ستموا الذين يتكلمون ويطيلون الكلام ولكنهم يعجزون عن أن يعملوا شيئا ، وقديما قيل « إن الناس يذهبون إلى من يعرف أن يعمل مصيدة فيران حتى ولو سكن في قلب الغابة » فالناس يطلبون دائما الشخص الذي يصل معهم إلى نتيجة فعالة ، ولهذا طلبوا يسوع بالحاح .

ولكننا رغم ذلك نلمح هنا بداية مأساة بشرية ، فاندفاع الناس إلى يسوع لم يكن بمجاذب الحب ولكن طلبا للنفع ، إهم لم يطلبوه هو بل طلبوا عطاياهم لم يروا فيه رؤى جديدة ولكن رأوا فيه مخزنا كبيرا ، وهل زادت هذه عن كونها مشكلة إنسانية عامة ؟ هكذا كل الناس في موقفهم من الله وابن الله ، فلو أحصيت الصلاة التي ترتفع إلى السماء وقت الرخاء ، وكم من إنسان صلى وقت غروب الشمس ثم نسي صلواته عند شروقها ، فالديانة في عرفهم هي مسألة أزمات ، والله لا يعرفونه إلا عندما تهتز حياتهم . نعم إننا نذهب إلى يسوع لأنه وحده يستطيع أن يشبع احتياجاتنا . ولكن لو استمر الحال هكذا ولم تتطور علاقة الحاجة هذه إلى علاقة محبة شخصية لا تقلب الأمر إلى مأساة ، فالله ليس شخصا نستخدمه عند التجارب ولكنه هو الشخص الذي نحب ونذكره كل أيام حياتنا .

ساعات التأمل ونداء العمل

وَفِي الصُّبْحِ بِأَكْرَبٍ جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ
وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ . فَتَبِعَهُ سِمْعَانُ وَالَّذِينَ مَعَهُ . وَلَمَّا وَجَدُوهُ
قَالُوا لَهُ إِنَّ الْجَمِيعَ يَطْلُبُونَكَ . فَقَالَ لَهُمْ لِنَذْهَبْ إِلَى الْقَرْيَةِ
الْمُجَاوِرَةِ لِأَكْرَبِ هُنَاكَ أَيْضًا لِأَنِّي لِهَذَا خَرَجْتُ . فَكَانَ يَكْرِزُ
فِي مَجَامِعِهِمْ فِي كُلِّ الْجَلِيلِ وَيُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ .

(١ : ٢٥ - ٣٩)

عندما يطلع الفرد على أحداث كفرناحوم يجد أن يسوع لم يكن له وقت
يستريح فيه ، ولكن يسوع يعرف تماما أنه يجب أن يتقابل مع الآب ، فإنه
وإن كان طريقه في الحياة هو طريق العطاء لكنه يحتاج إلى ينبوع يستمد منه
لنفسه القوة لهذا الطريق ، ومعنى هذا أنه يجب أن يعطي . . . يجب أن تكون
له فرصة ليقابل أباه السماوي . يقول دكتور بلدين في كتابه الصغير عادة الصلاة
« إن الصلاة معناها نداء النفس إلى الله » فإن أهل الإنسان الصلاة فهو مسئول
عن جهله وإهماله في « إضافة إمكانيات الله الغير محدودة إلى إمكانيته
القاصرة الضعيفة ففي الصلاة تعطى الفرصة لحكمة الله الفائقة لتتغذى حكمتنا
القاصرة » هذا ما عرفه يسوع ، لقد عرف أنه لكي يعطي يجب أن يأخذ ، قبل
أن يقابل الجماهير المحتاجة يجب أن يقابل الله الآب . وإن كان يسوع قد احتاج
إلى الصلاة فكيف بالحرى نحن ؟

ولكن حتى هناك في مكان الصلاة ذهبوا إليه ، ولم يشأ يسوع أن يوصد بابه في وجوههم حتى وهو في خلوته .

يقول أحد مشاهير الأطباء إن واجب الطب هو « الشفاء في بمض الأحيان والراحة في كثير من الأحيان والعزاء في كل وقت » ويقول آخر « إن واجب الطبيب هو أن يساعد الناس على أن يحيوا وأن يموتوا، فهذه هي الحقيقة الإنسانية المؤكدة » وهذا كله كان يفعله يسوع . فلم يكن يسوع كبقية الناس الذين يقتلون أبوابهم على أنفسهم ليعيشوا في سلام بعيداً عن الآخرين ومشاكل الآخرين ، كلا فنداء الأجساد المنهكة ، والحاجة الملحة كان أقوى في أذنيه من صوت جسده المتعب الذي يبغى الراحة ، ولهذا فقد قام من صلاته ليساعد الجماهير فالصلاة لا تعمل العمل الواجب أن نعمله ، إنها تعطينا القوة لكي نعمله .

وهكذا بدأ يسوع رحلة تبشيرية في مجامع الجليل ، ومع أن مرقس يذكر خبر هذه الرحلة في عدد واحد إلا أنه لا يد أنها استنفذت أسابيع طويلة بل شهوراً وكان كلا ذهب ليبشر كان يشقى . ولقد كانت هناك تناثبات لم يفصل يسوع بينها :

١ - فهو لم يفصل الكلام عن العمل ، لم يكتف بالكلام والتبشير ، إن الكلمة ليست كل شيء ، فكان متى تكلم يشفع كلامه بعمله ، فإذا كان ينتفع منه الإنسان لو كان قد دعاه إلى الله ثم تركه يتلوى في حاجته ؟ لكن يسوع كان يظهر كلمته في عمله . يخبرنا فوزدك عن تلميذ عزم على الدراسة ففتش عن مكتبة عامرة واشترى كرسيًا مريحًا ووضعها في مكان هادئ جميل ثم أمسك بالكتاب وبدأ يغط في النوم ، هذا بالضبط ما يفعله الرجل الكثير الكلام بغير عمل .

٢ - إنه لم يفصل الجسد عن النفس : هناك اتجاهات في المسيحية تتصرف كأن الجسد لا يعنىها في شيء ما ، لكن حقيقة الأمر أن الإنسان جسد وروح ، وعلى المسيحية أن تفهما معا ، نعم لانفسكر أن هناك حالات فيها يستطيع الإنسان أن يتمتع بالعشرة مع الله رغم فقره الشديد وبطنه الخاوية وجسده العارى ، ولكن يجب ألا نجعل هذه الحالة دافعا إلى أن نترك هذا الإنسان في بؤسه الجسدى هذا ، فالرسولون لم يكتفوا أن يحملوا الكتاب المقدس وحده للقبائل البعيدة ، ولكنهم حملوا معهم المدرسة والمستشفى ، إن الإنجيل الاجتماعى ليس ترفا لا لزوم له لكنه أمر ولازم في تقديم كلمة الخلاص ، فالرسالة المسيحية هي رسالة الروح والجسد معا .

٣ - لم يفصل السماء عن الأرض : هناك من يحاول أن يعيش للسماء فقط وينسى كل شيء عن الأرض وبذلك يتحول إلى عالم خيالى غير عملى ، وهناك من يهتم بالأرض فقط ويترك السماء ويظن أن الصلاح صلاح مادى فقط . لكن يسوع ربط الإثنين معا وكان يماننا أن نصلى حتى تتحقق إرادة الله على الأرض (متى ٦ : ١٠) ، نعم لقد نظر إلى الأمام حينما تلتقى السماء بالأرض وتصبح إرادة الله هي الشريعة والحاكم للطلق كما في السماء كذلك على الأرض .

شفاء الأبرص

فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصٌ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَائِبًا وَقَائِلًا لَهُ إِنَّ أَرَدْتَ
تَقْدِيرَ أَنْ تُطَهِّرَنِي . فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ
أُرِيدُ فَاطْهَرُ . فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ

فَاتَّهَرَهُ وَأَرْسَلَهُ لِلْوَقْتِ . وَقَالَ لَهُ انظُرْ لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ شَيْئًا بَلْ
 اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِينَ وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى
 شَهَادَةً لَهُمْ . وَأَمَّا هُوَ فَخَرَجَ وَابْتَدَأَ يُنَادِي كَثِيرًا وَيُبَدِّعُ
 الْخَبْرَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةَ ظَاهِرًا بَلْ كَانَ خَارِجًا
 فِي مَوَاضِعَ خَالِيَةٍ وَكَانُوا يَأْتُمُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

(٤٥ : ١ - ٤٥)

يعتبر مرض البرص في العهد الجديد من أشد الأمراض وأكثرها فظاعة
 وعندما أرسل يسوع تلاميذه قال لهم « اشفوا مرضى ، طهروا برص » (متى
 ١٠ : ٨) حياة الأبرص أتمى وأبأس حياة إنسانية ، ويقولى وج ماسترمان
 فى مقاله فى التاموس « jesus & the gospels » « لا يوجد هناك مرض مجرد
 المريض من إنسانيته لسنين عديدة مثل مرض البرص » . وهناك أنواع ثلاثة
 منه .

١ - هناك البرص الدرئى ، يبدأ هذا النوع بنوبات من النوم العميق
 ونوبات من الآلام القاسية فى المفاصل ، وحينئذ تظهر على الجسم وخصوصا على
 الظهر ، بقع ممتلئة عديمة اللون ، وعلى هذه البقع تظهر درنات وردية اللون
 ثم تنقلب رمادية ويصبح الجلد سميكاً . ثم تتجمع الدرنات فوق الوجنتين
 والشفتين والجبهة وعندئذ تغير السحنة حتى يفقد المريض منظره ويصبح شكله
 كما قال الأقدمون « كالأسد » ، وبعد ذلك تأخذ هذه الدرنات فى التكبير والتفتح
 ويسيل منها سائل عفن ، ثم يسقط حاجبا العينين ويصبح النظر زائفاً ويبع

الصوت لتقرح الأوتار الصوتية ثم تتقرح اليدين والقدمان ورويداً رويداً ليصبح المريض كتلة من اللحم المتقرح ويمكث المرض غالباً تسع سنوات يصبح فيها المريض سريع الفضب ثم يصاب بعدها إما بالجنون أو بالإغماء الطويل ثم الموت .

٢ - أما النوع الثانى فهو البرص الخدر وأعراضه الأولى هى نفس أعراض النوع السابق ، لكن الأذى فى هذا النوع يصيب الجهاز العصبي فيفقد الجزء المصاب منه حساسيته دون أن يشعر المريض بأى ألم . وقد لا يعرف ماذا يحدث له حتى يحس ببعوض الحروق والالتهابات ولكنه يتحقق أخيراً أن الألم لا يوجد فى الوضع الذى كان يشعر أنه يؤلمه . وكلما تفاقم المرض وفتك الجهاز العصبي ظهرت بقع عديمة اللون وتبدأ هذه البقع تظهر فى الأصابع ثم تبدأ هذه فى التآكل ثم تصيبها مع أصابع القدم تقرح مخيف تزول أصابع كل من القدمين واليدين وقد تآكل كلها ويمتد المرض لمدة ٣٠ سنة وهى عبارة عن موت بطيء مرعب للجسد .

٣ - أما النوع الثالث فهو النوع الأكثر انتشاراً وهو عبارة عن خليط بين البرص الدرئى والبرص الخدر .

هذه هى أعراض البرص الحقيقى ، ولا شك أنه كان فى فلسطين أيام المسيح كثيرون مصابون بمثل هذا المرض المروع ، ولكن بما ورد فى سفر اللاويين ١١ وبما جاء فى العهد الجديد يتضح أن هناك أمراض أخرى تصيب الجلد قد أطلق عليها اسم البرص فمنها مثلاً البقع البيضاء التى تصيب الجلد وتنتشر فيه ونسميها « البهاق » وتجعل الجسم « أبيض كالثلج » ومنها « القوب » الأحمر المنتشر

كثيرا في الشرق . وبحسب لاوين ١٣ : ٣٣ ، ٤٧ قد يصيب البرص الملابس والبيوت . وهذا كله يعنى أن مرض البرص ، أطلقه اليهود على كل مرض زاحف يصيب الإنسان أو الملابس أو البيوت ولمدم كفاية المعرفة الطبية لم يستطيعوا أن يفرقوا بين ذلك المرض المروع حقا وبين هذه الظواهر الجلدية القليلة الضرر .

وكانت معاملة الأبرص من أقسى المعاملات التي يقابلها البشر ، فهو يطرود من جماعة الناس وينعزل وحده ويسير بملابس ممزقة ورأس عارية مغطيا شفته العليا ، وأيما ذهب كان يحذر الناس من وجوده بصرخة عالية « نجس نجس » . ولقد ورثت القرون الوسطى المسيحية نفس هذه المعاملة عن اليهود ، فكان الكاهن في ثيابه الرسمية وحاملا معه الصليب يقود الأبرص إلى الكنيسة ويصلى عليه صلاة الموتى إذ يعتبر حتى ميت . وبعد ذلك يلبس ملابس سوداء يسكن في بيوت البرص المخصصة ولا يستطيع أن يقترب من الكنيسة ولا أن يحضر قداسا بل قد ينظر إلى الخدمة من كوى مخصوصة ضيقة في حائط المسكن . وعلى هذا فلم يسكف الأبرص ما يعانيه من مرضه الجسدى بل كان يقامى آلاما نفسية مبرحة وإنكسار قلب لأنه يعتبر في المجتمع وباء خطرا .

أما شريعة تطهير الأبرص فكان يقوم بها الكاهن لمن شفى من برصه وهى مذكورة في لاويين ١٤ ، ومن المؤكد أن هذا الشفاء لم يسكن من البرص الحقيقي . فهو مرض عديم الشفاء ، ولكنه شفاء من المرض الجلدى العادى وتجربى المراسيم هكذا : يفحصه الكاهن ثم يأخذ عصفورين ويذبح أحدهما على ماء حى (جارى) ثم يأخذ . . . ويفمسها كلها مع العصفور الحى فى دماء

العصفور المدبوح ثم يطلق العصفور حرّاً ، ثم يغتسل المريض ويفسل ملابسه ويحلق شعره ، وبعد سبعة أيام يفحصه الكاهن مرة أخرى ثم يحلق شعر رأسه وحواجبه وبعد ذلك يقدم ذبيحة من حلين وجدى ماعز وتقدمه من ثلاثة أعشار دقيق ملتونة بزيت ومعيار — من الزيت — طبعا تنقص هذه الكميات للفقراء ، ثم يلمس الكاهن أذن المريض اليمى . وابهامه الأيمن وأصبع قدمه الأيمن ، ثم يفحصه للمرة الثالثة وبعد ذلك يعطيه شهادة شفائه وتطهيره من البرص

ولأجل هذا نجد صوت تعبير عن قلب يسوع وحنانه على الإنسان :

١ — إنه لم يطرد الرجل الأبرص ، سمع نداءه مع أنه محرم على الأبرص أن يتكلم إلى إنسان ولكن يسوع واجه البؤس الإنسانى بحنان وفهم .

٢ — ثم مديده ولمسه . لمس النجس الذى تحرم الشريعة لمسه ، ولكن كان فى نظر يسوع غير نجس . كان نفسا بشرية بأئسة .

٣ — وبعد أن طهره أرسله ليقوم بشريعة التطهير ، وبذلك تتم يسوع الشريعة فيسوع لم يكسر الناموس الطقسى بل قام به حين كان يجب أن يفعل . هنا الحنان والقوة والحكمة .

الأصحاحُ الثَّانِي

الايان الذي لا يمكن أن يحتفى

ثُمَّ دَخَلَ كَفَرْنَا حَوْمَ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامٍ فَسَمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ .
وَالْوَقْتُ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدَّ يَسَعُ وَلَا مَا حَوْلَ الْبَابِ .
فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ . وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَقْلُوجًا يَحْمِلُهُ
أَرْبَعَةٌ . وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ كَشَفُوا
السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ وَبَعْدَمَا تَقَبَّوهُ دَلُّوا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ
الْمَقْلُوجُ مُضْطَجِعًا عَلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَقْلُوجِ
يَا بُنَى مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ . وَكَانَ قَوْمٌ مِنْ الْكُتَّابَةِ هُنَاكَ
جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ .

(٢ : ١ - ٦)

بعد أن أكل يسوع رحلته بين الجامع رجع مرة أخرى إلى كفر ناحوم ،
وسرعان ما انتشر خبر رجوعه في كل الكورة المجاورة وحسب العادة تدفق
الناس إلى البيت الذي كان فيه يسوع ؛ فقد كانت الحياة في فلسطين مشتركة
للجميع وكانت البيوت مفتوحة الأبواب لكل من يريد الدخول ، ولا يمكن
أن ترى بابا موصدا إلا إذا أراد صاحبه أن يكون في خلوة . ولم يكن للبيوت

في ذلك الوقت مداخل بل كانت الأبواب تفتح مباشرة على الشارع ولهذا فقد امتلأ المنزل بالناس إلى آخره ثم أحاطوا به حتى لم يكن موضع لقدم حوالبه وكل هؤلاء جاءوا ليسمعوا كلام يسوع المعزى . وعلى حين فجأة ظهر وسطه الجمع أربعة رجال يحملون بينهم رجلا مفلوجا وحاولوا أن يدخلوا إلى يسوع من الباب ولكنهم لم يستطيعوا من شدة الزحام ، ولم يقفوا مكتوفي الأيدي بل حاولوا طريقة اخرى . كانت سقوف المنازل في فلسطين مسطحة وكان أصحابها يستخدمونها في ساعات الراحة والهدوء ، وكانت هناك سلم خارجية تقود إلى السطح مباشرة ، وهذه السقوف كانت تصنع من ألواح خشبية مسطحة بين كل لوحين ثلاثة أقدام وتغطي الفجوات بينها بواسطة أعواد من الخشب مخزومة . ويضعون عليها الطين ولهذا فقد كان من السهل ثقب هذا السقف بين لوحين ومن السهل أيضاً إصلاحه ، وهذا ما فعله الرجال الأربعة فقد صعدوا إلى السطح وتقبوا السقف ودلوا المريض عند قدمي يسوع ، وعندما نظر يسوع إلى المريض ابتسم ابتسامة الفهم والمقدر لإيمان هذه الجماعة ثم التفت إليه وقال «يا بني مغفورة لك خطاياك» .

قد يستغرب كثيرون هذا القول ولكن الذي يعرف عقيدة الناس أيام يسوع يستطيع أن يفهم لماذا قال يسوع هذه الكلمات . لقد كان اليهود يربطون الألم والخطية ، فالشخص الذي يقاسى أى نوع من الآلام لابد أنه قد فعل خطية ما أنزلت عليه غضب الله ؛ لهذا القول نطق اليفاز التيماني أحد أصحاب أيوب «أذكر من هلك وهو برى...» (أيوب ٤ : ٧) ويؤكد علماء اليهود القول نفسه عندما يذكرون أنه لا يمكن أن يبرأ إنسان من مرضه إلا إذا غفرت كل خطاياهم . هذه العقيدة ليست غريبة على عصرنا بل هي مازالت تنفثى إلى

اليوم وخاصة بين القبائل البدائية فيقول دكتور بول تورنر « ألم يذكر المرسلون أن المرض في نظر البدائي هو نجاسة ؟ حتى المسيحي منهم لا يستطيع أن يشترك في عشاء الرب وهو مريض » نحن لا ننكر ذلك فهناك أمراض كثيرة تنتج من خطية معينة إرتكبها المريض ، وهناك أمراض أكثر جاءت نتيجة خطية الوالدين ، لكن مع ذلك لا نستطيع في كل وقت أن نربط بين الخطية والألم كما كان يفعل اليهود .

ولكن للقصة معان أعمق : فالريض نفسه كان يهوديا ولا بد أنه كان متمسك بنفس العقيدة ، فهو مريض لأنه خاطيء . ولا بد أن هذا الشعور قد استولى على عقله الظاهر أو الباطن حتى أصابه بالفالج ، فما أقوى تأثير العقل الباطن على حياة الإنسان . وكثيراً ما يذكر الأطباء النفسيون قصة إحدى الفتيات كانت تلعب البيانو في دار للسيدة أيام الأفلام الصامتة جلست هذه الفتاة أمام البيانو اتؤدى عملها ، ولما أطفئت الأنوار وعم الظلام وانتشر دخان السجائر في جو البار إذ بأطراف الفتاة تتجمد ، ولما حاولت أن تتخلص من هذه الحالة لم تستطع بل شلت تماما . فحضرها الأطباء فلم يجدوا سبباً جسمانياً لهذا الشلل ، ولكن بعد الفحص التاريخي لحياة هذه الفتاة عرف سبب هذا الشلل ، فقد حدثت بعد ولادتها ببضعة أسابيع أن كانت نائمة في مهدها وكانت أمها منحنية عليها وفيها سيجارة فسقطت شرارة منها على فراشها وأمسكت بها النيران ولكن سرعان ما أطفأوها ولم يمسها ضرر ما ، ولكن الحادثة اختزنت في عقلها الباطن إلى هذه السن ، حالما أطفئت الأنوار في دار السيدة وانتشرت فيها رائحة دخان السجائر قفز الالمع إلى عقلها الظاهر فأصابها بالشلل هكذا حدث مع بطل قصتنا هذه ، فهو كان يعتقد أنه قد ارتكب خطية عظيمة ، واستولت عليه هذه

الفكرة بدرجته أنه سقط صريع للرض الذي كان يظنه أجرة على خطيته ؛ ولذلك كان أول مافعله يسوع هو أنه أعلن له أن الله ليس غاضباً عليه فطمأنه كما يطمئن الإنسان طفلاً خائفاً في الظلام ، وأنزاح حمل ثقيل من على ضميره فأنزاح الشلل الذي أمسك به .

إنها قصة جميلة هذه الذي فيها يعلن يسوع لكل إنسان محبة الله قائلاً « يا بني إن الله ليس غاضباً عليك . . لا تخف . . إرجع إلى بيت أبيك » .

المناقشة التي لا تجاوب

لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ . مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ
خَطَايَا إِيَّاكَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ . فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ
هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ .
أَيُّمَا أَيْسَرُ أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ . أَمْ أَنْ يُقَالَ
قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ . وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ
سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا . قَالَ لِلْمَفْلُوجِ لَكَ أَقُولُ
قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ . فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ
السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ حَتَّى بَهَتَ الْجَمِيعُ وَجَدَّوْا اللَّهَ قَائِلِينَ
مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ .

(١٢ - ٧ : ٢)

كان التفاف الجماهير حول يسوع عاملا على فتح عيون القادة عليه ، وخاصة أعضاء السنهدريم المجمع الأعلى لليهود ، فقد كان العمل الأول لهذه المنظمة هو حفظ الديانة من الانحرافات والمهرطقات ومحاكمة كل مدعى للنبوته . ويظهر من سياق قصة مرقس أن هذا المجمع أرسل جماعة يتجسسون عليه ليعرفوا مدى مطابقة عمله وتعاليمه للشريعة ، فجاءوا وجلسوا في الأماكن الأولى وبدأوا يراقبونه وحالما سمعوه يقول للمفلوج مغفورة لك خطاياك صعقوا فمغفرة الخطايا ليست لغير الله ومن يحاول ذلك من الناس فإنما هو يتعدى على سلطان الله ويهدف عليه وعقوبة التجديف هو الموت رجماً (لا ٢٤ : ١٦) ولكنهم لم يكونوا مستعدين أن يعلنوا اعتراضهم ، إلا أن يسوع الذي كان يعرف ماذا يجري في عقولهم اتخذ موقف المبادرة وتحداهم على أرضهم . انهم يعتقدون أن المرض مرتبط بغطية ما ، فالمرض رجل خاطيء ، ولهذا فقد واجههم بالقول « أيهما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم احمل فراشك وامش ؟ إن أى رجل يمكنه أن يقول « مغفورة لك خطاياك » فهذه جملة لا تخرج عن كونها كلمات لا يمكن أن تختبر عمليا ، أما أن يقال « قم احمل فراشك وامش » فلها وضع آخر ولا بد من البرهان العملي وإلا لظهر كذب المدعى ، ولهذا كان مضمون كلام يسوع هكذا « أنتم تظنون أن لاحق لى فى القول مغفورة لك خطاياك ولكن لاحظوا هذا » ثم نطق يسوع بكلمته وشفى المفلوج ووقع الكتابة فى الفخ الذى نصبوه فى عرفهم أن الرجل لا يمكن أن يشفى إلا إذا غفرت خطاياها . وها هو يشفى إذن بخطاياها قد غفرت ، إذا فاعلان يسوع أنه يغفر الخطايا إعلان صحيح . ولهذا فقد تركهم فى اضطرابهم وفى غضبهم الشديد ، وظهر لهم أنه لا بد من معالجة الأمر مع هذا الشخص المذهل وإلا لانهارت كل ديانتهم ، وبهذا كتب يسوع وثيقة موته .

إنها لحادثة صعبة ، ولكن ماذا كان يعنى يسوع بمغفرة الخطايا ؟ إنه يعنى
ثلاثة أمور .

١ - قد يعنى يسوع بهذا أنه يعلن غفران الله لخطايا الإنسان تماماً كما فعل
ناتان النبي مع داود ، فمتدما جاءه وكشف له عن بشاعة خطيته ندم داود بحزن
على خطيته فما كان من ناتان النبي إلا أنه أعلن له غفران الله له بقوله « والرب
غفر لك خطيتك لن تموت » (٢ صموئيل ١٢ : ١ - ١٣) فلم يكن ناتان هو
الذى يغفر الخطايا بل كان يمان غفران الله لداود ، هكذا فعل يسوع : إن الله
هو الذى غفر خطية القلوج ولم يعمل يسوع سوى أن أعلن له هذا الغفران . قد
يكون هذا حق ولكنه تفسير غير كاف .

٢ - يسوع فعل ذلك كوكيل عن الله : فهو الذى قال « الآب
لا يدين أحداً بل قد أعطى الدينونة كلها للابن » (يوحنا ٥ : ٢٢) فإذا كان
الآب قد وكله على الدينونة فلا بد أنه وكله أيضاً على غفران الخطايا . والتمثيل
البشرى مع قصوره قد يوضح لنا هذه الحقيقة : فإذا وكل إنسان إنساناً آخر على
كل أعماله وأعطاه السلطة أن يفعل كل شيء لأجله وباسمه فإنه يفعل ذلك لأنه
يعتقد أنه يتصرف تماماً كل يفعل موكله ، فشكل فعل أو قول بصدر عنه وإنما
يؤخذ على أنه صادر من الموكل . هكذا أمر يسوع مع الآب ، فقد وكله فى كل
شيء وكل كلمة نطق بها إنما هى كلمة الله نفسه .

٣ - ولكن هناك معنى آخر : فجوه حياة يسوع يتلخص فى إظهار
موقف الله الحقيقى من الناس ، وقد كانت عقيدة الناس فى الله أنه قاض عادل
ولكنه جبار لا يرحم فى قضائه دائماً بطالب الإنسان ، ولكن يسوع أظهر

عكس ذلك فقد أعلن أن الله أب محب شغوف بأن يغفر الخطايا . يقول لويس هندي « إنه كان يجهل والده وهو صبي صغير ولكن حادثة ما كشفت لعينيه قلب الآب حقيقة ، لقد كان يحترمه ويحبه ولكنه كان يخافه ولكن في يوم من أيام القيظ وكانت الرطوبة تملأ الجو : بدأ الطفل بغمض عينيه في الكنيسة لينام فقد داعب النوم عيونه ، ولما ثقت أجفانه رأى ذراع أبيه يمتد إليه يخاف لأنه ظن أنه إنما أراد أن يهزه ليقظه ، ولكن لدهشته وجده محتضنه لكي يضعه في وضع مريح لينام وحالا افتتح ذهنه على حب أبيه له ، الحب الذي كان يجهله هكذا فعل يسوع مع الناس . لقد أعلن لهم موقف الله منهم موقف الحب والفران .. لقد عرف الناس الله على حقيقته في حياة يسوع لأنه عندما جاء إليهم قال لهم هنا وفي هذه الساعة غفرت خطاياكم .

فهذه الفضة هي إعلان لموقف الله ، إن يسوع يغفر الخطايا لأن الله محبة وغفور للخطايا .

دعوة الرجل المكروه من كل الناس

ثُمَّ خَرَجَ أَيْضًا إِلَى الْبَحْرِ . وَأَتَى إِلَيْهِ كُلُّ الْجَمْعِ فَعَلَّمَهُمْ .
 وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لَأوِيَّ بْنَ حَلْفَى جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجَبَايَةِ .
 فَقَالَ لَهُ اتَّبِعْنِي . فَقَامَ وَتَبِعَهُ .

(مرقس ٢ : ١٣ - ١٤)

بدأ الجمع يوصد أبوابه في وجه يسوع وبدأت الحرب بينه وبين قادة الديانة

اليهودية ، وبدأ المشهد للروع الذي فيه نرى ابن الله مطروداً من بيت الله .
فترك هو بدوره المجمع وذهب ليعلم على شاطئ البحيرة وأخذ من الهواء الطلق
كنيسة ومن السماء الزرقاء خيمته ومن سفح الجبل منيراً له . ولكن التعليم
على شاطئ البحيرة وفي الهواء الطلق لم يكن بدعة في تلك الأيام فساء أكثر
ما كان يرى المعلم اليهودي وهو يسير ووراءه تلاميذه يسمعون كلامه ويتعلمون
منه ، وهكذا بدأ يفعل يسوع كأى واحد منهم .

أما مقاطعة الجليل فقد كانت مركزاً مهماً للمواصلات وقسدياً كان يقال
« اليهودية مغلقة عن العالم أما الجليل فهي باب مفتوح على كل العالم » وحيث أن
فلسطين كانت حلقة الوصل بين إفريقيا وأوروبا فقد كانت تمر بها طرق كثيرة
ومهمة ، فهناك طريق البحر ، وقد كان من أعظم طرق العالم ، كان يبدأ من
دمشق ماراً بقلب الجليل إلى كفر ناحوم ثم جبل الكرمل فوادى شارون وغزا
وينتهي في مصر ، أما الطريق الثاني فيبدأ من عكا على ساحل البحر المتوسط
ثم يتجه إلى عبر الأردن ويسير إلى صحراء العربية وينتهي حتى آخر حدود
الامبراطورية وقد كان طريقاً تجارياً وحريراً في ذات الوقت .

أما من الناحية السياسية فقد كانت فلسطين مقسمة إلى دويلات صغيرة .
اليهودية وكانت ولاية رومانية يحكمها حكام رومانيون ، والجليل كانت تحت
سيطرة هيرودس انتيباس بن هيرودس الكبير ، أما شرق الأردن فكان يحكمه
فيليبس الابن الثاني لهيرودس ، وكانت مدينة كفر ناحوم على الحدود ما بين
شرق الأردن وملكسة الجليل ولهذا فقد كانت مركزاً للجارك ، ولما كانت هذه
الجارك تفرض على الصادرات والواردات فلا بد أن المدينة كانت مملوءة بجماعة

الضرائب ، في تلك المدينة كان يعمل متى العشار . ومع أن متى كان يعمل لحساب هيرودس ولم يكن كزكا الذي خدم الرومانيين إلا أنه كان مكروها للغاية .

وقصة دعوة المسيح لمتى تعطينا فكرة واضحة عن شخصية متى ويسوع .

١ — كان متى رجلاً مكروها لأن حياة الضرائب لم يعترف بهم المجتمع بل كان يبتذم ولقد استفلوا هم بدورهم جهل الناس بالقوانين ومشكلات الضرائب وحاولوا أن يأخذوا منهم ما يستطيعون أخذه ، ودفنوا المبالغ المقررة للحكومة ثم حفظوا الباقي لأنفسهم ، وكانوا لذلك ممقوتين ليس من اليهود فقط بل من اليونانيين أيضاً فيضعهم لوسيون أحد كتابهم في قائمة الزناة الفشاشين الفاسدين ولكن يسوع أحبهم ودعا الرجل المنبوذ من الجميع ، لقد وهب صداقته للشخص الذي كرهه كل المجتمع .

٢ — ولا بد أن متى كان في ذلك الوقت يعاني عذاباً خفياً هو عذاب الضمير ، فمن المؤكد أنه سمع عن يسوع ، فذهب مع الذاهبين إليه ووقف ينصت إليه ، ولا بد أن كلمات يسوع القوية اخترقت الحجب إلى أعماق قلبه وبدأ يرى بشاعة نفسه وحالته وعمله فبدأ يكره نفسه ، ولكن إلى من يذهب ؟ إلى رجال الدين في عصره ؟ هذا مستحيل لأنهم لا يقبلونه لأنه نجس في أعينهم ولا يستطيع أن يقابلهم ، فماذا يعمل ؟ يجبرنا هوك ردوود عن حالة كهذه حدثت في لندن فيقول إن امرأة سيئة السيرة من أحياء لندن الفقيرة كانت تعيش مع رجل صيني ليس بزوجها ولها منه طفل غير شرعي . حضرت هذه المرأة يوماً ما إلى أحد الاجتماعات الدينية ، ولما وجدت في نفسها ميل إلى الحضور أخذت تتردد على

هذا الاجتماع . ولكن جاءها واعظ الاجتماع فقال لها « سيدتى يؤسفى أن أطلب منك ألا تحضرى هذا الاجتماع مرة أخرى ، فالسيدات هنا هددن بالانقطاع عن الحضور إذا حضرت هنا مرة أخرى ، وهنا حملت المسكينة فى وجهه وقالت له « سيدى : إذن أين تذهب خاطئة مثلى ؟ » ولكن لحسن الحظ وجدها جيش الخلاص وقادها إلى الخالص . هذا بالضبط ما حدث مع متى فقل ظل منبوذاً إلى أن التقى به من جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك .

٣ — وتكشف هذه القصة جانباً من حياة يسوع ، فلقد دعا متى عندما كان سائراً على شاطئ البحر ، بمعنى أنه فى سيره العادى لح الفرصة مواتية للخدمة فانهزها فى الحال ، كما قال أحد العلماء « حتى فى سيره لم يكف عن الخدمة » لأنه كان دائم الاستعداد ، كم يكون الحصاد وفيراً لو كنا نبحث عن أناس للمسيح أثناء سيرنا فى الشوارع المزدهجة بالناس ؟

٤ — ولهذا السبب نحى متى أكثر من أى تلميذ آخر ، لقد ترك كل شىء بأعمق ما يحمله هذا التعبير من معنى . لقد كان سهلاً على بطرس وبعقوب ويوحنا أن يرجعا إلى عملهم ، فالسيفينة والشبكة والبحيرة موجودة ، أما متى فكان كمن حرق كل سفنه وحطم السكبارى من وراءه لى لا يرجع إلى الوراء ، حدث هذا فى لحظة تصميم حاسمة ، ترك عمله وكان من الحال أن يرجع إليه مرة . يقول أحد مشاهير الرجال وكان قد اعتاد أن يقطع مسافات طويلة سيراً على الأقدام ، إنه عندما كان يصادف مجرى من المياه صعب العبور لا يتوقف للتفكير بل كان يخلع سترته فى الحال ويلقى بها إلى الجانب الآخر من الجرى وبذلك يضمن لنفسه عدم التردد فى عبوره . هذه أعمال عظيمة تحتاج إلى عزائم

حاسمة ، هكذا فعل متى .. ترك كل شيء والتمسق بيسوع . . ولم يكن متى
مخطئاً في عمله هذا .

• — ولم يخسر متى بل كسب الكثير ، على الأقل ربح ثلاثة أشياء :

(أ) ربح يدين نظيفتين : وكان في إمكانه أن يواجه العالم بكل شجاعة
وجرأة . نعم لقد فقد الكثير من كاليات الحياة وملذاتها ، وأضحت المعيشة صعبة
المغال ، ولكنه مع ذلك صار نظيف اليدين ، ومتى تطهرت اليدين تطهر العقل .

(ب) فقد عمله ولكنه ربح عملاً أعظم وأجود : قيل عنه أنه ترك كل شيء
ما عدا شيئاً واحداً : قلبه . يعتقد كثير من العلماء أن متى لم يكتب كل الانجيل
الأول المسمى باسمه « انجيل متى » ولكنه كتب أهم جزء فيه وهو تعاليم يسوع ،
فأسلوبه المنظم وعقله الرياضى للرتب ساعده على جمع تعاليم يسوع في مجموعات
جميلة تعتبر أجد ما كتب إنسان ، هذه المجموعات يتضمنها انجيل متى ، وبذلك
يصبح متى أول من قدم للبشرية كتاباً عن يسوع .

(ج) أما الشيء العجيب حقاً فهو أن قراره الحاسم في اتباع يسوع أعطاه
ما كان يصبو إليه قبلاً ، أعطاه شهرة لم يكن يحلم بها ، فكل البشرية تعرف
الآن متى الذى اقترن اسمه بقصة حياة يسوع ، فلورفض الدعوة لعاش مغموراً
بغيبها ، ولكنه سمع وأطاع فأعطاه الله الشهرة الكاملة .. إن الله يعطينا
أكثر جداً مما نظن ونعتقد .

حيث الحاجة أكبر

وَفِيْمَا هُوَ مُتَكِيٌّ فِي بَيْتِهِ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمَشَارِينِ
وَالْخَطَاةِ يَتَكْتُمُونَ مَعَ يَسُوعَ وَتَلَامِيذِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ
وَتَبِعُوهُ . وَأَمَّا الْكُتْبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ
الْمَشَارِينِ وَالْخَطَاةِ قَالُوا لِتَلَامِيذِهِ مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ
الْمَشَارِينِ وَالْخَطَاةِ . فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ . لَا يَحْتَاجُ
الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى . لَمْ آتِ لِأَدْعُوَ الْبَرَّارًا بَلِ خَطَاةً
إِلَى التَّوْبَةِ .

(مرقس ٢ : ١٥ — ١٧)

ويستمر يسوع في خروجه عن القانون في نظر جماعة المتزمطين ، فعندما دعا يسوع متى ، عمل له هذا في بيته وليلة عظيمة ، ولم يقتصر على ذلك بل أراد أن يشارك الآخرين الفرح التي وجدها عندما وجد مخلصه ، فدعا زملاءه في العمل إلى هذه الليلة . طبعاً لم يجرؤ أن يدعو واحداً من أشراف مجتمعه كالفريسيين فذلك من المحال . وجاءت هذه الزمرة المنبوذة للمكروهة وقبلها يسوع في صحبته وقبل هو أن يكون معهم . وهنا يكمن الاختلاف الأعظم بين يسوع ورجال الدين في عصره . فلم يكن في جماعة الفريسيين والكتبة مكان لخاطيء ولم يكن يجرؤ واحد من الخطاة أن يواجه نظرة الازدراء والاحتقار لو وجد في هذه الجماعة . فوجود شخص كهذا يتزلزل له السكبان الفريسي . ففي فلسطين انقسم

الاجتمع إلى طبقتين : طبقة الناموسيين وهم الذين يهتمون بالناموس ويحفظونه ، وطبقة أخرى مغايرة اسمها « شعب الأرض » وهم جماعة العوام الذين لم يعيروا للدين أو الناموس أى اهتمام ، وكان محظورا على الطبقة الأولى أنه تتعامل مع الثانية ولا خلطة ولا صداقة ولا حديث ولا رفقة سفر ولا شركة عمل ، وقد كان يسهل على الواحد منهم أن يلقى مابنته إلى الوحوش على أن يزوجه لواحد منهم ، وكان من المستحيل أن تجد أحد أفراد الطبقتين في بيت من بيوت أفراد الطبقة الثانية ، وعلى هذا فقد حطم يسوع بنهايه إلى بيت متى وجلسه مع العشارين والخطاة كل تقاليد مجتمعه وعاداته .

ولكن ينبغي ألا يتبادر إلى الذهن أن كل « شعب الأرض » هؤلاء هم جماعة من فاسدى الأخلاق لأنهم خطاة . فكلمة خاطيء تعنى أحد شخصين : إما الشخص الذى يكسر القوانين الأخلاقية . . وإما الشخص الذى لا يتم للطقوس الدينية . فقد وضع المجتمع الشخص الذى يأكل لحم الخنزير في مصاف الشخص الزانى ، ومن لا يغسل يديه بالطريقة الطقسية في نفس المستوى الذى يضع فيه من يمد يده للسرقة والقتل . وضيوف متى الذين دعاهم إلى وليته التى عملها ليسوع كان خليطا من النوعين ، نوع منهم خاطيء لأن سلوكه الأخلاقى كان شائنا أما النوع الثانى فكان خاطئا لأنه لم يكن يتمم تقاليد الكنيسة والفريسيين .

وعندما ألقوا في وجه يسوع بهمة مخالطة العشارين والخطاة ، كان جوابه عليهم بسيطا ومفصحا ، لقد قال « إن الطبيب عادة يذهب إلى مكان المرضى حيث تكون الحاجة إليه ، فالأصحاء لا يحتاجونه ، هكذا أفضل أنا ، إذ أذهب

إلى الجماعة التي تحتاج إلى « . وقد ذكر يسوع جوابه هذا في كلمات مركزة
« ع ١٧ » فجمل البعض يخطئون فهمه فيظنّون أن يسوع قصر عمله على ذوى
السمعة الرديئة ، ولكن هذا خطأ ، إن معنى كلام يسوع هو أن الشخص الذى
يظن في نفسه الصلاح والبر هو شخص فقد الإحساس بالحاجة ولهذا فهو يضع
الحواجز بينه وبين يسوع ، أما الشخص الذى يشعر بأنه قد أخطأ ومقط فهو
الشخص الذى يحس بحاجة إلى الطبيب الشافى الذى يعالجه ، ومن هو طبيبه
سوى يسوع ؟

ويستطيع الدارس أن يستشف موقف اليهودى المتزمت من الخطاة فهو
موقف :

١ - يتسم بالاحتقار :

يقول الربون « إن الجاهل لا يمكن أن يكون تقيا » حتى الفلسفة
اليونانية لم تخل من هذا التحقير فقد روى عن هير وقليطس الفيلسوف اليونانى
الارستقراطى أنه قال لأحدم عندما حاول أن يضع محاوراته في كتاب حتى
يستطيع العوام أن يقرأوها ويفهموها « أنا هير وقليطس فلماذا تجذبوننى هنا
وهناك أيها العاميون ؟ إننى لم أتعب لأجلكم ، لقد تعبت لمن يفهمى فقط ،
إن واحدا منهم يساوى ثلاثين ألفا منكم ، ولكن ألوكم الكثير لانستطيع
أن تعمل شخصا واحدا يفهمى » هكذا اتفقت الفلسفة اليونانية مع الشرائع
اليهودية في تحقير الرجل العامى أما يسوع فقد جاء إليهم وجلس بجوارهم لكي
يرفعهم إليه .

٢ - يتسم بالخوف :

لقد خشى الكتبة والفريسيون أن يجلسوا إلى هؤلاء الخطاة لثلاث تصيبيهم عدواهم ونجاستهم ، مثلهم في ذلك مثل الطبيب الذي يخاف أن يقرب من المريض فتصيبه العدوى ، أما يسوع فقد نسي نفسه في سبيل خدمة الغير . وقد أوحى موقفه هذا إلى شخص مثل س . ت شود المرسل العظيم أن يقول :

« بعض الناس يحبون أن يعيشوا قرب أجراس الكنائس والمعابد أما أنا فأريد أن أجرى بعيداً ولو إلى الجحيم لأنقذ خروفاً » .

إن الرجل الذي يحمل في قلبه الحقد والخوف من الآخرين لا يستطيع أن يكون صياداً للناس .

الزمرة السعيدة

وَكَانَ تَلَامِيذُ يُوْحَنَّا وَالْفَرِيْسِيِّينَ يَصُومُونَ . فَجَاءُوا وَقَالُوا
لَهُ لِمَاذَا يَصُومُ تَلَامِيذُ يُوْحَنَّا وَالْفَرِيْسِيِّينَ وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَلَا
يَصُومُونَ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا
وَالْعَرِيْسُ مَعَهُمْ . مَا دَامَ الْعَرِيْسُ مَعَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا
وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيْسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي
تِلْكَ الْأَيَّامِ .

(مرقس ٢ : ١٨ - ٢٠)

كان الصوم عادة متأصلة في كل يهودى مدقنى . نعم لم يكن هناك صوم

إجبارى فى الديانة اليهودية سوى يوم الكفارة العظيم حينما كانت الأمة كلها تصوم معترفة بخطاياها وشرورها ، لكن اليهودى المدقق كان يصوم يومين فى كل أسبوع الإثنين والخميس ، وكان صومه يبدأ من السادسة صباحاً إلى السادسة مساءً وبعدها يأكل أى طعام يريد .

لم يعارض يسوع الصوم ، فالصوم فى ذاته عمل مستحسن إن كان الهدف منه سامياً . كأن يدرّب الإنسان نفسه على الحرمان من طعام محبوب فلا يستعبد له ولا يطيش عقله لو فقدته إلى الأبد ، أو أن يقدر عطية الله المشتاه بعد أن يحرم بعض الوقت . فحبة الإنسان لبيته تزداد بعد أن يضيف عنه مدة من الزمن . هذه أغراض سامية للصوم ، مدعاة لإنكار النفس . لكن الأمر مع القريسيين كان على النقيض من ذلك ، لأنهم اتخذوا من الصوم شعاراً للاستعلاء وجذب الانتباه ، إذ كان الصائم يغفل غسل وجهه ودهن رأسه ثم يلبس المسوح وبذلك يظهر للناس صائماً فيمدحونه ، ولكنه لم يكن يكتفى بمدح الناس بل كان يحاول أن يجذب انتباه الله أيضاً وأقبح الصوم هو ما كان يهدف إلى الرياء أو أن يكون إماماً لفريضة لا نابهاً من القلب والإحساس بالحاجة .

ولقد اشتكى اليهود من كسر تلاميذ يسوع لهذا التقليد فرد عليهم هو كعادته بتشبيه جميل هو تشبيه بنى العرس ، فلم يكن من عادة العروسين اليهوديين أن يقضيا شهر العسل بعيداً عن المنزل كما يفعل عرائس هذا العصر بل كان الأسبوع الأول الذى يلى الزفاف مباشرة أسبوع العمر كله إذ كانوا لا يدخرون وسعاً فى ملته بالسعادة والفرح .. تقام فيه الولائم .. وتستمر الزينات ويدعى الأصدقاء المقربون ليشاركوا العروسين فرحتهما فكان يطلق عليهم

القب « بنو العرس » وكانت التقاليد تعفيهم من كل فريضة تقلل من بهجة أفراحهم مثل الصوم مثلاً . ولقد أطلق يسوع على تلاميذه هذا اللقب « بنو العرس » وبهذا رسم لنا طبيعة الحياة المسيحية الحقيقية . . إنها حياة الفرح وهل هناك أدعى إلى الفرح من اللقاء بيسوع والسير معه ؟ هناك قصة تروى عن شخص يابانى اسمه توكنشى إيشى . كان مجرماً شريراً لم يعرف قلبه الرحمة . . وكم تطلخت يدها بدماء أبرياء كثيرين من رجال ونساء وأطفال ، قبض عليه يوماً ما وأودع السجن ، وفيما هو هناك زارته اثنتان من السيدات الكنديات وحاولتا أن تكلماه ولكنهما لم ينطق بحرف واحد بل كان ينظر إليهما نظرات قاسية مرعبة ، فتركتاه بعد أن تركتا معه نسخة من الكتاب المقدس مع أمل ضعيف في أن يقرأ شيئاً فيها . لكن شيئاً ما شغله وبدأ يقرأ أصحاحات في الأنجيل وحالاً وصل إلى قصة الصلب افتتح قلبه وعرف مخلصه . وحينما جاء السجن ليقوده إلى خشبة الإعدام لم يجده أمامه ذلك الوجه الصارم القاسى بل وجد وجهها تملوه الابتسامة والبهجة فاندش ، نعم لأنه لم يعلم إن إيشى قد نال الولادة الجديدة واختبر الفرح الحقيقى الذى هو ثمرة الحياة المسيحية .

ولكن القصة تنهى والفيوم تلبد الجو إذ يقول « حين يرفع العريس عنهم » إنه لم يحدد قوله ولكنهما كان يرى أمامه الموت . . كان يرى الصليب فلم يخف ولم يحد عن الطريق بل سار إلى مصيره المحتوم من الأب بكل جرأة وشجاعة خليقتين بكل إعجاب .

ضرورة الاحتفاظ بشباب العقل

لَيْسَ أَحَدٌ يُخَيِّطُ رُقْمَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ وَإِلَّا
فَالْمِلءُ الْجَدِيدُ يَأْخُذُ مِنَ الْعَتِيقِ فَيَصِيرُ الْخُرْقُ أَرْدَأُ . وَلَيْسَ
أَحَدٌ يُجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِتَلَّا تَشُقَّ الْحُمْرُ الْجَدِيدَةُ
الزِقَاقَ فَالْحُمْرُ تَنْصَبُ وَالزِقَاقُ تَنْدَفُ . بَلْ يُجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً
فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ .

(مرقس ٢ : ٢١ و ٢٢)

كان يسوع يعرف أن رسالته جديدة وأز سلوكة الإجتماعى يختلف عن
سلوك أولئك اليهود التزمطين المتسكين بأهداب التقاليد ، وكان يعرف أيضاً
طبيعة الناس المتشككة المترددة إزاء كل حق جديد ، وهو لهذا يطلب من
صاحب أى رسالة جديدة أن يكون له العقل الراجح والعزيمة الماضية .

ولم يكن هناك من يضارعه فى استخدام التشبيهاً المنزلية فن خلال
الأعمال والأشياء البسيطة يستطيع أن ينفذ السامع إلى الله ، فيقوده من الأشياء
التي ترى إلى التي لا ترى ، فالأرض أمامه مملوءة بالسماء ، وعلاقته بالآب كانت
هكذا وثيقة حتى أنه رآه فى كل شيء ومن خلال كل عمل . يذكر أحدهم عن
أحد الوعاظ الاسكتلنديين الأتقياء أنه كثيراً ما رافقه فى نزهاً خلوية طويلة ،
كانا يقضيان الوقت فى أحاديث مختلفة ، ويقول هذا الرجل إن هذا الواعظ
كانت له المقدرة الفذة فى أن يحول كل حديث مهما كان اتبعاه وهدفه إلى الله .
هكذا كان يسوع أبناً كانت عيناه تفظران كان يرى الله هناك .

١ - لقد تكلم عن خطورة وضع رقعة جديدة في ثوب عتيق . إن الكلمة التي يستخدمها تعنى أن قطعة التماس التي نستخدم كرقعة كانت جديدة لم تستعمل من قبل فعندما تحاك في الثوب العتيق ثم بعد ذلك تبتل بالماء فإنها تنقلص فتقطع « للء » وبصير الخرق أردأ . هكذا قد يأتي الوقت حينما يفوت أو ان الترقيع ولا يبقى هناك مفر من عملية خلق جديدة . ففي القرون الوسطى شعر لوثر أن الترقيع لم يعد ينفع في إصلاح مفاسد الكنيسة الكاثوليكية فلا أقل من الإصلاح الكامل وكان الحال كذلك مع جون وسلي في إنجلترا عندما حاول إصلاح كنيسة إنجلترا من الداخل دون أن يتركها ولكنها لم يستطع واضطر إلى تركها وتأسيس جماعة جديدة أمينة . وهناك أمثلة أخرى كثيرة تبين أن الترقيع لا ينفع في كثير من الأحيان .

٢ - أما التشبيه الثاني فهو تشبيه الخمر والزقاق . ففي فلسطين لم يعرف الناس الأواني الزجاجية لحفظ الخمر بل كانوا يستخدمون لهذا الغرض أزرقة من الجلد . وكلما كان الزقاق جديداً كان جلده أكثر مرونة فيتحمل ضغط الغازات الناتجة من الخمور المتخمرة المحفوظة فيه ، ولكن عندما يأخذ في القدم فإن الجلد يبس ويصبح أقل مرونة فينفجر من ضغط الخمر . وهكذا يطلب يسوع مرونة الذهن في تقبل الحقائق الروحية . يذكر كرج . ا فندلي إقتباساً عن أحد أصدقائه هذه العبارة « إذا وصل الإنسان إلى نتيجة محددة لا يجيد عنها . . مات » بمعنى إن العقل عندما يثبت على طريقة محددة وفي مكان محدد ويصبح ولا طالة له ولا قابلية لتقبل الحقائق الجديدة فإنه يموت . ويظهر ذلك في وضوح عندما تتقدم السن بالناس فإن تفكيرهم يتوقف عند حقائق معينة وبذا يتفرون من كل جديد ، وهكذا تجف حياة الناس وتعجز عن تقبل الحقائق الجديدة . يذكر

ليزلى نيويجن إنه عندما كانوا يبحثون مسألة تكوين كنيسة جنوب الهند للتحدة كان السؤال المتكرر دائماً هو « ولكن إلى أين نحن ذاهبون ؟ » وفي آخر المطاف وقف أحدهم يرد على هذا القول بكل جرأة وصراحة فقال « إن المسيحى يجب ألا يسأل إلى أين يذهب ، نابرهيم خرج وأطاع وهو لا يعلم إلى أين يذهب ، وبمقوب ذلك الرجل العجوز عندما كان على فراش موته بارك حفيده وبعدئذ سجد على رأس عصاه ، وهذه العصاهى وسيلة الترحال حتى فى فراش الموت كان يعقوب مستعداً أن يذهب إلى آفاق جديدة . »

التقوى الحقيقية والمزيفة

وَاجْتَازَ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزَّرْعِ . فَأَبْتَدَأَ تَلَامِيذُهُ يَقْطِفُونَ
السَّنَابِلَ وَهُمْ سَائِرُونَ . فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ انْظُرْ . لِمَ إِذَا
يَفْعَلُونَ فِي السَّبْتِ مَا لَا يَحِلُّ . فَقَالَ لَهُمْ أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ
دَاوُدُ حِينَ احْتَجَّ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ . كَيْفَ دَخَلَ يَدْتَ اللَّهِ فِي
أَيَّامِ أَيَّانَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِيمَةِ الَّتِي لَا يَحِلُّ
أَكْلُهُ إِلَّا لِلْكَهَنَةِ وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ
السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ لَا الْإِنْسَانُ لِأَجْلِ السَّبْتِ . إِذَا
ابْنُ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا .

(مرقس ٢ : ٢٣ - ٢٨)

مرة أخرى بصطدم يسوع بتقاليد الكتبة والفريسيين . ففي أحد السبوت كان يسير مع تلاميذه ، وكان التلاميذ يقطفون سنابل القمح . كان هذا العمل عادياً في كل يوم ماداموا لا يستخدمون المنجل (خروج ٢٣ : ٢٤) ، ولكن إذا حدث ذلك في يوم السبت فإن الوضع يختلف ، فلقد عمل الفريسيون قائمة بالأعمال التي يحرم على اليهودى القيام بها في يوم السبت وكانت ٣٩ عملاً ومن ضمنها الحصاد والدرس والتدريه وعمل الخبز ، وهذا ما فعله تلاميذ المسيح قطفوا السنابل وأخرجوا منها القمح واستخدموها كطعام ، إن هذا تفكير سقيم بالنسبة لنا ، أما لليهود فقد كان هذا العمل هو الخطية المميتة .

وحالما رأى الفريسيون ذلك هاجموا المسيح وتلاميذه ، وقد كان من المنتظر أن يوقف يسوع تلاميذه عن هذا العمل ، ولكنه لم يفعل ، بل جاوبهم بنفس طريقتهم ، فذكر لهم قصة داود عندما كان هارباً من الموت وكان جائعاً هو ومن معه ، فخرج على خيمة الإجتماع ودخل يطلب خبزاً ولكنه لم يجد سوى خبز الوجوه الذى كان يقدم كمتقدمة للرب على مائدة مذبحة طولها ٣ أقدام وإرتفاعها قدم ونصف وعرضها نصف قدم وتوضع أمام الحجاب الذى يفصل قدس الأقداس عن القدس وكان خبز الوجوه يوضع أسبوعاً ثم يستبدل بغيره ولا يجوز لغير الكهنة أكل هذه الخبزات، المستبدلة ، ولكن داود تناول من هذا الخبز وأكل ، إنها الحاجة الملحة . وبهذا أظهر يسوع أن الأسفار المقدسة تعلن أن الحاجة البشرية لها الأهمية الأولى في نظر الله أكثر من أى شريعة حتى ولو كانت شريعة الهية .

قال السيد . السبت إنما جعل للانسان لا للانسان للسبت « وهذا أمر يديهي إذ قد خلق الإنسان قبل شريعة السبت ، ولهذا فلم يخلق السبت ليستعبد

الإنسان ويجعل منه عبداً لنواه وأوامر كثيرة بل خلق لكي يظنى على حياته بهجة وعمقا روحياً .

وتعطينا هذه القصة دروساً كثيرة ما ننساها :

١ - إن المسيحية ليست ديانة نواه وشرائع وتقاليد . فيوم الأحد هو يوم مسيحي مقدس ولكنه ليس كل شيء في المسيحية ، فمن يظن أن المسيحية ليست سوى التدقيق في حفظ يوم الأحد وعدم القيام بأعمال دنيوية فيه بل بالعبادة وإجتماعات الكنيسة والصلاة وقراءة الكلمة . . من يظن ذلك فهو يفكر في مسيحية سهلة ، فعندما يغمض الإنسان عينيه عن الحق والرحمة والمحبة للآخرين ويستبدل كل هذه ببعض الأعمال الطقسية فإنه لا يعرف شيئاً عن الديانة . فالمسيحية اشتهرت في كل العصور بأنها الديانة التي تعمل الكثير لا التي تحرم الكثير .

٢ - إن الحاجة البشرية تعتبر فوق كل حاجة أخرى وكل إقرارات الإيمان تؤكد هذا الحق وتعتبر أن الإهتمام بحاجة البشر واجب مشروع كل يوم حتى يوم الأحد . ولو وقفت الشعائر الدينية عقبة في سبيل معونة إنسان محتاج لكانت شعائر خاوية غير نافعة ، فالإنسان أهم من الطقوس . ومحبة الله تظهر جلياً في محبة الأخوة .

٣ - إن أفضل طريقة لاستخدام الأشياء المقدسة وإظهار قصد الله فيها هو استخدامها في مساعدة الإنسان . ولإيضاح ذلك يمكن أن نذكر هنا القصة الرائعة التي تسمى « الجوسى الرابع » وتقول القصة إن أربعة من الجوس تماهدوا

أن يتقابلوا في مكان ما في الصحراء لكي يقودوا قافلة كبيرة ويذهبوا ليسجدوا
للملك الملوود كما يرشدهم النجم الذي ظهر في الشرق . وكان الجوس هم كسر بر
ملكفور بلناسر وأرثابان . ولقد جهز هذا الجوسى الرابع أرثابان هديته التي
كان سيقدمها للملك وهي عبارة عن ثلاثة جواهر : ياقوته زرقاء وأخرى حمراء
وجوهرة تفوق كل ثمن . وذهب ليقابل أصدقاءه الثلاثة في الصحراء ، وقد بقي
على وقت الرحلة وقت قصير . ولكنه في طريقه رأى شعبا ملقى على الأرض
فتقدم منه فوجده سائحا غربيا ين من الحى ، واحتار أرثابان هل يبقى لمساعدة
الرجل؟ لعله لا يدرك القافلة بعد ذلك فوقت الرحيل قد أذف : ولكنه فضل أن
يبقى ليعين هذا المسكين ، وبقي معه حتى شفى ، ثم أسرع لمقابلة القافلة ولكن
بعد فوات الأوان ، فاضطر أن يستأجر جمالا ومرشدين واحتاج المال واضطر أن
يبيع الياقوتة الزرقاء وهو حزين إنه لا يستطيع أن يقدمها للملك ، ثم سافر إلى فلسطين
ولكنه وصل إلى هناك بعد أن كان الصبى يسوع قد هرب مع أبويه إلى مصر
خوفا من هيرودس ، فاضطر أن يلجأ إلى بيت ليقم فيه وهناك شاهد المذبحه القاسية التي
قتل فيها جنود هيرودس الأطفال الأبرياء . وكان في البيت الذى لجأ إليه طفل عزيز
على والديه ، ورأى أرثابان القزع والخوف الذى يملأ البيت كلما اقترب الجنود
منه ففكر أن يعمل عملاقا لتوه ووقف على الباب حتى جاء الجنود فأعظامهم
الياقوتة الحمراء ورجاهم أن يتركوا هذا البيت ففعلوا ونجا الطفل من القتل ورجع
الفرح الطاغى إلى هذه الأسرة وفرح أرثابان معهم . ثم مضى بتجول سنين طويلة
يبحث عن الملك إلى أن رجع إلى اورشليم بعد أكثر من ثلاثين سنة . وكان يوم

صلب المسيح ، وأحس أن دافعا يدفعه إلى الجلجثة . لعله يجد الملك هناك فيقدم له جوهرة الثمينة ، ولكنه في طريقه صادف فتاة تسابق الريح محاولة الهرب من جماعة العسكر الذين جروا وراءها ليقبضوا عليها ، وعرف أن أباه غارق في الديون وأن صاحب الدين أراد أن يأخذ الفتاة جارية عنده وفاء لهذا الدين ، وصرخت الفتاة فيه « أنقذني . . أرجوك » وتردد أرتابان كثيراً ولكنه عزم أخيراً وأخرج الجوهرة وأعطاهما للجنود وأنقذ الفتاة . وفجأة اظلم الجو وحدثت زلزلة مروعة وتطايرت قطع من الأحجار وأصابت إحداها رأس أرتابان فسقط متعشياً عليه فحملته الفتاة على حجرها . وبعد مدة تحركت شفثاه وسمعته يقول : « لا لا ياسيدي — متى رأيتك جائعاً فأطعمتك ؟ أو عطشاناً فسقيتك ؟ متى رأيتك غريباً فأويتك أو عرياناً فكسوتك ؟ متى رأيتك مريضاً أو مسجوناً فنجيت إليك ؟ ثلاثين سنة وأنا أفنش عليك ولكني لم أجذك ولم أر وجهك ولم أقدم لك خدمة واحدة ؟ ؟ ولكن جاءه صوت هامس من بعيد في نبرة عذبة يقول « الحق أقول لك بما أنك فعلت بأحد إخوتي هؤلاء الأصغر فبي قد فعلت ، وظهرت ابتسامة جميلة على الوجه المنطلق إلى السماء لأنه عرف مليسكة ولأنه قبل هداياه .

إن أجد طريقة لاستخدام الأشياء المقدسة هي أن نخدم بها الآخرين . لقد أوصد الناس يوماً ما الكنيسة في وجه الأطفال لأنهم ظنوها أقدس من أن تهتم بهم فيكفيها أن تقوم بعبادتها وخدماتها الأخرى ، ولكن الأشياء تكون مقدسة حقيقة عندما تسد احتياجات الناس . نجذب الوجوه لن يكون مقدساً إلا عندما يشبع رجلاً يموت من الجوع ، ويوم السبت لا يقدر إلا إذا امتلأ بخدمة المحتاجين المعوزين ، إن الحكم الفيصل في كل ذلك هو المحبة وليس التاموس .

الأصحاح الثالث تصارع الأفكار

ثُمَّ دَخَلَ أَيْضًا إِلَى الْمَجْمَعِ . وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ .
فَصَارُوا يُرَافِقُونَهُ هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ . لَكِنِّي يَشْتَكُوا
عَلَيْهِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ قُمْ فِي الْوَسْطِ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ
هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ . تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ
قَتْلُ . فَسَكَتُوا . فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بَغْضَبٍ حَزِينًا عَلَى غِلَظَةِ
قُلُوبِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ مَدِّ يَدَكَ . فَمَدَّهَا فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً
كَالْأُخْرَى . فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيَرُودُسِيِّينَ
وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لَكِنِّي يَهْلِكُوهُ .

(مرقس ٣ : ١ - ٦)

تعتبر هذه الحادثة نقطة حاسمة في حياة يسوع وارساليته . فقد كان من المنتظر أن يحجم يسوع عن الذهاب إلى المجمع بعد أن بدأ الصراع بينه وبين رؤساء المجمع يأخذ طابع العلانية ، ولكنه كان رجلاً شجاعاً لا يهرب من المواقف الحرجة ، ولهذا ذهب إلى المجمع حيث وجد سفارة من السنهدريم جاءت خصيصاً

لكي تراقبه وتحكم على تصرفاته وتعاليمه . ويلوح أن السنهدريم سمع عن يسوع وأعماله فرأى أعضاؤه — وهم الأوصياء على معتقدات الناس وحماة الناموس — أن يرسلوا هذه السفارة . فخامت وجاس أعضاؤها في المقاعد الأولى . لم يكن مهم الأول هو العبادة بل مراقبة أعمال يسوع وأقواله .

وقد حدث أنه كان في تلك الساعة في الجمع رجل يده يابسة . ويؤخذ من النص اليوناني أن للرجل لم يولد هكذا بل إن حادثة ما شلت ذراعه . ويذكر إنجيل العبرانيين [وهو كتاب مفقود ماعدا أجزاء بسيطة منه] أن هذا الرجل كان يعمل في نحت الأحجار ولهذا فقد كان عمله يتوقف على سلامة يديه ، فلما عجز عن العمل وخجل من الاستجداء جاء إلى يسوع طالبا منه المعونة . وكان في استطاعة يسوع أن يتجاهله وألا ينظر إلى ناحيته ، ولكن الموقف لم يكن يتطلب الدبلوماسية المتتوية ، ولم يكن هو بالرجل الذي يغمض عينيه في هذه المواقف فعزم على أن يعاون هذا المحتاج مهما كانت المتاعب .

وبالطبع كان اليوم يوم السبت حيث يحرم فيه كل عمل بما في ذلك علاج المرضى . وكان الناموس صريحا وقاطما في ذلك . ولم يكن يسمح بأية عناية طبية إلا لمن هم في خطر الموت : كإمرأة تضع طفلا أو شخص أصيب بالدفتريا ، وحتى إذا سقط حائط على شخص فيمكن أن تزال الأتقاض من فوقه فإن وجد حيا أسعف حتى لا يموت ولكن إن وجد ميتا فترك جثته مكانها إلى أن ينقضى يوم السبت . وإذا حدث وكسرت ذراع شخص في يوم السبت فيتركها بدون علاج إلى اليوم الثاني ، وإن قطعت إصبعه فيربط الجرح بدون تضميد ، ومعنى ذلك كله أنهم يحاولون فقط حفظ الحياة من الموت بمعالجات بسيطة . وقد يصعب على

ذهن الإنسان العصري أن يصدق ذلك فعليه أن يرجع إلى التاريخ ، وخاصة ما دونه يوسفوس ، المؤرخ اليهودي المشهور ليعرف صحة ذلك . فهو يصف كيف كان يتصرف الحاربون القدامى في يوم السبت ، فيذكر عنهم أن الثوار في بدء حركة المكابيين امتنعوا عن أن يحاربوا يوم السبت وحاصروهم الجيش السوري فدخلوا إلى الكهوف ، وطلب منهم قائد الجيش أن يستسلموا ولكنهم رفضوا فما كان منه إلا أن أحرقهم داخل كهوفهم ومكثوا ساكتين يحترقون بالنار دون أن يفعلوا شيئاً لأنه كان يوم السبت ولا يمكنهم أن يكسروه . ومرة أخرى استغل هذه العقيدة القائد الروماني بومباي في حصاره لأورشليم ، فقد كان يبني قلعة عالية بجوار الهيكل ، ولم يمكن أن يبنها إلا في يوم السبت حين وقف اليهود مكتوفين لا يعملون شيئاً فأهلك منهم بومباي الكثيرين لأجل ذلك . من هذا نرى أن موقف اليهودي يوم السبت كان متمزماً لا ينسجم بأى شيء من الرونة .

وكان يسوع يعلم ذلك ، وكان يعلم - إلى جانب ذلك - أن حياة هذا الرجل لم تكن في خطر وكان يمكن أن ينتظر يوماً آخر دون أن يحدث له أى ضرر ، ومع ذلك فقد كان يسوع يريد أن يواجه الموقف بكل صراحة ، فطلب من الرجل أن يقف ، فوقف وراه الجميع ، ولعل يسوع كان يقصد أن يراه الحاضرون فيشعروا بتماسته وتقوله في قلوبهم الرحمة والشفقة على الغير ، بل لعله أراد أن يشفيه أمام الكل فيشهد جميع الحاضرين على هذا العمل ؛ ولهذا بدأ عمله بأن سأل العارفين سؤاليين متتاليين : الأول « هل يحل في السبت

فعل الخير أو فعل الشر ؟ » وبهذا وضعهم في حيرة : هل يمكنهم أن ينكروا جواز فعل الخير في السبت ؟ وهل يمكنهم أن يميزوا فعل الشر فيه ؟ وماذا كان سيفعل يسوع ؟ أليس من الخير ألا يترك رجلا في تعاسته هذه بل أن يقبل إلى معونته ويشفي يده ؟ ثم كان السؤال الثاني « تخلص نفس أو قتل ؟ » وبهذا السؤال أصاب سهمه كبدهم ، فقد كان يفكر هو في انقاذ هذا الرجل ، أما هم فلم يفكروا إلا في قتله هو ، فأيهما يفعل الخير يوم السبت ! هو أم هم ؟ ومجزوا عن الجواب ، وعندئذ خرجت منه كلمة القوة وشفي الرجل ، فخرج الفريسيون وانفقوا مع الهيروديسين في تدبير مؤامرة لقتله .

وهذا بين المدى الذي قد يذهب إليه الفريسي في كراهيته . ففي الظروف الطبيعية كان يعامل الهيروديسين على أنهم نجسون لا يحل له أن يتعامل معهم لأنهم خونة يعملون في بلاط ملك نجس ويتعاملون مع الرومانيين . ولكن في سبيل تنفيذ مؤامرة ضد يسوع فإنه — أي الفريسي — يتفق مع هؤلاء النجسين ليساعدهم على ذلك . ما أقسى الكراهية التي لا تتوقف عند أي اعتبار مهما كان .

وأهمية هذه الحادثة تظهر في إظهار الصراع بين الأفكار الدينية المختلفة : —

١ — فالديانة في عرف الفريسي هي القيام بأعمال طقسية من فرائض وشرائع ، فعندما كسر يسوع إحدى هذه الشرائع حكموا عليه بأنه رجل شرير . مثلهم في ذلك قتل الإنسان الذي يظن أن الديانة لا تزيد عن الذهاب إلى الكنيسة وقراءة الكتاب المقدس والصلاة على الطعام وممارسة الصلاة العائلية والقيام بكل الأعمال الظاهرية التي يعتبرها الناس من صلب الديانة ولكنه مع ذلك لا يخدم أخا ولا

يحمل الآخرين ذرة عطف تدفعه إلى بعض التضحية من أجلهم . شخص كهذا يخفي نفسه في تزمته وتمسكه العقيم بظواهر ديانته بينما يسد أذنيه عن صوت الحاجة البشرية .

٢ - أما الديانة في مفهوم يسوع فهي الخدمة التي تتبع من المحبة لله والمحبة للاخوة ، إن الطقوس شيء نافع بجانب المحبة العاملة :

صديقنا أخانا وربنا

ما هي الخدمة التي تطلبها لنقوم بها

لا نتبع اسما ولا رسما ولا طقسا

بل أن نتبعك

إن أهم شيء في العالم في نظر يسوع لا أن نقوم بالطقوس بطريقة صحيحة بل أن نلبى نداء إخوتنا المحتاجين .

في وسط الجماهير

فَانصَرَفَ يَسُوعُ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَمِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَمِنَ أُورُشَلِيمَ وَمِنَ أُدُومِيَّةَ وَمِنَ عِبْرِ الْأُرْدُنِّ . وَالَّذِينَ حَوْلَ صُورَ وَصَيْدَاءَ جَمَعٌ كَثِيرٌ إِذْ سَمِعُوا كَمْ صَنَعَ آتَوَا إِلَيْهِ . فَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّ تُلَازِمَهُ سَفِينَةٌ صَغِيرَةٌ لِسَبَبِ الْجَمْعِ كَيْ لَا يَزْحَمُوهُ . لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَفَى كَثِيرِينَ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ

يَلْمِسَهُ كُلُّ مَنْ فِيهِ دَابٌّ . وَالْأَزْوَاحُ النَّجِسَةُ حِينَهَا نَظَرَتْهُ
خَرَّتْ لَهُ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ . وَأَوْصَاهُمْ كَثِيرًا
أَنْ لَا يُظْهِرُوهُ .

(١٢ - ٧ : ٣)

لم يكن يسوع مستعداً أن يدخل في صراع علني مع الرؤساء فترك الجمع
وذهب إلى شاطئ البحيرة ، ولكن عمله هذا لم يكن بدافع الخوف أو العجز
عن مواجهة العواقب ، ولكن لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد ، وأمامه
الكثير الذي يجب أن يعمله قبل أن يدخل في هذا الصراع ، ولهذا تركهم ومضى
إلى البحيرة ، وهناك تدافعت الجموع وراءه وازدحمت عليه ، جاءوا من بلاد
بعيدة من كل قرى الجليل ومن أورشليم حيث ساروا حوالي مائة ميل لكي
يسمعوه ، ومن أدومية في أقصى الجنوب فيما بين فلسطين والجزيرة العربية، ومن
عبر الأردن في الشرق . ومن بلاد أرمية من فينيقيه وصور وصيدا على ساحل
البحر الأبيض المتوسط في الشمال الغربي .. من كل هذه الأماكن والبلاد جاءت
الجمهير إليه لكي تسمعه وتعرف عليه ، وكان الجمع كبيراً حتى أنه جعل سفينة
في البحيرة على أهبة الاستعداد لأن يتعد عن الشاطئ في حالة الهياج وحتى
المرضى الذين جاءوا طالبي الشفاء لم يستطيعوا أن ينتظروا مسته بل اندفعوا إليه
بكل قوة .

ولكن مشكلة خاصة واجهت يسوع وهي مشكلة أولئك الذين بهم أرواح
نجسة . ومهما كان تفسيرنا المعصرى لهذه الظاهرة النامضة لكن علينا أن نعلم أن
هؤلاء الناس كانوا يعتقدون أن قوة شريرة خارج أنفسهم قد امتلكتهم

وأخضعت كل قواهم . وكانوا ينادون يسوع باسم « ابن الله » وهنا يجب أن نأخذ حذرنا في معالجة هذا اللقب فلا نظن أنهم كانوا يقصدون معنى لاهوتيا أو فلسفيا كما نفهمه نحن في عصرنا الحديث ، لأنهم كانوا يقصدون به معنى آخر أكثر بساطة مما نعرف ، فقد بما كان ملوك مصر يدعون « أبناء رع » ، ومن أيام أغسطس قيصر كان التياصرة يعرفون بأبناء الآلهة . أما العهد القديم فقد أطلقه على أربع فئات من المخلوقات :

١ - أطلقه على الملائكة : ففي نك ١٦ : ٢٠ يرى بنو الله - الملائكة - بنات الناس أنهم حسنات وفي ايو ١ : ٦ يظهر أبناء الله مجتمعين معا أمام الله . فابن الله هو اللقب الطبيعي للملاك .

٢ - وأطلقه على الأمة الإسرائيلية قاطبة فيقول : « من مصر دعوت ابني (هوشع ١١ : ١) ثم يقول لإسرائيل ابني البكر خروج ٤ : ٢٢ .

٣ - وأطلقه أيضا على الملك ففي صم ٢ : ٧ : ١٤ يعطى الله الوعد لداود أن نسله الملوكي يكون له ابنا وهو يكون له أبا .

٤ - وآخر الكل أطلق في كتابات ما بين العهدين على الرجل الصالح إذ يقول : ستكون ابنا للعلى وسيحبك أكثر من أمك : سيراخ ٤ : ١٠ .

في كل هذه المواضع نجد أن ابن الله تطلق على الشخص القريب من الله الذي له صلة خاصة به .

وقد نجد نفس هذا المفهوم في العهد الجديد فتيموثاوس هو ابن لبولس الرسول إذ هو أقرب إلى نفسه ويفهم غرضه أكثر من أى شخص آخر

[آتى ١ : ٢ ، ١٨ ، وفيلبي ٢ : ١٩ - ٢٢] وكذلك مرقس دعى ابنا لبطرس لأنه استطاع أن يعرف عقل بطرس وتفكيره معرفة عميقة فتكون له صلة عميقة به (١ بط ٥ : ١٣) . وهكذا يستخدم العهد الجديد هذا اللقب في بساطته ، فأينما قابلنا هذا اللقب على صفحاته فلا نظن أن المقصود برهنة عقيدة التثليث مثلا ، بل لنفهمه على أنه الطريقة الحقيقية التي حاول بها الناس أن يعبروا عن العلاقة الخاصة بين يسوع وأتفه . وبهذا المعنى كان ينطق هؤلاء المرضى بأرواح نجسة بهذا اللقب . فقد كانوا يعتقدون أن الشياطين التي تملكهم تخاف وترهب هذا الشخص الذى له هذه العلاقة الخاصة بالله

ولكن لماذا أمرهم يسوع بشدة أن يسكتوا ؟ والسبب بسيط واضح ، فقد كان يسوع هو المسيا ، ولكن مفهوم المسيا عنده كان يختلف اختلافا جوهريا عن مفهومه عند اليهود ، فهو يفهمه على أنه مركز للخدمة والتضحية ، فالمسيا هو الشخص الذى يعمل لأجل الآخرين ولو سار إلى الصليب ، أما هم فقد فهموه على أنه الشخص الذى يقود اليهود إلى المجد والنصرة العسكرية على الرومان . فلو عرفه الناس أنه هو المسيا - وخاصة فى الجليل - لاندلعت الثورات ولتبعه الناس مسلحين . وكم من شخصيات ادعوا أنهم المسيا وقادوا عصابات مسلحة ولكن حركاتهم كلها باءت بالفشل .

إن يسوع لم يرد أن يعلن عن نفسه قبل أن يعلمهم ويؤهلهم لتقبل فكرة المسيا الخادم المضحى ، وإلا لكان ضرر الإعلان أشد خطورة وقسوة وبذلك تضيق إرسالية يسوع - إرسالية الحب والقداء فى تيار قومية متعصبة متعطشة للقتال وسفك الدماء .

الجماعة المختارة

ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ . وَأَقَامَ
 اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ وَيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا . وَيَكُونُ لَهُمْ
 سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الْأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ . وَجَعَلَ لِسَمْعَانَ
 اسْمَ بُطْرُسَ . وَيَعْقُوبَ بْنَ زَبْدَى وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ وَجَعَلَ
 لَهَا اسْمَ بُوَانَرْجِسَ أَيْ ابْنِ الرَّغْمِ . وَأَنْدَرَاوُسَ وَفِيلِبُّسَ
 وَبَرْتُولْمَاوُسَ وَمَتَّى وَتُومَا وَيَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَتَدَّاوُسَ وَسَمْعَانَ
 الْقَانَوِيَّ . وَيَهُوذَا الْإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي أَسْلَمَهُ . ثُمَّ أَتَوْا
 إِلَى يَسُوعَ .

(١٢: ٣ — ١٩)

في هذا الفصل نجد يسوع يأخذ قراراً حاسماً . فلقد اختار نوع الرسالة التي
 يقدمها للبشرية ، ثم عين الطريقة التي يقوم بها لتقديم هذه الرسالة ، فجاء في
 الجليل يكرز ويشفي المرضى ، فكان تأثيره على الرأي العام كبيراً . وهنا برزت
 أمامه مشكلتان عمليتان : الأولى : كيف يمكن أن تبقى رسالته حية عاملة حتى
 ولو أصابه مكروه على يد الرؤساء — وهو ما بضمه أمام عينيه دائماً ؟ والثانية :
 ما هي الطريقة المثلى التي يمكن أن ينشر بها هذه الرسالة في عصر لم تكن فيه
 دور للنشر ولا كتب مطبوعة يمكن أن تصل إلى أكبر عدد ممكن
 من الناس .

وكان الحل الأمثل لهاتين المشكلتين هو أن يختار جماعة من الناس يطبع على حياتهم رسالته فيخرجون من حضرته ليحملوا للناس رسالته عملية حية ، وهذا ما عمله السيد تماما .

إن من أبرز وأهم الأمور في المسيحية أنها بدأت بجماعة من الناس ، والإيمان المسيحي منذ البداية ظهر في جماعات تحيا معا في محبة وسلام ، ليس هذا هو طريق الفريسيين .. طريق الانفصال عن الناس ، فالقريسي هو الشخص المنفصل على عكس الطريق المسيحي الذي جعل الناس تعيش معا ولأجل بعضهم البعض .

ولكن هذه الجماعة التي بدأت بها المسيحية كانت مكونة من أفراد متباينة مختلفة الطبائع والأمزجة ، جاءوا من أوساط متباينة ، فقد جمعت إلى جانب متى العشار الرجل الذي خان بلاده فعمل مع الأعداء .. جمعت معهم سمعان القانوي الذي يسميه لوقا - بحق - بالغيور ، وهم جماعة الوطنيين المتطرفين المتعصبين الذين وقفوا مستعدين في كل حين لسفك الدماء وتخليص بلادهم من احتلال الرومان . وهكذا كانت الآراء والنظرات المتباينة إلى هذا الحد في هذه الجماعة المسيحية الأولى ، لكن يسوع صهرهم ليعيشوا معا في سلام ومحبة هادفين إلى غرض سام واحد .

ومن هم أفراد هذه الجماعة إذا قسناهم بالقياس البشري ؟ هم جماعة لا يعلم أي إنسان يقود حركة ضخمة كيسوع أن يختارهم .. إنهم جماعة حرموا من العلم والثروة ومن المراكز الدينية أو الدنيوية .. جماعة عادية بكل ما تعنيه هذه الكلمة . ولكنهم مع ذلك قد امتازوا بأمرين في غاية الأهمية : الأول هو أنهم اختبروا لمسة يسوع السحرية فأحسوا أن فيه شيئا يجذبهم إليه ويحملهم يتخذونه

سيداً لهم ، والثانى أنه كانت لهم الشجاعة الكافية أن يعلنوا ذلك على الملأ .
نعم أعلنوا ذلك أمام الجميع وهم يعلمون أن سيدهم هذا قد اختار الطريق الضيق
الخطير الذى قد يؤدي إلى الموت ، فكسر كثيراً من العادات والتقاليد التى
يرعاها رؤساء ديانتهم ، جلس مع الخطاة والمشارين فاتهموه بأنه خاطيء وهرطوق
لقد تركوا كل شيء من أجله وساروا وراءه وهم مفتوحى الأعين يعرفون
طريقهم جيداً .. فهما قليل عنهم وعن أخطأهم الكثيرة : لقد كانوا مخلصين
لسيدهم بكل ما تحويه هذه الكلمة من معانٍ .. وهذه هى المسيحية الحقيقية .

ودعاهم يسوع إليه لسببين ، الأول : لكي يكونوا معه على الدوام فلا
يتركونه أبداً .. غيرهم كان يأتى ويذهب . بعض الذين أحاطوا به قد التصقوا
به ولكن إلى حين ، ولكن هؤلاء التصقوا به وتمبوا معه وربطوا حياتهم
بحياته . أما السبب الثانى فللكى يرسلهم ليكونوا ممثلين له مخبرين للجميع عنه ..
لقد ربحهم لنفسه وأراد أن يربح بهم العالم .

ولكى يؤهلهم للعمل الذى دعاهم إليه جهزهم يسوع بأمرين : الأول أنه
أعطاهم رسالة .. ورسالته هى شخصه ، فكانوا الداعين إليه . قال أحد الحكماء
إن المعلم الناجح الذى يسمع له الناس هو الشخص الذى يكون تعليمه نابعا
من حياته وشخصيته . وإن علم تعليم غيره فتكون عنده العاطفة المتأججة لهذا
التعليم ونشره . والناس يسمعون دائماً للشخص الذى عنده شيء يقوله لهم . هذا
ما أعطاه يسوع لهم . ثم أعطاهم للقوة ، كان عليهم أن يخرجوا شياطين ولهذا
فقد أعطاهم قوته .

إن أردنا أن نعرف ما هى التلمذة الحقيقية ليسوع فما علينا إلا أن ندرس
حياة هؤلاء التلاميذ .

القرار الخاص به

فَاجْتَمَعَ أَيْضًا جَمْعٌ حَتَّى لَمْ يَقْدِرُوا وَلَا عَلَى أَكْلِ خُبْزٍ .
وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُمْسِكُوهُ لِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ
مُخْتَلٌ .

(٢١ : ٢٠)

كثيراً ما تفاجئنا كلمة من شخص ما نحس أن وراءها خيرة مريرة قاسية .
ومن هذه الكلمات ما قالها يسوع حين كان يعدد الصعوبات التي يواجهها
أتباعه إذ قال « إن أعداء الإنسان أهل بيته (متى ١٠ : ٣٦) » . فقد أضحت
أسرة يسوع إحدى صعوبات رسالته لأنهم ظنوه مختلاً . ويجب إرجاعه إلى
البيت ولو بالقوة . ولكن كيف وصلت هذه الأسرة إلى هذه النتيجة :

١ — لقد ترك يسوع بيته وعمله نجاة ، فلقد كان هو نجاراً ناجحاً يكفيه
دخله مع أسرته ليعيشوا عيشة كريمة ، ولكنه نجاة يترك هذا العمل ثم يذهب
متجولاً في البلاد وليس له أين يسند رأسه ؟ ! أي حكمة في ذلك ؟

٢ — لقد انضح أن الصراع بينه وبين قادة الدين اليهودي لا مفر منه ،
وجماعة كالكتبة والفريسيين ليس من السهل الوقوف في وجوههم ، فهم جماعة
تستطيع أن تؤذى الذين يخرجون عليهم ولن يستطيع إنسان أن يفلت من
أيديهم ، ولهذا السبب ظن الناس أنه من الحكمة أن يهادنهم ويطيعوهم ، فهم
دائماً في مركز القوة .

٣ - لقد بدأ يسوع يكون مجموعة خاصة به ، وما أغربها من مجموعة فقد ضمت أفراداً متنافرين مختلفين فمنهم الصياد الجاهل ، والغيورى المتعصب ، والمشار الخائن ، إنها مجموعة لا يفكر أى إنسان عاقل - يحاول أن يقود حركة ما - فى التعرف عليها أو أن يصاحبها .

وبعمله هذا كسر يسوع القوانين الثلاثة التى يقبها الإنسان فى تكوين حياته ومستقبله :

١ - فهو لم يهتم بالضمان الاجتماعى ، وهذا أهم ما يرجوه كل إنسان ويعمل لأجله فكل شخص يرغب عملاً ومركزاً مضموناً حيث لا تهدده ضائقات مادية أو مالية .

٢ - وهو لم يهتم بالأمان والناس دائماً يفتشون عن العمل الآمن ، فالأمان مندهم أهم من المبادئ الأخلاقية ، بل من قيمة العمل نفسه ، ولذا فهم يحذرون المخاطر القاسية فى العمل .

٣ - ظهر أنه يخالف كثيراً من عادات وتقاليد المجتمع ، لم يهتم كثيراً بما يقوله الناس عنه ، وهذا ليس طبع الأكثرين . فهم - كما قال عنهم هـ . ج . لوز « إن صوت جارهم أعلى من صوت الله فى آذانهم » وعبارة « ماذا يقول الناس » هى أول ما ينطق به إنسان فى سبيل إنجاز عمل .

إن ما كان يخيف أصدقاء يسوع هو أنه اتخذ طريق المخاطرة الذى لم يجروا أحد من قبله أن يتخذه .

عندما كلن يوحنا بنيان فى السجن صرح أنه كان خائفاً وفى ذلك يقول

« إن سجننا قد ينتهي بشئ هو ما يفزعني » إنه لم يكن يرغب أن يموت مشفقاً . ولكن جاء اليوم الذي فيه خجل من نفسه ومن خوفه هذا فقال : « إنني أخجل أن أقابل الموت بوجه شاحب وركب مرتعشة من أجل هدف سام كهذا » وأخيرا وصل إلى النتيجة إلى أنه عندما يصعد إلى المشنقة فإنه سيدخل إلى سعادته الأبدية مع يسوع فلا يهجمه سواء أعرف طعم السعادة هنا أم لم يعرفها . . « فإن لم يأتي الله فأتى سأذهب إليه سواء مغمض العين أم مفتوحها إن عن طريق المشنقة أم عن غيرها » وهنا يصرخ « فياري إن كنت ستأتي وتمسك بي فاقبل من فضلك وإلا فإني سألقى بنفسى لأجلك » .

وهذا بالضبط ما تصور المسيح أن عمله « سأقاسى من أجل اسمك » هذا هو شعار حياته وهذا فقط وليس — الضمان والأمان — يجب أن يكون شعار المسيحي وبنوع حيويته وعمله .

حلف أم غزو؟

وَأَمَّا الْكُتُبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا إِنَّ مَعَهُ
بَعْلَزَبُولَ . وَإِنَّهُ بَرَبِسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ . فَدَعَاهُمْ
وَقَالَ لَهُمْ بِأَمْثَالٍ كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يُخْرِجَ شَيْطَانًا . وَإِنْ
انْقَسَمَتْ مَمْلَكَةٌ عَلَى ذَاتِهَا لَا تَقْدِرُ تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ أَنْ تَثْبُتَ .
وَإِنْ انْقَسَمَ بَيْتٌ عَلَى ذَاتِهِ لَا يَقْدِرُ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَنْ يَثْبُتَ .
وَإِنْ قَامَ الشَّيْطَانُ عَلَى ذَاتِهِ وَانْقَسَمَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَثْبُتَ بَلْ يَكُونُ

لَهُ انْقِضَاءٌ . لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَوِيٍّ وَيَنْهَبَ
أُمْتَعَتَهُ إِنْ لَمْ يَرِبْطِ الْقَوِيَّ أَوْلًا وَحَيْثُئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ .

(مرقس ٣ : ٢٢ - ٢٧)

لم يشك قادة اليهود يوماً في مقدرة يسوع على إخراج الشياطين ، فقد كان
كثيرون غيره يفعلون الرقى والتعاويذ ، تماماً كما يفعل الكثيرون في هذه
الأيام في الشرق . ولكنهم مع ذلك عزوا مقدرة هذه إلى حلف بيده وبين
رئيس الشياطين أى كما يقول أحد المفسرين « عن طريق الشياطين الكبار
استطاع أن يخرج الشياطين الصغار » ، فعمله هذا - كما اعتقد اليهود - لم
ينجرح عن كونه ممارسة السحر الأسود .

ولكن لم يكن من الصعب على يسوع أن يشجب هذه التهمة ، فقال لهم :
إن كان حقاً إن الشيطان الأكبر هو الذى يطرد الشياطين الصغار فقد انقسمت
مملكته . . . وعليكم أن تتخيلوا ماذا يجرى عندما يحدث الإنقسام الداخلى فى
أمة أو فى بيت ، فلو فعل الشيطان هذه الجهالة لكان قد هدم مملكته بيده .
ولكن التفسير الحقيقى هو أنه لا يستطيع أى شخص أن يسلب شخصاً آخر مالم
يخضعه أولاً ويربطه وبعد ذلك يسلبه . فانهزام الشيطان إذن ليس دليلاً على
مهادنة بين يسوع وبين الشيطان ولكنه برهان قاطع على أن يسوع أقوى منه
وبمجيئه بدأت مملكة الشيطان فى الاندحار ، وفى هذه القصة نرى أمرين :

١ - إن يسوع يقبل الحياة على أنها صراع بين قوة الشر وبين الله ،
وكذلك فلم يضيع وقته فى مباحث نظرية لا طائل تحتها ، فلم يحاول مثلاً أن
يدرس أصل الشر وكيفية انتشاره ، ولكنه دخل فى الصراع مباشرة . وما أكثر

ما نسقط في هذا الخطأ إذ نكثر من الجدالات العقيمة في طبيعة المشكلات دون أن نعمل شيئاً لمعالجتها مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي يهب من نومه فيرى النهار تلثمهم منزله وبدلاً من أن يندفع بكل قوته وإمكانيته في إخماد الحريق يجلس بكل هدوء ممسكاً بكتاب يبحث عن أصل الحرائق وكيفية انتشارها وطرق إخمادها.. إن يسوع لم يكن من هذا الصنف من الناس، لقد عرف أن جوهر المأساة في الحياة هو الصراع المرير بين الخير والشر فدخل إلى الميدان وأعطى الآخرين القوة ليتبعوه.

٢ — لقد اعتبر يسوع أن هزيمة الأمراض هي جزء من هزيمة الشيطان وعلى هذا الأساس اهتم بشفاء الأجساد نفس اهتمامه بشفاء النفوس. ولأجل ذلك فإن الطبيب والعالم اللذين يواجهان تحدى الأمراض يشاركان في هزيمة الشيطان، فعمل الطبيب مكمل لعمل البشر، ولا يوجد هناك تعارض بين هدفهما، إنهما حليفان يقفان جنباً لجنب في حرب ضروس ضد الشر.

الخطية التي لا تغتفر

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ جَمِيعَ الْخَطَايَا تُغْفَرُ لِابْنِ الْبَشَرِ
وَالْتَّجَادِيفُ الَّتِي يَجِدُّونَهَا. وَلَسَكِنْ مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدْسِ
فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الْأَبَدِ بَلْ هُوَ مُسْتَوْجِبٌ دَيْنُونَةٍ أَبَدِيَّةٍ.
لِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ مَعَهُ رُوحًا نَجِسًا.

(٣٠ - ٢٨ : ٣)

لسكى نفهم هذا النطق للمهول فعلمينا أن نعرف الظرف الذى فيه نطق يسوع بهذا الكلام ؛ وقد حدث ذلك عندما اتهموه أنه ببعاز بول رئيس الشياطين يخرج الشياطين ، فبدلاً من أن يروا فى عمله هذا محبة الله المتجسدة رأوا فيه قوة الشيطان .

وأول ما يتبادر إلى الذهن هو أن يسوع عندما تكلم عن الروح القدس لم يكن يقصد المعنى المسيحى الذى نفهمه نحن الآن ، فمفهوم الروح القدس وعمله هذا لم يعلن إلا بعد تمجيد يسوع وحلوله يوم الخمسين ، لكن يسوع وهو يكلم اليهود كان يقصد المعنى الذى يفهمه اليهود . . . أى المعنى المعلن فى العهد القديم . وإذا تصفحنا أسفار العهد القديم يتضح لنا أن للروح القدس عمليتين :

(١) إعلان الحق الإلهى للناس .

(٢) إعطاء الناس البصيرة والمعرفة لسكى يتعرفوا على هذا الحق . وهذه النظرة هى المفتاح لهذا النطق .

١ - إن الروح القدس عندما يدخل فى حياة الناس يمكنهم من التعرف على الحق الإلهى ، ولكنهم إذ يرفضون استخدام هذه الموهبة فإنهم يفقدونها ، تماماً كالرجل الذى يفقد إبصاره عندما يعيش فى الظلام أو الذى يعجز عن الحركة إذا نام على فراشه سنوات طويلة أو الذى يفقد لذة الدراسة إذا امتنع عن الدراسة طويلاً .

هكذا يحدث مع الإنسان الذى يرفض إرشاد الروح القدس فإنه يعجز عن معرفة حق الله . إذ رآه فالشر فى نظره يصبح خيراً والخير يصبح شراً .

٢ - ولكن لماذا لا تنفر مثل هذه القضية؟ نسمع تعليقات أشهر المفسرين :
يقول هـ . ب سويت « إنها فقدان المقدرة على التمييز بين منبع الخير ومصدر الشر وبذلك تصبح كارثة أخلاقية لا يشفيها حتى التجسد نفسه » . ويقول ا.ح . رولنسون « إنها الشر المطلق » كما ترى فيها بؤرة الفساد وجوهره . أما بنجل فيقول إن كل خطية هي بشرية ما عدا هذه ، فهي خطية شيطانية . ولكن لماذا نصفها هكذا ؟ دعنا أولاً نعرف تأثير يسوع على حياة الناس : إن الأثر الأول الذي يحدث في الإنسان الذي يقف وجهاً لوجه مع يسوع لأول مرة هو أن يرى ظلام حياته وعدم استحقاقه في مقابل جمال يسوع وقاوة محبته ، وهذا ما جعل بطرس يصرخ قائلاً « أخرج من سفينتي يارب لأنني رجل خاطيء » (لوقا ٥ : ٨) .
ونفس هذا الاختيار يذكره توكنتشي إيشي في قصة حياته إذ يقول « عندما قرأت قصة الإنجيل لأول مرة توقفت وأحسست بوخز شديد في قلبي كأنما غرست فيه مسامراً طويلاً . . هل أسمى ذلك محبة المسيح ؟ هل أسمىها حنانه علي ؟ لا أدري ماذا أسمىها ، ولكنني أعرف شيئاً واحداً هو أن قلبي القاسي قد تغير »
هذا الإحساس بالتفاهة وعدم الاستحقاق في مقابلة يسوع يولد في القلب ندماً وتوبة ، وهذه التوبة هي الخطوة الأولى في طريق مغفرة الخطايا . أما إذا رفض الإنسان أن يسمع دعوة الروح القدس وكرر هذا الرفض كلما تكررت هذه الدعوى فإنه يتعذر إلى حاله من التبدل الحسى حتى أنه لا يستطيع أن يرى شيئاً ما من جمال يسوع وحلاوته ، وبهذا يفقد إحساسه بتفاهته وخطيئته ، ومن هنا يضل الطريق فلا يعرف طريق التوبة لأنه لا يشعر بخطيئته ، ومتى رفض التوبة فقد حرم من غفران خطيئته .

تقول إحدى الأساطير عن لوسيفر إن كاهناً لاحظ بين من حضروا القداس

إنساناً أكثر مهابة وجلالا من أى شخص آخر، ولم يعرفه الكاهن ولكن بعد انتهاء الخدمة طلب منه هذا الشاب أن يقبل منه الاعتراف ، وبدأ يذكر خطاياهم ، وكانت كثيرة ومرعبة حتى أن الكاهن نظر إليه في خوف ورعب قائلاً « لا بد أنك عشت طويلاً لترتكب كل هذه الخطايا الفظيعة التي لا حصر لها » فأجابته الشاب « إن اسمي لوسيفر وقد سقطت من السماء قبل بدء العالم » وعندئذ قال الكاهن « مهما يكن فحجة الله تستطيع أن تغفر لك كل هذه الخطايا ، فقط أن تندم عليها » ولكن الشاب رفض أن يظهر الندم وقام من مكانه وذهب ، إنه لم ولن يندم وبذلك يسير في الطريق المحتوم طريق الملاك .

لا يوجد إلا طريق واحد لفقران الخطايا وهو طريق التوبة ، ولكن إذ يرفض الإنسان إرشاد الله فإنه يفقد إحساسه ومعرفته بما هو صالح وما هو شرير ، انه يفقد معرفته لحالته الشريرة الفاسدة وبذلك لا يستطيع أن يأتي تائباً ونادماً .. هذه هي الخطيئة ضد الروح القدس . فطالما يشعر الإنسان بحال يسوع وصلاحه وطالما يحس بخطيئته وذنبه حتى وإن بقي فيها وغرق في الأحوال لكن هناك باباً مفتوحاً له للرجاء ، أما إذا تبلى الإنسان فأضحى يسوع لاشيء بالنسبة له فإنه يتقسى ولا يستطيع حتى التجسد نفسه أن يحرك قلبه الحجري القاسى .

القرابة وأساسها

فَجَاءَتْ حِينئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجًا وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ
يَدْعُوَنَّهُ . وَكَانَ الْجَمْعُ جَالِسًا حَوْلَهُ فَقَالُوا لَهُ هُوَذَا أُمَّكَ وَإِخْوَتُكَ

خَارِجًا يَطْلُبُونَكَ . فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا مِنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي . ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ
إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي . لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ
هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي .

(٣ : ٣١ - ٣٥)

هنا يضع يسوع الأساس الصحيح للقراءة ، فالقراءة لا تبني فقط على أساس
جسدى ، فقد يصبح الغريب الذى لا يمت لى بأية قرابة جسدية أكثر قربا لى من
كل أقربائى حسب الجسد فما هى القراءة الصحيحة ؟

١ - إن الأساس الأول لها هو الخبرة المشتركة خصوصا إذا اهلها الشخصان
فى ظروف واحدة . وكثيراً ما يقال إن الشخصين يصبحان صديقين عندما يبدأ
أحدهما بقول للآخر « هل تتذكر » وعندئذ يذكر خبرة مشتركة لهما . عندما
تقابل أحدهما مع امرأة زنجية قال لها « أظنك تتألمين عندما تعرفين أن فلانة قد
ماتت » ولما لم تظهر عليها علامات التأثر قال لها « لقد رأيتكما تضحكان معا فى
الأسبوع الماضى . . ولا بد أنكما كنتما صديقتين حميمتين » فأجابت « نعم لقد
كننا صديقتين . . لقد تعودت أن أضحك معها ، ولكن لكى يكون الشخصان
صديقين حقا ينبغى أن يبكيا معا » هذه حقيقة أساسية ، فالخبرة الواحدة تربط
الشخصين برباط متين ، والمسيحيون لها الخبرة الواحدة وهى غفران الخطايا .

٢ - الأساس الثانى هو الاهتمام الواحد ، يقول ا . ح كيدجوين فى كتابه
« الكتاب المقدس فى التبشير » : إن العقبة الكأداء التى يقابلها موزعو الكتاب
المقدس ليس فى بيع الكتاب بل فى أن يدفعوا الناس على قراءته . ولقد دأب
أحد الموزعين فى الصين قبل أن تصبح شيوعية أن يذهب من بيت إلى بيت

ومن متجر إلى آخر لكي يحث الناس على دراسة الكتاب . ولم كان يحزن عندما يلاحظ أن قراءه قد فقدوا الحماسة وكادوا يتوقفون عند ذلك . ولكنه فعل بحكمة عندما حاول بنجاح أن يجمعهم معاً في مكان واحد وقت دراسة الكتاب ، وبهذه الطريقة كون الكنيسة . وهكذا يرتبط الأفراد في مجموعة متماسكة . فالاهتمام الواحد يربط الأفراد معاً برابط الصداقة العميقة . وهل هناك رباط أمتين من ذلك الذي يربط المسيحيين معاً وهو اهتمامهم بتعميق معرفتهم بالسيح .

٣ - الأساس الثالث هو الطاعة الواحدة. لقد كان التلاميذ أفراداً مختلفين في تفكيرهم وعقائدهم . فهناك العشار كتي ، والوطني المتعصب كسمعان القانوي ولا شك في أنهم كانوا يوماً ما يبغضون بعضهم البعض، ولكن هذه الكراهية زالت وحلت محلها الصداقة الكاملة عندما قبلوا معاً يسوع المسيح سيداً ورباً . ألا يحدث ذلك دائماً في الجندية عندما تجند الدولة أناساً بأنون من أمر وأمكانة متباينة مختلفة ، ولكنهم سرعان ما يألفون معاً إذ يخضعون لقانون جيش واحد فمتدما يخضع الناس لسيد واحد يصبحون أصدقاء . نعم ويحبون بعضهم البعض عندما يحبون يسوع .

٤ - والأساس الرابع هو الهدف الواحد ، وهذا الأساس أعظمها جميعاً ، وهنا يكن درس عميق للكنيسة . وعندما يتكلم ا . م كيرجوين عن الاهتمام المتجدد لدراسة الكتاب يتساءل « هل هذا علامة على إمكانية معالجة الحركة المسكونية على أساس كتابي بدلاً من أساسها الكهنوتي ؟ وطالما كانت الكنائس تتجادل في كيفية سياسة خدامها ، وطريقة سياسة كنائسها ، وكيفية

إجراء طقوسها فلن نستطيع أن نتحد معاً . فالأساس الوحيد الذي عليه
تستطيع الكنائس المختلفة أن تبقى وحدتها هو أن تجعل من ربح النفوس للمسيح
الهدف الأسمى لها . فإن كان الهدف الواحد يربط الناس معاً فلا يوجد هناك
هدف أسمى وأعظم من الهدف المسيحي . فالسليحيون الذين خبروا الامتيازات
يدعون الآخرين ليشركوهم امتيازات ملكوت السماوات . وحينما نتحد
الكنائس في هذا الهدف الأسمى فكل اختلاف بينها سوف ينتهي إلى
الوفاق الكامل .

الأصحاح الرابع

التعليم بالأمثال

وَابْتَدَأَ أَيْضًا يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ حَتَّى
إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى الْبَحْرِ وَاجْتَمَعَ كُلُّهُ عِنْدَ الْبَحْرِ
عَلَى الْأَرْضِ .

فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ .

(٢١ : ٤)

في هذا الفصل نجد يسوع يبدأ مرحلة جديدة إذ أنه هجر الجمع وذهب إلى شاطئ البحيرة لكي يعلم ، وبهذا أظهر يسوع أنه كان مستعداً أن يغير مكان تعليمه وطريقته إن دعت الحاجة إلى ذلك ، فلم يعد الجمع مكاناً لتعاليمه ولم يعد شعب الجمع هم سامعوه بل صارت البحيرة مقبره وشعب الأرض هم سامعوه .

يذكر جون وسلي أنه كان - لفترة طويلة - مخلصاً لكنيسة إنجلترا وتعاليمها ولكنه يوماً ما تلقى دعوة من صديقه جورج هويتفيلد ليعظ العمال في الهواء الطلق ، وقد كان هويتفيلد يعظ الآلاف من عمال المناجم وكانت مئات النفوس تقبل المسيح يومياً ، ولكن جون وسلي رأى فيها دعوة شاذة فهو

لم يعود الوعظ خارج الكنيسة بمقاعد المريجة ومنبرها الفخيم . وفي هذا يقول « إنني لم أستطع أن أهضم مسألة الوعظ في الخلاء بعيداً عن الكنيسة ونظامها ، إن خلاص النفوس بعيداً عن الكنيسة أمر غير معقول » . ولكنه ذهب ورأى النتيجة وآمن بها . ويقول « لم أعد أعارض الوعظ بعيداً عن الكنائس لأنني رأيت النتيجة بنفسى ، إنها حقيقة لا تنكر ، هكذا كان الحال مع المسيح فلا بد أن كان بعض اليهود من المتزمتمين الذين اغتروهم تعليم يسوع للجموع بعيداً عن المجمع ، ولكنه كان حكياً في عمله يعرف متى وكيف يدخل الطرق الجديدة في عمله . . لعل كنيسته تتخذة مثالا لها وتفنش عن طرق جديدة تقدم بها الإنجيل .

هذه المرحلة الجديدة التي بدأها يسوع كانت تحتاج إلى طريقة جديدة للتعليم ، فاختار الأمثال ليعلّم بها الناس .

فما هو المثل؟ المثل لفظياً هو شيء يوضع بجانب شيء آخر : أى أنه شيء يقارن بشيء ثان . فالمثل هو قصة أرضية توضع بجانب حقيقة سماوية لتوضحها ، حق أرضى يشرح الحق السماوى حتى يستطيع الناس أن يفهموه ويلمسوه . ولكن لماذا استخدم يسوع هذه الطريقة؟ لماذا أكثر من استخدامها حتى أصبحت من مميزات تعليمه وحتى أطلق عليه : سيد الأمثال؟

١ - إن السبب الأول والأهم في انتهاجه طريقة المثل في التعليم هو جذب انتباه الجماهير ، وتوصيل الرسالة كاملة إليهم ؛ إن الجمهور الذى جاء ليسمع يسوع لم يكن جمهور المجمع الذى يضطر إلى البقاء لنهاية الكلام سواء فهم الكلام أم لم يفهمه ، ولكنه كان جمهوراً آخر يستطيع أى واحد منهم أن يتحرك في أى

وقت بشاء .. إنه ليس مكان العبادة . فكان على يسوع أن يثير اهتمامهم بما يقول وإلا لبقى وحده . يقول فيليب سيدنى فى قصيدة « مر الشاعر » « بقصة جميلة قد جاء إليكم . . بقصة قد تجذب الطفل عن لعمه والشيخ عن المدفأة » . إن الطريقة المثلى لجذب انتباه الجماهير هى القصة وقد فعل يسوع ذلك .

٢ - إن طريقة التعليم بالأمثال كانت طريقة مألوفة لدى المعلمين والسامعين من اليهود ، والمهد القديم يحوى كثيرا من هذه الأمثال . أشهر المثل الذى ساقه ناثان النبي لداود عندما سرق بنشيع من زوجها عن النعجة التى سلبها الغنى من الفقير (صم ١٢ : ١ - ٧) والرييون اليهود زاولوا هذه الطريقة حتى لقد قيل عن الربانى ميير meir إن ثلث تعاليمه كانت قوانين والثلث الثانى كان تفاسير أما الثلث الأخير فكان أمثالا . ولعل مثاين من أمثلة المعلمين اليهود تكشف الطريقة التى بها علموا بالأمثل : المثل الأول قاله المعلم يهوذا الأمير (١٩٠ ق . م) عندما سأله أنطونيو الامبراطور الرومانى كيف يمكن أن يكون هناك ثواب وعقاب فى الآخرة إذا كان الروح والجسد سينفصلان ويستطيع كل منهما أن يلقى اللوم على الآخر فى ارتكاب الخطايا ؟ فأجاب المعلم بهذا المثل « أحد الملوك كان يمتلك حديقة بها إحدى الثمار الفادرة : وقد وضع لها رجلين لحراستها أحدهما أعمى والآخر أعرج . وفى أحد الأيام قال الأعرج للأعمى إننى ألتح ثمرة جميلة هناك احملنى لىكى أقطفها وأنا أكلها معاً ، فحمله الأعمى وهكذا أخذوا الثمرة وأكلوها معاً . ويوما ما جاء الملك وطلب الثمرة فلم يجدها ولما سأل الأعرج عنها قال له « إننى أعرج لا أستطيع أن أصل إليها » وسأل الأعمى فأجاب « إننى أعمى ولا أستطيع حتى أن أراها » . فإذا بعمل الملك ؟

إنه يضع الأعرج فوق الأعمى ويدينهما معا . هكذا يفعل الله إنه يرجع الروح إلى الجسد ثم يعاقبهما معا على خطيئتهما .

أما المثل الثاني فقد قال الرباى زيرا عندما رفع مرثاه على ابنه أبين الذى مات فى سن الثامنة والعشرون « ملك كان له كرم استأجر عددا من العمال ليعملوا فيه ، وكان أحدهم ذكيا نابها ، فاذا يعمل الملك ؟ استدعاه من بين العمال وسار معه فى الحديقة يتسكلمان معا . وعندما جاء العمال مساء لياخذوا أجرتهم أعطى هذا العامل الذكى أجراً كأى واحد منهم ، فذمر الباقون قائلين : « كيف يأخذ مثلنا وهو لم يعمل غير ساعتين بينما تعينا نحن اليوم كله ؟ » فأجابهم الملك قائلاً « لماذا أنتم غاضبون ؟ إن هذا الشاب قد عمل فى مدى ساعتين قدر ما عملتم أنتم طيلة النهار فاستحق أجر اليوم كله » هكذا الرباى أبين بن زيرا : لقد استوعب فى مدى ٢٨ سنة ما لا يستطيع الناس أن يستوعبوه فى أقل من مائة عام ولهذا فقد تم عمله ونقل إلى الفردوس قبل آترابه ولن يفقد آخرته فى النهاية .


ومن هذا نرى أن يسوع قد استخدم أسلوباً فى التعليم كان مألوفاً عند اليهود ويستطيعون أن يفهموه .

٣ - والسبب الثالث الذى لأجله استخدم يسوع طريقة التعليم بالأمثال هو أنه أراد أن يجعل الأفكار المعنوية محسوسة ملموسة حتى يستطيع أن يفهمها الناس . فمعظم الناس لا يفهمون إلا بالصورة . فنلنا نستطيع أن نتكلم عن الجمال ساعات طويلة ولكننا لا نفهم الجمال على حقيقته إلا عندما نرى شخصاً جميلاً ، ونستطيع أن نتكلم عن الصلاح ولا نفهمه إلا عندما نرى عملاً صالحاً ؛

فكل كلمة يجب أن تتجسد ، وكل فكرة يجب أن تتحقق في شخص ، وعندما تكلم المهدي الجديد عن الإيمان لم يتكلم كلاماً مجرداً ولكنه وضع إبراهيم مثلاً للإيمان ، تجسد الإيمان في شخص . وهكذا فعل يسوع لأنه كان معلماً حكماً ، فلم يجابه العقول البسيطة بالأفكار المجردة بل وضمها في صور . . في أعمال .. جسدها في شخصيات وهكذا فهمها :

٤ - وأخيراً هناك الميزة العظمى للمثل وهي أنه يجبر الإنسان أن يفكر لنفسه . فالمعلم لا يعطى المتعلم المعلومات جاهزة بل يدفعه لأن يستقرىء ويكشف الحق لنفسه ، ولعل أكثر الطرق التعليمية خطأ في تعليم الطفل هي أن تفكر له وتعمل له عمله . . أنت لا تنفمه عندما تحمل له مشكلة الحساب وتكتب له مقال الإنشاء .. إنك تنفمه إن ساعدته لكي يفكر لنفسه . وهذا ما قصد إليه يسوع ، فالحقيقة التي يكتشفها الإنسان لنفسه يكون لها ضعف تأثير الحقائق التي يتسلمها من الغير . فيسوع أراد أن يجعلهم يتعبون في التفكير .. لم يرد أن تريح عقولهم بل أن يدعها تعمل وتشغل ، لم يرد أن يأخذ عنهم مسئوليتهم بل أن يجعلهم إياها ، ولهذا فقد علمهم بأمثال وشجعهم على أن يفكروا لأنفسهم . وعندما يفكر الإنسان في المثل الذي يقدم له ويستخرج الحقيقة التي تكمن خلفه عندئذ يستطيع أن يقول بحق : إن هذه الحقيقة قد أضحت ملكه هو .

من الأرض إلى السماء

اشْمَعُوا . هُوَذَا الزَّارِعُ  لِيَزْرَعَ . وَفِيآ هُوَ يَزْرَعُ

سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَجَاءَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ . وَسَقَطَ
 آخَرَ عَلَى مَكَانٍ مُحْجَرٍ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ . فَجَبَّتْ
 حَالًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تُحْمَقُ أَرْضٍ . وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ
 اخْتَرَقَ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ . وَسَقَطَ آخَرَ فِي الشَّوْكِ .
 فَطَلَعَ الشَّوْكَ وَخَنَقَهُ فَلَمْ يُعْطِ ثَمَرًا . وَسَقَطَ آخَرَ فِي الْأَرْضِ
 الْجَيِّدَةِ . فَأَعْطَى ثَمَرًا يَصْمَعُدُّ وَيَنْمُو . فَأَتَى وَاحِدٌ بِنَاتِلَيْنِ
 وَآخَرَ بِسِتَيْنِ وَآخَرَ بِمِثَّةٍ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ
 فَلْيَسْمَعْ .

(مرقس ٤ : ٣ - ٩)

وعندما نؤجل تفسير هذا المثل إلى أن نصل إلى تفسير مرقس له ،
 ولناخذ الآن كمينة للأمثال التي نطق بها يسوع . كان المنظر شاطيء بحيرة .
 ويسوع جالس في سفينة تبعد قليلا جدا عن الشاطيء . . . وشاطيء البحيرة
 ينحدر ببطء شديد فيكون مدرجا طبيعيا يقف عليه السامعون . . وينظر
 يسوع فجأة ويشير بيده إلى رجل يعمل في حقله ويقول : « أنظروا هو ذا
 الزارع قد خرج ليزرع » هنا يكمن جوهر طريقة التعاليم بالأمثال .

١ - بدأ يسوع من القريب ليصل إلى البعيد . . من الشيء الذي يحدث
 هنا على الأرض لكي يصل بالسامعين إلى ما يحدث في السماء . . من الشيء الذي
 يراه الناس إلى الغير منظور . . من الشيء الذي يعرفه كل الناس إلى الشيء

الذى لم يعرفوه بمد ولم يختبروه . وهذه كانت طريقة يسوع المبقرية في التعليم ،
إنه لم يربك عقول السامعين بالأموال الغريبة الغامضة ، بل بدأ معهم بالأشياء
التي يفهمها الأطفال البسطاء .

٢ - وبذلك برهن يسوع عن اعتقاده أن هناك ارتباط بين الأرض
والسما ، فلم يكن من رأيه أن الأرض ما هي إلا بقعة جرداء . . بل أعلن
بتعليمه هذا أن الله يمكن أن يعلن نفسه في كثير من حوادثنا اليومية ،
وكما يعبر ولیم ثمبل « لقد علم يسوع الناس أن يروا الله في حياتهم اليومية . .
في شروق الشمس . . في نمو النبات وفي سقوط الأمطار . . ألم يكن هذا ما قاله
الرسول بولس : « لأن أموره النير منظورة ترى منذ خلق العالم مدركة
بالمصنوعات » (روميه ١ : ٢٠) . فهذا العالم في نظر يسوع ليس عالمًا ضامًا
شرياً ولكنه التعبير الظاهري عن عمل الله ومجده . في كاتدرائية القديس
بولس يرقد جثمان المهندس كرسستوفر رين الذي بنى هذه الكاتدرائية ، وعلى
قبره كتبت هذه العبارة اللاتينية إن أردت أن تنظر إلى جسده فانظر حولك » .
وبالمثل تضمنت تعاليم يسوع هذا القول : « إن أردت أن ترى الله فانظر من
حولك » . فقد رأى أن علامات كثيرة تكن في الأشياء العامة تقود أي إنسان
يستطيع أن يقرأها جيداً إلى الله .

٣ -- إن جوهر الأمثال إنها بنت وقتها . . نخرج من يسوع سهلة بسيطة ،
فلم يعمل يسوع شيئاً سوى أن ينظر من حوله ، ويرى الزارع يبذر ، فيتخذ
من هذا العمل مادة يتصل بها إلى الشعب ، إنه لم يدخل إلى حجرة الدرس ،
ولم يحاول أن يؤلف قصة ، إن سر عظمة الأمثال إن يسوع فكر فيها وكونها
في لحظة واحدة ، إن متطلبات الفرصة الحاضرة هي التي خلقتها . وفي هذا

يقول س. ح. كادو « إن المثل هو فن قد صيغ لتعصده الخدمة والصراع في نفس الوقت ، ولهذا السبب فصيغة الأمثال الأصيلة نادرة فهي تعتمد على شيء كبير من الفن الذي يتجلى وقت الأوقات العصبية . ففي الأمثال الثلاثة المشهورة في الكتاب مجد هذا الأمر : فالمثل الذي قاله يوثام (مص ٩ : ٨ - ١٥) عن الشجر هرب بعد أن نطق به . والثاني الذي قال ناثان لداود عن النعجة التي سلبها الغني من الفقير (٢ صموئيل ١ : ٢ - ٧) كان يعرف أنه يقول لجبار قد يقتله . والمثل الثالث الذي نطق به يسوع عن الكرامين الأردباء نطق به وهو يذكر فيه موته .

وهكذا فأخص خصائص المثل أنه فن يقال في وقت النضال ، وليس مقطوعة شعرية أو موسيقية تكون وقت الهدوء والطمأنينة . ففي قته نجد عمقاً في الشاعر وحساسية وشجاعة كاملة تدفع القائل إلى عدم الخوف والتهيب من المواقف الخطرة ، وعندما نعجب بأمثال يسوع لنذكر أنه قالها بدون تجهيز بل كانت بنت الساعة . . وهذا يزيد من إعجابنا بمقدرته الفنية وشجاعته الفائقة .

٤ - هذا يجيء بنا إلى مناقشة الكيفية التي بها نفسر المثل . فالأمثال قيلت لنسمع لا لتقرأ ، ولم تقل لكي يبحثها الشخص فقرة فقرة ولا كلمة كلمة . إنها قيلت لا لكي تدرس بل لكي تحدث تأثيراً ورد فعل عاجل . وهذا يعني أن المثل لا ينبغي أن يدرس « كالمجاز » فالمجاز به يدرس بالتفصيل ، والقصة تخفى معانٍ يجب أن يبرزها القارئ ، وأشهر مثل على ذلك قصة سياحة للسيحى « فكل حادثة فيها وكل شخص له معنى رمزي . ولهذا فالقصة المجازية كتبت

لكي تقرأ لا لكي تسمع . فهي تحتاج إلى البحث والنقص . أما المثل فهو قصة
 قيلت مرة وسمعت مرة واحدة . ولهذا فعندما نقرأ المثل ينبغي ألا نفكر
 في تفاصيل دقيقة وماذا تعنى بل أن نبحث عن الفكرة المقصودة منه . إنه من
 الخطأ أن نقطع المثل إلى أجزاء لكي نعرف ماذا يعنيه كل جزء .. إن أروع
 طريقة لمعرفة المثل ولفهمه هي أن تسأل نفسك « ما هي الفكرة التي أبرقت
 من فم يسوع عندما نطق بهذا المثل ، والتي قصدتها لكي يكون لها التأثير
 الأسمى على عقل السامع » ؟ وبهذا نستطيع أن نعرف أمثال المسيح وتفسيرها .

سر الملكوت

وَلَمَّا كَانَ وَحْدَهُ سَأَلَ الَّذِينَ حَوْلَهُ مَعَ الْإِنِّي عَشَرَ عَنِ
 الْمَثَلِ . فَقَالَ لَهُمْ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ اللَّهِ .
 وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالْأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ .
 لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلَا يَنْظُرُوا وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلَا يَفْهَمُوا
 لِئَلَّا يَرْجِعُوا فَتُخْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ .

(مرقس ٤ : ١٠ - ١٢)

يعتبر هذا الفصل من أعقد الفصول وأصعبها ، فنحن نواجه كلمة سر
 ملكوت الله . وكلمة سر كلمة يونانية ، فهي لا تعنى شيئاً معقداً لا يفهم ،
 ولكنها تعنى شيئاً معلقاً عن الشخص الذي لم يختبره ، ولكنه واضح لمن
 اختبره .

ولقد كان من أهم مميزات العصر الذى كتب فيه العهد الجديد انتشار الديانات السرية ، وسبب انتشارها أنها كانت تعد الداخلين إليها بالإتصال بأحد الآلهة والعشرة معه ، وبذلك تزول كل مخاوفه والآية التى يقابلها فى الحياة والموت .

ولقد كانت معظم هذه الديانات تنبى على أسطورة إله يتألم ويموت ويقوم من الموت ، وكل طقوس هذه الديانات تدور حول قصة هذه الآلام . وكانت إحدى هذه الديانات وأشهرها هى تلك المتعلقة بأسطورة ايزيس المصرية . وهذه الأسطورة تتلخص فى أنه كان هناك ملك صالح حكيم اسمه أوزوريس ، له أخ شرير يكرهه اسمه سيت . ولقد دير سيت الشرير لأخيه مؤمراة مع سبعين شخصا آخرين لى يقتلوه ، فدعاه يوما إلى وليمة وهناك أغراه أن يدخل فى صندوق يشابه الكفن يلائمه تماما ، ففعل أوزوريس ذلك بسلامة نية . ولكنه حالما دخل قفلوا عليه الغطاء بسرعة ثم حملوه وألقوه فى النيل . وبجثت عنه ايزيس زوجته الخالصة أياما طويلة ، وأخيرا وجدته وحملته إلى المنزل . ولكن يوما جاء سيت الشرير إلى البيت وهى غائبة وسرق الكفن مرة أخرى وقطع جسد أخيه أربع عشرة قطعة ونثرها فى طول مصر وعرضها . فنجت ايزيس وخرجت مرة أخرى لتفتش على جثة زوجها ولما وجدت القطع المتناثرة ركبها مرة أخرى بعضها على بعض ثم نفخت فيها الحياة ، ومن ذلك الوقت أضحي الملك الخالد للأحياء والأموات . هذه إحدى الأساطير التى بنيت عليها الديانات القديمة . بقى أن نعرف كيف كانت تجرى الطقوس عموما . كان الشخص الذى يريد أن يدخل الى هذه الديانة يقوم بتطهيرات وصيامات

وتصوّف طويل إلى أن يتفهم عمليا معنى القصة أو الأسطورة ، وعندئذ يحضر طقساً تمثل فيه الأسطورة تمثيلاً عملياً من آلام وموت وقيامه الإله وانتصاره على الموت ، وكانت تصاحب هذه التمثيلية للموسيقى والبخور والأغاني الدينية وبذلك تضى على الجورهة وروعة . وحالما تنتهى الطقوس يشعر العابد أنه قد أصبح واحداً مع الإله فى الآمه ونصرته؛ هذه الوحدة تنقله من الموت إلى الخلود ، وتصبح هذه الطقوس ، التى لا معنى لها لكل شخص خارجى ، شيئاً له كل الأهمية للمتعبد . هذا هو المعنى الأساسى للكلمة اليونانية « ماستريون » .

إذن ماذا يعنى العهد الجديد عندما يتكلم عن « سر » ملكوت السموات؟ قطعاً إنه لا يعنى أن الملكوت بعيد عن الإنسان غامض مبهم لا يفهم ، ولكنه يعنى أنه شيء لا معنى له للشخص الذى لم يسلم قلبه وحياته ليسوع ، أما الشخص الذى اتخذ يسوع سيداً ورباً لحياته فهو الذى يعرف حقيقة ملكوت الله .

لكن صعوبة هذا الجزء لا تكمن فى كلمة سر بل فى النطق الذى ذكره يسوع بعد ذلك فلو أخذناه على علانته لا ستنجنا منه أن يسوع قصد من الأمثال أن يخفى قصده وغرضه عن الناس العاديين فلا يفهموه . ولكننا نربأ بيسوع أن يفعل ذلك وهو الذى أراد أن الجميع يأتون إليه ، إنه لم يستخدم الأمثال ليخفى قصده عن الإنسان العادى بل لكي يساعده على أن يكتشف الحقيقة لنفسه فيفرح بها وتصبح ملكة . فكيف إذن صيغت هذه العبارة . إنها أصلاً اقتباس من إشعياء ٦ : ٩ ، ولقد كان سبباً فى مخاوف كثيرة واختلافات متعددة مدة قرنين من الزمان قبل مجيء المسيح ويحسن أن نترجمها حرفياً « الترجمة من عمل . . . وى اوسترى » .

« اذهب اذهب وقل لهذا الشعب : استمعوا في سمعكم ولكن لا تفهموا
استمعوا في نظركم ولكن لا تروا . غلط قلب هذا الشعب وثقل آذانه
واطمس عيونه لئلا ينظر بعيونه ويسمع بأذانه ويفهم بقلبه فيشفى مرة
أخرى » .

هذا يعنى - بدون موارد - أن الرب يأمر إشعيا أن ينتهج طريقا في
تعليمه يطمس به أذهان الناس فلا تفهم ، ولهذا السبب فقد اضطر مترجمو
الترجمة السبعينية - وهى الترجمة اليونانية للعهد القديم - أن يغيروا النص في
ترجمتهم هكذا :

« اذهب وقل لهذا الشعب : سنسمعون سمعا ولكن لا نفهمون ، وابصارا
ستبصرون ولكن لا تفهمون لأن قلب هذا الشعب قد غلط وسمعهم قد
ثقل وعيونهم اقلت . لئلا يوما ما ينظرون بعيونهم ويسمعون بأذانهم
ويفهمون بقلوبهم ويتغيرون وأنا أشفيهم » .

ووجه الاختلاف هنا أن السبعينية جمعت الناس هم الذين يغلظون قلوبهم -
وليس الله كما تذكر النسخ العبرية - حتى لا يفهموا رسالة الرب لهم . وتفسير
هذا الاختلاف هو المعجز عن تصوير الصوت البشرى في الورق ، وإشعيا كان
ينطق هذه الرسالة في سخرية ثم في بأس ، ولكن الإثنين كانا يخرجان من
الحب الذى يكنه لهذا الشعب وكأنه كان يقول : لقد أرسلنى الله لأعلن الحق
لهذا الشعب ، ولكنهم أغلقوا عقولهم ولم يريدوا أن يسموا فكنت كمن
يخاطب أحجاراً ميتة . كما أن الله قد أغلق عقولهم فلم يعودوا يفهمون .

وهكذا كان الأمر مع يسوع فإنه كان يريد أن يدخل الحقيقة في عقول الناس ولكنه كان ينظر إليهم فيجد فيهم غباوة وبطء شديدين ، فالتفت إلى تلاميذه قائلاً « هل تذكرون ما قاله إشعياء عندما حمل رسالته التي أخذها من الله إلى هذا الشعب ؟ وعندما وجد الشعب غيباً وبطيئاً في فهمه ؟ هل تذكرون أنه قال عنه : إنه هكذا غبي كأنما الله قد طمس ذهنه حتى لا يفهم ؟ هكذا أشعر أنا في هذه الأيام » . قال ذلك لا عن تشفي وحقد وكرهية ولكن بدافع المحبة المتألمة الحزينة التي حاولت أن تهب وأن تعطي ولكنها وجدت الصدود والرفض من الآخرين . فعندما نقرأ هذا الجزء دعنا نقرأه ونحن نذكر أن يسوع لم يكن غاضباً ولكنه كان حزينا متألماً لأنه أحب إلى المنتهى . إننا بذلك لا نرى الله وهو يطمس أعين الناس وأذهانهم ، بل نرى أناساً قد سدوا أذهانهم بكيفية لم يجد فيها الله رجاء في فتحها وإعطائها احتياجها . لينقذنا الرب من حالة مروعة كهذه .

الحصاد مؤكد

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَمَا تَعْلَمُونَ هَذَا الْمَثَلَ . فَكَيْفَ تَعْرِفُونَ جَمِيعَ الْأَمْثَالِ . الزَّارِعُ يُزْرِعُ الْكَلِمَةَ . وَهُوَ لِأَنَّ هُمْ الَّذِينَ عَلَى الطَّرِيقِ . حَيْثُ تُزْرِعُ الْكَلِمَةَ وَحِينَئِذٍ يَسْمَعُونَ يَأْتِي الشَّيْطَانُ لِلْوَقْتِ وَيَنْزِعُ الْكَلِمَةَ الْمَزْرُوعَةَ فِي قُلُوبِهِمْ . وَهُوَ لِأَنَّ كَذَلِكَ هُمْ الَّذِينَ زَرَعُوا عَلَى الْأَمَاكِينِ الْمُحْجَرَةِ . الَّذِينَ حِينَئِذٍ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ

يَقْبَلُونَهَا لِلْوَقْتِ بِفَرَجٍ . وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ فِي ذَوَاتِهِمْ
بَلْ هُمْ إِلَى حِينٍ . فَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا حَدَّثَ ضَيْقٌ أَوْ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ
الْكَلِمَةِ فَلِلْوَقْتِ يَعْتُرُونَ . وَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا بَيْنَ الشُّوكِ
هُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمُونَ الْكَلِمَةَ . وَهُمُومٌ هَذَا الْعَالَمِ وَعُرُورٌ
الْفَنَى وَشَهَوَاتُ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ تَدْخُلُ وَتَخْنُقُ الْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلاَ
تَمَرٍ . وَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ . الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
الْكَلِمَةَ يَقْبَلُونَهَا وَيُثْمِرُونَ وَاحِدٌ ثَلَاثِينَ وَآخَرُ سِتِّينَ
وَآخِرُ مِائَةٍ .

(مرقس ٤ : ١٣ - ٢٠)

لا بد أن السامعين فهموا هذا التفسير لأنه لم يكن غريبا عليهم إذ بناه
الرب على الأعمال اليومية المألوفة . وقد أظهر السيد في تفسيره أربعة أنواع
من الأرض :

١ - النوع الأول هو الأرض الصلبة التي تمتد بجوار الطريق ، كانت
الحقول في فلسطين عبارة عن قطع ضيقة من الأرض ممتدة طوليا إلى مسافات
بعيدة ، وكان يفصلها بعضها عن بعض طريق من الحشيش الأخضر أضحت
صلبة لكثرة السير عليها . وكانت البذور تسقط عليها بإحدى طريقتين: إما أنها
كانت تنفلت من يد المزارع وهو يلقي بالبذار على الأرض ، وإما أنها كانت
تسقط من كيسه الذي كان يحمله الحمار ، فقد كان المزارع يضع كيس البذار

على حماره ، ويقطع هذا الكيس من أحد أطرافه ، ثم يقود الحمار جيئة وذهاباً ، تاركاً البذار تسقط على الأرض ، ولا بد أن بعضها كان يسقط من فتحة الكيس على جانبي الطريق . وحالما تسقط البذار على جانبي الطريق — بطريقة أو بأخرى — فإن الطيور كانت تأتي وتلتقطها . هذه الأرض الصلبة المجاورة للطريق تشابه قلوب بعض الناس فهي لا تفتح للمسيحية حتى تدخلها لأنهم لا يهتمون بذلك ، وعدم اهتمامهم بها راجع إلى عدم جديتهم في تفهمهم لها وكثيرون يجهلون عمق المسيحية ، لأنهم ضدها ، بل لأنهم لا يبالون بها ، كأن يعتقدون أنها غير صالحة لحياهم ، فلا داعي للاهتمام بها ، وقد نواقهم على ذلك لو كانت الحياة سهلة لينة كل الأيام ، ولكن كثيراً ما يأتي الوقت حين يكتشف الإنسان أنه يحتاج إلى قوة خارجا عن نفسه ، أعظم من قوته ، ليواجه بها الحياة المتجهم الملوء بالأزمات . . . وكثيراً ما يكون ذلك - وللأسف متأخراً .

٢ — الطريق الثاني هو الطريق الصخري ، وتربة الجليل ، أو معظمها ، عبارة عن قشرة رقيقة من الأرض الصالحة للزراعة ، تكمن تحتها طبقات صخرية غير صالحة لنبات أو أية زراعة ، فعندما تبذر البذرة تغمو حالا ، ولكن عندما يصل جذرها إلى الأحجار يمجز عن أن يخرقها فلا يجد غذاء له فيجف وتضربه الشمس فيموت ، وهذه الظاهرة تسكشف لنا على أنه قد نبدأ بداية حسنة ، كما يفعل النبات ، ولكن نعجز عن أن نكمل .

وقد قال أحد الرعاة « إن ربح نفس المسيح يحتاج إلى ٥ ٪ من العمل أما حفظها في علاقة معه فيحتاج إلى ٩٥ ٪ » ، وما أكثر الذين دخلوا المسيحية ،

ولكن الذين بقوا فيها أقل بكثير . ولهذا الفشل سببان : الأول هو فشل الإنسان في حساب النفقة والثاني هو أنهم أعجبوا بالمسيحية إعجاباً سطحياً ولكنهم لم يفتحوا لها القلب . والمسيحية لا تعيش في المساومات وأنصاف الحلول : فإما أن تمتلك كل الحياة وإما لا شيء ، ولا يستطيع الإنسان أن يشعر بالأمان الكامل إلا إذا سلم نفسه تسليماً كلياً للمسيح :

هل هناك أية قوة تحت الشمس .

تحاول أن تجذب قلبي وتشاركك فيه ؟

أخرجها وتملك وحدك .

يا إله كل حركة في قلبي .

٣ - أما النوع الثالث من الأرض فهي المملوءة بالشوك . وكان الشوك كثيراً يملأ التربة الفلسطينية وسبب ذلك أن الفلاح الفلسطيني كان كسولاً يكتفى بقطع أعلى الأشواك أو يحرثها ويترك جذورها ، وبهذا يعطي الفرصة للجذور أن تنمو مرة أخرى متكاثرة متوحشة . وهذا ما يحدث في الحياة الروحية ، فقد تمتلئ الحياة بالإهتمامات العادية فلا تبقى مكاناً للمسيح فيها كما قال الشاعر « إن هموم هذه الحياة قد تصبح كالقبار العالق حتى أننا ننسى لأننا نريد ذلك بل لأننا نجبر عليه » : ولكن كلما تعقدت الحياة كلما شعرنا بالحاجة إلى التأكد من أن حياتنا نحن تسير في الطريق الصحيح ، فهناك عوامل كثيرة تحاول أن تحجز المسيح من أن يكون الأول في حياتنا .

٤ - أما النوع الأخير من الأرض فهي ذات التربة العميقة الخالية من

الأحجار والأشواك ، وإذا أردنا أن ننتفع بالرسالة المسيحية فلننتبه إلى الدروس الثلاثة التي يحتويها هذا المثل :

(ا) يجب أن نستمع هذا الرسالة ؛ ولن نستطيع أن نسمعها ما لم نضع إليها . إن طابع حياة الكثيرين منا هو أنهم يتكلمون كثيراً فلا يسمعون غير صوت أنفسهم ، ويجادلون كثيراً فلا يقدرّون أن يصفوا للغير ، ويتحسّسون لأفكارهم فينسون أفكار المسيح ، ويتحركون كثيراً فلا يكون عندهم الوقت للهدوء والتأمل .

(ب) يجب أن نقبلها فعندما نسمع الرسالة المسيحية يجب أن نضعها في عقولنا . ولكن ما أغرب هذه العقول البشرية ، إنها تماماً كالأجسام ، تتكثل كل قواها ضد أي شيء غريب يدخل إليها وتطرده ، فالعين مثلاً تغمض لا إرادياً إذا حاول أي جسم غريب أن يدخل فيها ، وهكذا العقل فإنه يقفل بابه حالما تطرقه بعض الأفكار التي لا يستسيغها ، وقد يكون الحق مؤلماً فيتصلب العقل في عدم قبوله ، إذ يعتبره شيئاً غريباً عنه ، ولكن كم من المرات التي نحتاج فيها إلى هذه الجرعة المرة من الحق والنور لكي نعرف أنفسنا ونستفيد ، فإن أوصدنا مسالك عقولنا في وجه الحقائق فإننا سنقابل الكوارث ونحن لا ندري .

(ج) يجب أن نحولها في حياتنا إلى طاقة عملية ، يذكر السيد أن الحصول وفير جداً ثلاثون وستون ومائة ، ولكن ليس هذا بالكثير على تربة الجليل البركانية الشهيرة . وهكذا الحق المسيحي يجب أن يوضع في عمل .. في حركة ، فالمسيحي لا يستطيع أن يبرهن على مسيحيته أمام التعديلات الكثيرة بالنظريات بل بالأعمال .

ولكن هذا التفسير هو تفسير من جلس وقرأ المثل وتمعن فيه ، ولكن هذا لم يكن سهلاً للذين سمعوه من فم يسوع ، لقد قاله لجموع كثيرة ، ولا يمكن لهذه الجموع أن تستنتج منه دفعة واحدة كل هذه المعاني ، لكن هناك معنى واحد فهمه السامعون وهو : مع أن جزء من البذار قد ضاع لكن الحصاد في النهاية سيكون وفيراً . لقد قال يسوع هذا المثل للتلاميذ الخائفين ليزيل عنهم اليأس ، لقد رأوا سيدهم يطرد من المجمع ورسالته في كثير من الأحيان لانأى بشرها فيئسوا وخافوا ولكن يسوع في هذا المثل قال لهم « صبراً .. أعملوا عملكم . أذبوا البذار . واركبوا الباقي لله .. إن الحصاد سيكون ضخماً وفيراً »

النور الذي ينبغي أن يرفع عالياً

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ أَوْ
تَحْتَ السَّرِيرِ . أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَنَارَةِ .

(مرقس ٤ : ٢١)

الأعداد من ٢١ - ٢٥ من هذا الأصحاح أعداد في غاية الأهمية لأنها تكشف النقاب عن المشاكل التي كانت تواجه كتاب الأنجيل ؛ ففيها نجد أربعة أقوال للمسيح : ففي عدد ٢١ مثل المصباح ، عدد ٢٢ عن إعلان ما يقال في السر ، عدد ٢٤ عن المجازاة التي ينالها الإنسان عما فعل ، عدد ٢٥ يذكر أن من له سيعطى ويزداد . هذه الأقوال الأربعة التي نجدتها في مرقس جنباً إلى جنب نجدتها مبعثرة هنا وهناك في إنجيل متى ، فالمثل الأول يظهر في (متى ٥ : ١٥) ، والثاني في (متى ١٠ : ٢٦) والثالث في (متى ٧ : ٢) والرابع في (متى ١٣ : ١٢ ، ٢٥ ، ٢٩) . ولهذا السبب يجب أن نكون عمليين ولا نحاول أن نبحث

عن خيط يربط هذه الأمثلة أو الأقوال الأربعة لأنه لا يوجد ما يربطها معاً ،
إنها أقول منفصلة ويجب أن ندرس كل واحد على حدة .

ولكن كيف يحدث هذا ؟ كيف يحدث أن مرقس يكتبها متتابعة بينما
ينثرها متى في إنجيله هنا وهناك ؟ السبب بسيط : لقد كان يسوع بليماً ذا أسلوب
نفاذ ، فكأنت كل كلمة يقولها تدخل إلى أعماق الذاكرة ولا يمكن أن تنسى
وإلى جانب ذلك لا بد أنه كان يكرر كثيراً من تعاليمه . . لقد كان واعظاً
متجولاً ينتقل من مكان إلى مكان ومن جماعة إلى أخرى ، فلا بد - والحالة
هذه - أنه كرر كثيراً من أقواله وأمثاله . . ولا بد أن الناس سمعوا وحفظوها
ونتيجة لذلك كان الناس يتذكرون أقوال يسوع الحية المؤثرة ولكنهم في
نفس الوقت نسوا الموقف الذي قيلت فيه ، ولهذا فقد جاءت أقوال كثيرة له
لا يعرف بالضبط المناسبة التي قيلت فيها . فظهرت ما يسميه الناس بالأقوال
« اليتيمة » ، ولهذا السبب ينبغي علينا أن ندرس كثيراً من أقوال المسيح
القوية الأخاذة كلا على حدة .

وأحد هذه الأقوال الحية قوله هذا : لا يعقل أن إنساناً يضيء سراجاً ويضعه
تحت المكيال أو تحت السرير ، بل على المنارة حتى يراه الناس ويساعدهم على
رؤية الأشياء . . لا بد أن يوضع في مكان عام ليراه كل الناس . ولنا في هذا
القول درسان :

١ - أعطى الحق لكي يراه الناس : إنه لم يقصد به أن يخفى عن الأعين :
نعم لا ينكر أنه كثيراً ما يكون إعلان الحق خطراً على قائله . . كثيراً ما يسبب
الإضطهاد والألم لمن يعلنه ، ولكن مع ذلك ينبغي على المسيحي أن يقف بجانب

الحق ولو كان ضدًا لكل الناس ، ومن أمثلة الرجال الأقوياء للحق لوثر ، فقد اكتشف لوثر أن صكوك الغفران ، التي بموجبها يستطيع أى إنسان أن يشتري غفرانا لخطاياها ، باطلة وضد الكتاب ، وعندما اكتشف ذلك لم يسكت بل كتب خمسًا وتسمين بنداً ضدها ، وذهب إلى كاتدرائية كل القديسين في وتبرج والصق اعتراضاته هناك ؟ وقد كانت المادة أن تلتصق على باب هذه الكنيسة للملحقة بالجامعة المناقشات العلمية المحضة . ولهذا فقد كانت أم مكان لإعلان الرأى ؛ والأهم من ذلك فقد كان اليوم الذى أعلن فيه لوثر اعتراضاته هذه وألصقها على باب الكاتدرائية هو يوم تذكار بناء هذه الكنيسة فامتلات بالناس الذين جاءوا من كل فيج وصوب . وبهذا أعلن لوثر أنه رجل قوى . . . فلو تمسك بالحذر والدبلوماسية لما أخرج إعتراضاته إلى الوجود ، ولو كان يفتش عن الأمان والاطمئنان لما رضى أن يلصقها على باب الكاتدرائية ، ولو كانت نفسها لسا لصقها في ذلك اليوم للشهود المزدحم بالناس ، ولكن لوثر لم يكن يهتم بهذه كلها قدر ما كان يهتم بإعلان الحق الذى اكتشفه .. وهكذا قد أتى وقت فيه نعرف تماما ماذا يجب أن نفعل وماذا يجب أن نتكلم ولكن مع ذلك نحجم عن العمل والكلام لأننا نحتاج من النتيجة المرة والعواقب الوخيمة لكن لنذكر هذا أن سراج الحق يجب أن يرتفع لأنه أهم من كل الرغبات ، إنه أبهى من الحياة ومن النفس ذاتها .

٢ - القصد من مسيحيتنا أن يراها الناس : وقد كان هذا الإعلان قاسيا على المسيحيين الأوائل . فقد كان يعنى الموت . وسبب ذلك أن الدولة الرومانية امتلكت العالم المعروف في ذلك الوقت ولكي تترايط أجزاء هذه الإمبراطورية الواسعة بدأت عبادة الإمبراطور . وصار الإمبراطور رمزا للدولة وتجسيدا لها

ونصب الإمبراطور إلهًا بعبده كل الرعايا ، عبادة ليست روحية كما نفهمها ، ولكنها عبادة سياسية ، بمعنى أن الشخص بعدما يقدم ذبيحة للإمبراطور الإله يعطى شهادة أنه مخلص للدولة ، وبعد ذلك يستطيع أن يعبد أى إله يشاء . وما كم إحدى الشهادات .

« إلى أولئك المسئولين عن الذبائح : أنا ربوس أكبوس من قرية ثيوكتانيس وأولاده إياس وهيرا القاطنين بقرية ثيادلفيا نعلمكم أننا نقدم ذبائحنا الآن وفق حضرته كما هو مطلوب منا ، قد ذبحنا وسكبنا سكاثيا وذبائحنا ولذلك نسألكم أن تعطونا شهادة بذلك والسلام » .

ثم تردف هذه الشهادة بالقول : « نحن سریتاس وهرمس نشهد أنكم قدتم الذبائح » .

وكل ما كان يجب أن يفعله المسيحي هو أن يقوم بهذه الأعمال الرسمية ويأخذ شهادة بذلك ويمش بأمان ، ولكن التاريخ يخبرنا أن الآقا منهم ماتوا لأنهم رفضوا أن يعملوا ذلك . كان يمكنهم أن يخفوا مسيحتهم عن الناس ويمشوا في أمان مسيحين في الخفاء ولكنهم لم يفعلوا .. إنهم كانوا يعتقدون أن المسيحية حق يجب أن يشهدوا له ويعلنوه . إنهم عرفوا أين يقفون وقد وقفوا بكل شموخ وعزة ، وكم نحن مدينون لإيمانهم هذا .

الحق الذى لا يمكن أن يخفى

لأنه ليس شئٌ خفىٌ لا يظهرُ ولا صارَ مكتوماً إلا يُعلنَ .
إن كان لأحدٍ أذنانٍ للسمعِ فليسمعِ .

(مرقس ٤ : ٢٢ و ٢٣)

إن عقيدة يسوع الراسخة هي أن الحق لا يمكن إخفاؤه ، ومهما عملوا ففى
النهاية سوف يعلن ، ويتحقق هذا الأمر لسببين :

١ - لطبيعة الحق نفسه . ففى الحق عنصر خالد لا يمكن أن يفنى ، قد
يرفض الناس أن يواجهوا الحق ، وقد يعاندوه وقد يحاولون تشويهه ولكن
« الحق عظيم ولا بد أن ينتصر فى النهاية » فى القرن السادس عشر اكتشف
كوبرنيكوس أن الأرض - بخلاف ما كان يتمسك به الناس فى عصره -
هى التى تدور حول الشمس ، ولكنه لم يستطع أن يعلن ذلك إلى أن حان وقت
وفاته ، بعد ٣٠ سنة من اكتشافه الخطير هذا ، طلب من أحد الناشرين أن ينشر
له اكتشافه هذا ففعل هذا وهو فى غاية الرعب ؛ ومات كوبرنيكوس وترك
المعممة لآخرين من بعده . وفى أوائل القرن السابع عشر آمن العالم جاليليو
بنظريات كوبرنيكوس ، وأعلن رأيه ، فثارَت الكنيسة عليه واستدعى إلى
محكمة التفتيش فى روما ، فذهب وهناك أُجبر على أن ينسكِر عقيدته ففعل ، طالبا
السلامة . وكان مما قيل رداً على النظرية الجديدة « إن الفرض الأول وهو أن
الشمس هى مركز الكون لا تدور فرض سخيف غي ضد الكتاب المقدس ..
ولا هوتيا يعتبر فكر هرطونى ، والفرض الثانى القائل إن الأرض هى

التي تدور حول الشمس سخيف ومن الوجهة الفلسفية خاطيء ، ولا هويتيا يعتبر ضد الإيمان » وسكت جاليليو لمدة سنوات إلى أن جاء يوربان الثامن ، فاعتقد أنه بابا مستنير عن سابقه ، فتجراً وأعلن رأيه مرة أخرى ، ولكنه كان مخطئاً في عقيدته ، فسرعان ما وقف أمام المحكمة وأجبر على أن يعلن إنكاره لرأيه وأن يختم هذا الإنكار بخاتمه ففعل ، وانقذ من الموت ولكنه لم ينقذ من السجن ، وجاء في إنكاره هذا القول « أنا جاليليو في سن السبعين مسجون وعلى ركبتى وأمام قداستكم وانظر بعيني إلى الكتاب المقدس وألمسه بيدي .. أنكر والعن المرطقة القائلة إن الأرض تدور حول الشمس » . ومع ذلك لم تسامح الكنيسة جاليليو وانكروا عليه أن يدفن بعد موته في مقابر الأسرة .

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية وحدها . حتى لوثر نفسه ثار ضد هذا الاكتشاف فقال « لقد صدق الناس ما قاله عالم فلكى غريب يقول إن الشمس ثابتة والأرض هي التي تدور حولها ، إن هذا العجب يريد أن يقلب كل علم الفلك ، ولكن الكتاب المقدس يعلن أن يشوع أوقف الشمس ولم يوقف الأرض » ولكن الوقت يمر وبصبح هذا الاكتشاف عقيدة ثابتة يعرفها كل إنسان ويؤمن بها سواء أكان رجل دين أم علمانيا .

ومن هذا نعلم أن القوة قد تستطيع أن تحطم الناس وقد تضعك من العلماء وتسخرهم ولكنها لا تستطيع أن تخفي الحق : يقول اندراوس مليفيل « ليس في مقدورك أن تقتل أو تسجن الحق » قد تضعك من الحق وتخفيه وتعطله ولكن الوقت سيعلم ثورة الحق أخيراً ويحطم معانديه ، فليتأكد كل إنسان أنه لا يحارب الحق

٢ — لطبيعة نفوسنا وحياتنا وسلوكنا . إن أول شيء يفعله الرجل الذي يخطيء هو أن يخفى ، وهذا ما فعله آدم وحواء [تلك ٣ : ٨] . ولا يستطيع إنسان أن يخفى الحق ، وإذا فعل فإنه يعيش تعيشا كحياته ، وفي النهاية : من ذا الذي يستطيع أن يخفى سرائره عن الله ؟ لا بد أن يتحقق قول السيد « وما من خفي إلا ويستعلن » دعنا نحيا عالمين وقاهمين أن الله يكشف كل حياتنا لنش في نقاوة ولتسكن سرائرنا نظيفة فانتنا لن نحتفظ بالسرمهما أطلنا في إخفائه .

ميزان الحياة

وَقَالَ لَهُمْ انظُرُوا مَا تَسْمَعُونَ . بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ
يَكَالُ لَكُمْ وَيَزَادُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ .

(مرقس ٤ — ٢٤)

هناك توازن ملحوظ في مجرى الحياة .

١ — هذه حقيقة واضحة في الدواسة : فكما تعمق إنسان في درس موضوع من المواضيع كلما عرف عنه واستفاد منه ، قيل عن البارثينيين القدماء إنهم لم يكونوا يسمحون لأولادهم بالطعام ما لم يتصبب جبينهم بالعرق من كثرة الشغل ، وعندئذ يتلذذون بالطعام ، هكذا الدراسة : فكما تعب المرء في الدراسة كلما أحس باللذة والسرور والاكتفاء ، وهذا ينطبق تماما على دراسة الكتاب المقدس فكما تعمقنا في دراسته كلما شبعنا نفوسنا منه ؛ حتى تلك الأجزاء التي نظنها ، عند قراءتها قراءة سطحية ، أنها صعبة وغير مجدية .. حتى هذه الأجزاء : عندما ندرسها بعق نجنى منها أعذب وأشهى الثمار الروحية . إن الدراسة

السطحية ، لأى موضوع ، غير مجدية ومملة ، ولكن الدراسة العميقة الواعية هي التي تترك العقول مملوءة ومننشية .

٢ - وهي حقيقة معروفة في العبادة : فالؤمن الذي يأتي بيدين مملوئتين إلى بيت الله لا بد وأن يأخذ على قدر ما أعطى . وهناك ثلاثة أمور خاطئة قد نسقط فيها عندما نأتي إلى بيت الله للعبادة .

(أ) قد نأتي فقط لكي نأخذ ؛ وإذا جئنا كذلك فإننا لانجد ما يكفي نفوسنا الطامعة : لانجدها في الموسيقى ، ولا في الترنيم ، ولا في العظة .. إننا نجىء إلى الكنيسة كأننا جئنا إلى ملهى حيث توضع كل البرامج لتسليتنا . هذا خطأ .. يجب أن نأتي للكنيسة لا لكي نأخذ فقط بل لنعطى أيضاً ، فالعبادة هي عمل جماعى يشترك فيه كل المابدين كل قدر طاقته ومعرفته . فليكن شعارنا إذن « ماذا نعطي » وليس فقط ماذا نأخذ ؛ ومتى دخلنا الكنيسة في روح الخدمة والتعاون فإننا سنحصد من العبادة عمقاً وكفاية لأنفسنا

(ب) قد نأتي غير منتظرين .. نأتي فقط لأننا تعودنا على الجىء .. إنها ساعة من حياتنا نقضيها وكفى .. هذا أيضاً خطأ إننا نأتي إلى العبادة لتتقابل مع الله ، وعندما نقابله لتتأكد أننا سنأخذ الكثير .

(ج) قد نأتي غير مستعدين .. وكم من مرة ذهبنا إلى بيت الله بدون استعداد ذهنى أو قلبى .. نذهب كأننا ذاهبون إلى تجارتنا أو مكاتبنا .. هذا خطأ . إننا ننال الكثير جداً لو جئنا مستعدين لو وقفنا لحظات . قبل خروجنا إلى الكنيسة . في صلاة صامتة ، لو رفمنا قلوبنا إلى الله قبل أن ندخل إلى بيته .

قال المعلم اليهودى « إن من يصلى وحده قبلا ، فهو الذى يصلى أحسن الكل فى الصلاة الجماعية »

٣ - وهى حقيقة اختبارية فى العلاقات الشخصية « إن أكثر الحقائق وضوحاً هى أننا نقرأ حياتنا فى وجوه الآخرين : فإن كنا عصبيين لنا طبيعة غاضبة فإننا نلمح عدم الرضا على وجوه الناس . وإن كنا ناقدين متصيدين لأغلاط الغير ، فلا بد أن نرى الآخرين كذلك تجاهنا ، إن كنا نشك فى الناس ولا نتق فيهم ، فالناس بدورهم يشكون فينا . إن أردنا أن يحبنا الناس فلنحبههم .. إن أردنا أنى نكسب صداقة الناس فلنظهر صداقتنا لهم ولأن يسوع وضع ثقة فى الإنسان ، وضع الإنسان ثقته فى يسوع وآمن به .

شريعة الزيادة

لِأَنَّ مَنْ لَهُ سَيِّئَةٌ . وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ .

(مرقس ٤ : ٢٥)

قد يبدو هذا القول - لأول وهلة - صعباً ، ولكن الحياة هى أكبر برهان على صدقه وأصالته .

١ - فهو صادق من ناحية المعرفة فكما نعلم للبرء فى المعرفة كلما أضحت له الإمكانية فى زيادة معرفته ، فلن يستطيع أن يعرف الأدب اليونانى ما لم يتقن قواعد اللغة اليونانية ، ولن يتذوق للموسيقى ويعرفها ما لم يتعرف على تركيب السيمفونية وبنائها ، وبذلك يحس بالكثير من السعادة . أما إذا تنازل عن

زيادة معرفته ، فالمعلومات التي كانت عنده ستصدأ وتتحلل ثم تضيع ، فكم من مرة درس الصبي لغة أجنبية ، ولكنه حالما ترك المدرسة ترك دراسة هذه اللغة فنساها ولم يعد يذكر منها شيئاً . فكلما زادت معرفة الرجل كلما تمكن من الاستيعاب ، وكلما كان كسولاً كلما عجز عن المعرفة وفقدها . والمثل اليهودي يقول « إن الطالب يجب أن يعامل كالمعجل الصغير الذي يزداد له الثقل كل يوم . »
ففي طريق المعرفة لا نستطيع أن نتوقف وإلا لفقدنا الطريق نفسها .

٢ - وهي صادقة من ناحية الجهد المبذول ، فكلما كان الرجل قوياً كلما كان في إمكانه أن يزداد قوة في حدود طاقته الجسدية ، وكلما درب جسده كلما إزداد قوة ولكنه إذا تنازل وترك جسده بدون عمل أو جهد ، وعاش حياة ناعمة فقد قدرته ولياقته البدنية وهنا يجب أن نذكر أن أجسادنا - كأرواحنا - هي لله وحرام علينا أن نهمل أجسادنا للدرجة أن نصبح غير لائقين للعمل الذي يجب أن نقوم به .

٣ - وهي صادقة من ناحية المهارات : فكلما درب الإنسان يده أو عينه أو عقله كلما زادت مهارته في عمله ، ولكنه إذ قنع بما حصل عليه ولم يحاول أن يعمل جديداً أو يتدرب على شيء جديد أو مهارة جديدة . إذا فعل ذلك فسوف يبقى حيث هو ، ولربما يرجع إلى الوراء . إن المهارة التي لا نحسنها سوف نفقدنا .

٤ - وهي صادقة من ناحية حمل المسؤولية : وكلما أحس الإنسان بالمسئولية كلما كان أهلاً لتحمل مسئولية أكبر ، وكلما عزم أن يعمل عملاً كلما كان قادراً على العمل . ولكن إذا أهمل مسئولية وأخذ يتخلص مما وضع عليه فإنه يفقد

لياقته وقدرته كإنسان مسئول ويعجز عن أن يتخذ قراراً في المواقف التي تواجهه .
وما أكثر ما نبر يسوع على أن مجازاة العمل الطيب هي عمل أكثر ومسئولية
أكبر . ومن أوضح قوانين الحياة هي كلما انتصر الإنسان زادت مقدرته على
النصرة وكلما تكاسل كلما ضاعت عليه الفرص وكلما فقد ما عنده .

النمو الغير متطور والنهاية المؤكدة

وَقَالَ . هَكَذَا مَلَكَوْتُ اللَّهَ كَأَنَّ إِنْسَانًا يُلْقَى الْبِذَارَ عَلَى
الْأَرْضِ وَيَنَامُ وَيَسْقُمُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنُمُو وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ كَيْفَ . لِأَنَّ الْأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِشَعِيرٍ . أَوْ لَا نَبَاتًا
مُّنَّمٌ سُنْبُلًا ثُمَّ قَمَحًا مَلَانَ فِي السُّنْبُلِ . وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ
فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لِأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ .

(مرقس : ٤ : ٢٦ - ٢٩)

لم يذكر هذا المثل إلا في مرقس وحده . ومعنى ملكوت الله هنا « حكم
الله » إنه يعنى ذلك اليوم الذى فيه يخضع جميع الناس لسيئة الله وتصبح هذه
السيئة ظاهرة مسيطرة فى الأرض كما سيطرت فى السماء ، وهذا هو الفصد الذى
يقود الله الكون إليه . وفى هذا المثل التصير نجد لأنفسنا عدة دروس :

١ - إنه يكشف عن عجز الانسان ، فالفلاح لا يستطيع أن يجعل البذرة
تنمو ، ولا يفهم كيف تنمو ، إن الحياة سر فى قلب البذرة نفسها ، لا تستمد
من الفلاح لأنه لا يملكه .

والإنسان في عجزه لا يستطيع أن يخلق شيئاً ، قد يكتشف القوانين ، وقد يغير ترتيب الأمور ، وقد يهيء الفرصة للنمو ، ولكنه لا يستطيع أن يوجد شيئاً من العدم . وإذا طبقنا هذه القاعدة على ملكوت الله عرفنا أنه يعجز عن خلقه لأنه ملكوت الله إنه عمله . قد يعطل نمو هذا الملكوت وقد يوجد فيه الإضطراب ، وقد يساعد على إمتداده وعمله ، ولكن الذي ينمى ويخلق هو الله وحده .

٢ — إنه يكشف شيئاً عن طبيعة الملكوت : جدير بالذكر أن يسوع كثيراً ما كان يستخدم أمثلة النمو في الطبيعة لشرح مجيء ملكوت السموات.

(١) النمو في الطبيعة غير ملحوظ : فلا يمكن أن نلسه إذا راقبناه مراقبة مستمرة ولكن إذا نظرنا إلى النبات في فترات متباعدة فإننا نلاحظ الفرق ، وهكذا الأمر مع الملكوت . فلو قارنا نمو الملكوت في يومين أو سنتين متتاليتين لا يمكن أن نلاحظ الفرق . أما إذا راقبناها في قرنين متتاليتين فإننا نلاحظ فرقاً كبيراً .

في سنة ١٨١٧ زارت اليزابيث فراى سجن نيو جيت فرأت حوالى ثلاثمائة امرأة وعدد لا يحصى من الأطفال في عنبرين صغيرين يطبخون ويأكلون وينامون على الأرض ولم يكن يهتم بشئونهم غير رجل عجوز وإبنة ، وعندما رأوها إلتفتوا حولها كالوحوش : عراة يستجدون منها بضع ملايم ليشتروا منها الخمر ، ثم رأت ولداً في التاسعة من عمره محكوم عليه بالإعدام لأنه سرق شيئاً لا يساوى أكثر من بضعة ملايم .

وفي سنة ١٨٥٣ أضرب النساجون حتى يزيدوا أجرم وكان سبعة بنسات ونصف في اليوم ، وأضرب عمال الناجم في ستافورد لأن أجرم في الأسبوع كان شلنين ونصف . هذه الأمور التي لا يتخيلها عقل كانت جارية وحقيقية ، ما أبعد الفرق بين أمس واليوم . إن ملكوت الله أظهر نموه في هذه المدة من السنين لكنه نمو غير منظور

(ب) النمو في الطبيعة مستمر : إنه لا يتوقف ، ليلاً ونهاراً تنمو الأحياء . إن عمل الله عمل مستمر هادف إلى الأمام دائماً بعكس عمل الإنسان المتذبذب الذي يخطو إلى الأمام خطوة ويرجع خطوتين . . . ولكن في سكون وهدهود تسير أعمال الله .

يجرى الله قصده عبر السنين والأجيال .

يجرى الله قصده والوقت يقترب من يوم الكمال .

يقترب الوقت . . . الوقت المؤكد المجيء .

عندما تمتلئ الأرض من مجد الرب كما تغطي المياه البحر .

(ج) النمو في الطبيعة حتمي : لا توجد قوة تضارع قوة النمو . . . فجنود الشجرة يستطيع أن يحطم الصخر ولا يمكن أن تقاوم . . . وهكذا الأمر مع ملكوت الله ، فبالرغم من ثورة الإنسان وعصيانه يسير ملكوت الله إلى الأمام ومن ذا الذي يستطيع أن يعوق الله عن إجراء قصده ؟

٣ - إنه يكشف عن وقت النهاية : فلا بد أن يأتي وقت الحصاد ، وعندما

يأتي ذلك اليوم تجمع الثمار إلى الخزن أما الحشائش والتبن فتحرق ، وكلا

المملكتين وجهان لعملية واحدة وعندما نذكر ذلك اليوم نحس أن علينا واجبات ثلاثة .

(أ) يجب أن نتحلى بالصبر ، فالإنسان في طبيعته إبن الساعة : يعيش في اللحظة التي يمينا فيها ، يفكر ويعمل بوحى الساعة ؛ أما الله الأزلى الذى يجمع الزمان والمكان كله تحت ناظره يقول المرنم عنه « لأن ألف سنة فى عينيك كيووم أمس قد عبر وكساعة فى الليل » (مز ٩٠ : ٤) .

ولهذا : ينبغى أن نستبدل قلقنا وتسرعنا بالتأنى والصبر خاضعين لإرادة الله الذى يعرف كل شىء .

(ب) يجب أن نحفظ بالرجاء : إن من أهم سمات هذا العصر اليأس والخوف : يأس من الكنيسة ويأس من العالم خوف فى الحاضر وخوف من المستقبل : وكما يقول هـ . ج ويلز . « لقد بدأت الإنسانية حياتها فى الغابات والعراء وسوف تنتهى محطة فى أحياء فقيرة مهدمة . وفى الفترة فيما بين الحريين الماضيتين قال سير فيليب جيبس « لو خرجت إلى الشارع وعرفت أن الغازات السامة قد ملأت المدينة فلن أمد يدي وأمسك بالقناع لأخفى وجهي به ، بل سأتنفس بعمق لأخذ كمية ضخمة من الغاز السام لأنى حينئذ سأعلم أن لعبة البشرية قد انتهت » . هذه هى الروح التى تسيطر على العالم . . اليأس والتشاؤم ولكن هل تستطيع هذه الروح أن تتغلب على من يؤمن بالله ؟ قد يحزن المؤمن ، ويتألم ، من جراء الخطية ولكنه لن ييأس .

أيها العامل مع الله لا يرهب قلبك

بل اعرف الله واعرف من هو
وفي وسط الظلمات الدامسة وسط المعركة
سوف تعرف أين تضرب ضربتك .
لأن الحق دائماً حق ما دام هناك الله
ولا بد أن ينتصر هذا الحق .
ولو شككت فإنك لست مخلصاً .
ولو ضعفت فأنت خاطيء .

(ح) يجب أن نكون في حالة الاستعداد : عندما يأتي وقت النهاية يجب
أن نكون مستعدين له .. يجب أن نستعد لمقابلة الله ، فلم أهملنا ولم نستعدسوف
يأتي اليوم الذي نجد فيه أنفسنا وسط الأزمة .. ولكن إن تحلينا بالصبر الذي
لا ينهزم وإن احتفظنا بالرجاء الذي لا يفشل ، وإن بقينا في حالة الاستعداد الذي
يرى الحياة في نور الأبدية .. إن فعلنا ذلك فسوف نكون بنعمة الله ، جاهزين
لوقت النهاية .

من الصغر إلى الاتساع

وَقَالَ بِمَاذَا نُشِئُهُ مَلَكُوتَ اللَّهِ أَوْ بِأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ . مِثْلُ
حَبَّةِ خَرْدَلٍ مَتَى زُرِعَتْ فِي الْأَرْضِ فِيهِ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُرُورِ
الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ . وَلَكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلُعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ

الْبُقُولِ وَتَصْنَعُ أَغْصَانًا كَبِيرَةً حَتَّى تَسْتَطِيعُ طُيُورُ السَّمَاءِ أَنْ
تَتَأَوَى تَحْتَ ظِلِّهَا .

(صرقس ٤ : ٣٠ - ٣٢)

في هذا المثل يذكر السيد صورتين مألوفتين لكل سكان فلسطين : الصورة الأولى أو التشبية الأول هو « حبة الخردل » وتستعمل هذه الحبة عادة في إبراز ضآلة الحجم ، فإن قيل عن الإيمان إنه « مثل حبة الخردل » كان معناه : أصغر مقدار من الإيمان معروف ولكن هذه الحبة الصغيرة تنمو فتكون شجرة أطول من قامة الإنسان ، تحبها الطيور وتأتي لكي تتأوى فيها .

أما الصورة الثانية فهي تشبيه الممالك الكبيرة بالشجرة ، وتشبه الأمم الخاضعة لها بالطيور التي تقف على أغصانها (حزقيال ١٧ : ٢٢ . الخ ، ٢١ : ١ - الخ ، دانيال ٤ : ١٠ و ٢١) . فالشجرة تعبر عن إمبراطورية ضخمة تسيطر على ممالك أخرى تجاورها .

١ - لا تيأس من البداية الصغيرة : قد نشعر عندما نبدأ عملاً ما أنه صغير ، ولكن ينبغي أن نعرف أن العمل متى تكرر فإنه يكبر ويعطي النتائج الباهرة ، مثله في ذلك مثل الصبغة : فعندما نحاول أن نلون الماء في وعاء كبير فإننا نسقط نقطة نقطة في الماء ويبدأ الماء في التحول رويداً رويداً حتى يتحول أخيراً إلى اللون المطلوب .. قد لا يتأثر لون الماء من النقطة الأولى أو الثانية .. ولكن إن والينا العمل فإننا نحصل على النتيجة المرغوبة . وهكذا نحن قد نبدأ عملاً فنحس أن البداية لا تستحق كل هذا التعب الذي نبذله ولكن لتذكر هذا أن كل شيء

لا بد له بداية . . . والبداية دائماً صغيرة . . إن واجبنا أن نبدأ ونعمل قدر استطاعتنا . . هذا الجهد سوف يثمر ثمارة الحلوة بمرور الوقت واستمرار العمل .

٢ - هذا المثل يظهر امبراطورية الكنيسة . عرفنا سابقاً أن الشجرة الضخمة والطيور تتقارَى فيها تشير إلى إمبراطورية ضخمة ، وهكذا أعلن السيد مصير الكنيسة ، إنها بدأت بشخص واحد ولكنها سوف تصل إلى العالم كله . ويظهر صدق هذا القول في ناحيتين .

(أ) لأنها تنسع لكل الأفكار ولكل أنواع المدارس اللاهوتية ، مرات كثيرة تنصرف كأشخاص تصرفات لا تليق اذ نعتبر أن كل الذين لا يتفقون معنا في الفكر والعقيدة هم مخطئون دائماً ، وبأيت الروح الذي ملأ جون وسلي فجعله يقول « نحن نفكر وعيرنا كذلك يفكر ولا حق لي في معارضة كل اسان يختلف عني وجعله يحي كل انسان يقابله « هل قلبك كقلبي ؛ إذا أعطني يدك ولتتعاون معا » أقول ليت هذا الروح يملأنا نحن أيضاً ، فقد يكون مستحسننا أن نتأكد أننا على حق ولكن : أن نظن الآخرين مخطئين فهذا ما لا يقبله عقل .

(ب) لأن تنسع لكل الأمم . عندما بنيت احدى الكنائس أرادت اللجنة المشرفة على البناء أن تفتش على شعار يمكن أن يرسم على شباكها الضخم ، وأخيراً اهدت إلى هذا القول .

حول عرش الله جيش . . من صفار طاهرين

وكلفوا أحد الفنانين العظام لينفذ هذا الشعار ، وبدأ يعمل ، وأحس بنشوة طاغية في عمله . . وفي ليلة من الليالي كان قد قارب على الانتهاء من الصورة حلم

حلمًا : حلم أنه سمع صوتًا في مملكته ، فجرى إلى مصدر الصوت فرأى شخصًا آخر
ممسكًا بالفرشاة والألوان محاولًا أن يجرى إلى تعديلا في الصورة : فصرخ فيه
ألا يفعل وألا يضيع معالمها ، ولكن الغريب قال له « لقد ضيقت أنت معالمها »
فقال الرجل « وكيف » قال لأنك لونت وجوه الناس حول العرش بلون واحد
هو الأبيض ، مع أنك تمتلك ألوانا كثيرة ، كأنك ظننت أن الرجل الأبيض
وحده هو الذى يقف أمام الله والآن دعنى أغير ألوان الناس ، لأن كثيرين
سمعوا دعوتى » « دعوتك .. ومن أنت ؟ » أجاب الغريب أنا الذى قلت من
زمن طويل « دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعهم لأن مثل هؤلاء ملكوت
السماوات ؛ ولا أزال أقولها إلى الآن » . وعرف الفنان أنه السيد نفسه وحالما
فهم ذلك اختفى السيد عن ناظره ، ونظر الفنان إلى الصورة ووجدها أجهل
كثيراً من شكلها الأول ففيها الأبيض والأصفر والزنجى والقمحى . . وكل
الألوان وفي الصباح استيقظ واندفع إلى مملكته ولكنه وجد صورته كما كانت
من قبل ، فأمسك بالوانه وفرشاته وبدأ يغير في الوجوه ويجعل العرش السماوى
محاطاً بأجناس كثيرة ولم يهجمه أن اللجنة كانت قادمة ذلك الصباح لتسلم
الصورة . وعندما جاءت اللجنة قال أحد أعضائها بكل لطف « نعم إنها عائلة
الله في بيته » نعم إن عائلة الله في بيته ، إن الكفيسة كعبة الخردل تصبح شجرة
تتأوى في أغصانها كل الطيور ، لا توجد هناك حواجز تحجز الإنسان عن الله
أو عن أخيه الإنسان .

المعلم الحكيم والمتعلم النابه

وَبِأَمْثَالٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ هَذِهِ كَانَ يُكَلِّمُهُمْ حَسْبًا كَانُوا
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا . وَيَدُونَ مِثْلَ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ . وَأَمَّا
عَلَى انْفِرَادٍ فَكَانَ يُفَسِّرُ لِتَلَامِيذِهِ كُلَّ شَيْءٍ .

(مرقس ٤ : ٣٣ و ٣٤)

في هذا الفصل يرسم أمامنا المعلم الحكيم والمتعلم النابه . فالمعلم الحكيم هو الشخص الذي يعطى تلاميذه على قدر مدارك المتعلمين .. وهذا هو الدرس الأول في التعليم الناجح . وهناك خطر ان يجب أن يتجنبها المعلم الناجح :

(أ) يجب أن يتجنب عرض نفسه : فالمعلم الذي يحاول أن يجذب الانتباه لنفسه هو معلم فاشل ، حسنا أن يهتم بطريقة عرض الموضوع ولكن الأحسن والأفضل منه هو أن يهتم بالموضوع نفسه ؛ التعليم ليس وسيلة لإظهار لباقة التعلم ومدى تعلمه ولكنه لإفادة التعلم ، ولهذا فليس من الذكاء في شيء أن يتكلم المعلم شيئاً فوق مدارك المتعلمين ، إن الذي يضرب السهم فوق الهدف لا يزيد شيئاً عن ذلك الذي يضربه تحت الهدف . كلاهما مخطيء . المعلم الماهر هو من يجب درسه أكثر مما يجب نفسه .

(ب) يجب أن يتجنب الشعور بالتعالي فالتعليم لا يعني أن تعطى الناس شيئاً بل أن تتعلم معهم ومنهم شيئاً ، وقد يما قال أفلاطون إن التعليم هو إخراج ما في ذاكرة الناس من معلومات يعرفونها من قبل وهم لا يدرون . إن من يقف

على المنبر ويكلم الناس باستملاء معلم فاشل .. التعليم هو تعاون بين المعلم والمتعلم
لا اكتشاف شيء جديد .

وهناك بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم :

(أ) يجب أن يتحلى بالادراك العميق : فأحدى ضعفات الخبراء هي عدم
تقديرهم للصعوبة التي يجدها الرجل العلاماني في تفهم مرادهم ، ولكن المعلم
الحقيقي هو من يفكر بعقل المعلمين ويرى الأشياء من خلال عيونهم ؛ هو
من يقدر موقفهم ويضع نفسه في مركزهم ، وبهذا يستطيع أن يعطيهم ما يفيد .

(ب) يجب أن يتحل بالصبر : قال هليل : المعلم اليهودي الكبير « الرجل
العصبي لا يمكن أن يكون معلما ناجحاً » وأولى صفات المعلم هي أن يضبط
نفسه ، ولقد كان من عادة المعلمين اليهود أن يعيدوا شرح الموضوع مرة
ومرات حتى يفهمه التلاميذ ، كل ذلك بدون عصبية أو غضب . وهذا بالضبط
ما كان يسوع يفعله .

(ح) يجب أن يتحل باللطف : لقد كان قانون التعليم اليهودي يمنع
العقاب وخاصة ما يحقر التلميذ ، وكان على المعلم دائماً أن يشجع الطالب . وتقول
حنه بوكان « لا تحقر الشباب » وما أسهل أن يظهر المعلم براعته في توبيخ
التلميذ ومحاولته لدعه بالكلمات الشديدة ، ولكن هذا التوبيخ سوف يضر
الاثنيين معاً . والمعلم اللطيف لا يعمل ذلك أبداً .

على أن هذا الفصل لا يقتصر على إظهار فضائل المعلم الناجح فقط بل يظهر

كذلك صفات المتعلم الناجح ، إذ يظهر طبيعة هذه الدائرة الضيقة من التلاميذ التي تحيط بالمسيح .

(أ) فالمتعلم الناجح لا يتعلم لكي ينسى : يجب أن يفكر فيما سمعه وتعلمه حتى يكتشف ما فيه من حق لنفسه يقول ابيكتيتس الفيلسوف الرواقى « إن التلميذ العبقى يحزن أما الذكى فهو الذى يستخدم ما يسمه ويتعلمه ، فالغم لانتقياً ما تأكله لتظهر للراعى كم أكلت بل تهضم ما أكلته وتحوله إلى صوف ولبن . هكذا المتعلم يجب أن يفكر فيما تعلمه وأن يطبقه على حياته حتى يصبح جزءاً من نفسه .

(ب) والمتعلم النابه يجب ألا يترك معلمه : بعد أن انتهى يسوع من تعليمه تركته الجموع لكن جماعة صغيرة التصقت به ولم تتركه حتى يشرح لهم المثل ، فنحن نحتاج إلى التعليم العظيم بقدر ما نحتاج إلى المعلم العظيم فرسالته الحقيقية ليست فيما يقوله بل فيما يكونه ، ولهذا فكل من يريد أن يتعلم من المسيح فليصحبه ، وإن فعل ذلك فسوف ينال ليس فقط علماً بل حياة .

السلام فى حضرته

وَقَالَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ لِنَجْتَرِ إِلَى الْعَبْرِ .
فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ . وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضًا
سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ . فَحَدَّثَتْ نَوْءَ رِيحٍ عَظِيمٍ فَكَانَتْ الْأَمْوَاجُ
تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِي . وَكَانَ هُوَ فِي الْمَوْخِرِ عَلَى

وَسَادَةَ نَائِمًا . فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ يَا مَعْلَمُ أَمَا يَهْمُكَ أَنَّنَا نَهْنِكَ .
فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَقَالَ لِلْبُحْرِ اسْكُتْ . إِيكُمْ . فَسَكَتَ
الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ . وَقَالَ لَهُمْ مَا بَالِكُمْ خَائِفِينَ
هَكَذَا . كَيْفَ لَا إِيمَانَ لَكُمْ . فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا
وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِنْ هُوَ هَذَا . فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ
يُطِيعَانِهِ .

(مرقس ٤ : ٣٥ - ٤١)

تعتبر بحيرة الجليل من البحيرات المضطربة ، التي تهب عليها العواصف فجأة
وبدون توقع ، وكما قال أحدكم « قد يحدث أن تهب عاصفة شديدة فجأة بينما
لا توجد في الجو علامة على أية عاصفة ، فالفتحات المختلفة من الشمال الشرقي والشرق
تجذب الرياح القادمة من أعلى حوران ومن قم حرمون وتدفعها على هذه البحيرة
الضيقة فتسير بقوة شديدة فترتفع الأمواج في هذه البحيرة فجأة وتحدث العاصفة
المروعة فجأة ، وأهالي تلك المنطقة يألقون هذه الظاهرة الغربية .

وفي تلك الحادثة التي يذكرها هذا الفصل ، كان يسوع في المؤخرة حيث
كان يجلس كبار المسافرين عادة ، وإلى جواره رجل آخر يمسك بالدفلة لكي
يدير السفينة .

ومن المناسب أن نلاحظ أن الكلمات التي نطق بها يسوع ليست البحر
هي نفس الكلمات التي أخرج بها الشياطين ، ولقد كان الناس في القديم يعتقدون

أن الأرواح النجسة تعمل بنفس القوة في الطبيعة لخلق العواصف الخربة وغيرها من الظواهر التي تعمل على الإضرار بنفس الإنسان وحياته . (لاحظ مرقس ١٥ : ١) .

وفي تفسير هذه الحادثة قد نقلل من شأنها كثيراً لو أخذناها فقط من الناحية الطبيعية . نعم أنها معجزة عظيمة وغريبة فعلها يسوع نقرأها وندش لعظمتها ، لكننا إذ نفسرها أيضاً تفسيراً مجازياً ، بمعنى أن التلاميذ في وسط العاصفة الشديدة لسوا المدهوء وأحسوا بالسلام عندما عرفوا أن يسوع في وسطهم ، كما أن كل مؤمن في وسط عواصف الحياة عندما يتحقق من وجود يسوع تنتهى كل المخاوف وتزول كل الاضطرابات المزعجة .

١ - فهو يعطينا سلاماً في وسط عواصف الحزن . فعندما نفقد عزيزاً علينا نجد يسوع بجوارنا يهدىء عواصف الحزن ، إنه يحول ظلمة الموت إلى نور الحياة يعلن لنا المجد السماوى ، ويكشف عن سر محبة الله العميقة . كان البستانى يحب زهرة جميلة جداً في البستان الذى يعمل فيه ، ويوما ما عندما استيقظ من النوم وجد أن الزهرة قد اختفت فانزعج واضطرب وأخذ يشكو لكل من يقابله ، وأخيراً قابل صاحب البستان وأخبره عن حزنه على فقد الزهرة ، فأجابه السيد قائلاً « لقد أخذتها لنفسى » وهكذا يفعل يسوع إذ يؤكد لنا أن الذين فارقونا قد ذهبوا إلى الأب وسوف نقابلهم .

٢ - يعطينا السلام في وسط المشاكل : وخصوصاً عندما تلقنا بالشك والخوف . وفي أحيان كثيرة نقف في مفترق الطرق لاندرى أى سبيل نسلك ، ولكن عندما نرفع وجوهنا إلى أعلى قائلين « يارب أى طريق تريدنى أن

أسلك» عندئذ يفتح الطريق الأمين . إن المشكلة ليست في أنني مرات كثيرة أجهل ما أعمله ، بل في أنني لا أحاول أن أحل شكي وجهلي هذا إلى الله ، ولكن عندما نخضع لإرادة الله نتمتع بالسلام الكامل الحقيقي .

٣ — يعطينا سلاماً في وسط القلق : إن أسمى عدو للسلام هو القلق . القلق لأجل أنفسنا والقلق لأجل من نحب ، ولكن يسوع يكشف لنا عن الله الأب الذي يحب أولاده ، ولا يسمح لهم بالبسكاء بل يمد يده ويمسح دموعهم ، إن محبته لهم تفوق محبتنا لهم . في هذا نجد سلام وراحة .

الأصحاح الخامس

طرد الشياطين

وجاءوا إلى عِبرِ البحرِ إلى كورةِ الجَدْرِيَيْنِ . ولَمَّا خَرَجَ مِنَ
السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ كَانَ
مَسْكَنَةً فِي الْقُبُورِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرِبُطَهُ وَلَا بِسَلْسِلٍ .
لِأَنَّهُ قَدْ رُبِطَ كَثِيرًا بِقُيُودٍ وَسَلْسِلٍ فَتَقَطَعَ السَّلْسِلَ وَكَسَرَ
القُيُودَ . فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يُدَلِّلَهُ . وَكَانَ دَائِمًا نِيلاً وَنَهَارًا
فِي الْجِبَالِ وَفِي الْقُبُورِ يَصِيحُ وَيَجْرَحُ نَفْسَهُ بِالْحِجَارَةِ . فَلَمَّا
رَأَى يَسُوعَ مِنْ بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ .
وَقَالَ مَالِي وَلكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ العَلِيِّ . اْمْتَحَلِفْكَ بِاللَّهِ أَنْ
لَا تُعَذِّبَنِي . لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ اخْرُجْ مِنَ الْإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ .
وَسَأَلَهُ مَا اسْمُكَ . فَأَجَابَ قَائِلًا : اسْمِي لَجِيُونُ لِأَنَّ كَثِيرُونَ .
وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا أَنْ لَا يُرْسِلَهُمْ إِلَى خَارِجِ الكُورَةِ . وَكَانَ
هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الخَنَازِيرِ يَرَعَى . فَطَلَبَ إِلَيْهِ

كَلِ الشَّيَاطِينِ قَائِلِينَ أَرْسَلْنَا إِلَى الْخَنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا . فَأَذِنَ لَهُمْ
يَسُوعُ لِلْوَقْتِ . فَخَرَجَتِ الْأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ .
فَأَندَقَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ . وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْنِ
فَأَخْتَنَقَ فِي الْبَحْرِ .

(مرقس ٥ : ١٠ - ١٣)

هذه قصة حية وهي من ذلك النوع الذي يجعلنا نقرأ ما بين السطور ،
فموضوعها غريب عن اختبارنا في هذه القرون الحديثة ، بينما كان مألوفاً كثيراً
الانتشار أيام يسوع .

وقد ربطنا هذه الحادثة بما سبقها - وهذا ما كان يقصده مرقس - فلا بد
أنها حدثت بعد غروب الشمس بوقت طويل ، وهذا مما يزيد في رعبها . عدد ٣٥
من الأصحاح السابق يذكر أن يسوع ركب السفينة مع مرافقيه عندما أخذ النهار
يميل وكان عرض البحيرة حوالي خمسة أميال في المكان الذي عبر فيه يسوع
(طول البحيرة ١٣ ميلاً وأقصى اتساع لها ٨ أميال) . وفي طريقهم قابلتهم
العاصفة إلى أن وصلوا إلى الجرف . وكان مملوء بالكهوف الضيقة التي استخدمها
سكان تلك المنطقة في دفن موتاهم ، وكان الناس يعتقدون أن هذا المكان هو
أحد الأمكنة الصالحة لسكنى الشياطين . فمن عادة الشياطين أن تسكن في
الغابات والحدائق والكروم والأمكنة القذرة الموحشة ولهذا فقد سكن هناك ،
في ذلك المكان الموحش ، هذا الرجل المملوء بالأرواح الشريرة . ولم يجرؤ أحد
أن يسير في ذلك المكان في هذا الوقت لثلاث بقايله شيطان فيؤذيه وخصوصاً
إذا لم يكن معه نور أو سلاح .

أما عن هذا الرجل فقد كان يعرف أنه مملوء بالأرواح النجسة ، وعندما كان يتكلم كان يستخدم تارة لفظة المفرد وأخرى صيغة الجمع ، وعندما سئل عن اسمه ذكر أن اسمه بلجثون : وقد تعنى هذه اللفظة أحد أمرين: فقد تعنى عددا كبيرا من الشياطين إذ أن اللجثون كان اسم فرقة رومانية عدد رجالها حوالي ستة آلاف عسكري . وقد كان اليهود يعتقدون أن الهواء مملوء بالشياطين وأن حوالي ألف منهم على يمين كل إنسان وعشرة آلاف على يساره . وكانوا يظنون أيضاً أن ملكة الأرواح لها حوالي ١٨٠٠٠٠ مائة وثمانون ألفاً من الأرواح الشريرة التي تقف في طريق كل إنسان لتوقفه في الخطر . هذا من ناحية العدد . ولكن الرجل ربما كان يعنى شيئاً آخر وهو أن اللجثون هو رمز للغدر والقسوة وسفك الدماء ، وقد تكون تلك الكلمة مرتبطة بمحادثة فظيعة حدثت أمام عيني هذا المسكين . فاللجثون بهذه الصفة رمز وعلامة على التخريب .

ولقد كانت هذه حالة خطيرة فيها حاولت الأرواح أن تمرد بعد أن أمرها أن تخرج من الرجل المسكين ، فسأله عن اسمه ، وهناك عقيدة أن من يعرف اسم الشيطان فقد امتلك ناصيته واستطاع أن يهزمه . وعندما خرجت الشياطين طلبت أن تذهب في الخنازير التي كانت موجودة في تلك المنطقة وعندما أذن لها اندفعت من على الجرف وغرقت .

إن صعوبة هذه القصة تكمن في عدم خبرتنا نحن ، فقد يظن الرجل الحديث أن هذا الرجل كان مملوءاً بالأوهام والخيالات ، ولكن حتى ولو اعتقدنا ذلك جدلاً فلنذكر أن هذا الرجل كان يعرف تماماً أنه مملوء بالشياطين ، فلا نستمن بهذه الحالة المروعة التي اجتازها هذا الرجل .

ولكن على الجانب الآخر من الصورة نجد أولئك المتعصبين الذي استنشطوا غضباً عندما وجدوا أن شفاء الرجل قد كلف الناحية التي يقطنون فيها مجموعة كبيرة من الخنازير، ولا شك في أن هذا رأى أعمى إذ يفضلون مصير الخنازير على مصير هذه النفس الخالدة التي خلقها الله . ونحن وإن كنا نذبح الحيوانات والطيور لكي نعيش على لحومها وتقوى أجسادنا أفليس بالأحرى أن نسر أن إنساناً — خلق على صورة الله — قد شفى نفسياً وروحياً حتى ولو كلفنا ذلك مجموع من الخنازير؟ نعم إن الله يحب كل المخلوقات التي صنعها يمينه ولكن هناك تفاضل بينها، ولا بد أن الإنسان عنده يساوى الآلاف منها . فهو منه وله .

الذين طلبوا من يسوع أن يتركهم

وَأَمَّا رِعَاةُ الْخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ
فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى . وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَنظَرُوا الْمَجْنُونِ الَّذِي
كَانَ فِيهِ اللَّجُونُ جَالِسًا وَلَا بَسًا وَعَاقِلًا . فَخَافُوا فَحَدَّثَهُمُ الَّذِينَ
رَأَوْا كَيْفَ جَرَى لِلْمَجْنُونِ وَعَنِ الْخَنَازِيرِ . فَابْتَدَأُوا بِطَلْبُونِ إِلَيْهِ
أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تَحْتِهِمْ .

(مرقس ٥ : ١٤ — ١٧)

عندما رأى رعاة الخنازير ما حدث هربوا إلى المدينة وأخبروا الناس بما حدث، فأسرع الناس إلى حيث كان يسوع، ونظروا إلى الإنسان الذي كان مجنوناً

فأروء جالساً ولا بساً وعاقلاً وعندئذ حدثت المفاجأة : لقد طلبوا من يسوع أن يترك قريتهم في الحال . أليس هذا موقفاً غريباً ؟ فبدلاً من أن يفرحوا لأن إنساناً منهم قد رجع إلى حالته الطبيعية وحياته المادية يحزنون لأجل مجموعة من الخنازير تموت منهم ، بدلاً من أن يطلبوا من يسوع أن يبقى معهم ليعمل معجزاته العجيبة ، يطلبون منه أن يترك تخومهم ، لماذا ؟ هل لأن رجلاً شفى وخنازيرهم ماتت ؟ نعم إنهم عاشوا في هذا الروتين ، ولقد جاء شخص قلب لهم روتينهم المادى فليفظوا هذا الغريب . . ليخرج يسوع . هذه هي صيحة للعركة للمقتل البشرى « لا تقلقى » . لقد كان مطلب هذه الجماعة أن يتركهم يسوع لوحدهم .

١ - لقد قالوا : لا تقلقى واحتمنا « وهذه هي الطبيعة البشرية ، فإن قال أحدكم لجماعة يعيشون في مجبوحة من العيش : سأعطيكم عالماً فيه تعيش الكثرة من الناس في راحة وطمأنينة ، بدلاً من عالمكم الحزين هذا ، وفي سبيل ذلك ستتهز حياتكم أنتم وتتنازلون عن ملذاتكم وحياتكم المترفة .. فأرايكم ؟ » إن الجواب الطبيعي لذلك « أتركنا نسير كما نحن .. أترك الأمور كما هي » هذا هو ما يحدث في هذه الأيام التي فيها تسير القوى في اتجاه إسعاد الغالبية من الناس على حساب أن تنازل القلة المترفة عن شيء من ترفها وتنعمةها . وهذا هو السبب الرئيسى في الشكوى العالية التي تطلقها هذه القلة المترفة ، إنهم يشكمون كثيراً عن فضلهم على الحياة وأعمالهم في سبيل الخير ، ولكن الحقيقة هي أنهم يديفون للحياة بكل شيء .. وعندما يضحون بشيء من غناهم فهم لا يضحون بما للحياة عندهم .. ونحن لا نملك شيئاً كل ما لنا من الله ... إنه أعطانا الخلاص .. أعطانا مجد السماء في مقابل بعض التضحيات الأرضية . إن الطبيعة

لل بشرية هي التي لا تريد الإزعاج في سبيل راحة الغير ، ولكن الطبيعة الإلهية هي التي تضحى من راحتها لكي يستريح الآخرون .

٢ - يقولون « لا تمس ممتلكاتنا » لا يوجد من يسهل عليه التفريط في ممتلكاته وكلما تقدم العمر بالإنسان كلما تمسك بما يمتلك . ويذكر بوروز أن المنجمين كانوا يكسبون معيشتهم بأن يخبروا صغار السن أنهم سيصادفون المسرات ولكبار السن أنهم سيصبحون أثرياء « لأهم يعرفون الطبيعة البشرية ويعرفون أن آخر رغبة تموت فيها هي محبة المال . ومن يريد أن يعرف مقدار تمسك الشخص بمبادئه وديانته فليعرف : كم يضحى من أجل هذه المبادئ أو هذا الإيمان .

٣ - يقولون « لا تمس ديانتي » .

(١) يقول الناس أحياناً « لا تتكلم عن الأمور المقبضة ، دعنا في فرحنا » . ولقد أشار آدموند جوس إلى نقص كبير في مواضع الواعظ الشهير جيرمي تايلور إذ قال « إن هذه المواضع تعتبر من أعظم ما قيل في اللغة الإنجليزية ، ولكنها مع ذلك تغلو من أصوات الحياة الحقيقية التي أحاطت بالواعظ ، فلم نسمع منها صوت الفقراء وأتنيهم ، ولم نر فيها صورة الألم والحزن ، لأولئك الذين رفعوا عيونهم إلى فوق صارخين مستنجدين ، أيضا لم نسمع صدى أصواتهم ، بل عاش الواعظ بعيداً عن هذه الخلائق المسكينة » . إن كثيرين من وعاظنا يمشون على العقائد واللاهوت ، ولكنهم يتركون ما يحيط بالإنسان من مشكلات في وعظهم ، لربما كان ذلك لأن كفاءتهم طلبت

منهم ذلك ، ولكن لنذكر أن كلام يسوع عن الله لم يشر عليه الأعداء ولكن كلامه عن الإنسان وحاجاته هو الذى أثار المتزمتين فى أيامه .

(ب) ويقولون « لاتدع العلاقات الشخصية تزعجنا فى دياننا » بذكر

جيمس بورنز قصة غريبة عن إنجيلا فوليجراس المتصوفة الإيطالية الشهيرة وعن مدى تحملها من الارتباطات المالية فى سبيل صلتها بالله ، فيذكر عنها أنها قالت « يوماً ما شاءت إرادة الله الصالحة أن تموت أمى التى عاقتنى كثيراً عن اتباع الله ، ثم مات زوجى ، وفى وقت قصير مات كل أولادى ، ولقد كان هذا استجابة لصلاتى التى رفعتها إلى الله عندما بدأت أسير فى طريقى . . طريق التخلص من كل العلاقات المالية والارتباط بالله وحده ، ولم أهتم كثيراً بموتهم ومع ذلك شعرت ببعض العزن » . معنى ذلك أن عائلتها كانت العقبة الوحيدة فى سبيل ديانتها ، ولكم نجد الكثيرين من هذا النوع الذى يفضل العمل فى اللجان العامة عن عمله فى منزله ، فاللجان لا تتعب كثيراً كما تفعل الخدمة فى البيت ، ورغم الخدمة التى يؤديها هؤلاء فى الكنيسة ولجانها ، لكن الله يرى أنهم اتجهوا اتجاه غير صحيح :

(ج) « لاتدع عقيدتى تهتز » هناك بعض الناس يعتقدون أن أفضل

عقيدة لناهى ما كان يتمسك بها أبائنا ، وبذلك لا يريدون أن يعرفوا أى جديد لأنهم لا يريدون أن يتعبوا عقولهم فى البحث والتفتيش . إن صنفاً كهذا عنده جبن فكرى وسبات عقلى وتخدير نفسى ، وهذه كلها أمراض فظيمة .

لقد طرد الجديريون هذا الإنسان المزعج لهم ، المقلق لراحتهم ، ولم من أناس بيننا يحاولون أن يفعلوا هذا .

شاهد للمسيح

وَلَمَّا دَخَلَ السَّقِينَةَ طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُونًا أَنْ يَكُونَ
مَعَهُ . فَلَمْ يَدَعُهُ يَسُوعُ بَلْ قَالَ لَهُ أَذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى
أَهْلِكَ وَأَخْبِرْهُمْ كَمَا صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ . فَضَى
وَابْتَدَأَ يُنَادِي فِي الْعَشْرِ الْمَدُنِ كَمَا صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ . فَتَعَجَّبَ
الْجَمِيعُ .

(مرقس ١٨ : ٥ - ٢٠)

إن أهم شيء في هذا الفصل هو ذكر المكان الذي حدثت فيه هذه
المعجزة : وياكوبوليس أو المدن العشر . هذه المدن العشر لها أهمية خاصة
وامتيازات ليست للمدن الأخرى ، كانت تقع على الجانب الشرقي من نهر الأردن
ما عدا واحدة واسمها سيزوبوليس ، أما القسم الباقية وهي : بيللا ، ديبون ،
جبراسا ، فيلادلفيا ، جدارا ، رافانا ، كاناتا ، هيبوس ، دمشق ، فكانت
جميعها تقع على الشاطئ الشرقي للأردن ، ولقد تأسست هذه المدن في أثناء
الفتوحات الواسعة التي قام بها الإسكندر الأكبر ، فكانت مدناً إغريقية ، كل
ما فيها ينطق بالمدنية اليونانية . أما وضعها السياسي فكان وضعاً غربياً فع
وجودها في سوريا لكنها كانت مستقلة لها مجالسها النيابي ، وعملتها الخاصة ،
وإدارتها المستقلة ، كان لها الحرية في التحالف التجاري والعسكري مع غيرها .
واستمر حالها هكذا حتى أخضعها المكابيون فصبغوها بالصبغة اليهودية ،
ولكنها تحررت من اليهود على يد بومباي الإمبراطور الروماني ، وصارت

تدفع الجزية للرومان وتقدم أبنائها للخدمة العسكرية . وعندما وجدت نفسها ضعيفة أتحدت معاً في تحالف عسكري لصد الغزو العربي أو اليهودي . أما ديانتها فكانت ديانة اليونان بألهتها الكثيرة ومعابدها الكبيرة ، ومسارحها الضخمة ، في هذه المدن الأمامية ذهب يسوع وعمل معجزاته . . فأعلن بذلك أن المسيحية ليست ديانة أمة واحدة أو جنس واحد ، بل للجميع . ليست لليهود فقط بل للأمم أيضاً ، نعم كانت هذه هي الشرارة الأولى التي أطلقها السيد في المدن التي أنجبت : فيلوديموس الفيلسوف الروائي الشهير الذي عاصر سيشرون ومليبيجر سيد الأمثال اليونانية . ومينيوس الساخر وتيودورس الشاعر الذي كان معلماً لطيباريوس الإمبراطور . . وكانت هذه الشرارة بدء عصر جديد .

ومن هذه المعجزة نستطيع أن نعرف السبب الذي لأجله أرسل يسوع الرجل إلى بلاده :

١ - ليكون شاهداً للمسيحية ، إنه شهادة حية متحركة مقنعة مفعمة على ما يستطيع يسوع أن يفعله للإنسان . إن مجدنا ليس في ما نعمله ليسوع بل في ما يعمله فينا يسوع ، إنه يخلقنا من جديد . وهذا برهان المسيحية القاطع

٢ - إنه البذرة الأولى التي سوف تسكر لتصبح حصاداً جباراً . لقد بدأت المسيحية صلتها الأولى بالحضارة اليونانية في المدن العشر . نعم لقد بدأ هذا اللقاء الذي ألهب العبقرية اليونانية بواسطة رجل كانت به أرواح نجسة

وشفاه يسوع .. لا بد أن يبدأ يسوع بإنسان .. فلماذا لا يبدأ بي وبك كل
في دائرته ومجتمعه ؟؟

في ساعة الحاجة

وَلَمَّا اجْتَاَزَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضًا إِلَى الْعَيْبَرِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ
كَثِيرٌ . وَكَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ . وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ
يَايْرِسُ جَاءَ . وَلَمَّا رَأَاهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا فَأَثَلًا
ابْنَتِي الصَّغِيرَةَ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ . لَيْسَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ
عَلَيْهَا لِتَشْفَى فَتَحْيَا . فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا
يَزْحَمُونَهُ .

(مرقس : ٢١ : ٥ - ٢٤)

تكن في هذه القصة كل عناصر المأساة فالمأساة تكن في مرض الأطفال
كما حدث لابنة يايرس رئيس المجمع . كانت هذه الفتاة في سن الثانية عشرة
أى على أعتاب النضج كأى امرأة ، حسب العوائد اليهودية . أما يايرس نفسه
فقد كان رجلا له أهميته الخاصة في المجتمع اليهودى لأنه كان رئيس المجمع :
وهذه الوظيفة تخوله الإشراف الكلى على كل ما يجرى في المجمع . كان
يشرف على الخدمة الدينية ، وإن كان لا يشترك فيها ، كان يشرف على الإدارة
ويرتب كل عمل إدارى بكل نظام وتدقيق .. كان رجلا له المركز الكبير ..
وكان في مجيئه إلى يسوع علامات كثيرة لا نفوتنا .

١ - من المظوع به أن يابرس - كرئيس للمجمع - كان ينظر إلى يسوع كشخص خارج على ديانته ، مطرود من المجمع ، ولا يجوز لليهودى مخلص أن يتعامل معه ، كان هذا هو رأى يابروس ، ولكن الرجل كان عظيماً للدرجة أنه نسي كل تعصبه عند ساعة الحاجة ، فجاء إلى يسوع طالباً منه المعونة . وفى نهاية المطاف ما هو التمسب ؟ أليس هو الحكم على الأشياء قبل فحصها ؟ لذلك فهو شر كبير وعقبة كأداء فى سبيل كل تقدم ، فلم يكن هناك نوع من التقدم فى ميدان من الميادين البشرية إلا وكان التمسب عدواً قاسياً له ، وعندما اكتشف سير جيمس سمسون الكلورفورم كخطر خاصة فى حالات الولادة كان التمسب والتحيز واقفاً له بالرصاد وقيل عن الكلورفورم « إنه البركة التى اخترعها الشيطان ليريح النساء ، ولكن لكنى يحول وجوههن عن الله فلا يصرخن طلباً للمعونة فى وقت الشدة » إن التمسب لعنة بغيضة تحرم صاحبها من كثير من البركات .

٢ - نسي مركزه الكبير : هل يأتى شخص مثله ، رئيس مجمع اليهود ، ليرتقى عند قدمى معلم متجول طالباً منه المعونة ؟ نعم لقد جاء ، فى ساعات الحاجة ينسى الإنسان مركزه ومجده ليخلص حياته أو نفسه من الضائقات . ألم يفعل ذلك نعمان السريانى عندما جاء إلى أليشع طالباً منه الشفاء ؟ كان ينتظر من أليشع أن يستقبله ، ولكن ذلك لم يفعل ؛ وماذا وصف له للعلاج ؟ أن يقطس فى مياه الأردن المكورة ؟ أليس فى سوريا مياه أنقى من هذا النهر ؟ ولكن نعمان نسي عظمته فتركه البرص . هناك قصة مشهورة عن ديوجنيس الفيلسوف الساخر : فقد قيل إنه وقع أسيراً فى الحرب وبيع كعبد ، وبينما هو فى سوق النخاسة بعرض للبيع كان ينظر إلى السادة الذين جاءوا ليشتروا

العبيد ، فرأى رجلاً واقفاً فقال لمن يمسك به « بمعنى لهذا الرجل ، أنه يحتاج إلى معلم » واشتراه الرجل ثم سلمه لإدارة منزله وتعليم أولاده . وكان الرجل يكرر القول « لقد كان يوماً حسناً عندما دخل ديوجينيس بيتي لقد استفاد الرجل لأنه تنازل عن عظيمته . ولكم تمسك إنسان بمركزه ولم يرد أن يتنازل عنه فخرم من بركات عظيمة .

٣ -- نسي كبريائه : لقد بذل هذا الرئيس جهداً كبيراً ليُدرّب نفسه على أن يطلب العونة من يسوع ويصبح مديوناً له . فكل إنسان يتمنى ألا يكون مديناً لأحد بشيء من أن يبقى دائماً سيد مصيره . ولكن الخطوة الأولى في المسيحية هي أن نشعر بديننا الكبير لله .

٤ -- لقد نسي أصدقائه : قد تتخيل أن أصدقاءه قد عرفوا أنه سيذهب ليطالب للمساعدة من ذلك الناصري ، ونستطيع أن نتخيل أنهم عارضوه وحاولوا أن يثنوه عن عزمه . ونبي رأينا هذا على أمر غريب فعله وهو مجيئه بنفسه إلى يسوع وعدم إرسال رسول خاص يستدعيه في وقت تحتاج ابنته إلى وجوده . أليس من المعقول أن أصدقاءه رفضوا أن يذهبوا إلى يسوع ؟ وعندما أحسوا أن الوقت يفوت بسرعة ألم يسرعوا إليه ويطلبوا منه ألا يتعب المعلم ؟ ولكنه كسر كل مشورة الأصدقاء ، بل ورأى كل الناس . ولعل أحكم الناس من ظن الآخرون أنه يتصرف بحماقة .

هنا إنسان نسي كل شيء ما عدا شيئاً واحداً هو أن يطلب للمساعدة من يسوع ، ولأنه نسي ذلك فإنه سيذكر إلى الأبد أن يسوع هو المخلص .

الرجاء الأخير للمعذب

وَأَمْرًاؤُةٍ يَنْزِفِ دَمَهُ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَسْنَةً . وَقَدْ تَأَلَّمَتْ
كَثِيرًا مِنْ أَطِبَّاءِ كَثِيرِينَ وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا وَلَمْ تَنْتَفِعْ
شَيْئًا بَلْ صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدًا . لَمَّا سَمِعَتْ يَسُوعَ جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ
مِنْ وَرَاءِ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ . لِأَنَّهَا قَالَتْ إِنَّ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ
شُفِيتُ . فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا وَعَلِمَتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا قَدْ
بَرِيَتْ مِنَ الدَّاءِ .

(مرقس ٥ : ٢٥ - ٢٩)

هذه قصة امرأة كانت تعاني من مرض كان منتشرًا بكثرة في تلك الأيام
وكان يسبب كثيرًا من الألم والتعب : مرض النزيف . ولقد اهتم التلمود بهذا
المرض وعلاجه فوضع له ما لا يقل عن ١١ علاجًا مثل الأدوية المقوية أو القابضة ،
ولكن كانت هناك أنواعًا أخرى من العلاج تبني على الخرافات : كحمل رماد
بيضة نعامة في خرقه من التيل صيفًا ، ومن القطن شتاءً ، أو حمل سنبله من
القمح تؤخذ من مزود أتان بيضاء . ولا بد أن هذه المرأة قد جربت كل هذه
الأنواع سواء أكانت طبية أم خرافية ولكنها لم تستفيد شيئًا بل صارت إلى
حال أردأ صحياً وطقسياً (لاويين ١٥ : ٢٥ - ٢٧) ولعل مرقس يتهمكم على
الأطباء عندما يذكر أنها انفقت كل ما عندها ولم تستفد شيئًا بل صارت إلى
حال أردأ ، ولا عجب فقد كان الأطباء دائماً يحصل انتقاد وتهكم : فيذكر

أحدهم أنه ذهب إلى أطباء العميون وكانوا يدهنون عينيه بمرهم ، ولكن كلما أكثروا من علاجهم كلما ضاع نظر عينيه (طويبت ٢ : ١٠) وفي المشنا ، وهي مجموعة التقاليد — نجد نصيحة إلى الوالدين عن نوع الحرف التي يستحسن أن يعلموها للأبناء تسيروها هكذا «قال الرباي يهوذا : إن أردأ الحرفيين هم سائقو الخمر ، وأكثرهم هدوءاً هم سائقو الجمال . وأكثرهم صلاحاً هم الملاحون . ولكن أفضل الأحياء سيذهب إلى الجحيم . وأفضل الجزارين هم أبناء عماليق » . ولكن إلى جانب ذلك يوجد هناك من يعطى الأطباء حقوقهم مثل كتاب يشوع بن سيراخ — وهو كتاب من كتب الأبوكريفا — عندما يقول :

علم الطبيب التعليم السلائق بمهنته ، لأن الله أمامه طهه الخدمة .
فن الله يأخذ الحكمة ومن الملك يأخذ المكافأة
إن مهارة الطبيب ترفع رأسه وتوقفه في حضرة العظماء
لقد خلق الله الدواء من الأرض فلا تدع إنساناً محتاجاً يرفضه

بواسطة هذه الأدوية يخفف الطبيب الألم : كما يجهز صانع الأدوية الدهن حتى لا يتوقف عمل الأطباء ولا تنعدم الصحة من الأرض .

فلنعط مكاناً للطبيب ولا نبعده بعيداً لأننا في حاجة إليه لأنه كثيراً ما ننجح مشورته وأعماله .

وهو أيضاً يصلح ويطلب من الله أن يجعل تشخيصه للمرض صحيحاً ودواءه الدواء المناسب للمرض .

ولكن الأطباء لم يستطيعوا أن يمنحوا هذه المسكينة الشفاء فذهب إلى يسوع . ولكن في تفكيرها قابلتها مشكلة عويصة : أنها لا تستطيع أن تواجه

يسوع في وسط الجموع المزدحمة وتطلب منه أن يشفيها فماذا تعمل ؟ لقد فكرت
واهتدت إلى التفكير لتذهب وتلمس هذب ثوبه . ولقد كان كل يهودى تقي
يلبس الرداء ويعمل به أربعة أهذاب في كل نهاية من ثوبه هذب طويل وذلك
إطاعة للوصية الموجودة في عدد ١٥ : ٣٨ - ٤٠ وذلك لكي يعلن أنه عضو
في شعب الله المختار . وذهبت هذه المرأة واست هذب يسوع وأحست بالشفاء
التام يسرى في جسدها .

هذه قصة امرأة بأست من كل شيء وأخيراً جاءت إلى يسوع ، ولكم
جاء الكثيرون مثلها إلى يسوع عندما فشلوا في كل محاولة فعلوها . قد يفشل
إنسان في مقاومته للتجربة بعد الجهاد العنيف ، ولكن في بأسه يصرخ « يارب ..
نجني إننى أهلك » قد يعمل ويعمل إلى أن يحطمه العمل ، ولكن عندما يجد
أن قوته قد فنيت يصرخ طلباً لقوة الله ؛ قد يحاول أن يصل إلى الكمال ولكنه
يجد نفسه وقد انهدر في الهاوية أكثر من قبل فيصرخ إلى يسوع .

انه من الأفضل ألا نبقى بعيداً عن يسوع إلى أن نرغمنا الظروف على
الإرتقاء عند قدميه ، ولكن لو حدث ذلك لا تيأس فإنه سيقبلنا ، إنه ان
يرسلنا فارغين .

ثمن الشفاء

فَلِوَقْتِ الثَّفَتِ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِرًا فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي
خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَالَ مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي . فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ أَنْتَ تَنْظُرُ
الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ وَتَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي . وَكَأَنَّ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي

فَعَلَّتْ هَذَا . وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَجَاءَتْ وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ
عَالِمَةٌ بِمَا حَصَلَ لَهَا فَخَرَّتْ وَقَالَتْ لَهُ الْحَقُّ كُلُّهُ . فَقَالَ
لَهَا يَا ابْنَةُ إِيمَانِكَ قَدْ شَفَاكَ . اذْهَبِي بِسَلَامٍ وَكُونِي صَحِيحَةً
مِنْ دَاثِكَ .

(مرقس ٥ : ٣٠ - ٣٤)

في هذا الفصل تتمثل ثلاث شخصيات .

١ - نعرف شيئاً عن يسوع : فهو قد بذل الكثير من نفسه عندما شفى هذه المرأة ، وهذا هو قانون الحياة ، فلن يستطيع المرء أن ينجح في عمل ما لم يضع جزءاً من نفسه فيه . فالوسيقا لن يستطيع أن يخرج الموسيقى العالمية ما لم يضع نفسه فيها ، والممثل ان يستطيع أن ينجح في عمله ما لم يسكب فيه نفسه ، ولن يستطيع أن يصل إلى القمة إن كان يسير ميكانيكياً على القواعد الموضوعية له ، ينبغي أن تكون دموعه دموعاً حقيقية ، وشعوره لا بد أن يكون نابعا من أعماقه . والواعظ الناجح هو الذي يشعر بعد أن ينزل من منبره أن جزءاً من نفسه قد أعطى للناس . يقول مكي أر نولد الناقد الأدبي المشهور عن الطبقة الوسطى « أنظر إلى هؤلاء الناس ، إلى ملابسهم إلى كتبهم التي يقرأونها ، إلى تفكيرهم . أليست خسارة لن تموض بمال أن يكون الشخص واحداً منهم » ؟ قد تكون هذه الكلمات خيالية ، ولكنها تخرج من شعور الاحتقار والاشمئزاز ، وشخص ينظر إلى الناس هكذا لن يستطيع أن يساعدهم ، ولكن استمع إلى موسى وهو يتضرع إلى الله أن يحموه من كتابه إن أصرعلى هلاك هذا الشعب (خروج ٣٢ : ٣٠ - ٣٢)
استمع إلى بولس وهو ينطق في شعر ماير عندما نظر الى العالم الضائع :

عندئذ أحسست بالدافع الذى يملأ نفسى بالقوة

دافع قوى مثل صوت البوق

ماذا أعمل لخلاصهم ، ولو هلكت لحياتهم

أموت ليعيشوا هم . اتفق لأجلهم أجمعين .

إن عظمة يسوع تكمن فى أنه كان مستمداً أن يدفع ثمن مساعدته للناس
وهذا الثمن هو حياته نفسها . . . فإن أردنا أن نفتق آثاره فلا نكتفى بأن ندفع
من أموالنا بل أن نفتق من نفوسنا فى سبيل الآخرين .

٢ — نرى شيئاً عن التلاميذ : أنهم كانوا يهتمون كثيراً بما يدعى «الذوق
العام ، لقد ظنوا أن يسوع متطرف فى سؤاله عن لسه ، لأنه يحاط بالناس من
كل ناحية ، وبهذا أظهروا أنهم كانوا يجهلون مقدار الثمن الباهظ الذى كان
يسوع يدفعه فى سبيل خدمته للناس ، وهذا ما يحزن النفوس الحساسة : إن
الناس لا تقدر ما يتألمون به ومنه ، قد لا تختبر شيئاً ما ، فلا تقدر احساسات
أولئك الذين يجتازونه ، فتجرح فى مرات كثيرة شعور أولئك الذين نجبهم ،
قد تصلى لأجل الذوق العام ، ولكن من الأفضل أن نصلى أن يعطينا الله
الإحساس الرقيق حتى نعرف أعماق نفوس الناس .

٣ — يظهر شيئاً عن المرأة : إنه يخبرنا عن التعزية التى يناها الشخص بمد
أن يعترف بما فعله ، قد يكون من الصعوبة بمكان أن يعترف الإنسان ولكن
ما أن يفعله يحس بالراحة . فقد زال الخوف من قلب هذه المرأة وأحست بالراحة ،
وعندما اعترفت رأى الختان يتدفق منه :

لا تدع ضميرك يعيقك عن التقدم إليه
لأنك غير مستحق فلن يقبلك
فكل الاستحقاقات التي يطلبها منك
هو أن تشعر بحاجتك إليه

أنه ليس من الصعب أن تعترف لشخص يستطيع أن يفهمك كبسوع

الرجبة والرجاء

وَيَبِينَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جَاءُوا مِنْ دَارِ رَيْسِ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ ابْنَتُكَ
مَاتَتْ . لِمَاذَا تُتَعَبُ الْمُعَلِّمَ بَعْدُ . فَسَمِعَ يَسُوعُ لِحَقَّتِهِ
الْكَلِمَةَ الَّتِي قِيلَتْ فَقَالَ لِرَيْسِ الْمَجْمَعِ لَا تَخَفْ . آمِنْ فَقَطْ .
وَلَمْ يَدْعُ أَحَدًا يَتَّبِعُهُ إِلَّا الْبَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ .
فَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَيْسِ الْمَجْمَعِ وَرَأَى صَبِيحًا يَبْكُونَ وَيُؤَلُّوْنَ
كَثِيرًا . فَدَخَلَ وَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تَضْجَعُونَ وَتَبْكُونَ . لَمْ تَمُتِ
الصَّبِيَّةُ لَكِنَّا نَأْمِنُ .

(مرقس ٥ : ٣٥ - ٣٩)

إن عادات الجنائز اليهودية كانت قاسية ومرعبة ، فقد كان يغلب عليها
طابع الهلع للفراق الأبدي ، ولم يكن فيها أى نوع من الرجاء للمسيحي .

فقالا يموت شخص ما ، كانت الصرخات العالية ترتفع في البيت حتى تعان
هذا الخبر ثم تملأ أيضاً بجانب القبر ، ثم يجلس الحزاني بجوار الميت يطلبون
منه أن يكلمهم ، يقرعون الصدور ، ويجزون الشعر ويشقون الملابس . وكان
شق الملابس يسير بحسب قواعد مرعية : فالملابس تشق قبل مواراة الجثة في
التراب بقليل ، ويجب أن يشق الثوب إلى حد مكان القلب بحيث لا تنزل
أسفل الصدر ، وإن كان الميت أباً أو أما شق الثوب من الناحية الشمال
على القلب ، ولكن فيما عدا ذلك فالناحية اليمنى أما للمرأة فتشق ثوبها
الخارجي فقط في الخفاء بحيث تلبس ثوبها الأسفل مقلوباً حتى لا يظهر شيء من
جسدها . ويستمر الشخص لابساً ثوبه للشقوق سبعة أيام ثم يقله كيفما اتفق
ولكن في نهاية الثلاثين يوماً يصلح الثوب .

وإلى جانب ذلك كان الضرب على الناي ضرورة ملحة في الجنائزات ،
ففي العالم القديم كله : اليهودية ، اليونان ، روما وغيرها كان الناي يرافق الجنائزات
وكان أفقر إنسان يستدعى إثنين من لاعبي الناي ليرافقا جنازة زوجته ، ويقول
و . تايلر في كتابه « Dictionary of Christ and The gospel » إن
لاعي الناي ساروا في جنازة الإمبراطور كلوديوس قيصر ، وعندما وصلت
الأخبار إلى أورشليم عن سقوط يوتاباتا Jotapata في يد الجيوش
الرومانية استأجر معظم الناس لاعبي الناي ليقفوا في وسط جموع الحزاني .

وهكذا كان أنين الناي وصراخ الحزاني ، ومخاطبة الجثة ، وتمزيق
الملابس ، وجز الشعر كل هذه جعلت من البيت اليهودي في وقت الجنائزات
مكاناً مروعاً مقبضاً

وفي أثناء الجنازة يمنع صاحب الميت من العمل ومن السفر . لا يلبس حذاء ولا يدهن نفسه . يجلس معصوب الرأس غير حليق ، يمنع من قراءة الشريعة أو الأنبياء ، لأن قراءة هذه الكتب بعد فرحا ، ولكن قد يقرأ أيوب أو إرميا أو المراثي ، لا يأكل إلا في بيته ويمتنع عن أكل اللحوم وشرب الخمر .. لا يخرج من قريته إلا بعد ثلاثين يوما ، لا يستخدم مائدة بل يجلس على الأرض ، وكان يأكل بيضا مغموسا في الرماد أو الملح وكانت هناك عادة غريبة وهي أن يخلى منزل الميت وثلاثة منازل على كل جانب من الماء حال حدوث الوفاة لأن الناس كانوا يمتقدون أن ملاك الموت كان يفسل سيفه من أقرب مكان للمياه . وإذا كان الميت صغيراً ولم يكن قد تزوج فإن خدمة زواج تجرى عند الدفن ، وطيلة مدة الجنازة لا يتبع الحزين الوصايا لأنه يعتبر مجنوناً من الحزن .

وكان يجب على الحزين أن يذهب إلى المجمع وعندما يقابله الناس كانوا يقولون « مبارك من يواسي الحزين » وتوجد صلاة تقال على اللحم في بيت الحزن :

« مبارك أنت يا الله سيدنا ملك للكون ، إله أبائنا ، خالقنا ، قاديننا ، مقدسنا ، قدوس يعقوب ، ملك الحياة ، الصالح ، أو عامل الصلاح ، إله الحق ، القاصي العادل الذي يحكم بالعدل ، الذي يأخذ النفس في القضاء ويحكم لوحده في الكون ، الذي يفعل ذلك بحسب مشيئته وحسب طرقة في الحكمة ، ونحن شعبه ، وعبيده ، وفي كل شيء يجب أن نحمده ونباركه ، الذي يحفظ شعبه في كل مصائبه ويحفظنا في هذه المصيبة . ومن هذا الصباح سيأتي بنا إلى الحياة

والسلام . عزى الله سيدنا كل حزانى أورشليم ، عزهم فى حزنهم ، وفرحهم فى مصابهم كما تعزى الأم لابنها مبارك أنت يا الله معزى صهيون الذى تبني أورشليم » .

ويعتقد أن هذه الصلاة كتبت بعد كتابة العهد الجديد ولكنها تصف بصدق ماذا كان يحدث فى بيت هذه الفتاة .

الاختلاف الذى يعمله الإيمان

فَضَحِكُوا عَلَيْهِ . أَمَّا هُوَ فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ وَأَخَذَ أَبَا الصَّبِيَّةِ
وَأُمَّهَا وَالَّذِينَ مَعَهُ وَدَخَلَ حَيْثُ كَانَتِ الصَّبِيَّةُ مُضْطَجِعَةً .
وَأَمْسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا طَلِيثًا قَوْمِي . الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَأَصْبِيَّةُ
لَكَ أَقُولُ قَوْمِي . وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ . لِأَنَّهَا كَانَتِ
ابْنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . فَهَيَّتُوا بَهْتَا عَظِيمًا . فَأَوْصَاهُمْ كَثِيرًا أَنْ
لَا يَعْلَمَ أَحَدٌ بِذَلِكَ . وَقَالَ أَنْ تُعْطَى لِي تَأْكُلَ .

(مرقس ٥ : ٤٠ - ٤٣)

إن أحلى كلمة ترن فى الأذان فى هذا الفصل هى « طاليثا قومي » وهى كلمة آرامية معناها « أيتها الصبية قومي » والأمر العجيب هنا هو كيف تدخل هذه الكلمة الأرامية فى هذا الكتاب اليونانى ؟ لماذا تبقى هناك ؟ السبب واحد : وهو أن مرقس سمعها من بطرس ؛ وقد كان بطرس أحد الثلاثة الذين اختيروا ليدخلوا مع يسوع إلى الداخل ، وسمع بطرس يسوع يقول لهذه الفتاة : « طاليثا

فومى » ، وكان وقعها قويا على مسامحه ؛ فلصقت في ذا كرته ، ولم تستطع السنون أن تمحو منها تلك النعمة المحبية اللطيفة ، فأضحى لذلك يرددها في نبرتها الأصلية ، فلم تستطع اللغة اليونانية أن تمحو ذكرها . وفي هذا الفصل نجسد المتناقضات توضع بعضها بجانب البعض .

١ - فهناك اليأس بجانب الرجاء . . . يأس الحزاني ورجاء يسوع . . .
أولئك يقولون « لا تتمب المعلم . . . لا شيء يمكن عمله الآن » ويسوع يقول « لا تخف . . . آمن فقط . ما أكبر الهوة بين نبرة اليأس والفشل ونبرة الرجاء والقوة .

٢ - هناك الحزن الجامح بجانب الثقة المادئة : فهناك الصراخ والعيول وجز الشعر وشق الثياب وهنا الهدوء والثقة وضبط النفس .

ولكن ما سبب هذا الاختلاف الكبير ؟ سببه ثقة يسوع الكاملة في الله ، فأقضى التجارب وأمر الضيقات نستطيع أن نقابلها ومعنا الله ، لقد ضحكوا عليه لأنهم ظنوا أن رجاءه لا أساس له ، ولكن الحياة المسيحية تعرف أين نصرتها فالخير مستطاع عند الناس هو مستطاع عند الله ، إن ما لا يستطيع أن يتخيله الناس يستطيع أن يحققه الله . لقد ضحكوا عليه ولكن ضحكهم تحول إلى إندهاش وتعجب عندما قامت الصبية ، ليس هناك موقف لا يستطيع الإنسان أن يواجهه - حتى ولو كان الموت - ما دام يواجه كل شيء وهو يشعر بحجة الله في المسيح يسوع ربنا .

الْأَصْحَاحُ السَّادِسُ

بِلا كرامة في وطنه

وَوَجَّحَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى وَطَنِهِ وَتَبِعَهُ تَلَامِيذُهُ . وَلَمَّا كَانَ
السَّبْتُ ابْتَدَأَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ . وَكَثِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا بُهِتُوا
قَائِلِينَ مِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ . وَمَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ حَتَّى
تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَّاتٌ مِثْلُ هَذِهِ . أَلَيْسَ هَذَا هُوَ التَّجَارُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسَى وَيَهُوذَا وَسِمَانَ . أَوْلَيْسَتْ أُخْوَاتُهُ هَهُنَا
عِنْدَنَا . فَكَيْفَ يُعْزُونَ بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ لَيْسَ نَبِيٌّ بِلا
كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ . وَلَمْ يَسُدِرْ أَنْ
يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلَا قُوَّةً وَاحِدَةً غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى
قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ . وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ . وَصَارَ يَطُوفُ الْقُرَى
الْمُحِيطَةَ يُعَلِّمُ .

(مرقس ٦ : ١ - ٦)

عندما جاء يسوع إلى الناصرة وضع نفسه في مأزق حرج ، فهو يأتي إلى
المدنية التي تربى فيها . ولا يوجد هناك أفسى من المكان الذي نبت فيه الشخص

وعرفه الجميع . عرفوا أصله وفصله ومنبته ، ولم يأت ، كشخص عادى تغيب عن بلده ورجع إليها ، ولكنه رجع كعلم يهودى كبير له مجموعة من تلاميذه ، كما كانت العادة فى ذلك العصر ، وعندما جاء دخل إلى المجمع وبدأ يعلم ، واستقبله الناس بالتهكم لا بالتعجب ، لأنهم كانوا يعرفون أهله ، وتعرفوا فيه . . لقد ولدت معرفتهم له احتقاراً لتعاليمه .

ولقد رفضوا أن يصفوا إليه لسبيين

١ - لقد جابهوه بالكلام أليس هذا النجار ؟ والكلمة المترجمة نجار هي تكونون : Teckton ومعناه الشخص الذى يعمل فى الخشب ، ليس فقط قاطع أخشاب بل رجل مهنته أن يحيل الخشب إلى شكل من الأشكال ، وكان هؤلاء الناس منتشرين قديماً وخاصة فى القرى والمدن الصغيرة . يستطيع الواحد منهم أن يعمل كل شيء من حظيرة القراخ إلى المنزل الكبير . . إنه يعمل بيديه بأشياء بسيطة وآلات قليلة كل الأشياء . لقد كان يسوع واحداً منهم . لكن الناس لم يحقروا يسوع لكونه عاملاً فى الخشب أو نجاراً ولكن لكونه عاملاً . . يعمل بيديه . . إنه من عامة الشعب . . رجل بسيط . قد نسمع عن ول كر كرس أحد قادة الحركة العمالية العظيمة يذكر هو عن نفسه أنه عمل حداداً بأجر أسبوعى قدره خمسة شلنات أسبوعياً ، ولكنه برع وأصبح أميراً وأشجع العمال ، ثم دخل الميدان السياسى وانتخب قائداً للعمال وعمدة الحى العمالى فى لندن وفى مرة كان يقف فى وسط جمع حاشد سمع سيدة تقول باحتقار « كيف ينتخبون رجلاً كهذا عمدة ؟ إن شكله لا زال على شكل العمال » قالت إليها وقال نعم « يا سيدتى إننى لازلت عاملاً » وهكذا كان أهل الناصرة يحقرون يسوع لأنه كان عاملاً ، ولكننا نحن نرى فى ذلك قمة مجده ، لأننا نعرف أن الله

عندما زار أرضنا لم يفرق بين إنسان وآخر، لقد عاش حياة الناس الفقراء البسطاء،
إن الأصل والعمل لا يؤثران في رجولة الفرد كما قال بوب .

إن قيمة الإنسان في شخصه واحتياج الناس إليه
أما باقي الأشياء فهي كالإطار الخارجي

لنحضر دائماً من أن تقدر قيمة الإنسان بالأمور الخارجية الظاهرية وتترك
القيمة الأساسية الحقيقية التي هي شخصيته واحتياج الناس له .

٢ - قالوا : أليس هذا ابن مريم : « ألسنا نعرف إخوته وأخواته » . من
هذا القول يتضح أن يوسف قد مات ، ونستطيع أن نعرف شيئاً عن حياة يسوع
لقد كان ابن ثلاثين سنة عندما مات ، ولم يخرج إلى الخدمة إلا في سن الثلاثين
(لو ٣ : ٢٣) . وكثيراً ما كان المرء يتساءل : لماذا تأخر هكذا في رسالته والعالم
كله كان يحتاج إليه ؟ السبب لأنه أخذ على عاتقه مسئولية أمرته الصغيرة ، وظل
يعمل ليعولهم إلى أن كبروا وتحملوا هم مسئولية المنزل وعندئذ خرج ليؤدي
الرسالة . لقد كان أميناً في الدائرة الصغيرة فأعطاه الأب المسئولية الكبرى .
كان توماس كامبل الشاعر المشهور يعرف أن أباه لا يفهم شيئاً في الشعر ،
ولكنه لما أخرج أول ديوان له أرسله إلى أبيه ، فأمسك الوالد بالكتاب ولم
يلتفت إلى ما بداخله بل إلى تجليده الفاخر وقال « من كان يظن أن توم
يكاتب هذا الكتاب ؟ » . ففي مرات تولد الصلة لا احتراماً متزايداً بل عدم
معرفة ، وقد نكون قريبين من لنا بدرجة ألا نعرف عظمتهم .

وكانت نتيجة كل هذا أن يسوع لم يستطع أن يعمل معجزة واحدة ، إن

الجو كان غير صالح لعمل المعجزات وهناك بعض الأشياء لا يمكن عملها في
الجو الغير صالح لها .

١ - إن من يرفض أن يشفى لا يمكن شفاؤه. تذكر مارجوت اسكويث
عن موت ن . تشمبرلين الذي أدى فشل سياسته إلى انكسار قلبه ، وتقول إنها
قابلت طبيبه الخاص لورد هوردر وقالت له « هل أنت طبيب حقا ؟ فلقد كان
تشمبرلين أكبر من ونستون تشرشر قليلا وكان رجلا قويا . . فهل كنت
تجبه ؟ » فأجاب هوردر « نعم كنت أحبه جداً ، وأحب كل من لا يحبهم
الناس ، لقد رأيت كثيراً من الناس ، لقد كان تشمبرلين يقامى من الشعور
بالخجل ، وكان يود لو أنه مات ، وعندما يتمنى الموت لا يستطيع أى طبيب
أن ينقذه من الموت » . قد نسميه إيمان ، قد نسميه إرادة الحياة أما الشيء المهم
فيه فإنه بدون هذا الإحساس لا يستطيع الإنسان أن يعيش .

٢ - لا يمكن أن يثمر الوعظ في الوسط الذى لا يرغب وعظا . لو عرف
أعضاء الكنائس أن نصف نجاح المظة يتوقف عليهم لتغيرت كنائسنا ، إن
موقف المستمعين الناقد البارد يضعف عزيمة أعظم الوعاظ ، أما إذا كان
المستمعون في حالة توقع وانتظار فإن أضعف الوعاظ سيكون له أعظم التأثير .

٣ - لا يمكن أن يكون هناك سلام في مكان لا يريد السلام : من
يريد أن يعيش بالكراهية يكره الناس ، ومن يريد أن يسيء فهم الناس
يسهل عليه أن يفعل ذلك ، ومن يريد ألا يعرف غير وجهة نظره لا يسمع
للآخرين ، ولكن إذا اتحد الناس في محبة يسوع وفي محبة بعضهم البعض فإن
أبعد الناس سيتحدون معا في المسيح .

إن مسئولية ضخمة وضعت علينا ولا نستطيع أن نتخلص منها وهي إما أن نكون واسطة في دفع العجلة إلى الأمام وامتداد ملكوت الله ، وإما أن نعطله ، إما أن نفتح الباب له وإما أن نوصده في وجهه .

بشيروا الملك

وَدَعَا الْإِسْنَى عَشَرَ وَابْتَدَأَ يُرْسِلُهُمْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ . وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ . وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَحْمِلُوا سَبْتًا لِلطَّرِيقِ غَيْرَ عَصَا فَقَطْ . لَا مِنْ وَدَا وَلَا خُبْزًا وَلَا نَحَاسًا فِي الْمِنْطَقَةِ . بَلْ يَكُونُوا مَشْدُودِينَ بِنِعَالٍ وَلَا يَلْبَسُوا ثَوْبَيْنِ . وَقَالَ لَهُمْ حَيْثُمَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا فَأَقِيمُوا فِيهِ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ . وَكُلُّ مَنْ لَا يَقْبَلُكُمْ وَلَا يَسْمَعُ لَكُمْ فَاخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ وَانْقَضُوا الثَّرَابَ الَّذِي تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ . الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ سَتَكُونُ لِأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةً أَكْثَرَ احْتِمَالًا مِمَّا لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ .

(مرقس ٦ : ٧ - ١١)

نستطيع أن نفهم هذا الفصل جيداً لو عرفنا ماذا كان يلبس اليهود، فاليهودى كان يلبس عادة خمس قطع من الملابس :

١ - القميص وهو اللباس الداخلى ، وهو عبارة عن قطعة من القماش حيكّت من الجنب ، مثل الكيس الذى له فتحتان من الجانبين لدخول الذراعين وكان هذا القميص يباع بدون فتحة للرأس وذلك لسببين: لى يظهر أنه لم يستعمل بعد ولأن الفتحات تختلف بين الرجال والنساء ، فتحة الرأس عند النساء يجب أن تكون أكبر حتى تستطيع المرأة أن ترضع طفلها ، وقد يعمل لهذا القميص أكمام ، وقد يكون مفتوحان من الأمام ويقفل بواسطة أزرار .

٢ - الرداء الخارجى واسمه العباءة أو الشملة ، وكان يستخدم رداء فى النهار وغطاء بالليل لإتساعه سبعة أقدام وطوله أربعة أقدام ونصف ، وأكمامه على الجانبين يقطع قطعاً عادة يصنع من قطعتين من القماش لإتساع كل منها سبعة أقدام وارتفاعها أكبر قليلاً من قدمين ، وتكون الحياكة من على الظهر ، أما الأردنية الغالية الثمن فكانت تعمل من قطعة واحدة كرداء يسوع (يوحنا ١٩ : ٢٣) وقد كان الرداء اللباس الرئيسى .

الشيء الثالث هو المنطقة : وهى تربط على القميص والرداء معاً ويمكن أن يربط القميص تحت المنطقة إذا كان الشخص يعمل أو يجرى ، أو فوق المنطقة لى يعمل شيئاً ، وكانت المنطقة من طبقتين عرض كل منهما قدم ونصف وكانوا يحملون أموالهم بين الطبقتين .

٤ - لباس الرأس : عبارة عن قطعة من التيسل أو القطن حوالى ياردة مربعة وقد تكون بيضاء أو زرقاء أو سوداء ، أحياناً تعمل من الحرير الملون ، وتلف حول الرأس بطريقة تحمى الرقبة والوجهة والعينين من حرارة الشمس ، وتربط على الرأس بحزام من الصوف المرن .

هـ - وأخيراً هناك الصندوق . وهو عبارة عن قطعة من الجلد المستطيلة أو الخشب ، أو الأعشاب القوية المجذولة وبها أمكنة تربط بها أشرطة من الجلد تربطها بالتقدم .

أما الكيس فهو أحد شيئين :

(أ) ربما يكون حقيبة السفر العادية وهي مصنوعة من جلد الماعز ، وقد يسلخ جلد الجدى كما هو بأرجله الأمامية والخلفية ، ورقبته ، ويوضع شريط في كل نهاية ويحمل على الكتف وفيه يضع المسافر أو الراعى أو الحاج زاده من جبن وزيتون وخبز بقدر يكفيه يوماً أو يومين .

(ب) وربما كان يقصد شيئاً آخر ، بالكلمة اليونانية المترجمة كيس هي پيرا Pira وهي نفس الكلمة التي تترجم « كيس الجمع » التي كان يحملها الكهنة وخدام الآلهة لكي يجمعوا فيها تقدمات الآلهة وممايدها ، وكان الناس يسمونهم « اللصوص الأتقياء الذين يسعون من قرية إلى أخرى » .
ويوجد رسم لأحد العبيد السوريين يقول إنه يجمع ملء سبعين كيساً من الفضة لآلهته

فإذا كان يسوع يقصد الأولى فإنه يعنى أنهم لا يثقون أنفسهم بحمل الزاد ، فالله سوف يعتنى بهم ، وإذا كان يقصد المعنى الثانى فهو إنما يحذرهم من تقليد غيرهم لئلا تفشل خدمتهم .

هناك أمران آخران .

١ - كان الناموس يوصى بأن كل من يدخل المكان القدس يجب أن

يخلع عصاه وحذاءه ومنطقه ماله ، فكل الأشياء العادية يجب أن يتخلص منها المتعبد ، ولربما قصد يسوع بوصيته ألا يحملوا كيسا ولا مذودا أن يعتبروا البيوت التي يدخلونها بيوتا مقدسة يجب أن يدخلوها في نفس الحالة التي يدخلون فيها الهيكل .

٢ - كانت الضيافة واجبا مقدسا في الشرق ، فعندما يدخل رجل غريب إلى قرية ما فإنه لا يفتش عن مكان يستريح فيه ، لأن القرية تهتم به دون أن يسأل ذلك ولقد أخبر يسوع تلاميذه أن الناس قد يقولون بيوتهم فلا يقبلونهم ويسدون آذانهم فلا يسمعون لهم ، ففي هذه الحالة ينبغي عليهم أن يتركوا المكان بعد أن ينفضوا غبار أرجلهم . ولعل هذه الوصية تشير إلى قول التقاليد أن تراب الأرض الأمية نجسة واليهودي الذي يدخل فلسطين من أى مكان آخر يجب عليه أن ينفض الغبار النجس الذي علق عليه من أرض الأمم ، وكان يسوع يقول لهم إذا رفضوا أن يسموا لكم فافعلوا كما يفعل اليهودى المتمسك ، وبهذا لا تكون هناك صلة بينكم وبينهم .

ومما سبق نعلم أن العلامة المميزة للتلمذة المسيحية هي البساطة ، والثقة الكاملة والكرم الذى دائما يعطى دون أن يطالب .

رسالة الملك ورحمته

فَخَرَجُوا وَصَارُوا يَكْرَرُونَ أَنْ يَتُوبُوا . وَأَخْرَجُوا شَيَاطِينَ
كثيرةً ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفؤهم .

(مرقس ٦ : ١٢ و ١٣)

هنا مختصر لما قام به الإثنا عشر عندما أرسلهم يسوع :

١ - أعلنوا قدوم رسالة يسوع : إن الكلمة التي استخدمت هي نفس الكلمة التي استخدمها البشير الذي يسبق الملك ، وعندما ذهبوا لم يتدعوا رسالة بل قدموا رسالة ، إنها ليست رسالتهم بل رسالة الله ، إنها لم تبن على ما كانوا يعتقدون بل هي ما سمعوه من الله . مثلهم في ذلك مثل نبي القديم عندما كان يفتتح رسالته بالقول « هكذا قال الرب » . إن الرسالة المؤثرة هي التي تأتي من الرب أولاً .

٢ - لقد حملوا للناس رسالة الملك : وتتلخص هذه الرسالة في الكلمة « توبوا » ومعنى توبوا أى غيروا تفكيركم واتجاهكم وبالتالي سلوككم . . أى تغيير القلب والعمل . فالنوبة مؤلمة لأنها التحقق من خطأ ما نعمله . . إنها مزعجة لأنها تعنى تغيير الحياة كلية ، وهذا ما لا يريد الناس . تقول الليدى إسكويث عن جماعة « إنهم يتخبطون نحو الموت » . وهذا هو طبع الكثيرين ، إنهم يكرهون تغيير حياتهم ، فالحياة دائماً تميل إلى الغروب فلا داع لتغييرها . . إنهم يكرهون الحركة . إن الخاطى الذى اختار طريقه والذى حدد هدفه ساعياً إليه بكل قوته أفضل من هؤلاء السليبين الواقفين الذين لا هدف لهم . فى رواية سوفاديس نقرأ عن فينيسيس الرومانى الذى أحب فتاة مسيحية ، ولما لم تقبله زوجاً لأنه غير مسيحي ذهب وراءها إلى الاجتماع السرى للمسيحيين وهناك سمع بطرس يعظ ، وأحس أن شيئاً ما يحدث فى داخله ، وعرف أنه لو تبع هذه التعاليم الجديدة لاحتقرت حياته الأولى وضاعت ثم نبت مكانها حياة جديدة مملوءة بالحركة والحيوية . .

هذه هي التوبة . . . والتغيير . . . هي لكل إنسان ، إن التغيير لا يقصد به اللصوص والقتلة والزناة وغيرهم من الخطاة العتاة فقط بل يقصد بها أيضاً أولئك الكسالى الأنايين الذين لا يهتمون بغيرهم . . . إن التغيير من عبادة النفس إلى عبادة الله شيء موجه ولكنه لازم . في رواية البؤساء يقول الأسقف من جماعة الكسالى « إنني أربهم دائماً ، لأن شيئاً غريباً يصطدمهم في كلامي إن حضوري بينهم يشعرهم كأنما الباب قد ترك مفتوحاً والتيار الشديد يهب عليهم » . إن التوبة ليست شعوراً عاطفياً . . . التوبة هي ثورة . . . هي تغيير لكل الحياة .

٣ - لقد قدموا للناس رحمة الملك : إنهم لم يقدموا لهم طلبه المزعج بل معونته المستمرة ، لقد قدموا لهم شفاء من الأرواح النجسة : فالمسيحية تهتم بشفاء الروح والجسد ، إنها تهتم بشفاء الأخلاق المنحلة والأجساد المخطئة . ولهذا فقد اهتموا بالدهن بالزيت ، لأن الزيت كان دواءً عاماً لكل الأمراض . فقد قال جالين الطيب الإغريقي المشهور « إن الزيت هو أفضل الأدوية للجسد المتألم ، ولكن الزيت في يد خادم المسيح أضحي يحمل امتيازاً آخر . . . إنه يساعد في شفاء الجسد ولكن مع هذا الشفاء يعطى الروح القدس شفاء الروح . إن قوة الله أوضحت معرفة حتى في الأشياء العادية .

وهكذا حمل التلاميذ للناس رسالة الملك ورحمته . . . وهذا العمل لا يزال العمل الأساسي والرئيسي للكنيسة اليوم وإلى منتهى الأيام .

ثلاثة أحكام على يسوع

فَسَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ . لِأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُورًا . وَقَالَ إِنَّ
يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَلِذَلِكَ تَعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ .
قَالَ آخَرُونَ إِنَّهُ إِيَلِيَّا . وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ كَأَحَدِ
الْأَنْبِيَاءِ

(مرقس ٦ : ١٤ و ١٥)

لقد انتشرت أخبار يسوع في طول البلاد وعرضها حتى وصلت إلى أسمع
هيرودس . ويلاحظ أن هيرودس قد سمع مؤخرًا عنه لأنه كان يسكن بطياربوس ،
وهي مدينة أرمية لم يذهب إليها يسوع ولا أحد من تلاميذه . ولكن بعد أن
امتلات البلاد بأخباره لم يكن من الممكن أن يستمر هيرودس في جبهه بقصته .
وفي الفصل الذي أمامنا نجد أحكاماً ثلاثة على يسوع :

١ — حكم الضمير المذنب : لقد قتل هيرودس يوحنا المعمدان ، وحاول
أن ينسى ، ولكنه لم يستطع فقد عاد ضميره يعذبه ، وهل يستطيع الرجل الشرير
الذي عمل عملاً شنيعاً كهذا أن يستريح ؟ إن المجرم يعتبر العالم كله ضدًا له ،
ولا يستطيع أن يتهرب من نفسه لأنه لا يستطيع أن يهرب من تفكيره في
جنايته التي عملها ، أما حياته الظاهرية فهي حياة المذنب . لأنه يخاف لئلا تصل
إليه يد العدالة أو يد الانتقام .

منذ سنوات هرب رجل من السجن وسكنه عاد إليه بعد ١٨ ساعة في حالة

مروعة من التعب والجوع والإرهاق ، وبدأ يصف هروبه بقوله «
مطارداً .. مطارداً طيلة الوقت .. لا فرصة لي للأكل .. لا فرصة لي للنوم ،
لقد كنت هارباً كل الوقت لأني كنت مطارداً » . هذه الكلمة مطرود
أو مطارد هي الصفة الحقيقية لحياة المجرم . وهكذا كان هيرودس بعد أن قتل
يوحنا المعمدان .. لقد طاردته أفكاره ولم يستطع أن يهرب منها . ما أشبع
حياة الخطية إنها حياة مطاردة .

٢ - حكم التنعصب لوطنه كان معتقد أن يسوع هو إيليا . أما قصة يحيى
إيليا فهي جزء لا يتجزأ من عقيدة اليهود عن المسيا . لقد تباين التفكير اليهودي
في حقيقة شخصية المسيا وموعده بحيثه ، ولكن الرأي الذي كان يتمسك به
غالبيتهم هو أن المسيا سيكون ملكاً جباراً فأحماً ، سيأتي بسيفه ويخضع كل العالم
 لليهود فيحكمونه . ولكن قبل أن يحيى ذلك اليوم ، سيظهر إيليا ليعد الطريق
 له . ولقد بقي اليهود على هذه العقيدة إلى يومنا الحاضر ، ففي عشاء الفصح تراهم
 يتركون مقعداً خالياً اسمه « مقعد إيليا » ، ويضعون كأساً من الخمر أمامه ، إنه
 « كأس إيليا » ثم يفتحون الأبواب لعل إيليا يدخل بقوة معلنا يحيى المسيا
 المنتظر .. وعلى أساس هذه العقيدة ظن كثيرون من التنعصبين أن يسوع
 الناصري هو بنفسه إيليا ، إنهم رأوا فيه تحقيقاً لأطاعتهم ، فبدلاً من أن
 يتخذوا من يسوع سيداً يطيعونه ومعلماً يسمعون لكلمته ، أرادوا أن يروا
 فيه آلة لتحقيق مأربهم المالية . إنهم لا يفكرون في المسيح بقدر ما يفكرون
 في أنفسهم .

٣ - حكم الشخص الذي كان ينتظر أن يسمع صوت الله . ذلك الذي ظن

أن يسوع هو النبي لقد كان اليهود يتوقون إلى سماع صوت الله كما كان في القديم .. فلأمانة عام كاملة سكت الله فيها ولم يسمعهم صوته . . لقد ملت آذانهم سماع المناقشات العقيمة والمحاضرات الأخلاقية ، إنهم يريدون أن يسمعوا صوت الله نفسه .. يتطلعون لسماع العبارة « هكذا قال الرب » . ولقد سمعوا هذا الصوت من يسوع . فظنوه أنه النبي المنتظر .. لقد كان يسوع أكثر من نبي « لقد كان صوت الله ، لقد كان قوة الله ، لقد كان حياة الله نفسه . ولكن أولئك الذين ظنوه نبيا كانوا أكثر قربا إلى الحقيقة من هيرودس المذب الضمير والوطني المتعصب ليهوديته .. لقد كانوا مستعدين أن يخطوا الخطوة الثانية حتى يروا أن يسوع هو ابن الله .

انتقام امرأة شريرة

وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ هَذَا هُوَ يُوْحَنَّا الَّذِي قَطَعْتُ
أَنَا رَأْسَهُ . إِنَّهُ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ .

لِأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوْحَنَّا وَأَوْثَقَهُ
فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلِبُّسَ أَخِيهِ إِذْ كَانَ قَدْ
تَزَوَّجَ بِهَا . لِأَنَّ يُوْحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ لَا يَحِلُّ أَنْ
تَكُونَ لَكَ امْرَأَةٌ أُخِيكَ . فَحَنَقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ وَأَرَادَتْ أَنْ
تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ . لِأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوْحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ

رَجُلٌ بَارٌّ وَقَدِيسٌ وَكَانَ يَحْفَظُهُ . وَإِنْ سَمِعَهُ فَعَمَلَ كَثِيرًا
 وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ . وَإِذْ كَانَ يَوْمَ مُوَافِقٍ لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي
 مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَادِ الْأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ . دَخَلَتْ
 ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَفَصَتْ . فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَّكِنِينَ مَعَهُ .
 فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ مَهْمَا أَرَدْتِ اطَّلِي مِنِّي فَأَعْطِيكِ . وَأَقْسَمَ لَهَا
 أَنْ مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لَأَعْطِيَنَّكَ حَتَّى نِصْفَ تَمَلَّكِي . فَخَرَجَتْ
 وَقَالَتْ لِأُمِّهَا مَاذَا أُطَلَبُ . فَقَالَتْ رَأْسَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ
 فَدَخَلَتْ لِلْوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي
 حَالًا رَأْسَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ عَلَى طَبَقٍ . فَحَزِنَ الْمَلِكُ جِدًّا . وَلَا جُلِي
 الْأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِنِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَرُدَّهَا . فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ
 الْمَلِكُ سَيَافًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ . فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ
 فِي السَّجْنِ . وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ وَالصَّبِيَّةُ
 أَعْطَتْهُ لِأُمِّهَا . وَكَمَا سَمِعَ تَلَامِيذُهُ جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا
 فِي قَبْرِ .

(مرقس ٦ : ١٦ - ٢٩)

في هذه القصة نجد البساطة الكاملة لدراما تاريخية هائلة :

١ - مكان الرواية : قلعة ماخيروس ، وهي قلعة موحشة مقامة على بقعة بعيدة عن العمران ومحاطة بنتوءات صخرية ضخمة جعلتها من أقوى وأقوى قلاع العالم ، ويستطيع الواقف فيها أن يرى الشاطئ الشرقي للبحر الميت ، وهناك يلاحظ انلطاطيف المثبتة في الحوائط التي لا بد أن يوحنا المعمدان كان مربوطا في واحد منها . في هذه القلعة الموحشة جرى آخر فصل من فصول حياة يوحنا المعمدان .

٢ - شخصيات الرواية : كانت الروابط الزوجية في بيت هيروس معقدة ومتشابكة لا يستطيع أى مؤرخ أن يفصلها على حقيقتها . فعندما ولد يسوع كان هيروودس الكبير ملكا ، وكان هو الذى أمر بقتل أطفال بيت لحم [متى ٢ : ١٦ - ١٨] وفي أوائل حياته تزوج عدة مرات ، ولكنه لما تقدم في السن بدأ الشك ينتابه ويقلقه حتى صار الشك مرضه المستعصى حتى دفعه أن يقتل أسرته واحداً تلو الآخر ، مما جعل اليهود يتندرون بالقول « من الأفضل أن يكون الشخص خنزير هيروودس من أن يكون إبنة » . فقد قتل إبنة انثيباس من زوجته الأولى دوريس ، ثم قتل ابنيه الآخرين ، اسكندر وارستوبولس ، من زوجته الثانية مريم المكابية . ثم تزوج من امرأة أخرى اسمها مريم وأنجب منها فيلبس وتزوج فيلبس من إبنة أخيه أرستوبولس الذى قتله أبوه وأنجب منها سالومي التى رقصت أمام هيروودس حاكم الجليل .

ولم يكتف هيروودس الكبير بذلك بل تزوج مرة رابعة من امرأة اسمها ملثاكي وأنجب منها ولدين : أرخيلاوس ثم هيروودس انثيباس الذى رقصت أمامه سالومي .

أما فيلبس زوج هيرووديا وأبو سالومي فلم يرث شيئا من ممتلكات أبيه ،

ولهذا عاش في روما عيشة البذخ والترف كأى مواطن روماني عادي . وفي أحد الأيام زاره أخوه هيرودس انتيباس حاكم الجليل في روما ، وهناك أخبره زوجته هيروديا أن تهجره وتذهب معه إلى الجليل ففعلت : وكانت الفضيحة تسكن في :

١ - أنها كانت إبنة أخيه غير الشقيق :

٢ - أنها كانت زوجة أخيه غير الشقيق .

أما قبل ذلك ، فكان قد تزوج من إبنة ملك من ملوك العرب ولما طلقها ثار أبوها لشرفها وحارب هيرودس وتقلب عليه .

أما قصة زوجات هيردوس الكبير لم تنته إلى هذا الحد بل تزوج مرة خامسة من امرأة اسمها كليو باطرة من اورشليم وأنجب منها فيلبس الذي عين حاكما من قبل روما : فيلبس هذا تزوج من سالومي الأنفة الذكر التي كانت .

١ - إبنة أخيه غير الشقيق .

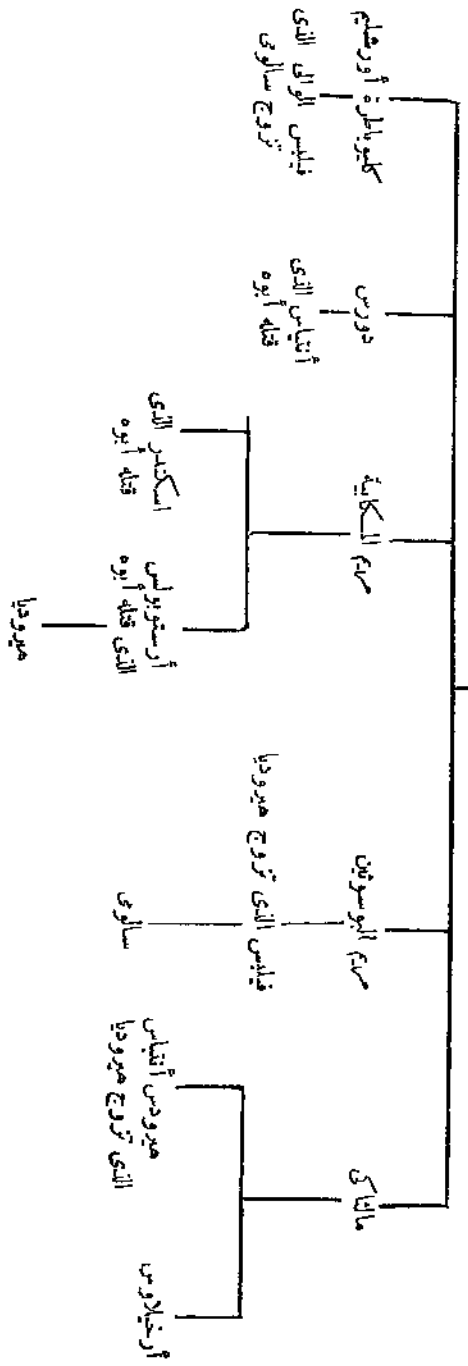
٢ - ابنة ابنة أخيه هيروديا [هيروديا ابنة أرسطوبولس ابن هيرودس الكبير] فكان بذلك في مقام جدها .

والذي يسهل تتبع هذه الشجرة يحسن أن نضعها في جدول هكذا في الصفحة التالية : -

وهكذا يرى الدارس أن التاريخ لم يحفظ في سجلاته أسماء أسرة كثيرة فيها هذه الزيجات المتداخلة كأسرة هيرودس ، هذه الزيجات التي بدأها هيرودس بالزواج من هيروديا التي كانت ضد كل قانون وخاصة الناموس اليهودي .

هيروس الكبير

تزوج



ولهذا السبب وقف يوحنا ضد هذه الدعارة العلتية ، ولم يخف وجه هيرودس ولا جبروته ، وبهذا استحق يوحنا أن يسجل في ذكراه الصلاة الآتية .

« أيها الإله القوي يامن سددت عبدك يوحنا المعمدان وأرسلته ليمد الطريق »
أمام ابنك الحبيب بالناداة بالتوبة ، اجعلنا أن نتبع كلامه وحياته المقدسة
فنتوب حقاً كما نادى ، وقد تكلمت فيه تكلم فينا معلنا الحق موبخاً
الرزيلة ، ودعنا أن نتحمل الألم لأجل الحق مثله .

ولم يستطع هيرودس أن يفعل شيئاً ضد يوحنا بالرغم من توبيخه إياه ، لأنه رأى فيه إنساناً مخلصاً صالحاً ، ولكن هيروديا كرهته وأرادت أن تنتقم منه ، وتربصت الفرصة حتى وانتهى في يوم ذكرى ميلاد هيرودس . ففي ذلك اليوم أقام هيرودس وليمة كبرى لمظمائه ، وفي وسط الفرح دخلت سالومي لترقص وحدها وكان الرقص الذي تؤديه عاراً على آية عاتلة محترمة ، لأنه كان مهنة الزواني في ذلك الوقت ، ولكنها لم تحترم مركزها كأمية ، ولم تحترم الضيوف الكبار الذين حضروا الوليمة ودخلت لتقوم بهذا الخزي . . . وسر هيرودس وأراد أن يمجزل لها المكافأة ، واستشارت أمها ، وانتهزت هذه الفرصة وطلبت رأس يوحنا ، وكان لها ما طلبت .

ونستطيع أن نتعلم بعض الدروس من هذه الشخصيات :

١ — لقد كشف هيرودس نفسه أمام الجميع :

(٢) لقد كان خليطاً من المتناقضات : كان يخاف يوحنا ويحترمه في نفس

الوقت يرهب لسانه ولكنه بصغى إليه ، وهكذا تكون الطبيعة البشرية دائماً ؛ كما يذكر بوسل في « يوميات لندن » إنه كان يجلس في الكنيسة يستمتع بالعبادة وفي نفس الوقت يفكر في كيف يقضى ليلة حراء بعد العبادة ، وبهذا كان موزعاً بين الرذيلة والفضيلة ، ويذكر أحد القضاة عن الجرمين الذين دافع عنهم والذين أدانهم « قد يحاولون أن يهربوا ولكنهم لا يستطيعون ، قد نجد قيمهم شيئاً من النبل ، كل حياتهم يحاولون أن يجربوا شيئاً من الفضيلة ولكنهم لا يقدرّون » هكذا كان هيرودس : كان يخطئ وفي نفس الوقت يخاف من يوحنا ويحبه ، كان يكره رسالته ولكنه لم يستطع أن يخلص نفسه من سلطان تأثيرها . لقد كان هيرودس بشراً . . . وهل يستطيع كثيرون أن يقولوا غير ذلك .

(ب) كان هيرودس رجلاً يتصرف حسب عواطفه : لقد أعطى وعده لسالومي في ساعة لم يكن يشعر بما يقول . . لعله كان تحت سلطان الخمر ، ولكن الرجل العاقل هو الذي يعد ويعرف ماذا يفعل ، هو الذي لا يندم أنه قال كلمة وهو في حالة الغضب أو السكر يقول بعد أن يفكر ، ومتى قال كان جازماً في قوله .

(ج) كان يخاف من أقوال الناس ، لقد حفظ كلمته ووعدده لسالومي خوفاً من تهكم الحاضرين عليه ، لم تكن عنده الشجاعة الكافية أن يعترف بخطأه ، وكم من أناس لم يستطيعوا أن يعترفوا أنهم أخطأوا ثم عملوا أعمالاً أسفوا عليها بعد ذلك . إنهم يخافون الناس أكثر من الحق .

٣ - وفي هذه القصة تنكشف أمامنا طبيعة هيروديا . نعم . يذكر لها

التاريخ قصة فيها بعض العظمة ، وهي أن زوجها هيرودس ذهب إلى روما ليطلب من الامبراطور أن يعطيه لقب ملك ، ولكن الامبراطور طرده ثم فاه إلى غانه ، ويومئذ قيل له روديا إنها تستطيع أن تبق حيث تريد فلا داعي لنفيها هي ، ولكنها رفعت رأسها بكبرياء وقالت « أريد أن أكون حيث يكون زوجي » . ولكن رغم ذلك كانت امرأة شريرة . ويقول المثل اليهودي لا يوجد أشر من المرأة الشريرة ولا أبر من المرأة الطيبة ، ويؤكد أحد علماء اليهود أنه يفضل كثيراً أن يتزوج امرأة طيبة من رجل شرير عن أن يتزوج رجل طيب من امرأة شريرة . فالمرأة الطيبة ترفع الرجل الشرير من حماته ، أما المرأة الشريرة فتجرح الرجل الطيب إلى الرذيلة . إن مشكلة هيروديا أنها أرادت أن تزيل الرجل الذي واجهها بالحق من الوجود لكي تفعل خطيئتها وهي مستريحة ، إنها تريد أن تخطيء بدون أن يعاقبها أحد . لقد تخلصت من يوحنا ولكن هل تستطيع أن تتخلص من الله ؟

٣ - وتكشف شخصية يوحنا المعمدان : أنه رجل شجاع ، لقد كان رجل الخلاء والأماكن القسيحة ، ولهذا فقد كان أقسى عقاب له هو السجن ، ولكن يوحنا فضل الموت عن الكذب ، عاش للحق وفضل أن يموت لأجله . إن الذي يتكلم بكلمة الله يخاطب ضمائر الناس : ولأن كثيرين قد آماتوا ضمائرهم ، فرجل الله الذي يوبخهم يكون مجازفاً بحياته ونفسه .

أشجان الجموع

وَاجْتَمَعَ الرَّسُلُ إِلَى يَسُوعَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ كُلِّ مَا قَعَلُوا
وَكُلِّ مَا عَلَّمُوا . فَقَالَ لَهُمْ تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ

خَلَاءَ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلًا . لِأَنَّ الْقَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرُونَ .
وَلَمْ تَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلْأَكْلِ . فَمَضَوْا فِي السَّفِينَةِ إِلَى مَوْضِعٍ
خَلَاءَ مُتَفَرِّدِينَ . فَرَأَاهُمُ الْجُمُوعُ مُنْطَلِقِينَ وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ
فَتَرَاكَضُوا إِلَى هُنَاكَ مِنْ جَمِيعِ الْمَدِينِ مُشَاءَةً وَسَبَقُوهُمْ وَاجْتَمَعُوا
إِلَيْهِ . فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا
كَخِرَافٍ لَا رَاعِيَ لَهَا فَأَبْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا .

(مرقس ٦ : ٣٠ - ٣٤)

عندما رجع التلاميذ من إرساليتهم أخبروا يسوع بكل ما صنعوا، ولكنهم لم يستطيعوا أن يخلطوا بأنفسهم ولا يسوع لأن الجموع كانت متقاطرة عليهم ، فأخذهم يسوع إلى موضع خلاء على الجانب الآخر من البحيرة ليستريحوا قليلاً .
وفي هذا الفصل ، نستطيع أن نلمس التوازن الحقيقي للحياة المسيحية ، فالحياة المسيحية الحقيقية هي الدخول إلى المخاض لمقابلة الله ثم الخروج من هناك لمقابلة الناس ، ثم الدخول مرة أخرى والخروج ، إن الحياة الطبيعية دليل واضح على ذلك فهي التوازن بين العمل والنوم ، فلن يستطيع إنسان أن يعمل ما لم يأخذ كفايته من الراحة والنوم . ولن يذوق حلاوة النوم ما لم يعمل حتى التعب ، وهو في هذا الأمر معرض إلى خطر مزدوج ، فقد يعمل الإنسان إلى حد الإرهاق بدون أن يعطى نفسه قسطاً من الراحة ، ومن الناحية الأخرى قد يستريح طويلاً جداً فلا يتعب نفسه ولا يعمل . وهذا المسيحي : إن راحته في الله وعمله مع الناس ، فعندما يدخل إلى مخدعه . يسمع صوت إلهه ويسمع الله صوته مجدداً

بذلك قواه الروحية وبذلك يستريح ، لأن لا راحة له بعيداً عن إله الحياة ، ولا قوة ثابتة إلا من رب القوة الذى يمنحها إياه فى ساعة الصمت والسكون .
فالتعبد الحقيقى هو الذى تظهر ثماره فى الخدمة الحقيقية ، فالإنسان الذى يريد أن يحتلى مع الله لكى يترك إخوته ولا يبلى صوت حاجتهم هو إنسان أنانى لم يعرف الله . . إن توازن الحياة المسيحية هى فى التبادل المستمر بين خدمة الله وخدمة الأخوة . . بين الخدع والسوق .

لكن الراحة التى كان يسوع ينشدها مع تلاميذه لم تتحقق له ، لأنه ذهب إلى الجانب الآخر من البحيرة فى السفينة ، ويلوح أن الهواء كان ساكناً فكانت السفينة بطيئة فلم تستطع أن تقطع الأميال الأربعة التى أمامها قبل أن يصل الناس إلى نفس المكان مع أنهم — أى الناس — ساروا مسافة عشرة أميال . وهذا وجدوا يسوع قد وصل لتوه فلم يستطع أن يستريح . ولو كان يسوع شخصاً نظير كل الناس لتضايق ، لأنهم قطعوا عليه خلوته مع إخوته ، وأنكروا عليه الراحة التى ينشدها ، ولكنه لم يتضايق بل رحب بهم ، ونظر إليهم فى إشفاق ومحبة ، رآهم متممين مملوئين بالحاجة والشجن ، ففتح قلبه ليعطيهم ما يطلبون منه ولم يجدوه فى شخص سواه ، فقد رآهم كخرف لا راعى لها . .

١ — فالخرف بدون راعيها تضل الطريق وهكذا نحن لو تركنا لأنفسنا لضلنا طريقنا . . إنهم كما يقول لورد كاي رنز « أطفال ضلوا فى يوم مطير » أو كما يبردانتى على لسان أحدهم « استيقظت فوجدت نفسى فى غابة فسيحة مظلمة لا طريق واضح فيها » نعم فالحياة متشعبة ولا نستطيع أن نطرقها بدون يسوع فإنه يرشدنا .

٢ — وان تستطيع أن تجرد الراعى . ونحن فى حاجة إلى تقييم نفوسنا لكي نستمر فى عملنا ، نريد الإرشاد الذى يخرجنا بعيداً عن نفوسنا وفق أتمابها ، وإذا فتننا عن هذه الحاجة بعيداً عن يسوع فإننا نبقى فى جوعنا وعطشنا وضعفنا ، ففى يسوع وحده نجد الطريق والرعى .

٣ — الخراف بدون الراعى معرضة للأخطار . لا تستطيع أن تحمى نفسها من اللصوص أو من الوحوش الضارية ، والدرس الأعظم الذى نأخذه من الحياة هو أننا لا نستطيع أن نحيا وحدنا فلا طاقة لنا بمواجهة التجارب ولا العالم الشرير ، أما مع يسوع فنحن نحفظ بنفوسنا فى حمايته وثيابنا بيضاء فى قداسه .

القليل الذى تكاثر فى يد يسوع

وَبَعْدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ الْمَوْضِعُ
خَلَاً وَالْوَقْتُ مَضَى . إِضْرِفْهُمْ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الضِّيَاعِ وَالْقَرَى
حَوَالَيْنَا وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ خُبْزاً . لِأَنَّ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ .
فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ أَعْطُوهُمْ أَتُمْ لِيَأْكُلُوا . فَقَالَ لَهُمْ أَنْمَضِ
وَبْتَاعُ خُبْزاً بِمِائَتَيْ دِينَارٍ وَنُطِيبُهُمْ لِيَأْكُلُوا . فَقَالَ لَهُمْ كَمْ
رَغِيفاً عِنْدَكُمْ . اذْهَبُوا وَانظُرُوا . وَلَمَّا عَلِمُوا قَالُوا خَمْسَةٌ
وَسَمَكَتَانِ . فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا الْجَمِيعَ يَتَكئونَ رِيفاً رِيفاً
عَلَى الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ . فَاتَّكَأُوا صُفُوفاً صُفُوفاً مِثَّةً مِثَّةً وَخَمْسِينَ

خَمْسِينَ . فَأَخَذَ الْأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَيْنِ وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ
السَّمَاءِ وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَرَ الْأَرْغِفَةَ وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ لِيَقْدِمُوا
إِلَيْهِمْ . وَقَسَمَ السَّمَكَيْنِ لِلْجَمِيعِ . فَأَكَلَ الْجَمِيعُ
وَشَبِعُوا . ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكِسْرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءَةً
وَمِنَ السَّمَكِ . وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الْأَرْغِفَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ
آلَافٍ رَجُلٍ .

(مرقس ٦ : ٣٥ - ٤٤)

يبدو أن تأخير هذه المعجزة كان كبيراً حتى أنها ذكرت في الأناجيل الأربعة
دون سائر المعجزات الأخرى ، ومن دراسة إنجيل مرقس يتضح أن هذه القصة
جاءت على لسان شاهد عيان ، مما يؤيد أن مرقس نقلها رأساً عن لسان بطرس
التلميذ . لتأمل الآن بعض تفاصيلها الحية :

يذكر مرقس أن الآكلين جلسوا على العشيش الأخضر ، وهذه ذكريات
شاهد عيان وذكري اخضرار الحشيش يوحى بأن المعجزة حدثت في منتصف
أبريل تقريبا ، فهذا الفصل هو موعد الاحضرار، ولا بد أنها حدثت بعد منتصف
النهار بكثير لأن الشمس كانت تغرب في الساعة السادسة . وجلسهم في
صفوف خمسين ومائة يذكر القارىء بصفوف الخضروات التي كانت تزرع ،
فالكلمة التي يستخدمها هنا « براسيا » هي نفسها التي كانت تستخدم على
صفوف الخضروات . . وعندما يذكر الكاتب أنهم أخذوا اثني عشر قفة

يذكر القارىء بعدة كانت منتشرة عند اليهود، فقد كان على كل يهودى مسافر أن يحمل معه قفته ذات الفوهة الضيقة التى تنسع رويداً رويداً حتى تصل إلى أكبر اتساع لها عند قاعها . وهناك سببان لهذه القفة الأول : لكي يحمل فيها اليهودى خبزه وهو فى غربته ، حتى يتأكد أنه يأكل الخبز الطاهر طقسياً ، والثانى هو لكي يجمع فيها كثير من الشعاذين ما يأخذونه من الإحسان ، ولهذه الأسباب كانت هذه القفة موضع تندر من غير اليهود . فعندما يقول إنهم رفعوا اثني عشرة قفة كان معنى ذلك أنها القفف التى كان يحملها التلاميذ معهم .

والشئ المهم فى هذه القصة أنها تحمل فى ثناياها مقارنة بين موقف يسوع وموقف التلاميذ يظهر فيما يأتى :

١ - موقفهم من الحاجة البشرية : عندما رأى التلاميذ أن النهار قد مال وأن الجوع كانت جائعة متعبة قالوا للمسيح « إصرف الجمع » بمعنى أنهم متعبون محتاجون دعمهم يفتشون لأنفسهم عن طعام ومكان يبيعون فيه، ولكن يسوع قال لهم « أعطوهم أنتم لياكلوا » كأنه يقول « هم متعبون محتاجون يجب أن نعتنى نحن بهم . هذان موقفان نجدهما كثيراً فى الحياة ، قد يقف إثنان أمام جماعة بئسة محتاجة إلى المعونة : فيقول الأول « لا شأن لى بهم دعهم يخدمون أنفسهم » ويقول الثانى « إنهم يحتاجون إلى دعوى أحاول خدمتهم » .

٢ - موقفهم من الطاقة البشرية : عندما قال لهم يسوع : أعطوهم أنتم لياكلوا عمل فيلبس حسابه بسرعة وقال إنهم يحتاجون إلى مائتى دينار ، والدينار هو عملة فضية رومانية تساون ما يقرب من ستة قروش الآن ، وكان الدينار ، يساوى أجر العامل الواحد يومياً . فسكان التلاميذ قالوا للمسيح ليس

لنا أى شىء .. لأنهم يحتاجون إلى أجرة عمل لمدة ستة شهور كاملة حتى نعطيهم خبزاً فقط . أصرفهم . لقد أحسوا أنهم غير كفىء لهذا العمل . ولكن يسوع يطلب مامعهم فقدموا له خمسة أرغفة ، وكانت الأرغفة صغيرة ، مصنوعة من الشعير الذى يعتبر أقل أنواع الخبز ؛ وقدموا له خمسة سمكات لا تزيد عن حجم السمك الصغير المالح — وقد كانت شواطئ البحيرة مشهورة بسمكها المالح الذى كان يوزو كل أسواق العالم . لكن يسوع أخذها وفي يديه صارت هذه الأشياء الصغيرة النافهة أشياء كبيرة تكفى لآلاف الأشخاص .

نعم وقد نظن أننا لا شىء والمواهب التى لنا لا تنفع شيئاً لأنها قليلة وضعيفة .. ولكن أعط هذا القليل ليسوع ، دعه يتسلمه فى يديه ، ولا تكن متشاكماً كما كان التلاميذ ، وسوف ترى أن القليل فى يد يسوع قد صار كثيراً وناهماً . إن الإنسان لا يستطيع أن يتخيل كم يعمل الرب بنا وفيها لو سلمنا نفوسنا ومواهبنا فى يد يسوع .

التغلب على العاصفة

وَاللَّوْقَتِ أَلَزَمَ تَلَامِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوا إِلَى
 الْمِغْرِبِ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا حَتَّى يَكُونَ قَدْ صَرَفَ الْجَمْعَ . وَبَعْدَ
 مَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ . وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتْ
 السَّفِينَةُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَحْدَهُ . وَرَأَتْهُمُ مَعْذَنَاتُ فِي
 الْجَدْفِ . لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ . وَنَحْوَ الْهَزِيحِ الرَّابِعِ مِنْ

اللَّيْلِ أَنَّهُمْ مَاشِيَاً عَلَى الْبَحْرِ وَارَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَوْهُ
 مَاشِيَاً عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً فَصَرَخُوا . لِأَنَّ الْجَمِيعَ رَأَوْهُ
 وَاضْطَرَبُوا فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ ثِقُوا أَنَا هُوَ لَا تَخَافُوا .
 فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ إِلَى السَّفِينَةِ فَسَكَتَ الرِّيحُ . فَبُهِتُوا وَتَعَجَّبُوا فِي
 أَنْفُسِهِمْ جِدًّا إِلَى الْغَايَةِ . لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا بِالْأَرْغِفَةِ إِذْ كَانَتْ
 قُلُوبُهُمْ غَلِيظَةً .

(مرقس ٤٥: ٦ - ٥٢)

بعد أن أشبع يسوع الجمع الجائع أرسل تلاميذه إلى عبر البحيرة قبل أن
 يصرّفهم ولكن مرقس لم يذكر السبب الذي لأجله فعل يسوع . ولعل يوحنا
 يعطى جواباً على ذلك عندما يذكر أنه كانت هناك خبطة لخطف يسوع وجعله
 ملكاً . ولقد كان يسوع ضد هذه الفكرة ورفضها رفضاً قاطعاً في تجربته في
 البرية ، ولهذا فقد أرسل تلاميذه بعيداً عنه في هذه الساعة الحرجة حتى يتمتعهم
 من السقوط في التجربة والاندفاع في ذلك التيار . ولقد كانت الجليل مهداً
 لهذه الحركات العنيفة ، وكانت عيون الحكام مفتوحة ، فلو اشتموا رأحة
 حركة كهذه لانقضوا عليها ، وبهذا تنهار حركة يسوع . ولهذا السبب أرسل
 يسوع تلاميذه قدامه ، ثم سكن الجماهير وودعهم .

ثم ذهب إلى الجبل ليصلي ، كان محتاجاً إلى الآب لأن مشكلات
 شديدة تواجهه . فهناك مشكلة اليهود المتمصين الذين كرهوه بسبب وبدون
 سبب ، وهناك هيرودس الذي بدأ يشك فيه ، وهناك القيورون السياسيون

التمصبون الذين يريدونه مسيا سياسياً . إنها مشكلات عويصة نقلت على كتفيه وقلبه .

ومكث يسوع بضع ساعات مع الآب . ثم قام من الصلاة ليذهب لمعونة أصدقائه . ولكن كيف ؟ قلنا إن ذلك اليوم كان ، غالباً ، في منتصف أبريل ، أى في موسم عيد الفصح ، وكان القمر بدرًا ينير الكون ، وكانت الليالي تطول إلى ١٢ ساعة ، من الساعة السادسة مساءً إلى السادسة صباحاً ، وكانت تقسم إلى أربعة أقسام ، يسمى كل قسم بالهزيع : الأول من ٦ - ٩ مساءً الثانى من ٩ - ١٢ منتصف الليل الثالث من ١٢ - ٣ صباحاً الرابع من ٣ - ٦ صباحاً . ففي الساعة الثالثة صباحاً قام يسوع من الصلاة ، ونظر إلى الجبل ثم إلى البحيرة التي كانت تبعد أربعة أميال ، ورأى تلاميذه في السفينة معذنين يغالبون العاصفة الشديدة ، فلم يقف ، أنهى صلاته ، إن وقت العمل قد جاء .. أحباؤه في خطر .. نسى نفسه .. نسى مشاكله وأمرع إلى البحيرة لينقذهم .. هذا هو مجد يسوع ..

ولكن ماذا حدث ؟ كيف هدأ يسوع الموج ، إنه سر يفوق عقولنا ، إننا نعرف شيئاً واحداً أن العاصفة قد هدأت . . هكذا حينما يكون يسوع بجوارنا فإنه يسكن كل العواصف والأمواج النائرة .

في تفسير لهذه القصة يقول أغسطينوس « لقد جاء سائراً على الأمواج ، وهكذا يضع كل أمواج الحياة النائرة تحت قدميه . . فيا أيها المسيحى لماذا تخاف ؟ » هذه حقيقة واضحة اختبرتها الأجيال الطويلة وعرفها عدد لا حصر له من الناس فعندما يرافقنا المسيح تهدأ العواصف . . يصبح العجيج سلاماً ..

والمستحيل ممكنًا ، والصعب سهلاً ، والموت منهزماً . . إن السير مع المسيح
معناه الإلتصاف على العواصف .

الجموع الباحثة

فَلَمَّا عَبَرُوا جَاءُوا إِلَى أَرْضِ جَنِّيَّارَتَ وَأَرْسَوَا .
وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ عَرَفُوهُ . فَطَافُوا جَمِيعَ تِلْكَ
الْكُورَةِ النُّحَيْطَةِ وَابْتَدَأُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى عَلَى أَسِرَّةٍ إِلَى حَيْثُ
سَمِعُوا أَنَّهُ هُنَاكَ . وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قُرَى أَوْ مُدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ وَضَعُوا
الْمَرْضَى فِي الْأَسْوَاقِ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ .
وَ كُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفِيَ .

(مرقس ٦ : ٥٣ - ٥٦)

حالا وصل يسوع وتلاميذه الضفة الثانية للبحيرة رأى الجموع تحيط به مرة
أخرى. وفي بعض الأحيان كان يسوع ينظر إلى الجموع نظرة تعجب ، ففي كل
هذه الجموع لم يجد شخصا واحداً جاء لكي يعطى . . كلهم جاءوا لكي يأخذوا ،
لكي يستفيدوا منه . . وبعبارة أوضح . . لكي يستخدموه ؛ ولكن أما كنا
نلمس الفارق الكبير لو كان هناك في وسط هذا الجمع الحاشد بعض الأفراد
الذين جاءوا لكي يعطوا ؟ . . نعم إننا نحتاج إلى يسوع . . هناك بعض الأشياء
التي لا نستطيع أن نجدها بعيداً عنه ، ولهذا فإننا نأتي إليه لناخذ ، ولكن
أليس من العار أن نأتي لكي نأخذ دون أن نعطي . . ولكنها الطبيعة
البشرية .

١ - بعض الناس وخصوصاً الشباب ، يقفون هذا الموقف من بيوتهم .
فيظنون أنها مكان للراحة .. للطعام والشراب . يأخذون منها كثيراً .. هذا
حق ، ولكن البيوت أيضاً تحتاج إلى الكثير ، ويجب على كل شخص أن
يخدم في البيت .٠ أية خدمة .

٢ - وبعضهم يقف نفس الموقف من الأصدقاء . فهناك من لا يرسلون
خطاباً لأصدقائهم ما لم يكونوا محتاجين لشيء ما . إنهم يظنون أن الناس خلقت
فقط لكي تقدم لهم المساعدة عندما يحتاجون إليها ، وبعدئذ لا يفكرون في
أى شخص سوى أنفسهم .

٣ - وبعضهم يقف من الكنيسة : فالكنيسة هي المكان الذي يعتمد
فيه أولاده ويزوجهم ثم يصلى على موتاهم . فلا يرى هناك ما لم تكن له حاجة
مثل هذه . وضميره في ذلك يعترف أن الكنيسة قد أوجدت له . خدمته ..
أما ماذا يجب أن يقدمه هو للكنيسة فهذا شيء لا يفكر فيه .

٤ - بل هناك من يقف الموقف ذاته من الله نفسه .. فلا يذكرونه مالم
يكونوا في حاجة ملحة .. كل صلاتهم طلبات قد تتحول في مرات كثيرة إلى
أوامر ، كما قال أحدهم : إن الله عندهم مثل « صبي الجرس » في القنادق
الأمريكية .. إنه يظهر في الحال ليقتضى كل طلباتك عندما تدق الجرس ..
أليس هذا من العار .

وهنا إذا وقفنا هنيهة لكي نمتحن أنفسنا أفلا نشعر أننا جميعاً مذنبون؟
كم يكون فرح قلب يسوع عندما يجدنا مرة واحدة نأتى إليه مستعدين
أن نقدم له محبتنا .. خدمتنا ، إخلاصنا .. بدلا من أن نقدم إليه طلباتنا
وأوامرنا ..

الأصحاح السابع

الطاهر والنجس

وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكُتْبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ . وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضًا مِنْ تَلَامِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزًا بِأَيْدِيهِمْ دَنَسَةً أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ لَأَمْوًا . لِأَنَّ الْفَرِيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ لَا يَأْكُلُونَ مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ . وَمِنْ السُّوقِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلُوا لَا يَأْكُلُونَ . وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَسَلَّمُوهَا لِتَتَسَّكَ بِهَا مِنْ غَسَلِ كُؤُوسٍ وَأَبْرِيْقَ وَآيَةِ نَحَاسٍ وَأَسِرَّةٍ .

(مرقس ٧ : ١ - ٤)

هذا الفصل له أهمية قصوى لأنه يبين الخلاف الحقيقي بين يسوع وبين معلمى الناموس . ولقد بدأت الحاجة الفاصلة التي نراها في هذا الفصل بسؤال هو .. لماذا لا يسلك تلاميذه بحسب تقليد الشيوخ ؟ . ولكي نبدأ هذه المناقشة وجب علينا أن نعرف شيئاً عن هذه التقاليد .

إن كلمة الناموس كانت تعنى أحد أمرين: الأول هو الوصايا العشر والثاني هو الكتب الخمسة الاوائل التي تسمى بكتب موسى . وكانت هذه الكتب الخمسة تحوى مبادئ عامة للسلوك يطبقها كل إنسان على حياته الخاصة كما يستطيع أن يفهمها . نعم يوجد فيها بعض الأحكام والقوانين التي كانت تحكم بعض أوجه الحياة بالتفصيل ، ولكنها — في غالبيتها كانت مبادئ عامة . واستمر الإسرائيليون مكتفين بهذه المبادئ العامة إلى أن ظهر بينهم طبقة من الناس أسمها الكتبة — حوالي القرن الرابع قبل الميلاد — لم تكلف بهذه المبادئ ، فاخذت على عاتقها عملية شاقة تتضمن تفسير وتقنين هذه المبادئ فحولوها إلى بضعة آلاف من الأحكام المتشابكة التي تحكم كل حياة الناس تقريباً ، فلم تعد حياة الناس تخضع لمبادئ يفسرها المرء كيفما أراد بل لقوانين وأحكام محددة لازمة . واستمرت هذه القوانين والأحكام في صيغة شفوية غير مكتوبة إلى وقت طويل بعد الميلاد ، حتى جمعت في كتاب إسمه المشنا . هذا عن معنى كلمة تقليد . أما كلمة شيوخ فهي لا تعنى هنا كبار رجال الجمع ورؤسائه بل تعنى القدماء أمثال هليل وشماي الذين درسوا الناموس دراسة عميقة وكان لهم ضلع كبير في التفقه والتقنين .

وفي هذا الفصل يظهر نوعان من الملقوس اليهودية المشهورة :

الأول وهو غسل اليدين قبل الأكل ، والفصل هنا لا يقصد به ناحية صحية بل هي إجراءات طقسية ، ولهذا فقد استخدموا لغسل اليدين كلمة يونانية لها تاريخ طويل هي كلمة « كوينس Koinos » . هذه الكلمة تعنى أصلاً عام أو عمومي ثم تغيرت فصارت تعنى « شيء عمومي غير مقدس » أي أنه ليس مقررراً للخدمة دينية ثم تغيرت هنا وصارت تطلق على « شيء غير طاهر طقسياً » .

فالأكل هنا هو بيد غير طاهرة طقسياً . وكانت هناك طريقة خاصة لغسل اليدين قبل وأثناء تناول الطعام . فالمياه التي تغسل بها الأيدي كانت موضوعة في أواني مخصوصة من الحجر حتى تكون طاهرة طقسياً — الأواني والمياه أيضاً . وكانت طريقة الغسل هكذا : يرفع الشخص يديه إلى أعلى ثم يصب عليها كمية مخصوصة من المياه تنزل على الأيدي على الأقل إلى المصميين ، وبعد أن يحك مصميه بكفتي اليدين على التوالى . يجب أن يتأكد أن كل اليد قد إبتلت بالماء . ولكن إلى هذا الحد يكون الماء الذى صب على يديه نجساً ، لأنه لامس يدين نجستين ، ولهذا فيخفض المفضل يديه إلى أسفل ، ويصب كمية محدودة من الماء من على المصميين ، فينزل إلى الأصابع ، وبذلك تكون اليدين قد طهرتا طقسياً .

وكان كل من يرفض أن يقوم بهذا الطقس يعتبر مذنباً في عيني الله ، إنه لا يربخ لإمهاله الصحى أو الأدبى بل إمهاله الدينى ، وكانوا يعتقدون أن كل من يهمل تطهير يديه يتعرض لأن يمتلكه روح نجس اسمه شيبتا ، ثم يصاب بالفقر والهلاك ، ويضعى الخبز الذى يأكله خبزاً عفناً . وكان هذا الطقس مهماً في عيونهم حتى أن أحد معلمى اليهود دفن في مقابر الهراطقة لأنه اعتبره طقسياً غير نافع وأهمله .. بل قيل إن أحد الربيعين سجن في سجن روماني وكانوا يملطونه كمية محددة من الماء فكان بفضل أن يستعمل هذه الكمية في تطهير يديه ولا يبقى منها شيئاً ليشربه . . وأخيراً مات عطشاً .

هذا هو جوهر الديانة في نظر الفريسيين والسكتية ، إنها لا تزيد عن كونها طقوساً وأحكاماً متعددة . . أما الحياة السامية الأخلاقية . . والخدمة المقدسة فقد دفنت تحت أكوام من الوصايا .

والأعداد الأخيرة في هذا الفصل تشرح معنى النجاسة الطقسية ، فالأشياء النجسة ليست بالضرورة قذرة ، بل قد تكون في غاية النظافة ولكنها تعتبر غير طاهرة طقسياً : وفي سفر اللاويين ص ١١ - ١٥ وسفر العدد ١٩ يشرح موسى الأشياء الغير طاهرة : فبعض الحيوانات غير طاهرة (لاويين ١١) والمرأة بعد الولادة تستمر أربعين يوماً غير طاهرة ، والأبرص غير طاهر ، ومن يلمس جسد ميت يصبح نجساً . . ومن يصبح نجساً ينجس كل شيء يلمسه . . الأئمة غير طاهر وطعامه نجس وكل ما يلمسه أو يملكه يعتبر نجساً . ولهذا فعندما كان يرجع اليهودى من السوق كان يغطس في ماء طاهر ليتطهر .

ولهذا كانت الأواني تتنجس عندما يلمسها شخص نجس أو إن وضع فيها طعام نجس ، وكانت تحتاج إلى التطهير ، وفي المشنا فصول كثيرة تشرح كيفية تطهير الأواني ، وهاكم أمثلة لذلك : الإناء الفخارى الفارغ قد يتنجس من الداخل ولكنه لا يتنجس من الخارج مهما حدث له ، وإذا تنجس يجب أن يكسر إلى قطع صغيرة جداً ويأقى إلى الخارج ، وإن بقي منه جزء يتسع لكمية من الزيت تكفى لدهن طرف إبهام اليد فإنها تعتبر نجسة . أما الطبق المسطح إذا كان بغير حافة فإنه لن يتنجس مهما حدث له ، ولكن إن كان له حافة فقد يتنجس . إذا كانت الأواني الجلدية أو الزجاجية أو المصنوعة من العظام مسطحة فإنها لا تتنجس مطلقاً ، أما إذا كانت مجوفة فإنها قد تتنجس داخلاً وخارجاً . وإن تفجست يجب أن تكسر إلى قطع قد تحوى رمانة متوسطة الحجم . الأواني الفخارية النجسة يجب أن تكسر وغيرها قد يطهر بالماء أو التلى أو النار ، أما الأواني المعدنية فيجب أن تعلى . المائدة ذات الأرجل الثلاث قد تنجس أما إذا كسر فيها رجل أو إثنين فلا يمكن أن

تنجس ، أما إذا كسرت الأرجل الثلاث فيمكن أن تنجس فحينئذ يستخدم مثل لوح الخشب وهذا يمكن أن يتنجس . الأشياء المصنوعة من المعدن يمكن أن تنجس ما عدا الباب أو الترابس أو القفل أو المفصلات أو مطرقة الباب . الخشب الذى يدخل فى الحديد يمكن أن يتنجس أما الحديد الذى يدخل فى الخشب فلا يتنجس ، ولهذا فالفتاح الحديدى بأسنان خشب قد يتنجس أما المفتاح الخشب بأسنان حديد لا يمكن أن يتنجس .

هذه هى التقاليد التى وقف يسوع ضدها ، فقد قدسها الكتبة والفريسيون ، واعتبروها جوهر الديانة ، ومن يقوم بها يرضى الله ، ومن يكسرها فقد ارتكب خطية شنيعة ، ولهذا فقد اعتبروا أن يسوع رجلا شريرا لأنه لم يهتم بهذه الطقوس . ومن هنا يظهر الرأيان السائدان فى معنى الدين : فاليهود يقولون إن الدين هو الطقوس أما يسوع فيقول إن الدين هو محبة الله ومحبة القريب . قد ندرس هذا الأمر فى الفصل المقبل ، واسكن بحسن أن تقول هنا إن يسوع والفريسيين لا يتفقان أبداً فى مفهوم الديانة الحقيقية .

شرايع الله واحكام الناس

ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ لِمَاذَا لَا يَسُوكُ تَلَامِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ بَلْ يَا كَلُونَ خُبْزًا بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ حَسَنًا تَنبَأُ إِسْعِيَاءَ عَنْكُمْ أَنْتُمْ الْمُرَاتِينُ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ . هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفْتِيهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا . وَبَاطِلًا يَعْبُدُونِي وَهُمْ يُمَلِّمُونَ تَمَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ .

لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس .
غسل الأباريق والكؤوس وأمورا آخر كثيرة مثل هذه
تفعلون .

(مرقس ٧ : ٥ - ٨)

عندما اتهم الكتبة والفريسيون تلاميذ المسيح بامتهان التقاليد وكسر
الأحكام ثم تساءلوا عن سبب ذلك . كان رد يسوع عليهم هو نفس قول إشعياء
في (إش ٢٩ : ١٣) عندما اتهم الشعب بأنه يكرم الرب بشفتيه أما قلبه فبتمتع
عنه بعيداً وبهذا القول يوجه يسوع إليهم تهمتين :

١ - اتهمهم بالرياء : والكلمة « هو بوكريتيس » hypokritos المترجمة
إلى رياء لها تاريخ طويل .. فهي جاءت من فعل يعنى « يجاوب » ثم تطورت
إلى أن تعنى شخص يجاوب « إجابة مكتوبة » أى يمثل أو يقول شيئاً ليس له .
وأخيراً تطورت فأضحت تعنى شخصا يعيش حياة التمثيل .. ليس القول فقط بل
كل الحياة . وهذا الوصف ينطبق على الشخص الذى يعتقد أن الديانة ما هى
إلا أحكام وفرائض ، فتى ظن أنه عندما يحفظ مجموعة من الفرائض ويعمل مجموعة
من الطقوس يكون متدينا ومرضيا لله فقد أضحي مراثيا ، لأنه يفعل ذلك ظاهريا
فقط ولكن قلبه وحياته فهى بعيدة عن الله - عن الحق والحياة . فالفريسي فى
أيام المسيح : قد تجدد قلبه مملوءا بالحق على جاره ، قد تجده مملوءا بالغيرة والمرارة
والكبرياء ، ولكن هذا لا يهم عنده ما دام يداوم على تطهير يديه ويحافظ على
طقوس الناموس . فالطقوس تهتم بالمظاهر ولا صلة لها بالقلب والحياة . . .
تخدم الرب ظاهريا وتمصاه داخليا ، فكم من إنسان يصلى فى كل حين ولكن حياته

مملوءة بالدم . . مثل ذلك الإنسان الذي كان يطارد عدوه بسكين حادة ليقتهه ،
وعندما حل وقت الصلاة ، وقف وصلى صلاة سريعة ، ثم قام من صلاته وأخذ
في مطاردة عدوه . . وبذلك كانت الصلاة جملة عارضة في عمل هذا الرجل وهو
محاولة القتل . هذا هو الرياء . نعم ولا توجد هناك خطية أبشع ولا أكثر
انتشاراً من خطية الاعتقاد بأن الديانة هي الأعمال الخارجية ولا شيء غير ذلك .
هل تذهب إلى الكنيسة ؟ هل تقرأ الكتاب المقدس ؟ هل تشترك في كل
المشروعات المالية . . هل تهتم بكل بلجان الكنيسة ؟ هذا حسن ولكنها ليست
المسيحية ، إن المسيحية تتأخص في الإجابة على هذا السؤال : ما هو موقفك من
الله ومن جارك ؟ فإن كان قلبك مملوءاً بالحققد والحسد والغيرة والمرارة
والكبرياء ، نتق أن كل فرائض وطقوس العالم لا تنفعك شيئاً سوى أن تدمنك
بأنك مرأى :

٢ — أما الاتهام الثاني الذي تضمنه قول المسيح هو أنهم استبدلوا صوت
الله بمجموعة من الفرائض والطقوس والأحكام . إن الذي يرشدكم في حياتهم ليس
صوت الله بل هذه المناقشات والمباحثات العقيمة التي تسكّر حول استنباط
الأحكام والتقاليد . إن المباحثات الاجتهادية ليست هي الأساس للديانة الحقيقية .
الديانة ليست وليدة العقل البشري . . الديانة تأتي لا من سماع صوت العقل
المجتهد في القوانين والأحكام بل من سماع صوت الله الهادي الخفيف والاصغاء
إليه . . هذه هي الديانة .

الفريضة الآئمة

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ حَسَنًا رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَ كُمْ .
لِأَنَّ مُوسَى قَالَ أَكْرَمُ آبَاكَ وَأُمَّكَ . وَمَنْ يَشْتُمُ أَبَا أَوْ أُمَّاً فَلَيْمَتْ
مَوْتًا . وَأُمَّاً أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ إِنَّ قَالَ إِنْسَانٌ لِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ قُرْبَانَ
أَيَّ هَدِيَّةٍ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي . فَلَا تَدْعُونَهُ فِيمَا بَعْدُ يَفْعَلُ
شَيْئًا لِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ . مُبْطِلِينَ كَلَامَ اللَّهِ بِتَقْلِيدِكُمْ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ
وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ .

(مرقس ٧ : ٩ - ١٣)

يعتبر هذا الجزء من النصوص الصعبة في تفسيرها ، ومصدر هذه الصعوبة
يكن في معنى الكلمة : قربان ، ويلوح أنها كلمة لها تاريخ يتسكون على الأقل
من مرحلتين :

١ - فالكلمة تعني عطية وخاصة تلك التي تقدم إلى الله - أو بمعنى آخر
توضع على الذبح . وكل قربان يقدم إلى الله بفرز تاما عن كل شيء ولا يمكن
أن يستخدم في أي غرض آخر غير هذا الغرض المقدس . إنه مال حرم على
الاستخدام العادي وأفرز لكي يكون لله . هذا هو القربان . ولو كان الأمر قد
توقف إلى هذا الحد لكان للقربان غرض سام ، لكن الناس استخدموا
القربان في غرض أناني مكبر . فعندنا يعلن إنسان ما أن ما عنده قد أوقف لله
وأصبح قربانا فلا يستطيع أي إنسان أن يستخدمه لغرض آخر ، وبذلك تهرب

كثيرون من دفع ديونهم ، فإنهم يعلنون أن أموالهم قد أضحت قربانا ولا يمكنهم أن يتصرفوا فيها ولو لدفع دين إنساني ، عليهم دين إلهي وهو أزم وأقوى ، ولكن المديون يستطيع أن يدفع شيئا بسيطاً من ماله لله ويتصرف هو في الباقي . وبذلك استخدم القربان في ابتزاز أموال الغير وعدم دفع الديون المستحقة . بل لقد أضحي القربان عاملاً أساسياً في كسر وصية الله تجاه الوالدين : فقد يستطيع أن يوقف ماله لله ويطلق عليه لقب « قربان » وعند ما يطلب منه والداه مساعدة يعيشان منها : يعتذر بأنه أوقف ماله لله . . وهكذا كان القربان واسطة لكسر الوصية التي هي بوعد .

٢ - ولكن الكلمة قربان تطورت فأضحت نذراً عاماً لا يمكن الرجوع فيه ، فإن أعلن شخص ما أن شيئاً من ممتلكاته قد صار قرباناً ، فإنه لا يمكن أن يتصرف فيه بعد ذلك . وإن قال شخص ما إلى آخر إن هذا المال الذي أخذه منك أو أعطيه لك قد صار قرباناً فإن أحدهما لا يستطيع أن يتصرف فيه . وإن أعلن ابن ما أن ماله قد أضحي قرباناً فلن يستطيع أن يساعد والديه فإنه لن يستطيع الرجوع في هذا الكلام مهما تاب وتراجع . . لقد انتهى كل شيء ومهما احتاج الوالدان ، إن الأمر أضحي لافي يد الابن بل في يد تقاليد الشيوخ القاسية التي لا ترحم .

ولهذا السبب فقد هاجم يسوع هذا التقليد : إن الكتبة والفريسيين وضعوه في المرتبة الأولى ووضعوا الحاجة البشرية في المرتبة الثانية ، وهذه هي كارثة الديانة التقليدية . إن تقاليد الآباء أولاً ، ولكن يسوع يعلن أن محبة الله ومحبة الإخوة يجب أن تكون قبل كل شيء ، إنها القانون والناموس الإلهي ، فلا يجب أن يفضل عليها التقليد البشري .

النجاسة الحقيقية

ثُمَّ دَعَا كُلَّ الْجَمْعِ وَقَالَ لَهُمْ ائْتَمِعُوا مِنِّي كُلُّكُمْ وَافْتَهُمُوا . لَيْسَ شَيْءٌ مِّنْ خَارِجِ الْإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ . لَكِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ . إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ . وَلَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ عَنِ التَّمَلِّ . فَقَالَ لَهُمْ أَفَأَنْتُمْ أَيْضًا هَكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ . أَمَّا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ . لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلَاءِ وَذَلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الْأَطْعِمَةِ . ثُمَّ قَالَ إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ . لِأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ تَخْرُجُ الْأَفْكَارُ الشَّرِيرَةُ زِنَى فِسْقٌ قَتْلٌ سَرِقَةٌ طَمَعٌ خُبْتٌ مَكْرٌ عَهَاةٌ عَيْنٌ شَرِيرَةٌ تَجْدِيفٌ كِبْرِيَاءٌ جَهْلٌ . جَمِيعُ هَذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ .

(مرقس ٧ : ١٤ - ٢٣)

لعل هذا الفصل يعد أعظم ثورة قادها شخص في التاريخ وإن كان لا يظهر لنا كذلك :

فبعد أن أعلن يسوع أن غسل الأيدي لا ينفع شيئاً . . بل إن التمسك بتقاليد الآباء يبطل وصية الله ويهملها . . يتقدم فينتطق بما هو أغرب وأعجب . . لأنه بقول « إن ما يدخل جوف الإنسان لا ينجس الإنسان ، لأنه يدخل إلى الداخل ثم يتخلص منه الجسم في طريقه الطبيعية ، ولعلنا نمر على هذا القول مروراً دون أن نعرف ماذا كان يعنى لليهودى . . فلم يوجد يهودى استطاع أن يصدق أو أن يتصور هذا القول . إنه يقرأ فى لاويين ١١ عن الحيوانات النجسة التى يجب ألا يلمسها أو يأكل منها ولا يستطيع أن يمجد عن هذه الوصية الصريحة ، ويتمسك بها تمسكاً لا نستطيع أن نتخيله إلا بإيراد بعض الأمثلة عليه: نفى الفترة التى تسمى ما بين المهدين « حاول أنطيوخوس ايفانوس » الملك السورى أن يحو اليهودية كدين ، وكان من ضمن ما عمله أنه حاول أن يجبر اليهود على أن يأكلوا لحم الخنزير ، ولكنهم بذلوا أنفسهم بالمئات للموت ولم يخضوا لهذا الأمر « ولكن كثيرين من اليهود تمسكوا بوصية المهيم ولم يأكلوا نجساً ، إنهم فضلوا أن يموتوا على أن يأكلوا اللحم نجساً فينقضوا العهد للقدس ولذلك ماتوا » (١ مكابيين ١ : ٦١ و ٦٢) وفى سفر المكابيين الرابع (ص ٤) نقرأ قصة مروعة عن سيدة عجوز كان لها سبعة أبناء رفضوا جميعاً أن يأكلوا لحم الخنزير . فحاول العتاة أن يجبروهم على ذلك فقطعوا لسان الإبن الأول وأصابه ولكنه لم يرضخ لهم فأماتوه ، ثم جزوا شعر الإبن الثانى وسلخوا جلد رأسه ولكنه أبى أيضاً أن يأكل فأماتوه . . وهكذا حتى قتلوا الأبناء

السبعة تحت عيني أمهم ، ولكنها لم تتحرك ولم ترد أن تأكل فقتلوا آخر
الكل . .

هذا هو مقدار تمسك اليهود بناموسهم ، وفي وجه هذا التزمت القاسي
وقف يسوع وبكلمة واحدة من فمه حكم على أن هذه التقاليد لا تنفع الإنسان
ولو أكل الإنسان لحم الخنزير فإنه لن يتنجس . . ولا عجب أن ذهل التلاميذ
وصهقوا .

وعلى هذا الأساس أعلن يسوع أن الأشياء لا يمكن أن تكون نجسة
أو طاهرة بالمعنى الطقسي ، ولكن النجاسة الحقيقية والطهارة الحقيقية تكون
في الإنسان ، ونجاسة الإنسان وطهارته لا تأتي لأسباب طقسية كأكل لحوم
الخنزير مثلاً ، ولكنها تتولد من أعماله . . من قلبه . . من تفكيره . فالإنسان
لا الشيء هو المعرض للنجاسة والطهارة . ولقد كان هذا التعليم جديداً ومزعجاً
لكل يهودي . .

دعنا الآن نعدد الأشياء التي حسبها المسيح نجسة وتنجس الإنسان

الشيء الأول هو الأفكار الشريرة « ديالوجيز ماى (dialogiso moi)
فكل عمل ردىء يعله الإنسان لا بد وأن يسبقه فكر شرير يتحول إلى دافع
شرير .

ثم الزنى « بورناياى Porneiai هذه كلمة متسمة تعنى كل المغامرات الجنسية
ثم السرقة : كلوبتاى kloptai هناك كلمة أخرى يونانية تستعمل للسرقة وهى
ليستيس وهى رئيس عصابة مثل باراباس (يوحنا ١٨ : ٤٠) وقد يكون

رئيس العصاة رجل فائق الشجاعة مع أنه خارج عن القانون . أما الكلمة هنا فتعني شخص سارق مخادع لا شرف له كيهودا (يوحنا ١٢ : ٦) .

ثم الطمع بلبونكدياي Pleonexiai وهي كلمة مركبة من مقطعين تعني « يريد أكثر » وقد وصفت بأنها « لفة الإمتلاك » أو أنها الروح التي تحب أن تمتلك ما ليس لها . . الشهوة الرديئة لمال الثبر ، إنها الشهوة لامتلاك الأشياء لا لحفظها بل لتبديدها في اللذات الشريرة . ويقول عنها كولي « إنها الرغبة للرح لا لقصد الربح بل لتبذيره في مظاهر كاذبة مخادعة » فالطمع ليس الرغبة في امتلاك المال فقط بل امتلاك المال لمحاولة التفوق على الآخرين واستعبادهم . وهي رغبة لا تنتهي كما يقول أفلاطون « إنها كالإناء للثقب لا يمتلئ أبداً » وهذا حق متى كانت رغبة الإنسان موجهة للأشياء لا الله .

ثم هناك اعمال شريرة (وهي المترجمة خبث في الترجمة العربية) هناك كلمتان في اليونانية تترجمان « شرير » الأولى وهي كاكوس kakos وهي تعني الشخص الشرير في طبيعته . أما الثانية فهي بونيروس Poneiros وهي تعني الشخص الشرير شراً إيجابياً بمعنى أنه يؤدي غيره ، ويقول عنه بنغال « إنه الشخص للتدرب في عمل ما هو ضار فيعرف كيف يؤدي الناس » ويصفه جبري تايلور « إنه الخبيث ، هو الشخص الماهر الذي يفرح في المصائب ويسر عندما يؤدي جيرانه إنها الدهاء والأذية » فهو الشخص الشرير الذي يحاول أن يحول الآخرين إلى أشرار ، ولهذا فقد أطلق هذا اللقب على الشيطان نفسه .

ثم مكر إن هذه الكلمة تشتق من كلمة تعني أوقع في الفخ ، أي أن الإنسان يسلك بمكر حتى يصطاد شخصاً أو شيئاً آخر ، كما فعل اليونانيون قديماً عندما

عجزوا عن قهر طرواده أرسلوا لها هدية عبارة عن حصان أبيض ضخيم جداً علامة على حسن النية ، وفتح أهل طروادة الأبواب وأخذوا الحصان ، وفي أثناء الليل نجح جماعة من جنود اليونان كانوا مختبئين داخل الحصان في كسر جوائبه وبدأ في القتل والنهب في مدينة الطرواديين . هذا هو المكر .

ثم عهارة أسبليجيا وهي تعنى حالة النفس عندما ترفض كل نظام ولا تخضع لأية قواعد اجتماعية أو أخلاقية . فإن الإنسان الذى يتصرف بهذه الصفة هو شخص قد فقد كل الإحساس بالخجل ولا يتردد في عمل أى شر دون أن يشعر بأى وازع اجتماعى مثله في ذلك مثل ايزابل التى بنت مذبحاً ضخماً للأصنام في أورشليم دون ما خجل . . إن الشرير قد يخفى خطيته أما العاهر فيخطئ علناً .
ثم العين الثميرة أى أنها العين التى تنظر إلى نجاح وسعادة الآخرين وتود أن تحولها إلى فشل وسقوط .

ثم تجديف إذا استخدمت هذه الكلمة ضد إنسان فهى تعنى إفتراء أما إذا استخدمت ضد الله فهى تعنى تجديف . . إنها السب ضد الله أو إنسان .

ثم الكبرياء : هو يرافانيا huperephania وهي تعنى حرفياً إظهار علو الإنسان فهى تصف الإنسان الذى يحتقر كل شخص ما عدا نفسه . أما الشيء المهم في هذه الكلمة فهو أن الكبرياء قد لا تكون ظاهرة بمعنى أن الإنسان يحتقر الآخرين في قلبه ظاناً أنه أعظم منهم بينما هو يسلك بتواضع أمام عيونهم ، وتقول الأسطورة اليونانية أن العمالقة من أبناء تارتاروس وحي أرادوا أن يثيروا الأعاصير فاسقطتهم العاصفة هيرقوليس . إن الكبرياء تعنى التدخل في

شئون الله ومحارلته الوقوف ضده ولهذا قيل « يقاوم الله المستكبرين (يعقوب ٤ : ٦) لها رأس كل الرذائل .

وأخيراً الجهل : أفروزوني aphrosune « إنها لا تعنى الجهل عقليا بل الجهل الخلقى ، إنها تصف الرجل الذى يقصر بحماقة .

إنها قائمة مرعبة حقاً هذه التى يذكرها يسوع ، وأنها هى التى تنجس الإنسان حقاً ، ولكن يسوع يذكرها هنا لنا لا ليدبنا بل لكي يدعنا نتحصن أنفسنا خصصاً دقيقتاً ، لعل أحد منا مصاب بأحد هذه الأمراض الروحية فيذهب إلى الطبيب الروحى لكي يشفيه .

الاعلان أن العالم للمسيح

نَمَّ قَامَ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى تَخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ . وَدَخَلَ
يَبْتَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لَا يَعْلَمَ أَحَدٌ . فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْتَفِيَ . لِأَنَّ
امْرَأَةً كَانَتْ بَابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ فَأَتَتْ وَخَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ .
وَكَانَتْ الْإِمْرَأَةُ أُمِّيَّةً وَفِي جِنْسِهَا فِينِيقِيَّةً سُورِيَّةً . فَسَأَلَتْهُ أَنْ
يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنْ ابْنَتِهَا . وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا دَعِي ابْنَتِهَا أَوْ لَا
يَسْمَعُونَ . لِأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْرُ ابْنَتِهَا وَيُطْرَحَ
لِلْكِلَابِ . فَأَجَابَتْ وَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ يَا سَيِّدَ . وَالْكِلَابُ أَيْضًا
تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ قُنَاتِ ابْنَتِهَا . فَقَالَ لَهَا : لِأَجْلِ هَذِهِ

الكَلِمَةُ اذْهَبِي قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ ابْنَتِكَ . فَذَهَبَتْ
إِلَى يَتِيمَتِهَا وَوَجَدَتِ الشَّيْطَانَ قَدْ خَرَجَ وَالْإِبْنَةَ مَطْرُوحَةً
عَلَى الْفِرَاشِ .

(مرقس ٧ : ٢٤ - ٣٠)

هذه الحادثة تعتبر من أكثر حوادث حياة المسيح إثارة لما يكتشفها من
ظروف والمكان الذي حدثت فيه .

مكان الحادثة : صور وصيدا مدينتان فينيقيتان في سوريا ، ويحد فينيقية
من الجنوب جبل الكرمل ومن الشرق الجليل ومن الغرب البحر . وكانت
صور تبعد ٤٠ ميلا جنوب غرب كفر ناحوم ومعنى اسمها الصخرة وذلك لأنها
تقع عند ضخرتين عظيمتين على شاطئ البحر يبلغ ارتفاع الصخرة حوالي ٣٠٠٠
قدم ، وهاتان الصخرتان خلقتا من صور ميناء شهير من قديم الأزمنة، وكذلك
مدينة حصينة ليس من السهل الاستيلاء عليها . ولقد كان سكانها من البحارين
المهرة الذين كانوا أول من عرف مواقع النجوم فاستخدموها في معرفة الطريق في
وسط البحر ولذلك تمكنوا من الإبحار نهاراً وليلاً في وسط البحور ، فوصلوا
في سفنهم إلى شواطئ انجلترا ثم ساروا حول شواطئ افريقيا .

أما صيدون فكانت تبعد ٢٦ ميلا شمال صور و ٦٠ ميلاً شمال غرب
كفر ناحوم : وكانت لصور ميناء مهم على البحر الأبيض المتوسط . ومع أن
المدينتين كانتا في سوريا إلا أنهما كانتا مستقلتين لكل منهما ملكها وعلتها
وآلهتها .. وكانتا متنافستين في كل شيء وعلى العموم فقد زاعت شهرتهما

قديمًا .. ولكن بمرور الأيام بدأ نجم صيدون يأفل للانحلال الخلق الذي ملأها
وبدأت صور تتفوق عليها . . ولكن استمرت شهرة بحارة المدينتين واسعة
وسمتهما لا يداينها سمعة كثير من بحارة العالم .

١ — إن أجد وأروع ما يقابلنا هنا أن يسوع ذهب إلى الأمم ، وهذه
الحادثة لم تأت عفوا بل لابد أن يسوع قد قصدنا ؛ فإذا نراه في الفصل السابق
يعلن أنه لا يوجد شيء اسمه نجس وطاهر طقسيا ، هكذا يعلن في هذه الحادثة
أنه لا يوجد شعب نجس أو طاهر طقسيا وكل إنسان وكل شعب له مكان
في ملكوت الله ، وبذلك صفع التقاليد اليهودية صنعة مميّنة : هذه التقاليد التي
حرمت على اليهودى أكل كثير من الأطعمة والانصال بكافة الأمم . لأنهم
نجسون . ولا بد أن يسوع خرج إلى الأمم ليستريح بعض الوقت من عداوة
اليهود ؛ فالكثبة والقريسيون أتهموه بأنه خاطيء ، وهيرودس بدأ يشك فيه ،
وأهل الناصرة حاولوا أن يقتلوه ؛ ولم يشأ أن يواجه المصير المحتوم لأن ساعته
لم تسكن قد جاءت بعد فذهب إلى الأمم . وبذلك تم ما هو معلوم في مشيئته
هو أن رفض اليهود هو قبول للأمم .

٢ — ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك ؛ فهذه المنطقة — منطقة صور
وصيدا — تنتمى فرضا إلى أرض إسرائيل ولقد حاول سبطاً شيران يخضعها ولكنه
فشل في ذلك (يشوع ١٩ : ٢٨ — ٢٩) فبقيت بعد ذلك كأسها لهم وهي غير
خاضعة لحكمهم . ولكن لتأمل هنا ، أن ما عجزت عنه الأذرع القوية
والأسلحة الفتاكة عملته الحجة ، فهذه البلاد التي لم يستطع أن يخضعها إسرائيل
الأرضي ؛ فتحها إسرائيل الروحي في شخص يسوع فهي إذن ليست منطقة
غريبة . . إنها من ضمن ممتلكات شعب الله فامتلكها يسوع المثل الحقيقي لهذا
الشعب . . لقد امتلكها بالحجة .

٣ - أما القصة نفسها فتحتاج الى بصيرة نفاذة لفهمها : فعند ماجاءت المرأة الفينيقية تطلب من يسوع أن يشفى ابنتها أجابها يسوع « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » . يبدو هذا القول للوهلة الأولى قاسياً . . . فالكلاب لم تكن محبوبة ، كانحبها نحن الآن . . . لم تكن الحارس الأمين ، بل كانت مخلوقات بائسة تدل على الإهانة . وكان اليونانيون يعتبرون المرأة الفاسدة التي تتصرف بدون خجل أنها « كلبة » وبهذا المعنى استخدمها اليهود أيضاً إذ قيل « لا تمطوا القدس للكلاب » (متى ٧ : ٦ فيلبي ٣ : ٢ ، رؤ ٢٢ : ١٥) ولهذا فقد أطلقوها على الأمم . ويقولون إن الرباى يشوع ابن لاوى عندما رأى النعم والبركات عند الأمم قال « إذ كان الأمم يتمتعون بهذه النعم : فكيف يكون نصيب شعب الله ؟ إن هذا يشبه ملكا دعا جماعة إلى وليمة عظيمة ، ولما جاؤا دخلوا ووقفوا على باب بيت الوليمة فرأوا كلابا كثيرة تخرج من الداخل وأفواهاها مملوءة برؤوس الطير ولحم المعجول وغير ذلك فقال بعضهم لبعض : إذا كانت الكلاب قد استولت على كل هذا النصيب فكيف تكون أنصبة المدعوين أنفسهم ؟ هكذا الأمم الكلاب قد أخذوا شيئاً كثيراً ولا بد أن شعب الله سيأخذ أكثر بمالا يقاس » (إيش ٥٦ : ١١) ومهما حاولنا أن نخفف من وقع الكلمة فلا ننسى أن الكلاب كانت تستخدم في السب ، فكيف نفسر كلام يسوع للمرأة ؟

(١) إن يسوع لم يستخدم الكلمة المعتادة التي تطلق على الكلاب المتوحشة المنطافة في الشوارع بل استخدم الكلمة التي تعنى الكلاب الصغيرة الموجودة في البيوت التي تتخذ كلعبة محبوبة . . . وبهذا خفف وقع الكلمة كثيراً .

(ب) ونفس نبرة صوته : لقد كانت الطريقة التي تسكلم بها مهذبة مرحة غير جارحة . ونبرة الصوت قد تزيل سموم الكلمة إن قيلت هكذا ، ولكنك لو وصفت إنسانا بأنه « شجاع » ولكن نطقها بلهجة الاحتقار لأضعت هذه الكلمة سباً مفرعاً .

(ح) وفي كل حوادث حياته لم يفلق يسوع الأبواب نهائياً : فقد قال أولاً : إن البنين يجب أن يطعموا أولاً ولا بد أن الطعام الباقي يعطى للكلاب المحبوبة . وبهذا يعلن أن إسرائيل له الأولوية في تقديم الإنجيل له ، ولكنه ليس الوحيد في ذلك ، فالإنجيل للجميع يهودا وأما . ولقد كانت للمرأة يونانية لها قوة الإدراك ورأت ابتسامة على وجه يسوع . . وعرفت أنه لم يفلق الباب في وجهها ، بل بالعكس — إنه يفتحه رويداً رويداً ، فقالت نعم أنا أعلم أن الأطفال يأكلون أولاً ، أفلا تعطيني من الفئات الساقط ؟ وقد كان الفئات يتساقط لأن الناس تعودوا أن يأكلوا بأيديهم لا بالتوك والسكاكين . ونظر إليها يسوع وعطف عليها ، لقد كان إيمانها منيراً لم يستطع مرض ابنتها والبيت ، وامتحان إيمانها على يدي يسوع أن يطفئنا الابتسامة التي على وجهها ، والنور الذي في قلبها فنالت ما أرادت ، ألا يشبه عملها هذا بالأمم الذين قبلوا من يدي المسيح الخبز الحى النازل من السماء الذي رفضه اليهود في قساوتهم ؟ لقد كانت قصة حقيقية ولكنها في الوقت نفسه ترمز إلى موقف عالم الأمم الذي قبل الإنجيل .

يعمل كل شيء حسناً

ثُمَّ خَرَجَ أَيْضًا مِنْ تَحْتِ صُورٍ وَصَيْدَاءَ وَجَاءَ إِلَى بَحْرِ

الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ حُدُودِ الْمَدِينِ الْعَشْرِ . وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصَمٍّ أَعْقَدَ
وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ . فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى
نَاحِيَةٍ وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَتَفَلَّ وَلَمَسَ لِسَانَهُ . وَرَفَعَ
نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنْ قَالَ لَهُ إِفْنَأْ أَيِ انْفَتِحْ . وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ
أُذُنَاهُ وَانْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيمًا . فَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَقُولُوا
لِأَحَدٍ . وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيرٍ
وَبُهِتُوا إِلَى الْعُنَايَةِ قَائِلِينَ إِنَّهُ عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَنًا . جَعَلَ الصَّمَّ
يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ .

(مرقس ٧ : ٣١ - ٣٧)

تعتبر هذه الرحلة - لدى القراءة الأولى - رحلة غريبة ، فقد أراد يسوع
أن يذهب إلى الجليل فبدلاً من أن يسير من صور إلى الجنوب سار إلى الشمال
إلى صيدون ، ولقد اندهش كثير من علماء الكتاب لذلك فظنوا أن هناك
خطأ في العدد ، وصيدون يجب أن تخرج من هذا العدد ، ولكننا نؤمن أن
العدد صحيح ، ونعتقد أن الرحلة ، كما ذكر أحد العلماء ، كانت طويلة جداً
بحيث استغرقت ثمانية شهور كاملة . ولقد كانت رحلة السكون الذي يسبق
العاصفة ، وفيها اختلى يسوع بتلاميذه ولا بد أنه كشف ذاته لهم في تعاليمه
وحياته ، ولا عجب أن اعترف بطرس اعترافه العظيم حالاً بعد هذا الأصحاح .

(مرقس ٨ : ٢٧ - ٢٩) . إن يسوع يبقى مع الناس مدة طويلة يعلمهم ويفتح عيونهم .

وعندما وصل يسوع إلى ديكابوليس أو اللدن العشر احضر واه إنساناً أصم أخرس ، والخرس هنا يعنى النطق بصعوبة ، ولا بد أن الإثنين يسيران معاً ، فعدم السمع يجعل الكلام صعباً غير مفهوم . وفى هذه المعجزة نرى حلاوة يسوع وهو يعامل المرضى الذين يأتون إليه :

١ - لقد أخذه بعيداً عن الجماهير وهو بذلك يظهر إحساسه وعطفه على جل أعمى . إن المرض عموماً ، والأصم خاصة ، يضطربون كثيراً فى كثير من المواقف . ولعل الأصم أكثر حساسية من الأعمى لأنه عندما يرى إنساناً يتكلم إليه ويحس أنه لا يسمعه يزداد اضطراباً ، ولهذا فقد أخذه يسوع على جانب لكي لا يجرح إحساساته .

٢ - وتصرف يسوع معه كما يتصرف مع شخص أصم . فلقد وضع يديه فى أذنيه ، وكان الناس يعتقدون أنه يثق أن البصق يشفى من بعض الأمراض ، ويذكر أحد مؤرخى الرومان : أن رجلين أحدهما أعمى والآخر أعرج جاء إلى القيصر فسبسيان طالبين منه أن يبصق فى عيني الأعمى وعلى رجل الأعرج ، لأنهما رأيا فى الحلم أنه لو فعل ذلك فسبسيان . وفعل الإمبراطور بعد تردد وشفى الإثنين (سوينو بناس : حياة فسبسيان ٧) .

ثم نظر يسوع إلى السماء ليعلم للناس أنها قوة الله التى تشفى . إن القصة كلها تظهر بوضوح أن يسوع لم يعتبر المرض حالة أمامه بل إنساناً ، وهذا

الإنسان له احتياج خاص ومشكلة بعينها . وفي شعور فياض ومحبة غامرة
تصرف معه بحيث لم يجرح شعوره ولا إحساساته .

وعندما انتهى من شفاء هذا الرجل اعترف الناس أنه فعل كل شيء حسناً
وهذه هي نفس الكلمة التي قيلت عن الله أثناء الخليقة (تلك ١ : ٣١) وهذا
حق فعندما جاء يسوع وهو يحمل الشفاء لأجساد الناس والخلص لأزواجهم .
تقد كان يخلق من جديد . في البدء كان كل شيء حسناً ، لكن الخطية شوهدت
الإنسان ، وهنا يجيء يسوع ليرجع الجمال الذي وضعه الله في العالم بعد أن
أفسدته الخطية .

الاصحاح الثامن

حنان وتحد

فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ إِذْ كَانَ الْجَمْعُ كَثِيرًا جِدًّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
شَيْءٌ يَأْكُلُونَ دَعَا يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أَشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ
لِأَنَّ الْآنَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَنْسَكُونَ مَعِيَ وَلَيْسَ لَهُمْ
شَيْءٌ يَأْكُلُونَ . وَإِنْ صَرَفْتُهُمْ إِلَى مِيَوْتِهِمْ صَائِمِينَ يَخَوِّرُونَ فِي
الطَّرِيقِ . لِأَنَّ قَوْمًا مِنْهُمْ جَاءُوا مِنْ بَعِيدٍ . فَأَجَابَهُ تَلَامِيذُهُ . مَنْ
أَيْنَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُسَبِّحَ هُوَ لَاءَ خُبْزًا هُنَا فِي الْبَرِّيَّةِ .
فَسَأَلَهُمْ كَمْ عِنْدَكُمْ مِنْ الْخُبْزِ . فَقَالُوا سَبْعَةً . فَأَمَرَ الْجَمْعَ أَنْ يَتَّكِفُوا
عَلَى الْأَرْضِ . وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى
تَلَامِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا فَقَدَّمُوا إِلَى الْجَمْعِ . وَكَانَ مَعَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ
صَفَارِ السَّمَكِ . فَبَارَكَ وَقَالَ أَنْ يُقَدِّمُوا هَذِهِ أَيْضًا . فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا
ثُمَّ رَفَعُوا فَضَلَاتِ الْكِسْرِ سَبْعَةَ سِلَالٍ . وَكَانَ الْآكِلُونَ نَحْوَ

أَرْبَعَةَ آفٍ ثُمَّ صَرَفَهُمْ . وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ السَّفِينَةَ مَعَ تَلَامِيذِهِ وَجَاءَ
إِلَى نَوَاحِي دَلْمَا نُوثَةَ .

(مرقس ٨ : ١ - ١٠)

هناك أمران مهمان يتصلان بهذه الحادثة :

١ - الأول هو تخنن يسوع على الجموع . . إن الشيء المذهل في يسوع هو اهتمامه الكبير بالناس ، وهذا الاهتمام لا ينسى أقل الاحتياجات ، لقد مكثت الجموع أياما ثلاثة معه ، وتذكر أنهم سيرجعون إلى بيوتهم وأنهم سيسيروا طويلا ولا بد أنهم سيجوعون وهذا أمر مذهل في يسوع ، إن الناس يظنون أن من يهتم بالروح لا وقت لديه للاهتمام بالجسد ، إن من يعلم الناس الحق ومحبة الله والقريب لا يهتم بما سيحدث لهم في رجوعهم ، ولكن يسوع لم يفعل ذلك إن جسد الناس مهم مثل أرواحهم ، وإشباعهم بالخبز لا يقل أهمية عن إشباعهم بالكلمة المقدسة . إنه ليس كالبشر الذين لا يهتمون بالساعدة مثل ذلك الصديق الذي قابلته في أحد المؤتمرات ، وكان يقص على مسامعي أخطار الطريق التي سنذهب فيها وذكر أنه قابل وهو آت إلى هنا عربة مفروزة في الأرض . فلما سألته عما فعله وهل ساعد السائق؟ أجاب « أنا؟ أنا لا أساعد هؤلاء . . إنني مشغول » هذه هي الطبيعة البشرية إنها تتجنب متاعب مساعدة الناس لكن الطبيعة الإلهية دائماً الساعدة .

٢ - هناك التحدى : عندما طلب يسوع من تلاميذه أن يعينوا الجموع ويعطوهم لياً كلوا . حالا ذكروه أنهم في صحراء ولا يوجد هناك مكان قريب

لشراء طعام لهم ، وعندئذ سألهم يسوع « ماذا عندكم حتى يمكنكم أن تساعدوا به ؟ » وبهذا تحول حنان يسوع على الجموع إلى تحد لللاميذه الذين أرادوا أن يلقوا بالمسئولية عن أكتافهم . كما يقول لهم لا تقل في نفسك أنك تستطيع أن تساعد لو عندك ما تساعد به ، فلا بد أن لديك شيئاً . . قدمه لمعونة الغير وانظر ماذا سيحدث لك . من أمتع الأعياد اليهودية عيد الفوريم الذي بدأ في سفر أستير ، في هذا العيد يحاول الناس أن يساعدوا بعضهم البعض ، حتى الشخص الفقير فإنه يتقاسم ما عنده مع شخص أفقر منه « هكذا يسوع إنه لا ينتظر حتى تتحسن الأحوال فيقدم المساعدة . . إنه يقدمها وبطلب منا أن نقدمها الآن ولكل الناس .

هناك شيئاً مهما وراء هذه القصة .

الأول : هو أن هذه الحادثة حدثت في محيط المدن العشر ، فما الذي دفع هذا الجمع الفقير أن يلتفت حول يسوع ؟ أربعة آلاف شخص ؟ لماذا ؟ قد تظن أن شفاه هذا الرجل الأعمى الأخرس قد دفع الجموع أن يأتوا إلى يسوع ، وهذا حق ، ولكن أحد المفسرين ذكر شيئاً جميلاً فقال إن يسوع في ص ١٠٥ — ٢٠ شفى الرجل المجنون الذي كان به اللعشون ، وحاول الرجل أن يتبعه ولكنه أمره أن يذهب إلى عشيرته لينادي كم صنع به الرب ورحمه ، ويلوح أن مناداة الرجل قد أتت ثمارها ، فبينما طلب الناس من يسوع من قبل أن يترك تخومهم إذ بهم الآن يتجمعون من حوله ويزحمونه طالبين أن يسمعوا منه ، ولا بد أن كثيرين وجدوا نفوسهم عندما جاءوا إلى يسوع بمناداة هذا الرجل . . هل عرفنا الآن كم تعمل شهادة هادفة تخرج من فم رجل قد اختبر فعل يسوع ؟ يقول يوحنا بنيان إنه تجدد بعد أن سمع أربعة سيدات يذكرن كيف افتقدهن الرب وأعطاهن الميلاد الجديد . هذا هو ثمر المناداة الحقيقية .

أما الأمر الثاني هو أن الكلمة التي ترجمت سلة هنا تختلف عن الكلمة التي ترجمت قفة في ٤٤:٦ . الكلمة في الإصحاح السابق تعني القفة التي كان يستخدمها اليهود في حمل طعامهم وهي ضيقة من أعلى متسعة من أسفل ، أما السلة هنا فهي التي كان يستخدمها الأمم وهي مثل « السبت » وهي نفس السلة التي أنزل فيها بولس ليهرب من دمشق (أعمال ٩ : ٢٥) كما قلنا إن هذه الحادثة حدثت في المدن العشرة وغالبية سكانها من الأمم : أفلا يرمز هذا إلى أن المسيح أشبع في هذه المعجزة الأمم كما أشبع بالمعجزة الأولى اليهود ؟ وإذا وضعنا القفتين جنباً إلى جنب أفلا نستطيع أن نميز محبة الله واهتمامه بالجميع : يهوداً وأما .. في كل شيء روحاً وجسداً ؟ أفلا تشير هذه الحادثة إلى أن الله فتح الباب أمام الأمم كما فتحه أمام اليهود من قبل ؟ إنه يمد يديه فيشيع الجميع غير ناظر إلى أجناسهم .. إنه يحبهم جميعاً .. في اليهودية .. أو في المدن العشر .

العميان الذين يطلبون آية

فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً
 مِنَ السَّعَاءِ لَكِنَّهُ يَجْرِبُهُمْ . فَتَنَّهُدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ لِمَاذَا
 يَطْلُبُ هَذَا الْجِيلُ آيَةً . الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَنْ يُعْطَى هَذَا
 الْجِيلُ آيَةً .

ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَدَخَلَ أَيْضًا السَّفِينَةَ وَمَضَى إِلَى الْعَبْرِ .

(مرقس ٨ : ١١ - ١٣)

كان طابع العصر الذى عاش فيه المسيح أيمانه بالأعمال الخارقة للطبيعة ومحاوله رؤية الله فى الأشياء الغير عادية ، وكانوا يظنون أن المسيا عندما يأتى سيقوم بمحادث إعجازية — سنرى بعضها فيما بعد .

ولقد نجح المسحاء الكذبة فى اجتذاب الناس إليهم إذ وعدوهم بأنهم سيعملون معجزات هائلة ، فبعضهم وعد الناس بأنه سيشرق مياه الاردن ، وآخر وعدهم بأنه سيسقط أسوار المدينة بكلمة واحدة . ولقد طلب الفريسيون معجزة كهذه من يسوع .. معجزة تشق الأقق وتبهر الناس شرقاً وغرباً — مثل هذه المعجزات لا يقربها يسوع .. إن طالبي هذه المعجزات هم جماعة من العميان الذين لا يستطيعون رؤية يد الله فيما حولهم .. فالفتوح العيين يستطيع أن يراها فى نبات الحقل وفى خميرة الخبز وفى الزرع التى تسكو جوانب التل .. إن الله لا يغزو العالم من الخارج لأنه فى داخله .. لأنه صانعه وهو يعمل فيه كل شيء .. إن المؤمن لا يرى الله فى الكنيسة فقط بل يراه فى كل مكان .. إنه لا يجده فى الأماكن المقدسة فقط بل فى كل مكان .. وهذا ما عبر عنه الشعراء .

تقول اليزايبشبارت :

« السماء والأرض معا هما عليقة فيها النار الإلمية المقدسة » .

« والفتوح العيين وحده هو الذى يرى .. أما غيره فجالس فى الظلام » .

ت ي ادوارد يقول :

« الخديقة هى مكان لله ينمو فيها الزهور . لأنها مكان الراحة والسلام » .

« بسألون عن آية وكل يوم تشرق الشمس .. وتبزغ النجوم فى الليل » .

« وكل صباح يسقى الندى الزهور . . والقمح ينضج في وقت الحصاد . .
هذه هي الآية » .

فكل من له عيان ينظر بهما وكل من له قلب فهيم يرى الآية في إشراق
الصباح ومجيء الليل .. إن الحوادث اليومية التي تراها أماننا هي العلامة الحقيقية
لوجود الله وجوده .

الفشل في التعلم من الاختبار

وَنَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْرًا وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ إِلَّا
رَغِيفٌ وَاحِدٌ . وَأَوْصَاهُمْ فَأَثَلًا أَنْظَرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَيْرِ الْفَرَسِيِّينَ
وَخَيْرِ هِيرُودُسَ . فَفَكَّرُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَيْسَ عِنْدَنَا
خُبْرٌ . فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ أَنْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ
خُبْرٌ . أَلَا تَشْعُرُونَ بَعْدُ وَلَا تَفْهَمُونَ . أَحْسَى الْآنَ قُلُوبُكُمْ
غَلِيظَةً . أَلَمْ أُعِينُ وَلَا تُبْصِرُونَ وَلَكُمْ آذَانٌ وَلَا تَسْمَعُونَ
وَلَا تَذَكَّرُونَ . حِينَ كَسَّرْتَ الْأَرْغَفَةَ الْخَمْسَةَ لِلْخَمْسَةِ الْآلَافِ
كَمْ قُفَّةً مَمْلُوءَةً كَسَّرَ رَفَعْتُمْ . قَالُوا لَهُ ائْتِنِي عَشْرَةَ . وَحِينَ السَّبْعَةَ
لِلْأَرْبَعَةِ الْآلَافِ كَمْ سَلًّا كَسَّرَ مَمْلُوءًا رَفَعْتُمْ قَالُوا سَبْعَةَ . فَقَالَ
لَهُمْ كَيْفَ لَا تَفْهَمُونَ .

(مرقس ٨ : ١٤ - ٢١)

هذا الفصل يلقي أضواء كاشفة على تفكير التلاميذ وفي طريقهم قال لهم يسوع « تمحزوا من خير هيرودس والفريسيين . ولقد اندهش التلاميذ من كلام المسيح إذ ظنوه أنه يتكلم عن الخبز وتذكروا أنهم لم يحملوا معهم خبزا مع أن يسوع لم يقصد ذلك . إن كلمة خبيرة عند اليهود كانت تدل على الشر فهي جزء من الدقيق الختمر الذي يستطيع أن يحول الدقيق كله إلى خبير . وهي تمثل العدوى المنتقلة ، وهي تعنى عند اليهود ما نقصده نحن عندما نقول لاهوتيا « الخطية الأصلية » أو « الطبيعة الشريرة » . كما يصلى الرباى الكساندر « إن إرادتك المعلنه هي أن نعمل إرادتك . ولكن الذى يمنع هو الخبيرة التى فى الدقيق والعبودية التى فى ممالك العالم لملك تخلصنا من كل هذا » فكان يسوع يقول لهم : تمحزوا من تأثير الفريسيين وتأثير هيرودس ، إنه تأثير شرير . فما هو قصده فى ذلك ؟

رأينا فيما سبق أن الفريسيين كانوا يطلبون آية : أى عملا جباراً ، وكانوا فى قوميتهم المتعصبة التى تسكرها الجميع ينتظرون المسيا الذى يشهر سلاحه . وهكذا كان يفعل هيرودس : إنه أراد أن يبنى حكمه على القوة والسلاح . فكأنما ملكوت الله فى عرف الامنين هو ملكوت القوة والجبروت . وبلوح أن يسوع كان يؤهل التلاميذ للاعلان العظيم الذى كان سيعملنه .

إنه هو مسيح الرب . . أو المسيا . فعندما يعرفون ذلك ينبغى عليهم ألا يقسروا كما يقسروا الفريسيون وهيرودس .

ولكن هذه الحقيقة لم يستطع التلاميذ أن يفهمها ، لم يكن تفكيرهم واعتمادهم ينحصر فى تلك الأمور السامية بل فى الخبز . . إنهم لم يحضروا معهم

خبزاً . . وهل يمكن أن يبقوا هكذا جائعين ؟ ولكن يسوع سألهم سؤال الأب الذي يرى طفله جاهلاً لشيء ما : سألهم عما أخذوه من الخبز عندما أشبع الجمع الكثير بالأرغفة القليلة لأنه يقول لماذا تقلقون لأجل هذه الأمور التافهة ؟

إن الامر المؤلم هو أننا لا نعرف إلا نصف الحقيقة من اختبارنا ، فننظر إلى الحياة حولنا ونجد فيها ما فيها وإذ بنا نمتلى من التشاؤم . ولكن هناك اختبارات أخرى نواجهها فكم من مرة جزنا في الأحزان ولكن تعزينا ، وصادمتنا التجارب ولم نسقط ، ودهمنا للرض ولكن شفينا ، وقابلنا المشاكل ولكنها حلت ، ووصلنا إلى نقطة الفشل ولكننا انتصرنا ، وكدنا أن نتحطم ولكن أبقينا . فلو تعلمنا الدرس حقيقة لعرفنا أنه لا مكان هناك للتشاؤم إن الله هو الذي يقودنا في كل الطريق إلى المكان الأمين . . إن دروس اللاضى تظهر لنا الله القوى الأمين الصالح .

رجل أعمى يتعلم كيف يرى

وَجَاءَ إِلَى يَسُوعَ صَيْدًا . فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَعْمَى وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسَهُ . فَأَخَذَ يَدَ الْأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ وَتَقَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ هَلْ أَبْصَرَ شَيْئًا فَتَطَّلَعَ وَقَالَ أَبْصَرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَنْشُونَ . ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أَيْضًا عَلَى عَيْنَيْهِ وَجَمَلَهُ يَتَطَّلَعُ فَمَادَ صَوْبًا وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيًّا .

فَأَرْسَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ قَائِلاً لَا تَدْخُلِ الْقَرْيَةَ وَلَا تَقْلُ لِأَحَدٍ فِي
الْقَرْيَةِ .

(مرقس ٨ : ٢٢ - ٢٦)

كان العمى ولا يزال لعنة الشرق الكبرى . نظراً للأمراض المنتشرة
ولضوء الشمس الساطع ، ولما كان الناس يجهلون قواعد الصحة والطب فقد
كانت لعنته أشد وأفتك أيام المسيح ، وما أكثر ما ترى الشخص وقد تكاثر
الذباب على عينيه المريضتين فينقل بذلك العدوى إلى الكثيرين . وهذه القصة
لم ترد إلا في مرقس ولكننا نجد فيها أشياء في غاية الأهمية :

١ - نلاحظ هنا أيضاً تقدير يسوع للمواقف ، لقد أخذ هذا الأعمى بعيداً
عن الناس خارج قريته ، لماذا ؟ لأن هذا الرجل قد ولد أعمى لم يألف وجوه
الناس ولا الألوان ولا أى شيء يرى ، ولم تكون شدة إنفعاله حينما يجد نفسه
فجأة يرى أشياء لا يعرفها ؟ إنها خبرة قاسية ، فالأفضل له أن يعطى بصره بعيداً
عن الناس حتى تكون إنفعالاته أقل شدة . وهكذا يفعل كل طبيب عظيم
وكل معلم عظيم .. إن الطبيب العظيم يقدر موقف المريض الذى يعالجه .. يدخل
إلى عقله وينظر بعينيه ويتقمص شخصيته فيقدر مواقفه .. وكذلك المعلم العظيم :
إنه يدخل عقل تلميذه ، يقدر ظروفه ومشاكله ، وبذلك يستطيع أن يقدم له
للعونة المناسبة فى الوقت المناسب .. هذا هو سر عظمة يسوع . ليت الله يعطينا
نعمة تقدير المواقف والظروف هذه .

٢ - لقد استخدم يسوع طريقة يستطيع أن يفهمها هذا المريض . فاستخدم

البصق الذى كان يعتقد الناس أنه عامل كبير على الشفاء ، إن هذا ليس بغريب علينا فإننا كثيراً ما نضع إصبعنا الجروح أو المحروق فى فمنا ، لقد كان يسوع حكيماً فى ذلك إذ يحاول أن يدخل عقول ما يريد به بالطريقة التى يفهمونها ، لقد كانت العظمة قديماً فى أن يتكلم الإنسان أو يعمل شيئاً لا يفهمه الناس ولكن يسوع كان أعظم من العظمة إذ تصرف بطريقة بسيطة يفهمها الرجل البسيط .

٣ — تفرد هذه المعجزة عن بقية معجزات المسيح بالتدرج ، فكل معجزاته حدثت فجأة وعلى دفعة واحدة ، أما هذه فقد حدثت تدريجياً . وفى هذا الأمر رمز إلى معرفة حق الله .. إننا لا نستطيع أن نعرف حق الله دفعة واحدة عندما تفتح أعيننا الروحية بل نعرفه بالتدرج .

وهذا خطأ الكثيرين من الخدام فى حقل الله إذ يمتقدون أن الإنسان متى نال نعمة المسيح أو متى صار عضواً فى الكنيسة فقد عرف كل الحق ، هناك فرق بين اكتشاف غنى المسيح وبين التمتع بذلك الغنى . إننا لو مكثنا مئات وألوف وملايين السنين فإننا لا نستطيع أن نفهم ونختبر إلى التمام محبة المسيح وجماله . ويعبر ف . و . مايرز على لسان بولس قائلاً :

لا يفكرن إنسان أنه فجأة فى لحظة ينتهى كل العمل .

فمع أنك تبدأ فى فجر حياتك لكنك لن تنهيه فى آخر أيامك .

إن التجديد الفجائى ممكن ، ولكن فى كل يوم يجب أن يتجدد الإنسان . فنى مجد الله ونعمته ينمو المؤمن يوماً بعد يوم .

الاكتشاف العظيم

ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى قَرْيَ قَيْصَرِيَّةَ فَيْلِبَسَ . وَفِي
الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلَامِيذُهُ قَائِلًا لَهُمْ مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنَّي أَنَا . فَأَجَابُوا
يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ وَآخَرُونَ إِيْلَيَّا وَآخَرُونَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .
فَقَالَ لَهُمْ وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنَّي أَنَا : فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ
أَنْتَ الْمَسِيحُ . فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ عَنْهُ .

(مرقس ٨ : ٢٧ - ٣٠)

كانت قيصرية فيلبس خارجا عن الجليل في مقاطعة فيلبس ، وكانت مدينة
لها تاريخ طويل : فاسمها الأول كان بعولة لأنها كانت مركزاً لعبادة البعل ،
وإلى الآن يطلق عليها إسم بانياس لأنها شهدت مولد الإله الإغريقي . .
إله الطبيعة بان . ومن بطن كهف على جانب التل الذي تقع عليه ينساب مجرى
يقال عنه إنه منبع نهر الأردن ، وهناك أيضا يظهر هيكل عظيم أبيض بناه
فيلبس على اسم قيصر إمبراطور روما وإله ذلك العالم في هذا المكان بعينه
عرف بطرس أن هذا النجار الجليلي هو مسيح الله الآتي إلى العالم . نعم في هذا
المكان الذي تربع فيه البعل أجيالا طويلا معبوداً من الجميع في هذا المكان
الذي يتلأأ فيه معبد القيصر فعبده الناس كإله . في هذا المكان الذي يحكي
قصة المدينة اليونانية والقوة الرومانية . . وفيه يحكي الأردن تاريخ إسرائيل
الطويل . . في هذا المكان اكتشف بطرس أن معلمه هو ابن الله القدوس

وهذا كله يظهر مدى سيطرة شخصية يسوع إذ فاقت كل تلك التيارات التي تحيط بهم ولم تظهر في نوره سوى ظلام وظلال .

جاءت هذه الحادثة في منتصف إنجيل مرقس حيث تظهر أزمة حياة المسيح على الأقل أمام عينيه هو ، فهو يرى للصليب يمتد أمامه ، والساعة قد قربت . . . ولكن قد نجح في عمله ؟ هل لقيت رسالته قبولا بعد كل ذلك التمس ؟ إن نجاح رسالته هو أن يرى الناس الله فيه فيعرفونه من هو ؟ إنه يتوقف على كتابة رسالته على قلوب حية فينطبع فيها الهدف الذي ينظر إليه ؛ ولهذا ففي هذه الساعة الفاصلة وضع يسوع كل عمله ورسالته تحت الإمتحان في سؤال سأله للتلاميذ : من يقول الناس إنى أنا ؟ وهنا أجاب التلاميذ بترديد الإشارات التي يذكرها الناس عنه . . . إيليا أو يوحنا أو أحد الأنبياء أو النبي . وبعد فترة صمت رهيبه يوجه يسوع السؤال إلى تلاميذه : وأنتم من تقولون ؟ ولجأة تنبلج الحقيقة في عقل بطرس ويعرف ماذا كان يعتل في داخله ، وماذا كان يحس به ولا يستطيع أن يعبر عنه . . . فجأة يعرف أن هذا الرجل ما هو إلا مسيا . . . المسيح . . . مختار الله وابنه . . . وفي هذا الجواب رأى يسوع أن رسالته قد نجحت .

وهنا وقف أمام نقطة غريبة مرت في حياة التلاميذ من قبل ولم نجد عنها جوابا وهي أمر يسوع إلى التلاميذ ألا يخبروا أحدا . . . لماذا هل هناك من داع ؟ لو لم نجد عنها جوابا لأضحى الإنجيل غامضا غير معقول . ولكن الجواب يتوقف على مفهوم يسوع للمسيا ، وإن أردنا أن نعرف صحت هذا المفهوم فما علينا إلا أن ندرس مفهوم المسيا في الأوساط اليهودية المختلفة وبذلك نعرف السبب الذي لأجله يأمر السيد تلاميذه بإخفاء حقيقةه :

التفكير اليهودى عن المسيا

لم يكف اليهود يوماً من الأيام عن الاعتقاد في أنهم شعب الله المختار ، وأنهم كسبب لهم مكانتهم المختارة بين الأمم ، ومجدهم الذى يفوق كل مجد ، ولقد ظنوا أولاً أنهم يستطيعون أن ينالوا ذلك المركز السامى بالوسائل العادية ، فقد كان لهم ملك عظيم رفعهم في مجد : هذا الملك هو داود ، وقد انتظروا أن الله يرسل لهم ابناً لداود يقودهم من نصرته إلى نصرته سياسياً وعسكرياً وروحياً (اشعيا ٩ : ٧ و ١١ : ١ ، إرميا ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٥ ، ٣٠ : ٩) . ولكن الأيام تمر وقدرتهم العسكرية تضعف وتنكسر تحت أقدام القوى العالمية الجبارة : أشور تسيب الأسباط العشرة وتحطم قوميتهم ، وبابل تسيب يهوذا وتحطم قدرتها . . بعد ذلك يتبادل الفرس واليونان والرومان السيادة عليهم ، وظل اليهود قروناً طويلة لا يعرفون طعم الملك ولا حتى الاستقلال أو الحرية الكاملة ، فبدأوا ينظرون إلى أعلى ، إلى تدخل الله بطريقة معجزية لكي يرفع الشعب . . نعم إنهم لم ينسوا أن داود ملكهم سيملك عليهم ولكن بطريقة فائقة فوق الطبيعة . ولقد ظهر هذا الرأى بالأخص في الفترة التى تسمى : « ما بين العهدين » حيث ظهرت مجموعة من الكتابات تدعى « الكتابات الرؤية » . والرؤية تعنى « كشف المستقبل » وفي هذه الكتب أعلن مفكرو اليهود كثيراً من الآراء عن المسيا ، وقد تأثر العصر الذى عاش فيه يسوع بها ، ولهذا فعلينا أن ندرس هذه الآراء والأحلام ونضع في مقابلها رأى يسوع في عمل المسيا .

في هذه الكتب تظهر هذه الأفكار الرؤية التى نرتبها هنا حسب الترتيب الذى عمله شورر مؤلف الكتاب المشهور « تاريخ الشعب اليهودى في أيام المسيح »

١ - قبل ظهور المسيا ستأتى على العالم ضيقة عظيمة مثلها مثل الخماض الذى لا تنجو منه أى امرأة قبل ولادة الطفل . هذا هو مخاض ولادة عصر جديد ، فى هذه الضيقة سيرى العالم آلام وتمطيم لم ير مثله من قبل . « ستتحول الكرامة إلى عار والقسوة إلى ضعف والمنظر يقبح والجمال يذبل ، وتمتلك الأناية على كل فرد ، ويفطى الألم من كانوا يعيشون فى سلام ، ويفضب الكثيرون فيؤذون الآخرين ، ويقودون الجيوش لإراقة الدماء ، ثم يفنى الجمع معاً » [٢ باروخ ٢٧] . « سيصبح هناك زلازل ، وحروب ، وكرب أمم ، وبليلة فى القادة ، واضطراب فى الرؤساء » [٤ عزرا ٩ : ٣] .

« وينطلق سيف نار من السماء إلى الأرض وتسقط الصواعق الجوية على الناس ، وتهتز الأرض أم كل الكون تحت يدي الأذى . ويصعق سمك البحر وحيوانات البر وطيور السماء وأرواح الناس من رؤيته . وتنهدم قمم الجبال والتلال وتصبح الهاوية منظورة للجميع ، وستمتلىء الكهوف بالموتى وتسبح الصخور فى الدماء التى تملأ الوادى ، وسيدىن الله بالحرب والسيف والصواعق الجوية والأحجار والأمطار والموت سيقتل كل حيوانات البر ، وسترتوى الأرض من دماء القتلى وتشبع حيوانات البر منهم » .

[The Scyline oracle : 3 : 363] وتعدد المشنا علامات مجيء المسيا فى القول « يزداد التسلط ويكثر الطمع ، حتى أن الكرامة تعطى ثمرها ولكن لا يكون خمر ، وتضل الحكومات ولا يكون هناك تعليم ، ويصبح الجمع بيتا للدعارة ، يبئد الجليل ، ويذهب السكان من مكان إلى مكان فلا يجدون مأوى لهم . . . تحقر حكمة الحكماء ، ويزدرى صلاح الصالحين ، ويمتحنى الحق ، يسب القلمان

الشيوخ ، ومحتقر الابن أباه والإبنة تنور ضد أمها والسكنة على حماها وأعداء
الإنسان أهل بيته »

هكذا يصبح العالم قبل مجيء المسيا في تفكك وهلاك وثورات .

٢ - في وسط هذا الخراب الشامل يظهر إيليا النبي ليعيد الطريق للمسيا
فيرد قلب الآباء على الأبناء ويضمد كل جرح ويزيل كل خصام ويرد كل مسلوب
إلى أصحابه وبذلك يأتي وقت مجيء المسيا

٣ - وأخيراً يظهر المسيا : إن كلمة المسيا هي نفسها المسيح : الأولى عبرية
والثانية يونانية وكلاهما تعني مسيح الله الذي يملكه الله ملكاً . إن كلمة مسيح
هي لقب وليست اسم علم . وقد بقي الناس يعتقدون أنه يأتي من نسل داود
ولكن الأغلبية كانت تتمسك بالقول إنه رجل جبار سيأتي من السماء ليخلص
شعب الله .

٤ - تتحد كلمة الأمم ضد المسيا « يقوم الملوك ضد هذه الأرض لهلاك
أنفسهم ، يحاولون إبادة مقدس العلي ورؤسائه ، ويحاصر الملوك الملعونون
وجيوشهم المكان المقدس ، ولكن الله سيتكلم مع هؤلاء الضالين الجهلاء بصوت
راعد وسيدبنهم ويهلك بيد قوية [Scbylline Oracle 3 : 363.372] .
» وعندما تسمع الأمم صوت المسيا يتركون بلادهم وحروبهم ويحتمعون
ليحاربوه » . [٤ عزرا ١٣ : ٣٣ - ٣٥]

٥ - والنتيجة خراب شامل لهؤلاء الأعداء ويقول فيلو « إن المسيا سيسود
المركة ويحطم كل الأمم » ويقول كاتب أخنوخ « يوبخ الناس على فسادهم

وعدم صلاحهم ، يوجههم في وجوههم على حياتهم ، وبعد ذلك يبيدهم . . . ولن
يدجو أحد في تلك الأيام ، ولا يستطيع واحد أن يهرب ، ولن يكون لهم سيف
في الحرب ، ولا درع ولا حديد ولا نحاس ولا صفيح ولا رصاص فسكانها تبيد
من وجه الأرض [أخنوخ ٥٢ : ٧ - ٩]

سيكون المسيا أعظم فاتح مخرب في التاريخ إذ يبيد أعداءه جميعاً

٦ - يتبع ذلك تجديد أورشليم . . إما بالتطهير أو بنزول أورشليم الجديدة
من السماء ، أى أن المنازل القديمة ستطوى وتوضع في الجديدة « وتجدد الأعمدة
وتصبح أكبر من الأولى » [أخنوخ ٩٠ : ٢٨ و ٢٩]

٧ - ويجتمع كل اليهود المشتتين إلى أورشليم الجديدة . ولا زال اليهود
يصلون إلى هذا اليوم « لرفع يدك واجمع شعبك المشتت من أقاصى الأرض »
ومزامير سليمان تقول « اضرب بوقك في صهيون لتجتمع قديسيك ، وسمع
أورشليم مناداة البشر ، إن الرب رحم أورشليم ارتفعى يا أورشليم وانظري
إلى أبنائك من الغرب والشرق يجتمعون اليك . من الشمال والجنوب يأتون
إلى الرب بفرح . من الجزر البعيدة يأتون والجبال تصير سهولا في طريقهم
وتكثر المرات في التلال والأشجار تظلمهم ، وتعطيهم رائحتها الطيبة . حتى يمر
اسرائيل فيها . البسى عزك يا أورشليم لأنك رحمت . ليتم الرب وعده
لإسرائيل ويمجد أورشليم . رحمة الله على اسرائيل » [مزمور سليمان ١١]
إنه عالم جديد لاسرائيل .

٨ - تكون فلسطين مركزاً للعالم وتخضع الشعوب لها . أحيانا يكون

مخضوع سلام » وتقول الجزر والمدن كم أحب الله هذا الشعب لأن كل شيء
يعمل لخيرهم ، هيا بنا نذهب لنخضع لذلك الملك القوي الاله الأبدى .. لنذهب
في موكب إلى هيكله » [Sedy. Orac. 3:690 FF]

ولكن كثيرون يعتقدون أن الأمم ستبید وبذلك تفرح اسرائيل .

« يظهر ليعاقب الأمم ويبيد أصنامهم . وستسعدین يا اسرائيل وترتفعین
فوق أجنحة النسور . بمعنى أن نسر روما سيزول وتزول الأمم والرب يبقى .
ستنظرین من علی وترین أعداءك فی الجحيم وستعرفینهم وتفرحين » [ادعاءات
موسى ١٠ : ٨ - ١٠] إنها صورة قادمة .. الأمم تبید واسرائيل تفرح . حتى
موتاهم سيقومون ليشاركوا في العالم الجديد .

٩ - أخيراً تأتي الأبدية وهي السلام والصلاح الأبدیان .

هذا هو تفكير معاصري المسيح عن المسيا . . إنه تفكير قاس متعصب .
هدام منتقم . نعم إنه ينتهي بملك الله ولكن ملكه يبني على دماء الناس .
والآن ضع تفكير يسوع في مقابل هذا التفكير ؟ فلا عجب إذن إن كان عليه
أن يعلم تلاميذه من جديد معنى المسيا . ولا عجب إن صلبوه أخيراً بتهمة
الهرطقة . . لا مكان للصليب عند اليهود .. والحبة المضحية لا يعرفونها .

المجرب يتكلم بلسان صديق

وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا
وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوعِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ .

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ : وَقَالَ الْقَوْلَ عِلَاقِيَّةً . فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ
إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ . فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلَامِيذَهُ فَأَنْتَهَرَ بُطْرُسَ
قَائِلًا اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ . لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ
بِمَا لِلنَّاسِ .

(مرقس ٨ : ٣١ - ٣٣)

إذا ذكرنا ما قيل سابقا نستطيع أن نفهم هذه الحادثة .. لقد فهم التلاميذ
منذ طفولتهم معنى المسيا .. إنه الفاتح العظيم الذي لا يقهر .. فكيف يواجههم
يسوع بهذا المعنى الغامض الغير معقول؟ هل يتألم المسيا؟ لا عجب إن انفجر
بطرس معترضاً ...!

ولكن لماذا وبخ السيد بطرس بشدة؟ لأن المسيح كان في تلك الفرصة
يحارب الشيطان لاجها لوجه كما حدثت في تجربة البرية بل في شخصية صديق ..
لقد جاءه المحرب مرة أخرى يفريه أمام الموت أن يتخذ طريقه لا طريق الله
طريق التضحية والموت ..

إنه لمن الغرابة والفضاعة بمكان أن يتمص المحرب شخصية صديق محبوب
قد نسلك طريقاً مستقيماً صالحاً ولكنه صعب وقاسى يتطلب التضحية ، فنجد في
لحظة العزم صديقاً مخلصاً يتدخل ، وبنية مخلصه يحاول جهده أن يثنينا عن هذا
الطريق الصالح . أعرف شخصاً سلك هذا الطريق فأتاه صديقه قائلاً « أذكر أنك
زوج وأب مسئول .. فلن تستطيع أن تفعل ذلك » قد يجيبنا الأصدقاء ويحاولون
أن يمنعونا عن ارتكاب الصعاب .

في رواية « جارت ولينيت » يذكر تينسون قصة الابن الأصغر للوط
وبليست ، حينما أراد أن يختار الطريق الصعب ، جاءت أمه قائلة :
« ألا ترحم وحدتى .. إن أباك عجوز ينام كقطعة من الخشب لا يتحرك ..
إن أخويك في بلاط الملك أرثر . فامسك معنا لأنك مازلت ولدًا . وإذا
مكنت فأسعدك وأزوجك أميره » وكلما حاول الابن أن يعدد لها الأسباب
التي لأجلها عزم أن يكون فارساً في بلاط أرثر ردت عليه أمه بكل قوة . .
ولكنه قال لها :

أماه .. كيف تبقيني ملتصقاً بك .. إنه عار . لقد أصبحت رجلاً وسأعمل
عمل الرجال .. ساتبع الشيء الرفيع .. ساتبع المسيح الملك ..
سأتكلم الصدق وأعيش الطهر .. سأصلح الموعج .. ساتبع الملك . وإلا
لما ولدت ؟ لقد عزم جاريت ورأى الرؤيا المحيطة :
إن أقسى هجوم للمجرب هو عندما يأتي على لسان صديق يريد خيرنا ..
وهذا ما حدث ليسوع في ذلك اليوم .. ولهذا إثمهم بطرس بشدة . لنحذر من
الصوت الحنون الصدوق إذا أراد أن ينسينا صوت الله .

طريق التلمذة

وَدَعَا الْجُمُعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي
فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي . فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ
نَفْسَهُ يَهْلِكُهَا . وَمَنْ يَهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ
فَهُوَ مُخَلِّصٌ .

(مرقس ٨ : ٣٤ و ٣٥)

هذه الأعداد القليلة الباقية في هذا الإصحاح هي قلب الحياة المسيحية .. ولو وضع الإنسان في قلبه عدداً من هذه الأعداد بحيث تمتلك عليه حياته لكان كافياً له في الطريق .. ولهذا فسوف ندرسها عدداً عدداً .

شيثان واختان للوهلة الأولى في هذا الفصل :

١ - أمانة يسوع المطلقة : فعندما دعا تلاميذه ليتبعوه لم يفهم بشيء على .. لقد أنار لهم الطريق الذي ينتظروهم .. لم يفرضه بالورود .. لم يقدمهم بالسلام ولا بالمجد . بل طلب منهم أن يستعدوا لجل الصليب وانكار النفس .. وعدم بالألم ونظرة الإزدراء التي تلقى عليهم - وهذه هي أمانة القادة العظام . عندما نسلم ونستون تشرشل قيادة الأمة أثناء الحرب العالمية الثانية ، لم يكن لديه ما يعذب به الأمة سوى للعرق والدم والدموع . وبعد أن سقطت روما في يد أعدائها سنة ١٨٤٩ قال غاريبالدي الجندي الايطالي الشهير لجنوده « أيها الجنود لقد فشلت كل جهودنا وليس لدى ما أهبه لكم سوى الجوع والعطش والصعاب والموت . ولكنني مع ذلك أدعو كل من يحب أمته أن يتبعني » وهكذا كان موقف يسوع : لم يحاول أن يستجدي تلمذة الناس له بالوعيد التي لا تصدق .. بل حاول أن يثير فيهم الرجولة والقوة والجهاد .. إنه وعدم بالعمل والجهاد في طريق صعب ولكنه سام . إنه جاء لا لكي يجعل الحياة سهلة بل ليخلق رجالاً عظاماً .

٢ - إن يسوع لم يطلب من الناس أن يعملوا ما لم يعمله هو بنفسه ، وهذه أيضاً إحدى خصال القائد الحكيم القدير . قيل عن اسكندر الأكبر إنه استطاع أن يقطع حوالي ثلاثة آلاف وثلاثمائة غلوة في إحدى عشر يوماً ، عندما كان

بطارد داريوس الفارسي ، وهذا ما لم يفعله قائد مثله في التاريخ . ولكنه مع رجاله كانوا في حالة من العطش القاتل ، ويقول بلوتارك « إنه الاسكندر وجنوده رأوا قافلة من المكثونيين تحمل قريبا مملوءة بالمياه ، فسألهم لمن يحملونها ، فأجابوا لهم يحملونها لأطفالهم وعائلاتهم ، ولكنهم أضافوا وأنا لانتم بمن لنا قدر اهتمامنا بك وبحياتك ، وملاأ أحدهم أنية من الماء ليعطيها له ، ولكنه عندما حمل الأنية ونظر حوله ورأى الجنود يتظلمون إلى نقطة مياه ، قال لهم « لا » خذوا هذه المياه ، فلماذا أحيأ أنا وهم يموتون ، ورفض أن يشرب وهو في شدة الهمهمة على الماء ، وحالما سمع جنوده ذلك قفزوا على جيادهم وصرخوا هيا بنا .. سنغلب العطش والعمب أيضاً » . نعم ما أسهل أن يتبع الجنود قائداً لا يفعل ما يطلب من جنوده ألا يفعلوه . وفي إحدى المناقشات : قال القائد الروماني المشهور كوينتس فايوس كوناكتيتور لأحد القواد « تقول إن هذه العملية الصعبة لا تتكلف إلا حياة قليل من الناس : فهل أنت مستعد لأن تكون أحد هؤلاء القلائل » وهكذا يسوع إنه لم يجلس هناك في مكانه الأمين يتلاعب بحياة الناس ولكنه طلب منهم ما جاء ليواجهه هو بنفسه .. إنه طلب منهم أن يحملوا الصليب ، لأنه هو حمل الصليب .

٣ - وطلب يسوع من يرتد أن يتبعه أن ينكروا أنفسهم . وقد نفهم معنى هذه الجملة إذ وضعناها حرفياً « قل لا لنفسك » قل لا لنفسك و « نعم » للمسيح يجب أن يقول « لا » للرجبة الطبيعية في الراحة والاسترخاء ، ولحبة النفس ، وللرغبات النفسية التي تدفعه أن يحس ويمس ويدوق ما ليس له ؛ ثم يقول « نعم » لصوت يسوع المسيح وأمره . يجب أن يقول مع بولس : فأحيأ لا أنا

المسيح يحيا في لا يعيش لذاته ولا لاتباعه ولكن ليقبى يسوع . وفي ذلك
الاتباع سيجد الحرية الكاملة .

من يضع حياته يجدها

لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر
نفسه .

(مرقس ٨ : ٣٦)

الوزنات ، والحياة كلها هي إحدى الأشياء التي يمكن حفظها وتوسيع مداها
باستخدامها ، ولكن إن تركت بغير عمل صدقت وانتهت . والتاريخ مملوء
بالرجال الذين بذلوا حياتهم فنالوا الحياة الأبدية ، ومن أمثلة ذلك الراهب الشرقى
الفقير تليماخوس . فقد أحس ذلك الرب أنه يشفق أن يعتزل العالم ، ينبغي أن
يذهب إلى الصحراء ليجد الله في الصلاة والصوم والعبادة المستمرة ، وذهب إلى
الصحراء واستمرت عبادته . ولكن يوماً ما بينما كان ينهى من صلته المعتادة
أحس بشعور مفاجئ غريب .. شعر أنه مخطئ .. إن محبته لله هي محبة أنانية ..
إنه لم يتجرد من أنانيته . وعرف أنه إن أراد أن يخدم الله فليخدم إخوته ،
فكم من المدن المملوءة بالناس ، وكم من الناس الخطاة المحتاجين إلى المسيح ..
هؤلاء كلهم يحتاجون إلى معونته وإلى عمله . وهنا اقتنع وودع صحراءه وذهب
إلى أعظم مدينة في ذلك العصر .. إلى روما بعد مسيرة طويلة . وتصادف أن
كان ذلك اليوم يوم دخول القائد العظيم اسقليخو آيتا من هزيمة الخول ، وكان
لا بد أن يسير الموكب .. موكب الفاتحين وذهب الموكب يتقدمه استلخو

وبجانبه الإمبراطور إلى ساحة الألعاب ، وتبع تليماخوس هذا الموكب حتى يرى ماذا يحدث في روما المسيحية. وجلست حوالي ثمانين ألفاً من الناس يلاحظون السباق ولما انتهى بدأ الشيء المثير الذي ورثته روما المسيحية من روما الوثنية .. بدأت لعبة الدم - ولكن بدلاً من أن يلقى بالمسيحيين للوحوش ، كان الأسرى الأشداء يجاربون بعضهم البعض وبدأ اللعب الخطير المتوحش ، ورأى الراهب النفوس التي مات المسيح من أجلها تقتل ، ورأى أتباع المسيح يهتزون طرباً لرأى الدم ، واهتزت نفسه حزناً ، ولم ينتظر بل قفز من على السور إلى ساحة الألعاب ووقف بين المتصارعين فزجج الجمهور ، فدفعوه بعيداً ، ولكنه دخل مرة أخرى بينهم ، فطلب الجمهور من الانتصارعين أن يقتلوه ، وخضع القائد وأمر أحدهم ، فرفع سيفه وهوى به على رأس تليماخوس فسقط ميتاً .. وعندئذ ساد صمت رهيب على الجموع .. وانبلج تفكير جماعي رهيب .. كيف يقتل هذا الرجل المقدس بهذه الكيفية ، وحدث توبيخ نفسي قاتل وانتهى اللعب فجاء .. وانتهى إلى الأبد . ويختم جيون قصته بقوله « إن موت تليماخوس كان أقوى من حياته » لقد اضاع نفسه عن اخوته فوجدها حياة أبدية .

لقد أعطانا الله حياتنا لتتفهمها لا لنحفظها ، فلوه فكرنا قبل كل شيء في ملذاتنا ، في راحتنا ، في ضمان حياتنا .. لو حاولنا أن ننخل حياتنا من الأتصاب على قدر المستطاع ، لو أوقفنا مجهودنا على أنفسنا فقط .. لو فعلنا ذلك إننا فقدنا أنفسنا بهذا العمل ، ولكن لو أوقفنا حياتنا وانفدتها على خدمة الآخرين لو نسبنا الصحة والراحة في سبيل خدمة يسوع وشعب يسوع إننا بذلك نربح أنفسنا . ماذا كان يحدث للعالم لو أحجم العلماء والأطباء المخترعون عن المخاطرة ؟ ماذا كان يحدث للحياة لو رفض كل الناس أن يعيشوا للآخرين بل لأنفسهم ؟ فإذا

يحدث لو رفضت السيدات أن ينجبن أطفالاً؟ ماذا يحدث لو أنفق كل واحد ماله على نفسه؟ إن جوهر الحياة هو اتفاقها إنه من الأفضل جداً للإنسان أن يحترق لا أن يصدأ، فهذه هي طريق الله.

القيمة العظمى في الحياة

أَوْ مَاذَا يُعْطَى الْإِنْسَانَ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ .

(مرقس ٨ : ٣٧)

قد يعتقد إنسان ما أنه قد نجح نجاحاً كبيراً في الحياة ولكنه يكتشف أخيراً أن حياته كانت تافهة .. إن حياتنا وقيمتها تتوقف على تقديرنا للقيم المختلفة ، وبقدر ما يختلف تقديرنا للقيم بقدر ما تختلف حياتنا .

١ — فبعضهم يضحي بشرفه لأجل المال ، ففي سبيل المال يضحي بنفسه ، كما يذكر جورج مكدونالد عن أحد التجار الذي كان يستخدم إهمام يده في مرقعة جزء من القماش إذ يقول عنه « إنه يأخذ من نفسه ليضع في كيس نقوده » إن السؤال الحقيقي الذي يجب أن نواجهه إن آجلاً أم عاجلاً هو : ما هو تقدير الله لحياتنا؟ إن الله هو الذي يجب أن نواجهه موقفاً قدامه .

٢ — قد يضحي رجل بالبدأ في سبيل كسب شعبية : قد يحاول إنسان ما أن يتجنب الكثير من المتاعب بأن يكون مرناً في كل موقف ، وقد يجد الإنسان نفسه في مأزق عندما يثبت على مبدأه : كما يصف شكسبير الكاردينال ووسى الذي خدم هنري الثامن عندما قال على لسانه « لو خدمت إلهي بنصف

الغيرة والحماس التي خدمت بها ملكي لما تركني هكذا في شيخوختي عاريا في يد أعدائي .»

إن السؤال الأخير الذي يجب أن يواجهه كل إنسان ليس « ماذا يظن الناس في ذلك » بل « ماذا يظن الله في ذلك .. » ليست الشعبية بل حق الله وحده هو الحكم الأصح لحياتنا .

٣ - قد يضحى إنسان بالأبدى في سبيل الزائل : يريد إنسان أن ينجح ، ولكنه يتبع طريق النجاح الرخيص .. قد ينكب الكاتب على كتابة النوافل ويترك الجليل من الأعمال ، قد يؤلف الموسيقى الرخيص من الموسيقى ويترك التليفونيات ، قد يختار إنسان عملا سهلا ويترك الخدمة المضحية ، قد تسير المرأة في سبيل الحرية الكاذبة وتترك السبيل الصعب في تربية أولادها .. قد يصرف الإنسان حياته في الأشياء الصغيرة ويترك الأمور العظيمة كل ذلك لأجل الشهرة والمال .. ولكن ذلك سوف يزول وينمحي .

٤ - ونلخص كل ما سبق في القول : قد يضحى إنسان بالحياة الأبدية في سبيل الحياة الفانية . إننا نجنب أنفسنا الطريق الأعوج لو عرفنا أننا لله . هناك أشياء مفرحة ولكنها وقعية .. إن الأبدية هي المحك الذي يجب أن تختبر به كل الأشياء والأعمال

إن الرجل الذي ينظر إلى الأشياء كما ينظر إليها الله لا يمكن أن يعمل أعمالا يفقد فيها نفسه وحياته .

عندما يأتي الملك إلى خاصته

لأنَّ مَنْ اسْتَحَىٰ بِي وَبِكَلَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ
الْحَاطِيءِ فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهُ مَتَىٰ جَاءَ بِمَجْدٍ أَيْبِهِ
مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ .

وَقَالَ لَهُمْ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِينَ انْقِيَامِ هُنَا قَوْمًا
لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّىٰ يَرَوْا مَلَكَوتَ اللَّهِ قَدْ آتَىٰ بِقُوَّةٍ .
(مرقس ٨ : ٣٨ - ٩ : ١)

أول ما يقابلنا في هذا الفصل هو ثقة يسوع المطلقة بالانتصار . . . فمع أنه كان يتكلم عن الموت . . . ومع أنه كان يضع الصليب أمام عينيه ، لأنه هنا يتكلم بلغة الانتصار . . . يتكلم كمن انتصر فعلا على كل قوات الجحيم .

وفي الجزء الأول من هذا الفصل يظهر أمراً طبيعياً يتحكم في الحياة : فعندما يأتي الملك في ملكوت سيجزل المطاء لمن أخلصوا له ، وهذا حق . . . فلا يحق للإنسان لم يتعب ولم يزرع أن ينتظر حصاداً - لا يمكن لإنسان لم يشارك في معسكر العمل أن يشارك في موكب النصر . . . وكأنما يسوع يقول هنا « إن المسيحية ستكون في عالم صعب قاسي في مواجهته لها ، فمن ينجح مني ومن كونه مسيحي ومن مسلكه كمسيحي فلن يتوقع أن يشارك في أمجاد ملكوت الله »

أما الجزء الثاني من هذا الفصل [٩ : ١] فقد سبب للناس حيرة شديدة :

لقد قال : إن من الفيام ههنا قوماً « لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله آتيا بقوة » . وذن كثيرون أنه يقصد بذلك مجيئه الثاني . . وإن كان كذلك فلا بد أنه قد أخطأ في ذلك ، وهذا ما يستكثرونه على يسوع . لكنهم هم في ذلك مخطئون . إنه لم يقصد مجيئه الثاني ؛ بل يقصد شيئاً آخر نستطيع أن نعرفه لو عرفنا تفكير يسوع وظروفه . لقد وصل يسوع حالا من الأراضى الأميمية المتسمة ، وفي ذلك الوقت لم يكن قد سمع في فلسطين عن رسالته إلا عدد قليل نسبيا من اليهود ، فإذا قسنا فلسطين . التي لا تزيد عن ١٢٠ ميلا طولاً وأربعين ميلا عرضاً وعدد سكانها يتراوح ما بين ٣ أو أربعة ملايين نسمة . . إذا قسناها بالعالم الخارجى تقول إن المسيحية تعتبر لا شىء بالمرّة في ذلك العالم . . زد على ذلك . . تلك المعارضة القاسية التي واجهها يسوع في فلسطين نفسها من جانب الفريسيين والكهنة ورجال السلطة . . إن موقفا كهذا لا يشجع أكثر الناس تفاؤلا على أن يرى أى نجاح للمسيحية في هذا العالم ، بل لا بد أن تزول وتنتهى من العالم . إن هذا المنطق من الوجهة الانسانية منطوق صحيح حق . لكن لنلق نظرة واحدة على ما حدث . . لم تمض ثلاثون عاما حتى رأينا المسيحية تكتسح فلسطين وسوريا وقرصو مصر وخاصة الاسكندرية . . وتدخل آسيا الصغرى واليونان وتتربع في قلب روما حتى أسبانيا . . لقد اتسمت كد لا يمكن أن يوقف . كل ذلك حدث في حياة الكثيرين الذى رأوا المسيح . . فلم يكن يسوع بذلك مخطئا لقد كان كلامه الحق المطلق .

إن الأمر المدهل في حياة يسوع أنه لم يعرف اليأس مطلقا . . ففي وجه غباوة الناس ، في وجه المعارضة الشديدة . في وجه الموت والصليب لم يعرف اليأس ولا الاستسلام ، إنه كان واثقا أن الغير مستطاع عند الناس مستطاع عند الله .

الأصحاح التاسع

المجد في قمة الجبل

وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوْحَنَّا وَصَعِدَ
بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ وَحَدَّثَهُمْ . وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قَدَامَهُمْ .
وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيَضَاءٍ جِدًّا كَالثَّلْجِ لَا يَقْدِرُ قَصَارٌ عَلَى الْأَرْضِ
أَنْ يُبَيِّنَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَظَهَرَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى . وَكَانَا
يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ . فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ يَا سَيِّدِي
جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا . فَلْنَصْنَعْ ثَلَاثَ مَظَالٍ . لَكَ وَاحِدَةً
وَلِمُوسَى وَاحِدَةً وَلِإِبْرَاهِيمَ وَاحِدَةً . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ
بِهِ إِذْ كَانُوا مُرْتَمِعِينَ . وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظِلُّهُمْ . فَجَاءَ صَوْتُ
مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ . لَهُ اسْمَعُوا . فَانظَرُوا حَوْلَهُمْ
بَغْتَةً وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا غَيْرَ يَسُوعَ وَحْدَهُ مَعَهُمْ .

(مرقس ٩ : ٢ - ٨)

نحن الآن أمام حادثة مغلقة بالأسرار فلنحاول أن نتلمس طريقنا فيها . يقول

مرقس لأنها حدثت بعد ستة أيام من حادثة قيصرية فيلبس ، أما لوقا فيقول بعد ثمانية أيام . . لا يوجد اختلاف بين الاثنين . لأن كليهما يعنيان « أسبوعا » ولهذا لم تختلف الكنيسة الشرقية والغربية على جعل يوم ٦ أغسطس هو يوم ذكر التجلي . أما من جهة مكان الحادثة فقد ذكر التقليد أنها حدثت على جبل نابور حتى أن الكنيسة الشرقية أسمته حادثة التجلي « الطابوري » ولكننا نعتقد أن هناك خطأ في ذكر هذا المكان لأن نابور في جنوب الجليل وقيصرية فيلبي بعيدا في الشمال عن الجليل ولم يكن جبل نابور سوى ١٠٠٠ قدم ارتفاعا تعلوه قلعة ضخمة فهو لا يصلح لمثل هذه الحادثة المقدسة . . إن جبل حرمون الذي يشمخ إلى ٩٢٠٠ قدم والقريب من قيصرية هو المكان المعقول لهذا الحدث العظيم .

وإننا إن كنا لا نستطيع أن نذكر بالتفصيل ماذا حدث في ذلك الوقت ، ولكننا بكل خشوع وإجلال نتقدم لفهم شيئا منه .

يذكر مرقس أن ثياب يسوع كانت تلمع ، وقد استخدم الكلمة « ستلباين Stilbein » التي تعنى اللمعان الذي يصدر من نحاس مجلو أو من الذهب أو من أشعة الشمس الذهبية . وعندما انتهت الحادثة يذكر أن سحابة ظلّاهم ، والسحابة تشير ، في العهد القديم ، إلى حضور الله . ففي السحابة قابل الله موسى ، وحضر إلى خيمة الشهادة ، وحل في هيكل سليمان بعد تدشينه .. وكان اليهود يعتقدون أن المسيا سيأتي في السحابة إلى هيكله . [خروج ١٦ : ١٠ ، ١٩ : ٣٣ ، ١٠ : ٩ ، ١٠ : ٨ ، ٢٠ : ٢ : ٨] . فنزول السحابة هي التعبير الرسمي عند اليهود أن المسيا قد جاء .

وللتجلى أهميتان :

١ - لقد كان التجلى مهما بالنسبة ليسوع ، فهو الختم الأبوي على القرار الذى اتخذته وهو أن يثبت وجهه لى ينطلق إلى أورشليم ليواجه الصليب . وهذا الختم جاء فى صورتين :

(أ) مجيء موسى وإيليا إليه . وكان موسى ممثلاً للناموس لأنه تسلمه من الله أما إيليا فكان أول الأنبياء وأعظمهم ، وكان اليهود يظلمون إليه ليسمعهم صوت الله . ومجيء الإثنين بهذه الصفة معناه الموافقة على عمله . . معناه أن فى يسوع تحقيق كل رجاء الماضى . معناه تحقيق التاريخ وإكماله فيه ، معناه أن يسوع هو الذى يقود الحق إلى النصر

(ب) مخاطبة الآب له : وكما كانت عادة يسوع ذهب إلى الآب وقال له لتسكن « إرادتك » فإنه فوق جبل التجلى نال هذه الموافقة والتشجيع على الذهاب . . إن يسوع فوق جبل التجلى عرف أنه يسير ويميل الصلاح المطلق .

٢ - وكان مهما بالنسبة للتلاميذ :

(أ) لقد هزهم تصريح المسيح أنه ذاهب إلى أورشليم ليموت ، وكان هذا الإعلان إنكاراً بكل ما يعرفونه عن المسيا ، فاضطرب تفكيرهم ، وبدأ رجاؤهم ينطق ، وقلوبهم تنكسر . . ولكن حادثة جبل التجلى تعطيم الرجاء حتى ولو لم يفهموا ماذا حدث . سواء أصلب أو لم يصلب فهم يسمعون صوت الله يعلن أنه ابنه الحبيب .

(ب) جعلتهم شهوداً للمسيح ، والشاهد هو الذي يرى ثم يعلن . وهنا على جبل التجلي يشاهدون مجده وعندئذ يملأ هذه الحادثة حياتهم وذاكرتهم وقلوبهم وبذلك يشهدون للناس . . لقد شاهدوا فشهدوا

مصير النذير [يوحنا المعمدان]

وَفِيهَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يُحَدِّثُوا أَحَدًا بِمَا
أَبْصَرُوا إِلَّا مَتَى قَامَ ابْنُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَمْوَاتِ . فَحَفِظُوا الْكَلِمَةَ
لَأَنْفُسِهِمْ يَتَسَاءَلُونَ مَا هُوَ الْقِيَامُ مِنَ الْأَمْوَاتِ . فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ
لِمَاذَا يَقُولُ الْكُتُبَةُ إِنَّ إِبِلِيَّا يَنْبِئُ أَنْ يَأْتِيَ أَوْلًا . فَأَجَابَ
وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ إِبِلِيَّا يَأْتِيَ أَوْلًا وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ وَكَيْفَ هُوَ
مَكْتُوبٌ عَنْ ابْنِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرَدَّلَ . لَكِنَّ
أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِبِلِيَّا أَيْضًا قَدْ أَتَى وَعَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا كَمَا
هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ .

(مرقس ٩ : ٩ - ١٣)

لا بد وأن التلاميذ الثلاثة كانوا غارقين في التفكير وهم نازلون من على الجبل . ولكن يسوع بدأ كل شيء بوصية وجهها للتلاميذ ألا يقولوا لأحد عنه . فيسوع كان يعرف أن عقل التلاميذ كان لا زال مملوفاً بالتفكير اليهودي عن المسيا ، فلو أخبروا الناس عما رأوا من مجد وبهاء ، لو أخبروا عن ظهور

مجد الله على السحابة ، لو أخبروا عن ظهور إيليا وموسى . . لو فعلوا ذلك ماذا كان يكون تأثيره على التفكير الشعبي ؟ ألا يدل ذلك - بحسب عقلية الشعب - على أن هذه مقدمة على ظهور مجد الله في الانتقام من الأمم ورفعته شعب اليهود ؟ إن التلاميذ يحتاجون أن يتعلموا من هو المسيا ، ولا شيء يعلمهم ذلك حقيقة ، ويكشف لهم عن عمق هذا المعنى سوى الصليب والقيامة . . عندما يرونه يصلب ثم يقوم ، عندئذ يعرفون أن مجد التجلى لم يكن مقدمة لإظهار مجد إله منتقم ، بل مجد الأب المحب في شخص ابنه يسوع المسيح .

وعندما تكلم يسوع عن القيامة ظهروا أنهم لا يستطيعون أن يفهموا معنى القيامة هذه ، والدليل على ذلك هو أنهم عندما رأوا يسوع معلقا على الصليب ظنوا أن نهاية كل شيء قد أتت. ونحن نعذر التلاميذ لأن يسوع عندما علمهم عن المسيا كان يعلمهم شيئا لم يسمموا عنه ولم يتخيلوا أن شيئا كهذا ممكن الحدوث

وهنا بدأ التلاميذ يسألون سؤالاً محيراً لهم : إن كان يسوع هو المسيا : فأين إذن إيليا الذي يسبق مجيئه ؟ [ملاخي ٣ : ٥ و ٦] . إن شخصية إيليا كان لها أهمية خاصة عند اليهود . فإنهم يعتقدون أنه لا زال عاملاً في السماء والأرض من أجلهم ، ويقول أحد الأحاديث التقليدية إن إيليا سيظهر قبل مجيء المسيا بثلاثة أيام . . يقف في اليوم الأول على أحد الجبال رافعا يديه على الأرض المهجورة ، وعندئذ ينادى بصوت عال يسمع في أفاصي الأرض قائلاً « سلام ياتي على الأرض . . سلام ياتي على الأرض » ثم ينادى في اليوم الثاني « خير ياتي على الأرض . . خير ياتي على الأرض » ثم ينادى في اليوم الثالث

« خلاص يأتي إلى الأرض . . خلاص يأتي إلى الأرض » ثم يرد كل شيء . . .
يقم المعوجات ويطهر الأمة ويصحح الطقوس ويقضى للمظلومين . هذا هو إيليا
فهل جاء؟ ماذا حدث له؟

وكان جواب يسوع مفهومًا لكل يهودي . « لقد جاء إيليا وعمل به
الناس ما أرادوا لا ما كان الله يريد » وكان يسوع يقصد يوحنا وكيف سجن
وقتل . ومن هنا واجههم مرة أخرى بالمصير الذي ينتظره و ينتظرهم « فإذا
كانوا فعلوا ذلك بالذير فاذا يفعلون بالمسيا . « لقد قلب يسوع موازين
تفكيرهم : كانوا ينتظرون التدخل الإلهي القوي . . محيي إيليا ، ظهور المسيا ،
وانتصار اليهود ، ولكنه يواجههم بموت إيليا و قتله ، وموت المسيا على
الصليب . ولكنهم لم يفهموا ، وعدم فهمهم راجع إلى نفس السبب الذي لأجله
يفشل كل إنسان عندما يتمسك بتفكيره وطريقه ولا يريد أن يعرف طريق
الله الصحيح . إنهم تمسكوا برغبتهم وإرادتهم لا بإرادة الله ومشيئته . إن
خطأ تفكير البشر أعماههم عن معرفة إعلانات الله .

النزول من الجبل

وَلَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلَامِيذِ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا حَوْلَهُمْ وَكُتِبَةٌ
يُحَاوِرُونَهُمْ . وَلِلْوَقْتِ كُلِّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحَيَّرُوا وَرَكَبُوا
وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ . فَسَأَلَ الْكُتِبَةَ بِمَاذَا تُحَاوِرُونَهُمْ فَأَجَابَ وَاحِدٌ
مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَ يَا مُعَلِّمٌ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِرُوحٍ أُخْرَسٍ .

وَحَيْثُمَا أَذْرَكَهُ يُمَزِّقُهُ فَيَزِيدُ وَيُصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ . فَقُلْتُ
لِتَلَامِيذِكَ أَنْ يُضْرَبُوا فَلَمْ يَقْدِرُوا .

(مرقس ٩ : ١٤ - ١٨) .

إن النزول من على الجبل هو العمل الذي لا يريد به بطرس . لقد استحسن
البقاء . هناك مجد وبهاء . . قرب من الله لماذا لا يبقون هناك وليعملوا المظالم
الثلاث ليسوع ولومسى ولإيليا ؟ ولكن جوهر الحياة الحقيقي ليس هو المكوث
المستديم على الجبل ، « ليس الوحدة مع الله بل الاتصال بالناس » فلو قتل الإنسان
منخذه على نفسه ، ثم قتل أذنيه عن صراخ المحتاجين ثم قتل قلبه عن كل العالم
الخارجي .. لو فعل ذلك لفقد معنى الشركة الحقيقية مع الله . إن الشركة مع الله
تخلق منا شخصيات أكثر فائدة ومنفعة لإخوتنا .

لقد جاء يسوع من الجبل ليرى موقفاً دقيقاً قدامه ، شخص أحضر ابنه .
المصاب بالصرع إلى التلاميذ لكي يشفوه ، ولكنهم عجزوا عن ذلك ، وعجزم
هذا أعطى السكتة والفريسيين فرصة لكي يجادلوه ويحقروا من شأنهم وشأن
معلمهم أيضاً ، وهذا ما يجعل الموقف أكثر حساسية . وهذا ما يواجهنا في
الحياة .. إن فشلنا في حياتنا المسيحية .. وفشلنا في إظهار قوة الحياة الجديدة
التي نلناها لا يحقرنا نحن فقط بل يحقر للمسيح أيضاً ، وفي هذا يقول ا . ف
مورى في كتابه « التعليم المسيحي » إن بعض الناس يظنون أن الكنيسة هي
المجتمع الفائق الطبيعة ، جسد المسيح ، العروس التي بلا غضن .. حاملة لتجميل
المسيح .. محل المقدين المقدس . . وإلى غير ذلك من الألقاب الرومانتيكية
ولا يريدون أن يعرفوا « أن الكنيسة هي أنت وأنا الذين نعمل في غمار العالم »

إن مركز الشخص لا يهم ، إن المهم في أعين الناس هو سلوكه بهذا يحكون عليه وعلى سيده . ولهذا فقد رأى الكتبة في هذه الحادثة أنها فرصة ذهبية للنيل من مركز يسوع .

ووصل يسوع . وعندما رآه الناس اندهشوا . . بالطبع لم يكن ذلك للمجد الذى احتواه على جبل التجلى ، فذلك قد انتهى وقته ، وإلا فما فائدة تحذيره لتلاميذه ألا يقولوا لأحد عن التجلى وهو يبتى آثاره ؟ بل لأن الناس لم يروه مقبلاً . ظنوه بعيداً وانغمسوا في مناقشاتهم ، ولكنهم وجدوه فجأة بينهم فاندهشوا . وهذا يعلمنا أمرين :

١ - أن يسوع واجه المواقف الصغيرة بنفس الثقة والشجاعة التى بها واجه المواقف الهائلة ، لقد واجه الصليب بثقة واطمئنان وواجه هذا الموقف تحت الجبل بنفس الحالة ، إن من خصائص الطبع البشرى أن يواجه شدائد الحياة بشجاعة . ومرات كثيرة بتحد ، ولكن فى مرات كثيرة يقابل صغائر الأمور بقلق وغضب ، ولكم واجه شخص ما كارثة صعبة بثبات ورباطة جأش ، وفى الوقت نفسه فقد أعصابه لأن قطاراً فاته أو تأخرت وجبة الطعام عن موعدها . أما يسوع فقد كان ثابتاً فى أية حالة وأى موقف والسبب فى ذلك لأنه كان يرى الله فى كل موقف من الأوقات كما فى المواقف اليومية الروتينية ، بعكس ما نفعل نحن إذ نحاول أن نرافق الله فى أوقات الحياة بينما نواجه المواقف الصغيرة بقوتنا نحن وبذلك ننقد صوابنا فى مواجهتها

٢ - إنه كان يحمل نفس الحب والتضحية للفرد الواحد كما للعالم كله . . لقد جاء ليخلص العالم ، ومع ذلك فقد أعطى نفسه كلية للفرد الواحد ، وهذا

بعكس الكثيرين الذين يمثلون غيرة وحماسة لخلاص البشرية ولكنهم يفضلون
إذا وقف فرد واحد في طريقهم يحتاج إلى المعونة والمساعدة؛ يحاولون أن يبشروا
العالم ويستسكنون أن يحملوا البشارة إلى شخصية تسكن بجوارهم. ولكن الحب
الأصيل الحقيقي هو الذي يوجه للفرد بنفس السهولة والاهتمام اللذين يوجه بهما
إلى العالم .

صرخة الإيمان

فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ إِلَى مَتَى أَكُونُ
مَعَكُمْ . إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ . قَدِّمُوهُ إِلَيَّ . فَقَدَّمُوهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا
رَأَاهُ لِلْوَقْتِ صَرَخَهُ الرُّوحُ فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ يَتَمَرَّغُ وَيُزِيدُ . فَسَأَلَ
أَبَاهُ كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هَذَا . فَقَالَ مُنْذُ صِبَاهُ . وَكَثِيرًا
مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ . لَكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ
شَيْئًا فَتَحْنَنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ
أَنْ تُؤْمِنَ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ . فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو
الْوَالِدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ أَوْ مِنْ يَا سَيِّدُ فَأَعْنِ عَدَمَ إِيمَانِي .

(مرقس ٩ : ١٩ - ٢٤)

يبدأ هذا الفصل بصرخة ألم تخرج من قلب يسوع «أيها الجيل العوج...»
تقد كان على الجبل ونزل وهو مملوء بالزعم والقوة على مواجهة تحدى قوات الشر

الفداء العالم ، ولكنه يرى هؤلاء التلاميذ الذين اختارهم ، التلاميذ الذين صرف
 اللبالي الطوال يعدم ويعلمهم ليكونوا خاصة له ليحملوا رسالته . هؤلاء التلاميذ
 الذين يعتمد عليهم في مستقبل العمل . . يراهم واقفين مضطربين عاجزين أمام
 موقف بسيط !! هل شعر في تلك اللحظة بشعور الشخص الذي يتأس من محاولة
 رفع الناس وتغييرهم إلى ما هو أحسن ؟ هل رأى أن عمل السنين والأيام الطويلة
 قد فشل ولم يأت بثمر ؟ لماذا يفقون هكذا وكأنهم لم يكونوا معه ، ولم
 يتعلموا منه كيف يواجهون المواقف ؟ هذا الموقف الحزن . . كيف يقابله
 يسوع ؟ لقد صاح « قدموا إلى الولد » نعم عندما نياس من تغيير العالم دعنا
 لا نقف يائسين مضطربين بل لنقم ونعمل العمل الصغير الذي أمامنا . . لقد
 فعل يسوع هكذا ، إنه رأى مستقبل الرسالة في يدي جماعة كهؤلاء . ولم يقف
 ساكنا بل عرف أنه يجب أن يعمل هذا العمل الصغير الذي أمامه . . فقال
 « قدموا إلى الولد » إن لم تستطع أن تخلص العالم فاول أن تقود جارك إلى
 المسيح . . إن لم تستطع أن تبني السور كله فلا تياس بل ابن أمام بيتك كما
 يقول كنجسلي :

اعمل أقرب عمل إليك حتى وإن رأيت أن من النبأ ان تعمله

ساعد الكلاب العرجاء إن قابلتها لتنال نصيبها

إن أسلم طريقة لمواجهة اليأس والفشل هي أن تفعل ما تجده يدك

وهناك أمر آخر مهم وهو كلمة يسوع لوالد المريض عندما وضع له قواعد
 حدوث المعجزة « إن كفت تؤمن . . » ليست هذه الكلمة حقيقة لاهوتية
 حنط ، لأنها حق عام ، فإن تقابل أمراً ما بروح الفشل وعدم الرجاء فالأمر لا بد

وأن يفشل ، ولكن إن قابلت الموقف بروح الإيمان والثقة فإنك تخلق الجو الصالح لنجاحه . . يقول كافور إن الرجل السياسي يحتاج فوق كل شيء إلى « الإحساس بأن كل شيء ممكن » . إن اللعنة التي أصبنا بها هو إحساسنا « بأن أشياء كثيرة جداً مستحيلة » ولهذا فالمعجزات لا تحدث بيننا الآن .

إن موقف الوالد يامانا درساً مفيداً في حياتنا؛ لقد جاء إلى يسوع، ولكنه لم يجده لأنه كان على الجبل ، فالتجأ إلى تلاميذه، ولكن التلاميذ فشلوا في أن يساعده فاهتز إيمانه في التلاميذ وفي يسوع نفسه ، حتى أنه عندما جاء يسوع من الجبل قال له « أعنا إن كنت تستطيع » ولكنه عندما وقف أمامه وجها لوجه انفجر لهيب الإيمان مرة أخرى وصاح « أو من ياسيد . . ولكفى أشعر ببعض الشكوك فأزلها من قلبي ومن حياتي » . مرات كثيرة نياس من الكنيسة فلا نجد فيها ما كنا نطلبه منها ونياس من الخادم لأننا لم نره بالصورة التي نتظرها دعنا لا نياس . . إن فشلت الكنيسة فسيدها باق . . وإن لم يعجبنا الخادم فلننظر إلى يسوع نفسه . . إن نظرنا إلى يسوع نفسه هو الذي يجعلنا نكسب المعركة . . فالإيمان يجب أن يتجه إليه هو .

سبب الفشل

فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ الْجَمْعَ يَبْتَازُ كَفُضُونَ انْتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ
فَأَيُّهَا الرُّوحُ الْأَخْرَسُ الْأَصْمُ أَنَا آمُرُكَ . أَخْرِجْ مِنْهُ
وَلَا تَدْخُلْهُ أَيْضًا . فَصَرَخَ وَصَرَخَهُ شَدِيدًا وَخَرَجَ . فَصَارَ

كَيْتَ حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ أَنَّهُ مَاتَ فَأَمْسَكَ يَسُوعُ بِيَدِهِ
وَأَقَامَهُ فَقَامَ . وَلَمَّا دَخَلَ آيَاتُنَا سَأَلَهُ تِلَامِيذُهُ بِعَلَى أَنْفِرَادٍ لِمَ إِذَا
لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ . فَقَالَ لَهُمْ هَذَا الْجِنْسُ لَا يَسْمُوكُنْ
أَنْ يُخْرِجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصُّيُومِ .

يروح أن يسوع قد أخذ الوالد توابنة بعيداً عن الجمهور ، ولتكن الجمهور
عندما سمع صياح الوالد والولد ، جرى إليهما ، وعندئذ قال يسوع : كنتا وشقي
الولد بعد أن سقط مصروعا .

وعندما اختلى التلاميذ يسوع سألوه عن سبب قتلهم أمام هذا المرض
بالذات . انهم يذكرون نجاحهم الباهر في إرسالياتهم ، ويذكرون كم من الأرواح
النجسة قد خرجت من المرض بأمرهم وعلى كلتهم (مرقس ٣ : ١٤ - ١٥) ،
فلماذا يشلون الآن ؟ ولقد جاء إليهم جواب يسوع بسيطاً قاطعاً : إن هذا الشفاء
يحتاج إلى الصلاة . وكأنه يقول لهم « لقد منحتهم القوة ، ولكنكم لم تستطيعوا
أن تحافظوا عليها لأنكم لستم في شركة مع أبيكم السماوي . بالصلاة » .

وهنا نجد لأنفسنا درساً خطيراً : فقد يهبنا الله بعض الوزنات ، وقد تكون
وزنات لها ثقلها وجلالها . ولكن هذه الوزنات الضخمة تزوي وتغشى ما لم
يكن هناك صلة عميقة بيننا وبين الله ، فقد منح الله أحدنا موهبة الوعظ ، فإن
لم تكن له شركة بالله ، يصنع هذا الواعظ مجرد خطيب ماهر لا أكثر ولا
أقل . وقد يمنح آخر موهبة التدبير ولكن الزم يصنع مجرد مغف محترف ما لم

يدعم موهبته بالصلاة لله . . إن كل صاحب وزنة ولو كان يكسب معيشته فيها لا بد وأن يخضعها لله ، ولا بد له ، وهو يؤدي دوره في الحياة ، أن يعرف أنه يخدم بها الله . لقد اعتادت مغنية الأوبرا جنى لند أن تصلى لله قبل أى حفلة قائلة « إلهى ساعدنى أن أخدمك هذه الليلة » .

وبدون الشركة مع الله يفقد المرء شيئين ضروريين مهما كانت وزنته عظيمة :

١ - يفقد الحيوية . . يفقد القوة الحية التي تضيء العظمة على كل عمل . . فيصبح العمل بدونها جسداً جميلاً ولكن بدون روح ، يصبح عملاً فنياً وليس مقدمة شكر لله .

٢ - يفقد التواضع . . فبدلاً من أن يستخدم الإنسان موهبته لمجد الله يستخدمها لمجد نفسه فتفقد فضيلتها ، وبدلاً من أن يقدم الله . . يقدم نفسه فتفقد روح الجمال .

لتحذر . . إن التلاميذ أخذوا القوة من المسيح ولكنهم لم يقدوها بالصلاة فضاعمت منهم هذه القوة . فعندما يعطينا الله الموهبة تضيع منا ، لو استخدمناها لأنفسنا فلنحفظها حية فعالة عاملة ، وذلك بالصلاة لله الذي وهبها لنا .

مواجهة النهاية

وَحَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجْتَازُوا الْجَلِيلَ وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ .
لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلَامِيذَهُ وَيَسْأَلُ لَهُمْ إِنْ ابْنَ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى

أَيْدِي النَّاسِ يَمْتَلِكُونَهُ . وَبَعْدَ أَنْ مُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ .

(مر ٢٠ : ٣١ - ٣١)

هذان العددان يعتبران حداً فاصلاً لمرحلة في حياة يسوع ، لقد ترك الجليل حيث الأمان والنجاة وأخذ يصبغ إلى أورشليم حيث العداوة والصليب . ولذلك أراد يسوع أن يختلي بتلاميذه بعيداً عن الجمهور ، لأنه أراد أن يترك رسالته في يدي جماعة يعدم ويكتب هذه الرسالة على قلوبهم . لقد كان من السهل عليه أن يترك وراءه تعاليم وفلسفة ، ولكنه يعلم أن التعاليم لا تؤثر ما لم تسكتب على قلب جماعة يفهمونها ، ولو إلى درجة قليلة ، حتى يستطيعوا حملها إلى الآخرين ليس بكلامهم فقط بل في حياتهم أيضاً .

وهنا يعطيه يسوع تحذيراً أشد ، لأنه يضيف عليه كلمة مؤلمة « لأن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس » . فلأول مرة هنا يعلن أن هناك خائناً في وسطهم سيسلمه إلى أيدي الناس . لقد عرف يسوع اتجاه تفكير يهوذا ، وعرف ابن يقوده هذا التفكير . . ربما لم يكن يهوذا فاهماً لنفسه قدر ما كان يفهمه يسوع . ولذلك فكلمات يسوع لم تكن تحذيراً لهم ، وتقرير الحقيقة فقط ، ولكنها كانت تحمل دعوة خفية ليهوذا أن يترك المعتذر الذي ينحدر إليه تدريجياً ويشوب إلى رشده .

ومع ذلك استمر التلاميذ في عدم فهمهم . . إن العقبة السكاداء في سبيل فهمهم هو القيامة . . لقد عرفوا من تحذيره أن شيئاً ما خطيراً لابد وأن يحدث . . ولكن القيامة قد كانت صعبة على أفهامهم . . كانت معجزة تفوق خيالهم . .

فاستمروا الى النهاية لا يفهمون عنها شيئاً ، ولم يهضموها إلا بعد أن حدثت
أمام عيونهم .

ولما لم يفهموا صمتوا عن السؤال والاستفهام . . . إنهم يشابهون في ذلك
رجلاً عرف أمراً ما ، ولما خاف منه كف عن معرفة التفاصيل . كالريض الذي
يسمع تقرير الطبيب عنه ويعرف أنه خطير ، هذا المريض يكف عن السؤال
ومعرفة التفاصيل لسبب واحد بسيط وهو أنه يخاف أن يعرف أكثر . . هذا
كان حال التلاميذ في تلك اللحظة

قد ندهش نحن لعدم قدرة التلاميذ على فهم الإعلانات الواضحة هذه ،
ولسكن لا ندهش لأننا لسنا أحسن حالاً منهم ، فالعقل البشرى فيه المقدرة
الغريبة على رفض ما لا يريد . فلقد سمعنا ، كما سمع غيرنا ، الرسالة المسيحية ،
وعرفنا كما عرف غيرنا ، المصير المؤلم الذي يؤدي بنا لعدم قبولها ، ولكفنا مع
ذلك نعرف ونفرح لقبول الأشياء التي توافقنا فيها ، أما ما لا يوافق حياتنا
ومزاجنا فمقولنا تعلق دونه ، ونبقى في نجاهل تام يقود إلى جهل مطبق .

الطموح الحقيقي

وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا الْقَوْلَ وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ .
وَجَاءَ إِلَى كَفْرِ نَاحُومَ . وَإِذْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُمْ بِأَذَا كُنْتُمْ
تَسْكَامُونَ فِيهَا يَبْنِكُمْ فِي الطَّرِيقِ . فَسَكَتُوا . لِأَنَّهُمْ تَحَاجُّوا فِي
الطَّرِيقِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مَنْ هُوَ أَعْظَمُ . فَعَجَسَ وَنَادَى

الإثنى عشر وقال لهم إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون
آخر الكل وخادماً للكل .

(مرقس ٩ : ٣٢ - ٣٥)

لا يوجد في إنجيل مرقس ما يظهر أن التلاميذ زالوا يجهلون الخدمة
المطلبة التي لأجلها جاء يسوع .. ولا شيء في إنجيل مرقس أحزن قلب يسوع ،
قدر هذه المناقشة والمجادلة التي جرت بين التلاميذ في الطريق إلى كفر ناحوم .
إلى الآن هم في أحلامهم الأرضية يفكرون في ملكوت يسوع تفكيراً أرضياً ..
هم رؤساء الدولة معه وهو ملك فوق الممالك الأرضية . ولكن رغم كل هذه
للمناقشة فقد كانوا في أعماق قلوبهم مقتنعين بخطأ تفكيرهم . حتى عندما
سألهم عما كانوا يجادلون سكتوا وأحسوا بالجلجول ولم يجدوا ما يدافعون به عن
أنفسهم . بل لعلمهم عندما عرضت كل أفكارهم أمام ناظرى يسوع أحسوا
أنها تافهة ؛ فكم مرة تشاجروا فيما بينهم على من هو الأعظم في ملكوت
السوات ، ولكن عندما بدأ يسوع يناقشها معهم ، عسرفوا في قلوبهم أن
تفكيرهم تافه لا يعقل أن يفكروا هم فيه . وهل هذا هو موقفنا في حياتنا ؟ إننا
نفكر في أمور كثيرة قد تكون تافهة وليست مستقيمة مع الحياة المسيحية
الحقة ، ولكن عندما نعرضها على يسوع نحسن بتفاهتها وعدم جدواها . فلو
استطعنا أن نتساءل قبل أن نقدم على عمل ما ، هل أستطيع أن أفعل هذا وما هو
يسوع يرافقتي ؟ لو فعلنا ذلك لاختلقت حياتنا وساوكنا كثيراً عما هي عليه .

وكان على يسوع أن يأخذهم بالحزم في هذه المسألة ، فجلس كما يفعل كل معلم
يهودي يريد أن يعطى لتلاميذه درسا ، ثم ناداهم إليه ، وأرأهم أن المنظمة الحقيقية

في ملكوت السموات ليست في أن تكون سيدا بل في أن تكون خادما أميناً .
وفي هذا الإعلان لم يبح يسوع الطموح بل رقاؤه وجعله إلى هدف أسمى ، فبدلاً
من طموح السيادة وضع طموح الخدمة ، وبدلاً من طموح الإمتلاك والخوف
على كل شيء وضع طموح مساعدة الآخرين والعمل على إسعادهم .

يظن البعض أن ما يضعه يسوع أمام تلاميذه ما هو إلا مثل أعلى يستحيل
تحقيقه في الحياة ، ولكنهم في ذلك مخطئون ؛ فلو فتشنا التاريخ عن عطاء
الرجال الذين حفظ اسمهم في سجل المجد لوجدناهم أولئك الذين خدموا الإنسانية
ممثلة في رعيتهم أو جيرانهم أو إخوتهم أو غير ذلك ؛ أولئك ضحوا بأنفسهم
لأجل الجميع . وعندما وقف بلديون رئيس وزراء إنجلترا ليرثي أحد كبار رجال
الدولة قال « إنني كرئيس وزراء أستطيع أن أكتشف في بعض المواقف
الحساسة أعماق الطبيعة البشرية ، وقد عرفت في هذا الراحل لقد عرفت حقيقة
في موقفين يعتبران ضربة قاسية له ، الأول عندما فضلت أنا عنه لرئاسة الوزارة ،
والثاني عندما أخبرته أنه يجب أن يوضع في عمل خاص لا يريد هو ومع
ذلك فلم أجد منه أى تعبير عن عدم الرضا لا في القول أو العمل . . لم يشك ولم
يتذمر ، بل ذهب إلى عمله وهو يعرف أنه يجب أن يخدم أمتة في أى مكان
يختار فيه » . وهناك قصة عن رجل من اسبارطة كان في غاية الحكمة وكان
مرشحاً ليكون أحد ثلاثمائة يحكمون أسبارطة . . ولكن لما أعلنت الأسماء لم
يكن اسمه بينهم . . فقال له صديقه « إننى آسف . . كان يجب أن يعرف
الناس مقدرتك في حكم البلاد . . ولكنه رد على صديقه قائلاً « إننى مسرور
أن أجد في اسبارطة ثلاثمائة رجل أفضل منى يستطيعون أن يحكموها » . إن
إنكار الذات نادر ولكنه مجيد وعظيم في أعين الجميع .

ولماني أعتقد أن أعقد مشكلات الاقتصاد محل ، وأكثر آلام السياسة
تزول وأمر اتقسامات الكنيسة التي تهدد وحدتها وروحانياتها تخفى لو نظر
الناس لا إلى ما لأنفسهم بل إلى ما لفهم ، ولو وضعوا في اعتبارهم أن خدمة
الغير أهم من الأناية والطموح للسيادة والتحكم في الآخرين .

وبهذا وضع يسوع أعظم وأجد حقيقة في التاريخ عندما أعلن أن العظمة
الحقيقية في الخدمة لا في السيطرة .

مساعدة المحتاجين هي خدمة للمسيح نفسه

فَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ وَقَالَ لَهُمْ . مَنْ
قَبِلَ وَاحِدًا مِنْ أَوْلَادِ مِثْلِ هَذَا بِاسْمِي يَقْبَلْنِي وَمَنْ قَبِلَنِي
فَلَيْسَ يَقْبَلْنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي .

(مرقس ٩ : ٣٦ و ٣٧)

لا زال يسوع هنا يعالج مشكلة الطموح ويبين النافع من الضار فيه . دعا
ولداً وأقامه في وسطهم : إن الوالد يمثل الشخص الذي يحتاج إلى من يعطيه
شيئا . إنه لا يستطيع أن يمنح الآخرين ما يحتاجون إليه . إنه يعتمد على الغير ،
وعندئذ قال يسوع « إنكم إذا رحبتم بالفقراء المعوزين .. الذين ليس لهم القدرة
الاجتماعية أو المادية ، بل هم المحتاجون اليكم دائما .. إذا رحبتم بهؤلاء وقبلتموهم
فإنكم إنما تقبلونني أنا بل وتقبلون الله نفسه » إن الطفل يمثل المجتمع الذي
يحتاج إلينا وإلى خدمتنا .

وبهذا يحذرنا يسوع من موقف ، كثيرأجلأ ما تقع فيه وهو أننا نسمى لإقامة
علاقتنا مع الأغنياء الموسرين الذين لهم النفوذ والسيطرة ونترك أولئك المحتاجين
الينا الذين يعتمدون على خدمتنا وعملنا .. نسمى إلى المجتمعات التي نأخذ منها
لا المجتمعات التي يجب أن نعطيها ، ولهذا فهو يشدد على أن نفتش على من نعطيها
لا من نستفيد ونأخذ منه ، وبذلك نخدم المسيح نفسه . أليس هذا تكراراً لما
قاله مرة أخرى « فكلمنا فقلتم بأحد أخوتي هؤلاء الأصغر في فمتم » ؟ .

درس في عدم التعصب

فَأَجَابَهُ يُوحَنَّا قَائِلًا يَا مَعْلَمُ رَأَيْنَا وَاحِدًا يُخْرِجُ شَيَاطِينَ بِاسْمِكَ
وَهُوَ لَيْسَ يَتَّبَعُنَا . فَمَنْعَنَاهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَتَّبَعُنَا . فَقَالَ يَسُوعُ
لَا تَمْنَعُوهُ . لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيماً
أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا . لِأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا .

(مرقس ٩ : ٣٨ - ٤٠)

كان الناس في أيام المسيح يصابون كثيراً بأرواح نجسة ، وكان بعض الناس
يحاولون إخراج هذه الأرواح بواسطة إسم روح من الأرواح القوية . وبينما كان
التلاميذ في رحلتهم التبشيرية رأوا جماعة من اليهود يستخدمون اسم يسوع في
محاولة إخراج الشياطين فاعتاظ يوحنا وبقية التلاميذ من هؤلاء الذين يفعلون
هكذا وهم ليسوا بتلاميذ للمسيح .. لقد اعتبروها سرقة . ولكن يسوع لم ينظر
إليها هكذا ، بل قال لهم إن إنسانا يفعل ذلك لا يسهل عليه أن يكون عدواً

لنا ، ثم وضع هذا المبدأ الخطير : « من ليس علينا فهو معنا » . وكل واحد منا بدون استثناء ، يحتاج إلى هذا الدرس :

١ - حرية الفكر والتفكير مكفولة لكل إنسان ، وكل واحد يستطيع أن يفكر لنفسه ويصل إلى نتائج بمحض إرادته ، ويجب على كل إنسان آخر أن يحترم تفكير أخيه هذا . يقول وليم بن « لا تحققر ولا تعارض مالا تفهم » وفي بعض الترجمات الجديدة « العهد الجديد في الإنجليزية البسيطة » تترجم يهوذا ١٠ « الذين يتكلمون باحتقار عما لا يفهمون » وهذا مرض شائع بين المسيحيين . وهنا يجب أن نذكر أمرين :

(أ) هناك طرق كثيرة تؤدي إلى الله ، أو كما يقول تيمسون « الله يعلن نفسه في طرق كثيرة » ويقول سرفانتس « إن الله يحمل أتباعه إلى السماء في طرق مختلفة » فكما أن الأرض كروية ويستطيع إنسان أن يتلاقيا مرة أخرى حتى ولو سارا في طريقتين متعاكسين ، هكذا الله نستطيع أن نذهب إليه في طريقتين مختلفتين . أو كما كانت روما عاصمة العالم القديم وكل طريق كان يقود إليها هكذا الله . هذا ما يجب أن نتعلمه كل كنيسة تظن أنها تملك الطريق الأوحيد إلى السماء ، أو أنها قد استحوذت على كل الخلاص ، فلا خلاص إلا فيها .

(ب) إن الحق أكبر من أن يحيط به فرد واحد ، فأساس عدم التعصب ليس في الكسل الفكري وقبول أى شيء وكل شيء بدون تمحيص ، بل في تحقق المفكر في أنه لا يستطيع أن يعرف الحق كله كما قال أحدكم « إن عدم التعصب يعني احترام كل تفكير محق ، يعني أن الحق يعلن نفسه بطرق مختلفة ،

يسكن بيوتاً متباينة . ولبس ملابس كثيرة التنوع . . انه يعنى احترام الفكر
الانسانى وتكرمه فلا نحاول أن نخضعه لميكانيكية عمياء . . إن عدم التعصب
هو الحجة التي هي أعظم من الرجاء والإيمان « . إن التعصب معناه الديكتاتورية
الجاهلة لأن المتعصب شخص يظن أن الحق لا يسكن إلا عنده .

٢ - حرية الكلام مسكولة لكل فرد وهي حرية عزيزة على كل فرد ،
ومع ذلك فلها حدودها ، فنحن نستطيع أن نحارب من يريد أن يهدم العقيدة
والمدينة ، ولكن نحاربه لا بالقوة الجسدية بل بالحجة والإقناع كما قال فولتير
« إننى أكره ما نقول ولكن أضحي بنفسى لأكتسب لك الحق فى أن تقول
ما تشهى » .

٣ - يجب أن نذكر أن الحكم الصحيح على أية عقيدة أو نظام هو نوع
التأثير الذى ينتجه . وكما قال أحدهم « الكنيسة لا تهتم أى إنسان إنما المهم هم
الناس الذين تربطهم » والسؤال المهم هو ليس « كيف تسير الكنيسة » ؟ بل
« ما هو نوع الناس الذين تنشئهم الكنيسة ؟ » هناك أسطورة شرقية تقول
إن أسرة كانت تمتلك خاتماً ثميناً كل من وضعه فى إصبعه تحول إلى رجل سامى
الخلق محبوباً من الناس . . وكان الإبن يتوارثه عن الأب ، وكان تأثير الخاتم
مستمراً فى كل جيل إلى أن وصل إلى رجل كان له ثلاثة أبناء يحبهم بنفس
الدرجة ولكنه لا يعرف لمن يعطى الخاتم . فما كان منه إلا أن صنع خاتمين
آخرين يشابهان ذلك الخاتم مشابهة تامة ، وعند موته جعل كل إبن يختار أحد
الخواتم الثلاثة . . ومات . ولم يعرف الأبناء الثلاثة أى الخواتم هو الخاتم
الأصيل ، فذهبوا إلى القاضى واحتكوا له . ولما أمسك القاضى بالخواتم قال لهم

« إننى لا أستطيع أن أميز بين الثلاثة ولا أستطيع أن أعرف الخاتم الحقيقى ، ولكن الشخص الذى يستطيع ذلك هو أنتم » فاستغربوا كلامه وسألوه عن كيفية ذلك فقال لهم « سيروا بين الناس بالحق أسلسكوا بالاستقامة واعملوا الخير وسوف يظهر منكم من امتلك الخاتم الأصيل » هكذا الأمر . . إن العقيدة تثبت أو تسقط بحسب نوع الناس الذين يعيشون فيها .

٤ - تدنكره العقيدة ولكن لا تنكره من يعتقد بها . . قد نزيل التعليم ولكن انحذر من إزالة للتعلم .

الثواب والعقاب

لأن من سقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح فالحق
أقول لكم إنه لا يضيع أجره . ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين
بى فخبره له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح فى البحر .
(مرقس ٩ : ٤٢ ر٤١)

إن التعاليم الموجودة فى هذا الفصل بسيطة صادقة مباشرة :

١ - إنها تظهر أن كل من يقدم خدمة لأجل المسيح لا يضيع أجرها . والسبب فى ذلك أن الخدمة تقدم لأناس يحبهم المسيح ، والمسيح يحب كل الناس وإذن فكل خدمة لكل إنسان لابد وأن تعطى أجرها إن لكل إنسان حقاً علينا لأنه لو كان المسيح على الأرض لخدم كل الناس . والخدمة التى يطلب السيد منا أن نقدمها هى خدمة بسيطة يستطيع كل إنسان أن يفعلها ، كأس ماء بارد .

إنه لم يطلب من الناس أن يقدموا ما لا تستطيع طاقتهم أن تحتمل . . . إنها تقدمة بسيطة صغيرة ولكن في معناها كبيرة وعظيمة . تذكر إحدى الرسائل في أفريقيا قصة جميلة اختبرتها في حياتها : قالت إنها كانت تشرح للفصل الصغير الذي تعلم فيه هذه الآية بالذات ، وعامت البنات أن يقدمن الخدمة لكل إنسان محتاج . ويوما ما وفيما كانت هذه الرسالة تجلس في فرادة بينما شاهدت جماعة من الخاملين يحملون أحمالا ثقيلة وهم في غاية العطش . ثم رأتهم يلقون بأحلامهم ليستريحوا . ولم يكونوا ينتظرون أية معونة من الناس حولهم لأنهم من قبيلة أخرى . ولكن الرسالة رأت مجموعة من البنات التلميذات في فصلها يخرجن من النصل وهن يحملن جرارا بها مياه وتقدمن في حياء وخجل إلى الخاملين وأعطيناهم المياه فتلقف الخاملون الماء وشربوا وهم في غاية الدهشة والفرح من هذا العمل الجيد . وفرحت البنات إذ نفذن وصية المسيح حرقيا . إن العالم يحتاج إلى المحبة التي تظهر في هذه الأعمال البسيطة كما قال أحدهم إن الحسنة هي « أن تهدي ضالا وتسقي عطشانا وتبتسم في وجه أخيك » .

٣ - ولكن العكس صحيح أيضا . إن من يعثر الأخر الأصغر يستحق العقاب القاسي الأبدي . وحجر الرحي المذكور هو الحجر الضخم جداً . فقد كان هناك نوعان من الرحي في فلسطين : الأول نوع صغير تستخدمه النساء في البيوت والثاني هو طاحونة تديرها البهائم . والكلمة المذكورة هنا تعني الحجر الكبير ، وهذا يعني أن الموت أكيد لمن يعلق في عنقه هذا الحجر الضخم . ويذكر يوسفوس أن الجليليين الذين قاموا بالثورة ضد روما أغرقهم روما بهذه الطريقة القاسية .

والحق يقال ن من يخطيء في حق نفسه يستحق العقاب ولكن من يخطيء في حق الغير وبدفعه للخطأ فيستحق عقاباً أسمى . وهناك قصة و . هنري كاتب القصة الأمريكى الشهير تقول : إن أحد الرجال ماتت زوجته وكان له ابنة وحيدة . وكان الرجل عاملاً ، فكان يترك ابنته في البيت فكانت تلعب في الشارع . وعندما كان يرجع إلى المنزل كانت الفتاة تنطلق إليه وتطلب منه أن يلعب معها قليلاً ولكنه كان يدفعها عنه ويجبرها أن تذهب للشارع وتلعب وتركة يمدد رجله ويقراً جرائده . واستمر الحال كذلك إلى أن ابتلع الشارع الفتاة وضلت الطريق وأضحت فتاة خاطئة . وماتت الفتاة . . وذهبت إلى الآخرة ورآها بطرس فقال للمسيح نلق بها خارجاً إلى الجحيم ، ولكن المسيح نظر إليها بلطف وقال له لا . . أتركها ، ثم نظر بشدة وقال « هناك شخص آخر يستحق أن يلتقى في الجحيم . إنه الاب الذى ترك ابنته نضل في الشوارع » . نعم فالشخص الذى يمتز أخاه هو الشخص الذى يستحق العقاب الشديد .

الهدف الذى يستحق كل تضحية

وَإِنْ أُعْزَرْتِكَ يَدُكَ فاقْطَعْهَا . خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ
أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضَى إِلَى جَهَنَّمَ إِلَى النَّارِ
الَّتِي لَا تُطْفَأُ . حَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تُطْفَأُ . وَإِنْ
أَعْرَزْتِكَ رِجْلُكَ فاقْطَعْهَا . خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أُعْرَجَ مِنْ
أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لَا تُطْفَأُ . حَيْثُ

دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تُتْفَأُ. وَإِنْ أَعْرَثْتَكَ عَيْنَكَ فَاقْلَمَهَا. خَيْرٌ
لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ
وَتُطْرَحُ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ. حَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تُتْفَأُ.

(مرقس ٩ : ٤٣ - ٤٨)

هذا الفصل يوضح في أسلوب شرقي الحق الأساسي ، إن هناك هدفا أمام
الإنسان . يستحق أن يضحي من أجله . ففي الناحية الجسدية قد يرضى إنسان
ما أن يضحي بطرف من أطرافه — يده أو رجله — لينقذ حياته من موت
أ كيد لو بقي ذلك الطرف . هذا الحق له وجود أيضاً في الناحية الروحية .

وهناك أحاديث يهودية عن صلة الأعضاء بالخطية مثل : « العين والقلب
سمازان للخطية » أو « العين والقلب خادمان للخطية » أو « الشهوات تملأ
الشخص الذي يرى فقط » أو « ويل لمن يتبع عينيه لأن العينين زانيتان » .
وهناك غرائز في الإنسان وبعض الأعضاء التي تستخدم الخطية . ولكن مع ذلك
ينبغي ألا نأخذ قول يسوع حرفياً بل أن نفهمها بهذا المعنى « إن هناك أهدافاً
في الحياة تستحق كل تضحية مهما غلت » .

وفي هذه الآيات إشارات كثيرة عن « جهنم » وهي كلمة تتكرر في العهد
الجديد كثيراً [متى ٥ : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠ ، ٢٨ ، ١٨ ، ٩ : ٢٣ ، ١٥ ، ٢٣ ،
لوقا ١٢ : ٥ ، يعقوب ٣ : ٦] وهي تأتي من الكلمة هنوم أو وادي بن هنوم ،
وهو وادي كثيب له تاريخ شرير ، ففيه أحرقت أحاز الأطفال إذ عيرهم في النار
(٢ أخبار ٢٨ : ٣) وفعل منعى هذا الأمر أيضاً (٢ أخبار ٣٣ : ٦) ولهذا

فقد أعلن يوشيا في إصلاحه أن وادي ابن هنوم هو واد نجس (٢ملوك ٢٣: ١٠) ولهذا فقد استخدم في حرق الفضلات التي يلقيها فيه ساكنو أورشليم. ومن ذلك عاشت فيه اللدبان واستمر دخانه قائماً. وهذا هو أصل الصورة التي تقول «إن ناره لا تطفى ودوده لا ينام (إشعياء ٦٦: ٢٤). ثم أضحي رمزاً المكان الذي فيه تهلك أرواح الأشرار. ويقول معلمو اليهود «إن الخاطئ الذي يحترق كلمات الناموس سيرث الجحيم» لقد أضحي رمزاً لمكان العقاب.

ولكن ماهو الهدف الذي لأجله ينبغي للإنسان أن يقدم على كل تضحية؟ لقد أطلق عليه يسوع اسم «الحياة» مرتين، ومرة اسم «ملكوت الله». فما معنى ملكوت الله؟ في الصلاة الربانية نستطيع أن نجد التعريف: ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. وهاتان الطلبتان متوازيتان مثلها في ذلك مثل كل الشعر المعبري الذي يتكون عادة من عبارة تليها عبارة أخرى إما مرادفة لها أو مفسرة أو مكملة للمعنى. وعلى هذا الأساس فملكوت الله تعنى ذلك المجتمع الذي فيه تسود مشيئة الله. فمن يعمل مشيئة الله هو الشخص الذي قد دخل ملكوت الله. فعمل مشيئة الله إذن هو الهدف الذي لأجله ينبغي أن يضحي الإنسان بكل شيء. فمشيئة الله هي الشيء الأسمى في حياتنا الذي يملأنا بالسلام.

ولقد اعتقد أوريجانوس أن كلام المسيح كلام مجازي وهو يعنى به الكنيسة وليس الفرد، بمعنى أن الكنيسة تقطع العضو الفاسد بدلا من أن يفسد كل الأعضاء. ولكن الحقيقة غير ذلك، فالأمر شخصي جداً يخص كل إنسان وهو يعنى أن الإنسان لأجل إطاعة مشيئة الله قد يضطر لقطع عادة من العادات أو صديق من الأصدقاء أو عمل من الأعمال. وهذا العمل من خصوصيات كل

فرد بيمينه فلا يستطيع أن يعمله إنسان لآخر . وقد يكون القلع هذا قاصياً مؤلماً كأنه عملية جراحية في الجسم ، ولكنه أمر ضروري لمن يريد أن يعيش الحياة الحقيقية التي تخضع لإرادة الله فتمتليءه بالسلام الكامل . إنه صعب ولكنه من ضرورات الحياة الحقيقية .

ملح الحياة المسيحية

لأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَمَلِّحُ بِنَارٍ وَكُلَّ ذَيْبَعَةٍ تَمَلِّحُ بِمِلْحٍ . الْمِلْحُ جَيِّدٌ . وَلَكِنْ إِذَا صَارَ الْمِلْحُ بِلَا مُلُوحَةٍ فَمَاذَا تُصَلِّحُونَهُ . لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ وَمَسَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا .

(مرقس ٩ : ٤٩ - ٥٠)

هذه الأعداد الثلاثة تعد من أصعب الأجزاء في العهد الجديد ، وكثيراً ما اختلفت المفسرون في تفسيرها ، وسبب هذه الصعوبة ليست في الكلمات ولا الأسلوب بل يمكن في عدم ترابط هذه الأعداد معاً فكأنها ثلاثة أقوال منفصلة قلما المسيح في ثلاث مواقف منفصلة جمعت معاً في هذا المكان ؛ ويميل كثير من المفسرين إلى اعتبارها هكذا . لأنهم يقولون إن يسوع كان ينطق بهذه الإعلانات في بعض المواقف ، وكان السامعون يحفظون هذه الأقوال القوية ولكنهم يفسون الموقف الذي قيلت فيه ، ولهذا فكانوا يجمعون هذه الأقوال معاً لتشابهها معاً . ويقولون إن هذه الأعداد من نفس هذا الصنف .

وسواء أكانوا محققين أم غير محققين فإننا هنا سنعامل كل عدد على حدة :

١ - كل واحد يملح بنار . هذا يرجع بنا إلى العبادة اليهودية عندما كانوا يقدمون الذبائح . فقبل تقديمها على مذبح الحرقه كانوا يضعون الملح على الذبيحة وكان هذا الملح يسمى ملح العهد [لاويين ٢ : ١٣ ، عدد ١٨ : ٩ ، ٢ أخبار ١٣ : ٥] ، وهو ضرورى لقبول النيحة ، وكان يسوع يقول « قبل أن تقبل الحياة المسيحية يجب أن يملح بنار كما كانت كل ذبيحة تملح بملح ، هذه النار هي التي تجعل هذه الحياة مقبولة لدى الله . فإذا يعنى ذلك ؟ للنار صلان :

(١) التطهير : إن النار هي التي تنقى المعدن فتعزل الشوائب ويبقى المعدن نقياً بعد ذلك . فهي إذن تشير إلى تطهير الحياة .. لأنها تعنى التدريب على هزيمة الخطية فتنتقى النفس . فالحياة المملحة بالنار هي الحياة التي تنقت بواسطة قبول عمل الله وطاعته الكاملة وقبول اعلاناته .

(ب) الإبادة : فالحياة التي جازت في الاضطهادات والتجارب والمتاعب ونجحت ، هي الحياة المقبولة لدى الله . وكل من قبل راضياً ضياع ممتلكاته ، بل وضياع حياته لأجل يسوع المسيح حياته ملحت بالنار .

فهذا القول الأول تعنى الحياة التي ظهرت بالتدريب والمضايقات هي الحياة المقبولة لدى الله .

٢ - أما العدد الثانى فهو أصعب في تفسيره ، وإن كنا هنا نذكر أحد التفسير فإننا لا نشك أن هناك تفسير كثيرة أخرى . ما معنى أن الملح إذا فقد ملوحته فهو لا يملح ؟ إننا نفهم ذلك إذا عرفنا خصائص الملح ، فهناك خاصيتان مهمتان :

(١) إنه يعطى طعاماً جيداً للطعام . وكلنا يعرف طعم البيضة أو أى طعام إذا أكلناه بدون ملح .

(ب) والملح يستخدم لحفظ الأشياء من الفساد ، وكان اليونانيون يعتقدون أن الملح يعمل عمل الروح في الجسد . فاللحم المذبوح لو ترك لنفسه فسد ولكنه لو حفظ في الملح بقي طازجا وكذلك المسيحي فإنه يعيش في وسط عالم وثني .. عالم لا يعرف مبادئه ، وهذا العالم يتصف بأمرين وخصوصاً في عهد الكنيسة الأولى :

١ — إنه مضايق ولا يطاق ، وهو في نفس الوقت عالم قلق ، وما كان انفاس هذا العالم في الترف الواسع الاعلامة على قلقه وعدم معرفته للحياة الحقيقية كما قال م . أرنولد الشاعر :

لقد امتلأ ذلك العالم بالاحتقار والحياة الفاسدة .

وجعلت القلق من حياة الناس جحماً .

وكان الأمراء الرومان ينامون في حجراتهم المترفة .

يأكلون ويشربون ، ثم يصومون ويتقشفون .

ويتوجون أنفسهم بالزهور ..

كل ذلك ليقضون الساعات الطويلة المرعبة .

ففي هذا العالم المتعب القلق الذي ينحدر نحو التعفن جاءت المسيحية وكان عليها أن تعطى طعاماً جديداً لهذا العالم وتحفظه من الفساد .

٢ — كان العالم منحلاً ، ولكم امتلأت روما إلى أنها بالفساد والإنحلال ،

ولكن فيها جاءت المسيحية وكان عليها أن تكون تروافا لذلك السم القاتل
ونحى المجتمع كما يحى الملح الطعام من الفساد .

وكأن يسوع إذنى يقول « العالم يحتاج إلى الطعم الطيب والحفظ من
التسفن ، ولا يمكن أن يهبها له إلا المسيحى ، فلو فقد المسيحى هذه الصفات
فمن أين للعالم بها ؟ » فإن لم يملح المسيحى العالم ، إن لم يتفلب على ما فيه من
قلق واضطراب بقوة المسيح فكيف يحيا هذا العالم للسكين ؟

٣ - ليكن لكم ملح فى أنفسكم وعيشوا فى سلام كل واحد مع الآخر .
الملح طاهر فى نفسه ، وفى العالم القديم عرف الناس أنه لا يوجد أنقى من الملح
لأنه يأتى - كما كانوا يعتقدون من أطهر مصدرين « الشمس والبحر » . ودلالة
نقائه هو بياضه الناصع . وعلى هذا يمكن أن نقول « ليكن فىكم الروح المطهر ..
الروح القدس .. ليظهركم من الأنانية وحب الذات وكراهة الآخرين .. ليظهركم
من الغضب والقلق والحقد .. وعندئذ تستطيعون أن تعيشوا فى سلام مع الناس
حولكم . وبمعنى آخر كان المسيح يقول : إن الشخص الذى طهر من محبة
الذات وامتلاء بالمسيح هو الذى يستطيع أن يحيا حياة الحب مع الآخرين حوله .

الأصحاح العاشر

للخير أم للشر

وَقَامَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى مَخُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عِبْرِ
الْأُرْدُنِ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ أَيْضًا وَكَعَادَتِهِ كَانَ أَيْضًا
يُعَلِّمُهُمْ .

فَتَقَدَّمَ الْفَرِيسِيُّونَ وَسَأَلُوهُ . هَلْ يَجِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ
امْرَأَتَهُ لِيَجْرِبُوهُ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ بِمَاذَا أَوْصَاكُمْ مُوسَى .
فَقَالُوا مُوسَى أَذِنَ أَنْ يُكْتَبَ كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقَ . فَأَجَابَ
يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ . مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هَذِهِ
الْوَصِيَّةَ . وَلَكِنْ مِنْ بَدءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللَّهُ . مِنْ
أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ . وَيَكُونُ
الْإِنْتَانِ جَسَدًا وَاحِدًا . إِذَا لَسَا بَعْدُ انْتَيْنِ بِلِ جَسَدٍ وَاحِدٍ .
فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ . ثُمَّ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ
أَيْضًا عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى

تَزِنِي عَلَيْهِمَا . وَإِنِ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ
تَزِنِي ..

(مرقس ١٠ : ١٠ - ١٢)

استمر يسوع في طريقه إلى الجنوب فوصل إلى اليهودية ولكنه لم يدخل إلى
أورشليم وهكذا كان يقترب من النهاية خطوة خطوة . وفي مكان ما جاءه
جماعة من الفريسيين لكي يسألوه عن مشكلة حيرت كل المدارس اليهودية
الدينية وهي مشكلة الطلاق . واسنا ندرى بالضبط ماذا كانت الدوافع الحقيقية
وراء هذا السؤال ، هل كانوا يريدون أن يعرفوا رأي يسوع ليستنبروا به في
هذه المشكلة ؟ لا بد أن يسوع تكلم مرات أخرى عن الزواج بوحدة وبأكثر
من واحدة . فهل كانوا يريدون أن يسموه مناقضاً لكلامه في مرات سابقة ؟
أم أنهم أرادوا أن ينقلوا كلامه إلى هيرودمس الذي كان قد طلق امرأته ، وبذلك
يدفعونه إلى أيدي ذلك القاتل ؟ أم أنهم أرادوا أن يظهرنا مدى كسره
للتقاليد والناموس فينخذونها علة ضده ويهلكونه ؟ ومع أن شيئاً من هذا
لم يكن واضحاً ، لكن الأمر المؤكد هو أنهم حملوا إليه مشكلة ليست في
حقيقتها مشكلة أكاديمية ، تبحث بين جدران المدارس ، بل هي مشكلة يومية
شعبية تمس الناس في أقدم مقدسات حياتهم .. الأمرة .

ومن الناحية النظرية كان الزواج اليهودي يعد المثل الأعلى للزواج ،
فالطهارة الروحية كانت المثل الأعلى لليهودي وهي أهم الفضائل الأخلاقية . ولقد
قالوا : « بصر الله على كل خطية ماعدا النجاسة . النجاسة تجعل الله يترك شعبه .
يجب أن يضحى اليهودي بنفسه في سبيل ألا يعبد الأصنام أو يقتل أو يزني »

إن المذبح نفسه يبكى عندما يطلق الرجل امرأته . هذه مثل عظيمة . .
ولكن الحياة العملية أظهرت غير ذلك وعكس ذلك .

إن المشكلة في الحياة الأسرية اليهودية كانت تكمن في نظرة الرجل للمرأة فلم يكن ينظر إليها كشخص نظيره بل كمتاع يملكه ؛ فهو حر يتصرف فيها كما يشاء ، ويستطيع أن يطلقها كما يشاء ولأنفه الأسباب ، بينما لا تستطيع هي أن تطلقه إلا لأسباب قاهرة ، كأن يصاب الزوج بالمرض أو يشتغل في صناعة محترمة كدبغ الجلود مثلا ، أو أن يفترض عذراء ، أو أن يتهمها باطلا في سلوكها قبل الزواج . هذه هي الأسباب التي لأجلها تستطيع المرأة أن تطلب من زوجها أن يطلقها .

ولقد بنى اليهود مسألة الطلاق على ما جاء في تثنية ٢٤ : ١ « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيها لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاقه ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته » . وكانت وثيقة الطلاق في بدائها بسيطة « ليكن هذا مني كتاب طلاقك وخطاب إطلاقك من عصمتي وتحريرك حتى تستطيعي أن تتزوجي من تريدين » . ولكن بمرور الأيام تعقدت الوثيقة وصارت هكذا « إنه في يوم — أسبوع — شهر — سنة — من العالم . بحسب التاريخ المستعمل في مدينة — الموجودة على شاطئ نهر — أنا فلان الفلاني وبأى اسم أنادى ، حاضر هذا اليوم — مواطن من مدينة — بحسب رغبتى وبدون ضغط خارجي . أنكرك وأرسلك لأهلك وأبعدك يا فلانة الفلانية بأية اسم تدعين ويمكنك أن تتزوجي من تريدين فلا بيعتلك أحد . هذا هو خطاب طلاقك وإنكارك وانفصالك عنى بحسب ناموس موسى

واسرائيل » وكانت تحتاج إلى كاتب ماهر ليصيفها ثم يجب أن تقبل على
يدى ثلاثة قضاة ثم تحفظ في السهليم . لقد كان الطلاق سهلاً .

لكن المشكلة كلها جاءت من تفسير هذا العدد السابق وخصوصاً التعبير
« إذا وجد بها عيب شيء » . ولقد اتسم الفكر اليهودي لإزاء هذا التعبير
إلى مدرستين : المدرسة الأولى مدرسة شمائي فسرت العيب بأنه عيب الزنى
قطط وقال شمائي المعلم الأكبر « لسكن المرأة رديئة رداة إيزابل إمرأة أخاب
ولكن إن لم تكن زانية فلا يمكن أن تطلق » ، أما المدرسة الثانية فهي مدرسة
هيلل وقد فسرت هذا العيب على أنه شيء لا يعجب الزوج ، فمثلاً : قد يعتبر
عدم مهارة المرأة في عمل الطعام عيباً تطلق عليه ، وكذلك إن امسكت بمغزها
وغزلت في الطريق أو إن كملت شخصاً غريباً أو إن سمع صوتها من بيت
الجدان . بل ذهبت مدرسة أكبا إلى أبعد من ذلك فقالت : إن رافت إمرأة
أخرى في نظر الزوج فإنه يستطيع أن يطلق زوجته . وبذلك أضحى الطلاق
منتشراً لأسباب واهية إن لم يكن بدون سبب ، حتى أن النساء ترددن في
الزواج لأنهن عرفن أنه مشروع غير مضمون . ولهذا فقد وقف يسوع بجانب
المرأة وأراد أن يكون الزواج في مركزه المناسب .

ونلاحظ هنا بعض الأشياء : أولاً إن يسوع قد اقتبس من التشريع الموسوي
ولكنه أضاف بأن موسى قد وضع هذا التشريع لتساوة قلوبهم . وهذا التعبير
إما أنه يعني أن موسى لم يجد أحسن من هذا التشريع لهذا الشعب القاسي ،
وإما أنه وجد أن الطلاق قد انتشر بشكل فظيع فأراد أن يحد منه فوضع هذا
التشريع حتى لا يتفشى بالولاء . وبهذا يكون تثنية ٢٤ : ١ عبارة عن تشريع وضع

لفرض مخصوص في موقف معلوم ولم يقصد به البقاء الأبدى . أما المسكان الذي اقتبسهُ هو وبني عليه رأيه فهو في تك ١ : ٢٧ ، ٢٤ : ٢٤ حيث يقول إن الله خلق ذكراً وأنثى في رباط واحد دائم لا يستطيع أى تشريع بشرى أن يفصمه . لأنه تشريع طبيعى من صميم الكون الذي لا تتغير قوانينه بحيث يصبح الإنثان واحداً .

ولكن المشكلة هنا تكمن في أنه بينما ينفي مرقس الطلاق بتاتا نجد متى يذكر حالة واحدة يجوز فيها الطلاق وهى الزنى ، ومتى صادق في ذلك إذ أنه يكتب لليهود ، وفي الحقيقة نستطيع أن نلص ذلك في قصة مرقس أيضاً ، لأن الزنى يقطع العلائق الزوجية حتماً . فعندما ارتكبت هذه الخطية أصبحت العلاقة غير ممكنة وصار الطلاق جائزاً جداً .

لكن الشيء الأساسى في هذا الفصل هو أن يسوع حزن عندما رأى حالة البيت والأسرة محطمة ، فأراد أن يذكر أولئك الذين ظنوا أن الزواج وجد للمنة فقط ، ولكنه مسئولية أيضاً ، ورابطة روحية عميقة . إن يسوع بذلك كان يبني دعامة قوية تسند البيت المتداعى .

لمثل هؤلاء ملكوت السموات

وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلَادًا لِيَكِي يَلْمِسَهُمْ . وَأَمَّا التَّلَامِيذُ فَانْتَهَرُوا
الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذَلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ
دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ إِمْلِيلِ هَؤُلَاءِ

مَلَكَوتَ اللَّهِ . الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ مَنْ لَا يَقْبَلُ مَلَكَوتَ
اللَّهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ . فَأَخْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ
وَبَارَكَهُمْ .

(مرقس ١٠ : ١٣ - ١٦)

كان من عادة الأمهات اليهوديات أن يحضرن أطفالهن خاصة في عيد
ميلادهم الأول إلى أحد كبار معلمى اليهود لكي يضع يديه عليهم وباركهم ،
ولهذا فقد جاءت الأمهات إلى يسوع بأطفالهن لهذا السبب عينه

وجمال هذه القصة وعمقها يظهران في الظرف الذى حدثت فيه ، فلقد كان
يسوع سائراً إلى اورشليم وهو يعلم أن شبح موته مخيم عليه ، إن المأساة لا بد
آتية ولا بد أنه كان يفكر فيها كثيراً ، ولكن رغم هذا كله وجد الوقت
الذى فيه يقبل هؤلاء الأطفال إليه . رغم ظلال الألم الكبير الذى كان يلوح
في الأفق فتح يسوع ذراعيه لهم وانفتح قلبه فرحاً بهم فابتسم . ولا بد أنه لعب
معهم بعض الشيء . ولهذا السبب عينه أراد التلاميذ أن يبعدهم عنه . إنهم
ليسوا غلاظ القلوب لا يحبون الأطفال ، إنهم أرادوا أن يوفروا الوقت
ليسوع ، إنه مثقل ، إنه ينظر إلى المأساة فلماذا لا يتركونه الآن وحيداً ،
لماذا يتعبونه أكثر من ذلك .. ولكن رغم كل ذلك قال يسوع « دع الأولاد
يأتون إلى » .

وهذه القصة تكشف لنا بعمق عن شخصية يسوع . فالشخص الذى يهتم
بالأولاد والذى يهتم به الأولاد ، لا بد أنه شخص بشوش الوجه ، يبتسم

ويضحك من قلبه ، ليس من طبعه التكشير والفضب ، ولهذا وجد الأطفال
جراً أن يجروا إليه . ولقد قيل « إن المسيح الحقيقي هو من نجد الأطفال
يلعبون حول داره وأمام بيته » . هذه القصة أوضحت حلاوة شخصية يسوع .
« لئلا هؤلاء ملكوت السموات » فما هو الشخص الذي يراه يسوع
في الأطفال ؟

١ - تواضعه : إن الطفل متواضع بطبعه ، إنه لم يتعلم بعد أن يفكر
في قيمته الاجتماعية ومكانته العامة . إن الأطفال الذين يهتمون بالمظاهر
قلّة تكاد تكون معدومة ، وإن وجدوا فهم ضحية تربية خاطئة . إن الطفل
متواضع .

٢ - طاعته : قد يمضى الطفل بعض الأوامر ولكنه مطيع بطبعه ، إنه لم
يتعلم بعد الاستقلال المتمثل الذى يفصله عن الآخرين وعن الله .

٣ - ثقته : وهذه تظهر في أمرين :

(أ) في قبوله السلطة : إنه يظن أن أباه يعرف كل شيء وهو صادق
في كل قول . وقد يكتشف نقص هذا الاعتقاد ولكن بعد أن يكبر ، ولهذا
فهو يثق فيه .

(ب) ثقة في الآخرين : إنه لا يتوقع أن يكون الشخص الآخر شخصاً
رديئاً . إنه يصادق الغرباء ، ولقد قال أحد عطاء الرجال : إن أعظم مدح سمعه
في حياته هو عندما جاءه أحد الأطفال الغرباء وطلب منه أن يربط له حذاءه .

فالطفل يثق في العالم كله .. قد يكون هذا خطر عليه لأن هناك أشراراً لا يستحقون
هذه الثقة ولكن الطفل يثق في الكل ولا يعتقد الشر في أحد .

٤ - للطفل ذاكرة صغيرة : لم يتعود أن يحتفظ بالكراهية والمرارة بعد
ولو عومل بالتسوية . إنه ينسى نسياناً تاماً حتى أنه لا يحتاج إلى أن نطلب منه
السامحة .

ولهذا : فلتل هؤلاء ملكوت السموات .

كم من الصلاح تحتاج

وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَنَّا لَهُ وَمَسَّاهُ
أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ . فَقَالَ
لَهُ يَسُوعُ لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا . لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ
اللَّهُ . أَنْتَ تَعْرِفُ الوَصَايَا . لَا تَزْنِ . لَا تَقْتُلْ . لَا تَسْرِقْ .
لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ . لَا تَسْلُبْ . أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ
يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي . فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ
وَأَحْبَبَهُ وَقَالَ لَهُ يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ . اذْهَبْ بِبِعْ كُلَّ مَا لَكَ
وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَمَالَ اتَّبِعْنِي حَامِلًا

الصليب . فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِينًا لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ
كثيرة .

(مرقس ١٠ : ١٧ - ٢٢)

هذه القصة تعتبر من أقوى قصص لأناجيل .

١ - إن الطريقة التي بها جاء هذا الشاب إلى المسيح كانت طريقة غريبة
على شخص غنى ارستقراطي . فهو يأتي ساجداً أمام نبي فقير من الناصرة يسير
في طريق الحكم عليه بالموت . ثم يبدأ قوله بسرعة : «أيها المعلم الصالح» ولكن
يسوع يجيبه بسرعة أيضاً ويقول له « لا تتعلق .. لا صالح إلا الله » وبهذا ألقى
على هذا الشاب المتحمس ماءً بارداً ، ويلوح أن سلوك هذا الشاب الغريب جاء
نتيجة للحظة حاسية عاطفية شديدة ، ولكن يسوع أظهر سلطانه الشخصي عليه
وظهر ذلك في ناحيتين : الناحية الأولى هي أن يسوع لم يؤخذ بالعواطف ، ولم
يضرب على الحديد السخن كما يرى الكثيرون ذلك . إنه يقول للشاب :
«انتظر .. تأمل وفكر فيما أنت قادم عليه إنه لا يحمد الشاب في موقفه .. إنه
لا يصدده ، بل يحاول أن يدع هذه العاطفة تخضع لسلطان التفكير وإلا لانهار ،
كل البنیان بمجرد أن تمخد . على كل إنسان أن يحسب النفقة قبل أن
يتقدم للعمل .

الناحية الثانية هي أن يسوع أشار إلى الله مباشرة . وهو هنا يعلمنا درساً
نحن في شديد الحاجة إليه : إن الوعظ والتعليم ينبغي أن يوجها الناس إلى الله
لا إلى شخصية الواعظ أو المعلم . إن الخطر الأكبر يكمن في أن المتعلم يتعلق
بالواعظ ويترك الله ، إننا لانسکر أن الحق الإلهي يأتي عن طريق شخصية

وأن الإخلاص لهذه الشخصية مهم لفهم الحق الإلهي ، ولكن يجب أن يعطى الحق الإلهي الفرصة الأولى ويفضل عن الشخصية .. الله أولاً .

٢ - وهنا يتضح بكيفية واضحة أن احترام الغير وما يمتلك غير كاف في المسيحية ، إن الشخص المحترم هو شخص عظيم ولكنه ليس مسيحياً حقيقياً . ولقد اقتبس يسوع الوصايا التي تعبر عن الحياة المحترمة ، وعرف أن الشاب عملها كلها . لكن هذه الوصايا ، باستثناء الوصية الخاصة بالعلاقات الأسرية ، كانت وصايا سلبية . إنه يحتاج إلى أكثر من ذلك . إن العلاقة المسيحية هي علاقة إيجابية إنه لا يكفي أنك لاتعمل ضرراً للناس ، بل يجب أن تعمل خيراً فيهم .. يجب أن تبهم هنا يقول السيد لهذا الشاب : إن حياتك ناقصة .. يعوزك شيء واحد .. وهذا الشيء هو أهم عنصر في حياة إنسان يجب الحياة الأبدية .

٣ - هنا يواجه يسوع الشاب بتحد حقيقي كأنه يقول له « أخرج من وقارك الشخصي هذا ، كف عن تفكيرك . إن الحياة الأبدية هي ألا تعمل شيئاً ضاراً .. إعمل خيراً في الناس وأنت تجد الحياة الأبدية والسعادة الكاملة . أخرج عن نفسك وعن ممتلكاتك ، لقد كنت محترماً فلم تسرق الآخرين ولكنت لم تكن مسيحياً فتعطى الآخرين وتقاسمهم ما عندك .. إنك لم تقلم ولم تفش ولكنت لم تساعد ولم تحب ولم تضح » . إن الحياة المحترمة هي ألا تؤذى أحداً أما الحياة المسيحية هي أن تنفع الكل ، ماذا يظن هذا الشاب في المسيحية ؟ كم تكلفه ؟ إن يسوع يقول له « هل تريد مسيحية تكلفك كل ما تملك ؟ » فيقول الشاب « أريد المسيحية ولكني لا أريد أن أتكفل بشيء مما تطلب » وهنا يمكن مرض هذا الشاب . المرض الذي أصيب به كثيرون من المسيحيين

إنه لم يرد المسيحية الكاملة .. إنه أراد المسيحية بما فيها من امتيازات ولكن المسيحية التي تدفع .. المسيحية التي تعكفل ، فلم يرد منها شيئاً .

ونظر يسوع إلى الشاب وأحبه .. إن هذه النظرة تحوى أشياء .

(أ) إنها تحوى المحبة التي تدعوه .. إنه لم يكرهه .. لقد أحبه محبة عظيمة ، وهذه المحبة دفعت له لأن يطلب منه ما طلب .

(ب) وكان فيها تحدى لروءته .. إنها نظرة تدعوه لأن يترك حياته الناعمة الأنانية ليدخل إلى الحياة المسيحية الجريئة .

(ج) إنها نظرة المحزن ، وهو حزن أصيل قارس ، لأنه حزن الرجل الذي رأى إنساناً اختار بمحض إرادته طريق الرفض ، عمل ما لا يحل عمله ورفض ما لا يحل رفضه .

وهكذا ينظر إلينا يسوع ، إنها نظرة المحبة الداعية والمتحدية لروءتنا والحزن على رفضنا إذا رفضنا لا سمح الله ..

خطورة الغنى

فَنظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي
الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ . فَتَحَيَّرَ التَّلَامِيذُ مِنْ كَلَامِهِ . فَأَجَابَ
يَسُوعُ أَيْضًا وَقَالَ لَهُمْ يَا بَنِيَّ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى
الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ . مُرُورِ جَمَلٍ مِنْ ثَقَبِ إِبْرَةِ أُيُسْرُ

مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ . فَهَيُّوا إِلَى الْغَنَاءِ
 قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ . فَانظُرْ إِلَيْهِمْ
 يَسُوعُ وَقَالَ . عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ . وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَ
 اللَّهِ . لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّهِ .

(مرقس ١٠ : ٢٣ - ٢٧)

رفض الشاب الغني دعوة يسوع ومضى حزينا ، ولا بد أن عيني يسوع وعميون
 الجمع الواقف معه تبعت هذا المسكين إلى أن غاب عن الأنظار ، وهنا يلتفت
 يسوع إلى من حوله ويقول « ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت
 السموات » ولقد استخدم كلمة كرنيماتا Kremata التي يعرفها أرسطاطوليس
 بأنها « كل الأشياء التي تقاس قيمتها بالأموال » . ولقد ذهل التلاميذ عندما
 سمعوا قول يسوع هذا ولا ندهش نحن من اندهالهم لأن قول يسوع قلب كل
 المعايير اليهودية رأسا على عقب . فقد كان اليهود يعتقدون أن الغنى هو علامة
 من علامات رضا الله على الغنى ، ولولا أن الإنسان صالح لما رضى الله عنه وأعطاه
 المال الوفير ، وهذا ما يؤيده قول المزامير : « كنت فتى وقد شخت ولم أر باراً
 تحلى عنه ولا ذريته تلمس خبزاً [مزامير ٣٧ : ٢٥] . ولا بد أنهم حاولوا أن
 يناقشوا يسوع في هذا القول ، لأن الرجل الغنى هو الرجل الذى يدخل ملكوت
 الله بسهولة تامة . ولكن يسوع يكرر قوله مرة أخرى بطريقة أكثر وضوحاً
 « ما أعسر دخول المتكلمين على الأموال إلى ملكوت الله » . ولم يكن هناك
 من استطاع أن يرى خطورة الغنى والنجاح أكثر من يسوع ، فما هى
 هذه الأخطار ؟

١ - إن الثروة تشجع الإنسان على التمسك بهذا العالم ، فلهذا ما يربطه به ، لديه ما يهتم به فيه حتى أنه من الصعب عليه أن يتركه أو ينساه . وعندما رأى أحدهم إحدى القلاع وما تحويه من الغنى قال « هنا أشياء تجعل التفكير في الموت صعباً جداً » إنها أثبتت أنظار الإنسان على هذه الدنيا .

٢ - وإذا تمسك بالعالم جعلته يفكر في كل شيء بلغة المال لا بلغة القيمة الحقيقية . كتبت زوجة أحد الرعاة خطاباً إلى إحدى الصحف تقول فيه : لقد ولد أبنائهما في الجبال وشبوا وترعرعوا في بساطة ومحبة وإخلاص . ولكن يوماً ما وجد أبوم عملاً في المدينة ، وسكنت الأسرة كلها في المدينة ، وبدأ الأولاد يحسون بحياة المدينة وينجرفون إليها وتغيروا من بساطتهم وإخلاصهم إلى مستوى منحط من الأخلاق ، وهنا تصرخ الزوجة في خطابها « أيهما أفضل أن يحيا الإنسان في الجبال وهو يتحلى بالإخلاص والبساطة أم يعيش في وسط هذه المدينة فيقيس كل شيء بالمال ؟ » . نعم إن المسك بالعالم يظن أن كل شيء يمكن أن يشتري بالمال ، إن كل قيمة لا تثنى إلا بالمال وينسى أن هناك قيماً لا يستطيع المال مهما كثر أن يشتريها . إنه من المحزن أن يفكر الإنسان في أن يشتري كل شيء بماله .

٣ - إن مغزى كلام يسوع أن امتلاك الأموال هو أمران :

(١) أنه اختبار شاق للإنسان : فقد يجوز مائة رجل في اختبار الفقر وينجحون ولكن القليل جداً من يثبت في تجربة الغنى ، فالغنى كثيراً ما يخلق من صاحبه رجلاً متمجعراً متكبهاً مستبداً . إن الرجل الحقيقي هو الذي يثبت في تجربة الغنى .

(ب) إنه مسئولية : فالإنسان يقاس بأمرين : كيف جمع أمواله وكيف ينفقه ، وبكثرة ما حصل بكثرة ما تقع من مسئولة عليه ، فهل يستخدمه إستخداماً أنانياً أم استخداماً كريماً ؟ أستخدمه كأنه ملكه لوحده أم كأنه وكيل عن الله ؟

وحالا ظن التلاميذ من كلام يسوع أن الخلاص مستحيل على الجميع إذن . ولكن رد عليهم يسوع « عند الناس غير مستطاع ولكن ليس عند الله » لأن كل شيء مستطاع عند الله . الرجل الذي يتكل على ماله لا يستطيع أن يخلص أما الذي يثق في قوة الله الخالصة ينال الخلاص . هذا فكر يسوع وبولس وهو الفكر الأساسي في كل الأيمان المسيحي .

المسيح ليس مديناً لأحد

وَابْتَدَأَ بَطَرْمُسُ يَقُولُ لَهُ هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ .
فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْنَنَا أَوْ
إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ آبَاءَ أَوْ أُمَّاتٍ أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا لِأَجْلِ
وَلِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ . إِلَّا وَيَأْخُذُ مِائَةَ ضِعْفٍ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ
مُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلَادًا وَحُقُولًا مَعَ اضْطِهَادَاتٍ
وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ . وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوْلُونَ
يَكُونُونَ آخِرِينَ وَالْآخِرُونَ أَوْلِينَ .

(مرقس ١٠ : ٢٨ - ٣١)

بدأ عقل بطرس يعمل ، وبدأ لسانه يسرع فيعبر عما يمتلئ في قلبه وعقله .
لقد رأى الشاب يرفض دعوة يسوع « اتبعني » ولقد سمع يسوع يعلن أن
المسكين لم يقدر أن يدخل ملكوت السموات ، وهنا بدأ يذكر تلك الدعوة
التي وجهت له هو وزملاؤه التلاميذ ، ثم يذكر كيف تركوا كل شيء وقاموا
ليقبضوه ، فإذا سيكون لهم نتيجة لذلك ؟ ولقد جاوبه يسوع ، وإجابته تقع
في ثلاثة أقسام :

١ - قال يسوع إن أحداً لا يعطى شيئاً للمسكوت الله إلا وبأخذ مائة
ضعف . ولقد حدث ذلك فعلاً في أيام الكنيسة الأولى ، فقد حدث كثيراً أن
اعتنق أحدهم العقيدة المسيحية فما كان من أسرته إلا أن طردته من بيتها ،
فخرج من المنزل والأسرة ، لا ليشرّد ، بل ليجد مئآت البيوت تفتح له ومئات
الأسر تستقبله ؛ وأبرز مثال على ذلك هو بولس نفسه ، فعندما أغلق في وجه
منزل أسرته ذهب إلى أسرته المسيحية الكبرى لا في أنطاكية فقط بل في دمشق
وأورشليم .. في أوروبا وآسيا الصغرى ، في فلسطين واليونان في كل مكان وجد
البيوت والأسر للمسيحية . إنه يقول عن أم روفس إنها أمه (رومية ١٦ : ١٣)
وعن أنسيموس إنه ابنه (فلبي ١٥) . إن أسرته الجسدية رفضته فاحتوته
أسرته في المسيح . بينما كان أحد المرسلين يخدم في وسط الهنود الحمر الذين اتخذوا
من الرعد والبرق آلهتهم ، إنذهلوا عندما سمعوه يصلى إلى الله الآب . وجاء إليه
شيخ القبيلة وقال له « هل تقول إن الله أبوك » أجاب المرسل « نعم إنه أبي »
وهل يمكن أن يكون « أبي أنا أيضاً ؟ » قال المرسل « إنه أبوك » فأجاب
الشيخ وهو يد يده إلى المرسل « إذن أنت أخي .. هات يدك » نعم إنه

أخوه . قد يضعى إنسان بالربط الأسرية ولكنه يجد أسرة متسعة إنساع الأرض والسماء .

٢ - ولكن يسوع يضيف شيئين لذلك :

(١) إنه أضاف أن هناك اضطهاد وبذلك قطع حبل التفكير للمادى الذى يفرى السامعين بأن ينغمسوا فيه . إن المكافأة ليست مادية . وبذلك يظهر يسوع فى مجد أمانته لأنه لم يمنح الناس طريقاً سهلاً . إن طريق المسيحية طريق صعب . ثم إنه لم يرش إنساناً بل تحدى الجميع ، إنه يقول لهم « نعم لقد وضعت لك المكافأة ولكن إن كنت تستحقها .. إن كنت رجلاً مقامراً » .

(ب) أما الشيء الثانى الذى أضافه فهو فكرة العالم الآتى : إنه لم يعد مكافأة فى العالم الحاضر ، إنه لا يتاجر هنا . الله لا يملك فقط هذا العالم لكى يصفى حسابه مع الناس . إنه يملك العالم الآتى أيضاً .

٣ - ثم يضع تحذيره « لأن كثيرين أولون سيكونون آخرين وآخرين أولين » إنه تحذير لبطرس الذى ربما أحس بالفخر وبأنه سينال المجازاة ولكن يسوع قال له « إن الحكم مع الله وقد يذهل العالم عندما يعرف الحكم الإلهى ، وقد يظن أحدهم أنه فى المقدمة ، فيجد نفسه فى آخر الصف . إنه تحذير من الكبرياء ، إن القرار النهائى فى يد الله الذى يعرف خفايا القلوب .

النهاية تقرب

وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ
وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ وَفِيهَا هُمْ يَتَّبِعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ . فَأَخَذَ الْاِثْنَى
عَشَرَ أَيْضًا وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ مِمَّا سَبَّحَتْ لَهُ . هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ
إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ
فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الْأُمَمِ . فِيهِزْأُونَ
بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتَفَلَّوْنَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ .
(مرقس ١٠ : ٢٢ - ٢٤)

هذا وصف حي مؤثر لصورة حياة قوية تخفي أعمق أسرار الطبيعة البشرية ،
لغاية يسوع الآن تدخل المراحل الأخيرة ، لأنه ثبت وجهه نهائياً إلى أورشليم .
ولقد كان مرقس قاطعاً في تحديد اتجاهات المسيح وخدمته ، فبعد خدمته في الجليل
سار إلى الشمال إلى مقاطعة قيصرية فيلبس ، ثم الرحلة إلى الجنوب ثم قضاء بعض
الوقت في الجليل ، ثم الرحلة إلى اليهودية عن طريق عبر الأردن ثم تأتي الرحلة
الأخيرة ، الطريق إلى أورشليم .

هذه الصورة تظهر شيئاً عند يسوع .

١ - وحدته : ساروا في الطريق وكان يتقدمهم .. وحيداً .. وأحسوا
بالخطر الدام فارتبكوا واضطربوا ولم يستطيعوا أن يسألوه شيئاً . وكان على
يسوع أن يقرر وحده فلو شارك التلاميذ في هذا القرار لحاولوا جهدهم أن ينجسوا

عزمه . وهناك بعض الأمور التي يجب أن يواجهها الإنسان لوحده .. وبعض الطرق التي يطورها بنفسه ، ولكنه مع ذلك ليس وحيداً ، إنه يجد نفسه مع الله ، إن الله لا يتركه .

لا شيء أمامي .. لا شيء خلفي .. إنما هو الإيمان

ولو سقطت في هذا الفضاء النهائي .. سأجد نفسي مثبتاً على صخرة .
كان يسوع وحيداً .. ولكنها وحدة وقوفه مع الآب وجهاً لوجه .

٢ - شجاعته : لقد ظهرت شجاعة يسوع المطلقة هنا . لقد ذكر مرقس أن يسوع أعلن ثلاث مرات عن المصير الذي يواجهه ، ولكن في كل مرة كانت الصورة تقسو عن سابقتها ، ففي المرة الأولى كان إعلاناً بسيطاً (مرقس ٨ : ٣١) ، المرة الثانية أضاف الخيانة (٩ : ٣١) والمرة الأخيرة هنا أضاف الإهانة والبصق والاستهزاء . وكأما أراد يسوع أن يكشف للتلاميذ رويداً رويداً عما ينتظره ولكنه مع ذلك كان شجاعاً . والشجاعة في حقيقتها نوعان : النوع الأول هو شجاعة رد الفعل . أي أن بعض الناس عندما يواجههم موقف عصيب فجأة يتقلب من شخص هادئ إلى شخص جبار ، إنه يصبح قويا يواجه كل المتاعب .. إنها شجاعة بنت ساعتها لم يفكر فيها الإنسان من قبل . ولكن هناك نوع آخر من الشجاعة وهي التي ترى المصير المحتوم من قبل أن يحدث ، وبذلك يعطى للشجاع فرصة للرجوع وعدم مواجهة الموقف ، ولكنه مع ذلك يواجه بقلب ثابت ذلك الموقف دون الهروب ، هذه هي الشجاعة النبيلة . إن المواجهة الناتجة الغير مضطربة أو مهتزة هي الشجاعة السامية حقاً ، ولو لم يكن هناك من مقياس أسمي لقلنا إن يسوع كان أشجع شجعان الأرض .

٢ - شخصيته المحبوبة : لقد أيقن التلاميذ أن يسوع في طريقه إلى الموت لقد أعلن لهم ذلك . . وفي الوقت نفسه كانوا يوقنون أنه هو المسيا الذي انتظروه طويلا ، ولكن ضع الإنئين جنبا إلى جنب أمام كل يهودى فلا بد أنها تكون معادلة مبتورة لا تعنى شيئا مهما . . وهذا ما جعل التلاميذ يضطربون ، كيف يكون المسيا وكيف يموت ؟ ولكن مع ذلك فلم يستطيعوا أن يرجعوا إلى الوراء . . لقد أحبوه . . لقد رأوا فيه صديقهم الأكمل . . إن محبتهم الأصلية تلك الحبة التي ثبتت رغم القلق والغموض الذي يكتنفهم ، هذه الحبة محتاج إليها كلنا . إن شخصية يسوع شخصية طاغية محبوبة رغم ماقابل في حبا من عنت وقلق واضطهاد .

مطلب الطموح

وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبَدِي قَائِلَيْنِ يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ لَنَا كُلَّ مَا طَلَبْنَا . فَقَالَ لَهُمَا مَاذَا تَرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا . فَقَالَ لَهُ أُعْطِنَا أَنْ تَجْلِسَ وَاحِدٌ عَن يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَن يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ . فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ لَسْنَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ . أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَاسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصَّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا . فَقَالَ لَهُ نَسْتَطِيعُ . فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ أَمَّا الْكَاسُ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِيهَا وَبِالصَّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ

بِهَا أَنَا تَصْطَبِحَانِ . وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي
أَنْ أُعْطِيَهُ إِلَّا لِلَّذِينَ أَعِدَّةَ لَهُمْ .

(مرقس ١٠ : ٢٥ - ٤٠)

هذه قصة كاشفة نعلم لنا عن بعض الأمور .

١ - إنها نعلم لنا شيئاً عن مرقس نفسه . هذه القصة كتبها متى في إنجيله
(متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٣) . . . ولكنه لم يذكر أن التلميذين هما اللذان سألا
يسوع بل أن أمهما هي التي جاءت وسألت يسوع عن هذا المركز ويلوح أن
متى رأى في هذا المطلب شيئاً لا يليق برسول أن يطلبه . لكن مرقس يذكر
أن الطلب جاء من التلميذين نفسيهما ، إنه عرف أن التلاميذ لم يكونوا مجموعة
من القديسين بل هم جماعة من الناس العاديين لهم عيوبهم ونقصاتهم فرسم هذه
النقصات . عندما طلب كرمويل من مصور القصر أن يرسم صورة له ، رسمها
بعيثة أخفى عيوبها كانت في وجهه ، ولما رآها كرمويل ردها قائلاً : « إرسمني
وارسم عيوب وجهي » . هكذا فعل مرقس ، لقد كان دقيقاً في رسم ملامح
التلاميذ . إن يسوع كان يرافق جماعة عادية ولقد أظهر فيهم قوته الخلافة .

١ - إنها تكشف لنا شيئاً عن يعقوب ويوحنا :

(١) إنها تكشف عن طموحهما ... لقد ظننا أن النصره النهائية قاربت
وأن يسوع سوف يتوج ملكاً إذ هو المسيا المنتظر ، فأرادا أن يكونا الأوائل
في ملكوته . لا يكون ذلك لأنهما كانا دائماً من المجموعة المقربة ليسوع :
بطرس ويعقوب ويوحنا ، وقد يكون لأنهما رأيا أنها أرفع - إجتماعياً - من

الباقين ، فأبوم كان غنياً حتى أنه يستأجر آخرين ليعملوا معه . على العموم
لقد كان قلبهما مملوءاً بالطموح الدنيوى . أرادا أن يكونا الأوائل في
ملكوت الله .

(ب) وتكشف عن عدم فهمها ليسوع . إن المشكلة ليست في أن هذا
المطلب قدم ليسوع لكن المشكلة المحيرة هي الوقت الذى قدمت فيه . لقد
أعلن يسوع مرة تلو المرة أنه ذاهب إلى الموت والإستهزاء والإهانة ، وكان
إعلانه في هذه المرة واضحاً قاطعاً ، ولكنهما لم يفهماه ... لم يعرفا فيه غير مسيا
القوة والملك العالى . ذهنهما كان مغلقاً عن كل فهم آخر ... لم يفتحه
إلا الصليب نفسه .

(ج) ولكن رغم ما قيل ويقال عنهما فقد كانت هناك حقيقة لامة في
حياتهما أظهرتها هذه القصة . إنهما لا يزالان يؤمنان في نصرة يسوع . لقد تبعاه
كناصرى نجار خرج ليعلم الناس ، تبعاه وهما يشمران أن كل القيادة اليهودية
المتعصبة قد وقفت ضده ، تبعاه وهو يعلن أنه سوف يذهب إلى أورشليم ليعذب
ويموت . إنهما رغم ذلك لا يزالا يؤمنان به وفيه . ومهما قلنا إنهما مخطئان في
تصورهما لكن تبقى حقيقة واحدة لامة وهي إيمانها في يسوع وحبهما
العميق له .

٣ — إنها تكشف عن مقياس العظمة في نظر يسوع . يستعمل يسوع هنا
إستمارين من الحياة اليهودية : إستعارة الكأس وإستعارة العمودية . أما مسألة
الكأس فقد كان من عادة الملوك أن يعطوا ضيوفهم الكأس بأيديهم ، فأضحي
الكأس رمزاً إلى الحياة والخبرة التى يعطيها الله للناس : كأسى ربا (مزموور

٢٣: ٥) تعنى السعادة التي يهبها الله للمرنم . وعندما يرى نصيب الأشرار الناس يقول « لأن في يد الرب كأساً وخمرها مخمرة ... » (مزمور ٧٥: ٨) وعندما يذكر إشعياء المصائب التي قاساها الشعب يستعير الكأس لذلك « شربت من يد الرب كأس غضبه » (إش ٥١: ١٧) فأضحى الكأس إستعارة للخبرة التي ينالها الانسان من الرب . أما الاستعارة الثانية فهي المعمودية . والكلمة في أصلها تعنى غطس وقد استخدمت في تركيب معنى للمجهول بمعنى « يغطس » وهي تستعمل في وصف حالة الإنسان الذي يفرق في خبرة علامة كأن نقول عن المسرف « إنه غرق في الدين » وعن السكير إنه « غارق في الشراب » وعن الحزين إنه « غارق في حزنه » وعن الصبي في الإمتحان إنه « غارق في الأسئلة » وعن السفينة الفارقة إنها « غارقة تحت الأمواج » ، وهذا ما عبر عنه المرنم في مزمور ٤٢: ٧ « كل تيارانك ولججك طمت على » وفي مزمور ١٢٤: ٤ « إذا جرفتنا المياه لعبر السيل على أنفسنا » فالإستعارة هنا لاصلة لها بالمعمودية في معناها الخاص بل أنها تعنى شيئاً آخر ، فكأن يسوع يقول « هل تستطيعون أن تتحملوا مرارة التجربة التي أحتملها أنا؟ هل تستطيعون أن تواجهوا التنطيس في الكراهية والألم والموت كما أعطيت أنا أن أجوز فيها؟ » لقد كان قصد يسوع أن يظهر لهذين التلميذين أنه بدون صليب لا يمكن أن ينالا الملكوت فالصليب هو المقياس الحقيقي للعظمة. ولقد جاز هذان التلميذان هذه المعمودية ... فقد قتل يعقوب (أعمال ١٢: ٢) . وتمذب يوحنا في أواخر حياته مع أنه لم يميت قتلاً . لقد قبلنا تحدى يسوع .

٣ — وأخيراً أخبرم يسوع أن نهاية الأشياء كلها في يد الله ، إن تقرير مصير كل إنسان من عمله هو ، ونلاحظ هنا أن يسوع لم يشأ أن يتمدى على

عمل الأب بل كانت حياته خضوعاً مستمراً له . وأعلن أن إرادة الأب هي التي
يجب أن تكون على الأرض كما في السماء .

ثمن خلاص الإنسان

وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشْرَةُ ابْتَدَأُوا يَغْتَاظُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ
وَيُوحَنَّا . فَدَعَاَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ أَتُمْ تَمَلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ
يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءِ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ
عَلَيْهِمْ . فَلَا يَكُونُ هُكَذَا فِيكُمْ . بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ
فِيكُمْ عَظِيماً يَكُونُ لَكُمْ خَادِماً . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ
أَوَّلًا يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا . لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ
لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْدُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ .

(مرقس ١٠ : ٤١ - ٤٥)

لقد أثار عمل يعقوب ويوحنا شعور الغضب بين بقية التلاميذ لأنهم ظنوا
أنهما سيسرقان كل امتياز منهم وهبت بينهم المناقشة الحادة عن أيهم أعظم في
ملكوت السموات ، وكان الموقف خطيراً مهدد بضياح كل ما عمله يسوع معهم
لولا أنه اتخذ قراراً حاسماً . دعاهم إليه وأخذ يوضح لهم جلياً معنى النظمة
الحقيقية في ملكوت السموات ، ومدى اختلافها عن المقاييس العالمية ، فالعالم

يقول : كم من الناس تحكم ؟ ما هو حجم الجيش الذى يخدمك ويلهى طلباتك ؟
فى كم من الرقاب تتحكم ؟ ولقد نلص جالبا الأمبراطور الرومانى ذلك بقوله :
« إنه أصبح قادراً أن يعمل ما يريد فى أى إنسان آخر » . أما ملكوت الله
فتتلخص العظمة فيه فى الخدمة ، فهى ليست تسخير الناس لخدمتك بل تسخير
نفسك لخدمة الغير .. وشعارها ليس كم من الخدمة أحصل من الناس بل كم
من الخدمة أودى لهم .

كثيراً ما نظن أن تفكير يسوع هذا ووصيته ماها إلا مثل عليا لا يستطيع
إنسان أن يحققها فى هذا العالم ، ولكن لو أمعنا النظر فى الحياة نعرفنا أن هذه
سنة الحياة الحقيقية ، فبقدر ما يعطى الإنسان من خدمة بقدر ما يأخذ أجراً أدنيا
منهم ، فالشركة التجارية التى تؤدى خدمات أكثر للناس هى الشركة الناجحة
الرابحة ، والرئيس الذى يدير عملا ما قد يسهر طويلا فى الليل يؤدى خدمته
وعمله بينما يترك مرؤوسيه عملهم قبل انقضاء النهار . إن كارثة الناس هى أنهم
يريدون أن يربحوا أكثر ما يمكنهم بأقل عمل يعملون ، ولكن العالم سيتغير
إلى أفضل وأعظم لو امتلأ الناس بالمحبة والتضحية والعمل للآخرين . وهذا
ما يقوله كبلنج فى حديثه لابنه :

إذا فكرت فى كم أجرا تتقاضى ، وكيف يطعمونك ولبسونك .

يا ابنى لا تذهب إلى البحر ، فالبحر لا يحتاج إليك .

وإن بدأت تناقش كل أمر ، وتبادل الناس عن نفسك .

يا ابني لا تذهب إلى الأرض ، فالأرض تفصح بدونك .
وإذا بدأت تقبأى بما همأت وتتفاخر بقيمة مخترعاتك .
قد تزورك الملائكة ولكن العالم فى غنى عنك يا عزيزى .

إن العالم يحتاج إلى جماعة اتخذت من الخدمة مثلها العليا فحقت قول يسوع هذا . ولكى يريهم الطريق أعطاهم يسوع نفسه مثلا عندما قال « لأن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » . لو أراد يسوع أن يكون أنانياً لحول تلك القوة الهائلة إلى خدمة ذاتية ، ولكنه جاء ليبذل نفسه فدية عن الكثيرين .

هذا القول السابق : بذل المسيح نفسه فدية عن كثيرين يعتبر من أعجب وأروع ما أعلنه المسيح إن كان هناك تفاضل فى إعلانه ، ولكنه كثير أما شطح الناس بخيالهم لتصوير هذا العمل الكبارى العظيم ، فيقول أوريجانوس مثلا : إن البذل هذا لم يكن لله بل للشيطان ، فالمسيح أعطى نفسه للشيطان فأمانه لكى يطلق البشر أحراراً ، ولكن الشيطان عندما أراد أن يتصرف فى المسيح أضاع قوته ونفسه . ولما أحس جيروجورى النيسانى أن هذا التفسير مرعب لأنه يضع الشيطان ندا لله يساوم معه قال « إن الله جعل ابنه ضعيفاً بالتجسد وأحس الشيطان بذلك فأراد أن ينقض عليه ، ولكنه كان مخدوعاً فقد انقلب وكسرت شوكته » . وبعد ذلك بمائتى عام قال أحد اللاهوتيين ، إن الله أراد أن يصطاد الشيطان فجعل ناسوت المسيح طعماً ومن لاهوته صنارة ، فأراد الشيطان أن يبتلع الطعم ولكن الصنارة أمسكت بلوثيان — الحية القديمة وقتلته ، هذه

شطحات في تفسير عمل المسيح الكفاري ، قد لا نستطيع أن نعرف مدى عمق
ومجد عمل المسيح على الصليب .. هذا سر يفوق كل عقولنا البشرية المحدودة ،
لكننا نعرف ونحترق في حياتنا هذه الحقيقة ، إن يسوع لأجل خلاصنا وفدائنا
بذل نفسه كفارة عنا وفتح الطريق لنا إلى الله .

معجزة على جانب الطريق

وَجَاءُوا إِلَى أَرِيحَا ، وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلَامِيذِهِ
وَجَمَعَ غَفِيرٍ كَانَ بَارْتِيبَاؤُسُ الْأَعْمَى ابْنُ تِيبَاؤُسَ جَالِسًا عَلَى
الطَّرِيقِ يَسْتَمْطِي . فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يُسَوِّغُ النَّاصِرِيُّ ابْتَدَأَ يَصْرُخُ
وَيَقُولُ يَا يُسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي . فَانْتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لَيْسَ كَتَبَ .
فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيرًا يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي . فَوَقَفَ يُسُوعُ وَأَمَرَ
أَنْ يُنَادَى . فَنَادُوا الْأَعْمَى قَائِلِينَ لَهُ تُقْ . قُمْ هُوَذَا يُنَادِيكَ .
فَطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إِلَى يُسُوعَ . فَأَجَابَ يُسُوعُ وَقَالَ لَهُ
مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ . فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَى يَا سَيِّدِي
أَنْ أَبْصِرَ . فَقَالَ لَهُ يُسُوعُ أَذْهَبْ . إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ .
فَلَوَقْتُ أَبْصَرَ وَتَبِعَ يُسُوعَ فِي الطَّرِيقِ .

(مرقس ١٠ : ٤٦ - ٥٢)

قارت مسيرة يسوع على الانتهاء فلم يبق له سوى خمسة عشر ميلا ليصل إلى اورشليم وكانت الطريق تحترق أريحا تلك البلدة الكبيرة ولا بد لیسوع أن يمر فيها ، وكانت العادة اليهودية أنه عندما يذهب أحد المعلمين إلى اورشليم كان الناس تحيط به وتستمع إلى تعاليمه ومناقشاته ، ولهذا فقد التفت حول يسوع الكثيرون . وهناك عادة أخرى وهي أن كل صبي يهودي يصل إلى سن الثانية عشر من عمره ويسكن في دائرة قطرها خمسة عشر ميلا حول اورشليم لا بد أن يعيد النصح في اورشليم ، ولكن هناك كثيرون لا يستطيعون أن يتمموا هذا الفرض فكل ما يعملون هو أن يذهبوا إلى الذاهبين إلى العيد ليشيعوم في طريقهم ، وبهذا أضافوا مئات أخرى حول يسوع ، وإلى جانب ذلك فقد كان يسكن أريحا عدد كبير من الكهنة واللاويين . لأن مجموع الكهنة الذين كانوا يخدمون في الهيكل لم يكن يقل عن عشرين ألفا ، ومثل هذا العدد من اللاويين ، وبالطبع لم يخدموا دفعة واحدة ، بل انقسموا إلى ستة وعشرين نوبة يخدمون فيها بالتبادل ، ولا بد أن كهنة أريحا واللاويين الساكنين فيها لم يكونوا قد ذهبوا بعد إلى العيد فلما سمعوا عن يسوع ، ذلك الجليلي الثائر ، ذهبوا لكي يروه بأعينهم كل هذا جعل الجمع يتزاحم بشدة حول يسوع .

ولكن فجأة تنطلق صرخة هائلة من رجل أعشى اسمه برتياوس عرف أن يسوع يمر في هذه البوابة الشمالية ، إنه أراد أن ينتهز فرصة العمر فصار بصيح وينادى يسوع لكي يرحمه ، وحاول الذين يسمعون يسوع أن يسكتوه ، ولكنه لم يرد أن ينصت لأحدهم ، إنه يريد أن يهرب من عالمه المظلم ، وسمعه يسوع وأمر بأن يحضر إليه فجاء . وهنا نستطيع أن نلص بعض الأشياء .

١ - نلاحظ الإلحاح الشديد الذي أظهره برتياوس لمقابلة يسوع . إنه سمع عنه وأراد أن يقابله . إن الحاجة لم تكن نتيجة رغبة في رؤيته فقط بل كانت نتيجة الحاجة للملحة ولأجل ذلك تمكن من أن يراه .

٢ - وكانت اجابته لطلب يسوع سريعة لدرجة أنه التى بردائه لأنه أحس أنه يفظله ، لقد أحس أنها الفرصة الوحيدة له فأراد أن يفترقها بأى ثمن ولا يضيعها . وما أكثر ما نضيع فرصة دعوة يسوع لنا « انتظر حتى أنتهى من هذا العمل ، انتظر حتى أحسن نفسى قليلا .. حتى أعمل هذا أو ذاك .. ثم نضيع الفرص الذهبية

٣ - كان بارتياوس يعرف بالضبط ما يريد .. إنه يريد نظرة . مرات كثيرة نبدى اعجابنا بيسوع بطريقة غامضة سطحية . . إن أردت أن تأتى إلى يسوع تعال اليه محمدا طلبك . إنك تذهب الى الطبيب وأنت تعرف بالضبط موطن الألم وتشير له اليه ، وعندما تقدم الى طبيب أسنان لا تسأله أن يخلع لك أية سنة ولكنك تشير الى سنة معينة ليخلعها : هكذا تعال الى يسوع وأنت تعرف ماذا تريد منه ، وهذا يتطلب منا فحص أنفسنا وامتحانها حتى نعرف ماذا نريد .

٤ - لم يكن بارتياوس يعرف يسوع معرفة تامة : كان يناديه « ابن داود » . هذا لقب المسيا ولكنه للمسيا النازى الجبار ، وهذا ما أراد يسوع أن يمهوه من عقل التلاميذ ولكن مع ذلك . ورغم معرفته الخاطئة نال ما طلب لأن قلبه كان مملوء بالإيمان . وهذا ما نريد أن نفهمه نحن : إننا لا نستطيع أن نفهم يسوع . لا نستطيع أن نصل إلى عمق شخصيته وعمله .. ولكننا نستطيع أن

نؤمن به وبذلك ننال . قال أحد الكتاب « قد تطلب من الناس أن يفكروا
ولسكن ليس معنى ذلك يصيروا لاهوتيين قبل أن يكونوا مسيحيين » . إن
الصلة الأولى هي صلة شخصية . علاقة إيمان ومحبة يسوع . إنها مناداة قلب
باحتاج ، وبذلك ننال .

٥ - وعندما نال بارتياوس طلبه ورجع له نظره لم يترك يسوع بل تبعه
في شكر عميق . جاء إليه أعمى واحتاج ثم تبعه مفتوح العينين شاكرًا ثم انتهى
إلى اخلاص عميق وهذه هي طريق التلمذة ليسوع .

الأصحاح الحادي عشر

مجيء الملك

وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنِيَا عِنْدَ جَبَلِ
الزَيْتُونِ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لهُمَا اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أَمَامَكُمَا فَلِلْوَقْتِ وَأَتِيَا دَاخِلَانِ إِلَيْهَا تَحْدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا
لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَحَلَاهُ وَأَتِيَا بِهِ . وَإِنْ قَالَ لَكُمَا
أَحَدٌ لِمَاذَا تَفْعَلَانِ هَذَا فَقُولَا الرَّبُّ مُتَحَاجٌّ إِلَيْهِ . فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُ
إِلَى هُنَا . فَمَضِيَا وَوَجَدَا الْجَحْشَ مَرْبُوطًا عِنْدَ الْبَابِ خَارِجًا عَلَى
الطَّرِيقِ فَحَلَاهُ . فَقَالَ لهُمَا قَوْمٌ مِنَ الْقِيَامِ هُنَاكَ مَاذَا تَفْعَلَانِ
تَحْلَانِ الْجَحْشَ فَقَالَ لَهُمَا كَمَا أَوْصَى يَسُوعُ . فَتَرَ كُوهُمَا .

(مرقس ١١ : ١ - ٦)

هنا نجيء إلى المرحلة الأخيرة من هذه الرحلة ، فبعد أن يجاءت أورشليم
وهاي تظهر للرأي ، وهنا يجب أن نلاحظ شيئاً مهماً بدونه لا نستطيع أن نفهم
القصة : ففي الأناجيل الثلاثة الأولى لا نعرف غير زيارة واحدة إلى أورشليم ، بينما
نلاحظ أن إنجيل يوحنا يذكر ثلاث زيارات [يوحنا ٢ : ١٣ ، ٥ : ١٠ ، ٧ : ١٠] ،

والقارىء السطحي يحس أن هناك تناقضا بين الروايتين ، ولكن لدى التأمل العميق يزول كل تناقض . فمع أن الأناجيل الثلاثة الأولى كانت قصيرة لحايات أن تذكر الوقائع المهمة في رسالة يسوع والتي اعتبروها ضرورية للتبشير ، إلا أنها لا تنفي الزيارات المتكررة لیسوع إلى اورشليم كما يظن الكثيرون . فهناك تلميحات كثيرة تدل على أنه زارها كثيرا قبل ذلك . فصداقته مع اليعازر ومريم ومرثا في بيت عنيا لم تتولد في الحال بل أنها كانت سابقة على هذه الزيارة الأخيرة . . . وكذلك يوسف الراى تلميذ يسوع المتخفى لا بد أنه رأى يسوع مرارا في اورشليم ، وفوق ذلك لإعلان يسوع المثبت في [مق ٢٣ : ٢٧] الذى فيه قال إنه أراد أن يجمع اورشليم كما يجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها يثبت تماما أن يسوع حاول مرات أن يكسب اورشليم إلى تعاليمه ولكنها رفضت . فیسوع لا بد أنه زار اورشليم مرارا ، ولا بد أنه كان يفكر في هذا الدخول الاتصاري ، ولا بد أنه دبر له ، وهذا هو السبب الذى لأجله نجد صاحب الأنان يترك أناة للتلاميذ عندما سمع أن الرب محتاج إليه . . . إن يسوع لم يخضع للظروف أو يبنى قراراته بمحض الصدفة .. إنه رجل مفكر يدبر كل أمر .

أما بيت فاجي فعنها بيت التين فقد كانت من أعمال اورشليم لا تبعد عنها سوى ميل واحد ، وقد كانت الحد الأقصى الذى لا يستطيع أى يهودى أن يتخطاه يوم السبت مشيا ، أما بيت عنيا فعنها بيت البلح فقد كانت القرية التى يسكنها كثير من الآتين الى العيد .

لقد كانت من عادة أنبياء اسرائيل أن يعلنوا كلمة الرب بطرق خاصة ، فعندما يرون أن الناس قد سدت آذانها يقومون بعمل حرامى يجبر الناس على

الإصغاء [١ ملوك ١١ : ٣٠ - ٣٢] ، أنها عظة عملية ، هذا ما قصده يسوع في دخوله الإنتصارى ، انه أراد أن يقوم بهذا العمل ليعلم للشعب أنه المسيا . . ولكنه مسيا السلام . ففى زكريا جاءت النبوة « افرحى جدا يا ابنة صهيون . . نادى يا ابنة أورشليم ، هو ذا ملكك عادل ومخلص ... » [زكريا ٩ : ٩ . .] إن ركوب المسيا على حمار كان علامة السلام . فقد كان الحمار جهورانا نبيلًا فى تلك الأيام ولم يكن محتقرا كما نحتقره اليوم ، وقد كان للملوك يركبون الخيول فى الحرب ولكنهم فى أوقات السلام كانوا يركبون الحمير . ولهذا السبب جاء يسوع إلى أورشليم راكبا على هذا الحمار . . إنه جاء ليعلم أنه رجل السلام وملك المحبة .

ولكن الناس قابلوه بلقب ابن داود الذى وصفته مزامير سليمان بقولها « أنظر أيها الرب يقام لهم ملكهم ابن داود ، فى الوقت الذى تراه لكنى يملك على اسرائيل عبدك ، ومنطقه بالقوة حتى يسحق رؤساء الظلم ، ويخلص اسرائيل من الأعداء الذين يدوسونها إنه بالحكمة سيطرد الخطاة من الميراث وسيسحقهم كما يسحق الفخارى آنية . بقصيب من حديد سيحطمهم ، ويزيل الأمم الشريرة بكلمة فم وتهرب الأمم من زجره ، ويوبخ الخطاة على فكر قلوبهم . ستخافه الأمم قدامه لأنه سيضرب الأرض بكلمة فمسه إلى الأبد » [مزامير سليمان ١٧ : ٢١ - ٢٥ ، ٢٩] هذا هو الملك الذى كان الناس ينتظرونه ، وعرف يسوع ذلك ، ولهذا فقد جاء إليهم وديعا ومتواضعا ومعلنا أنه ملك السلام . . إنه ناقض كل تصوراتهم .

الآتي

فَأْتِيَا بِالْجُحْشِ إِلَى يَسُوعَ وَأَلْقِيَا عَلَيْهِ ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِ .
وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ . وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا
مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ . وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا
كَانُوا يَصْرَخُونَ قَائِلِينَ أَوْصِنَا . مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ . مُبَارَكَةٌ
تَمَلِكَةُ أَيْبِنَا دَاوُدَ الْآتِيَةِ بِاسْمِ الرَّبِّ أَوْصِنَا فِي الْأَعَالِي .

(مرقس ١١ : ٧ - ١٠)

كان الأنان بكر الم يركب عليه أحد ، وهكذا كان كل حيوان يستعمل
افرض مقدس [عدد ١٩ : ٢ ، ثنية ٢١ : ٣]

وهذه الصورة التي يذكرها الإنجيل في دخول المسيح تعطي فكرة عن
انتظارات اليهود وكيف كانوا متأهبين لاستقبال المسيا . بل إن نفس هذا
الاستقبال حدث من قبل مائة وخمسين سنة . عندما استقبل اليهود سمعان المكابي
بعد أن هزم السوريين « ولقد دخل في الثالث والعشرين من الشهر السابع في
السنه المائتة والحادية والسبعين بالشكر وسعف النخيل والناى والقيثار والدفوف
والأغاني لأنه قد سحق أعداء اسرائيل [مكابيين ١٣ : ٥١] . لقد استقبلوا
المسيح كذلك استقبال الفاتحين الغزاة لأنهم كانوا يريدون هذا المسيا .

وحقى المهتاب والقاء ثيابهم على الأرض قد فعلوه عندما مسح با هو الرجل

الدموى ملكا [٢ ملو ٩ : ١٣] . وقد استعاروا زممور ١١٨ : ٢٦ « مبارك

الآتى باسم الرب » هتافهم وفي هذا الهتاف نجد ثلاثة أشياء

(ا) إنه الهتاف الذى يستقبل به الحجاج أيام الأعياد فى أورشليم

(ب) « الآتى » هو لقب من ألقاب المسيا عرفه به اليهود هكذا .

(ح) ويجدر أن نذكر هنا المناسبة السابقة التى قيلت فيه المزمور [١١٨]

الذى اقتبست منه هذا الهتاف . فى ١٦٧ ق م حاول انطوخيموس ابيفانس أن يزيل كل معالم اليهودية ليعق السيطرة للثقافة اليونانية ، فاعتبر الختان واحراز نسخة من التاموس جريمة تؤدى للموت ، نجس أروقة الهيكل حيث أقام عبادة زيوس فيه ، قدم الخنازير ذبائح على المذبح ، حول كثيرا من الأروقة الى أمكنة دعارة .. هذا أثار يهوذا المكابى فبدأ يحارب حتى انتصر بعد معارك وحشية سنة ١٦٣ ق م ، وهناك فى أورشليم جددوا العبادة فى الهيكل وتغى الناس بهذا المزمور (١١٨) وبدأ من عيد التوحيد .

لقد أراد يسوع أن يدخل إلى أورشليم مسيا الحبة والسلام لكنهم أرادوا أن يحولوا الموكب الى موكب مسيا الحرب والغزو .

أما كلمة « أوصنا » فهى ليست كما نفهمها كلمة الحمد والتسبيح ، بل هى الكلمة التى يهتف بها الناس أمام الفاتح ومعناها « خلص الآن » [٢ سموئيل ١٤ : ٤ ، ٢ ملوك ٦ : ٢٦] أنها مناداة الى الله أن يتدخل بسرعة ويرسل المسيا ليحطم الأعداء .

وهنا ظهرت شجاعة يسوع العظيمة لو كان هناك شخص آخر لدخل أورشليم فى هدوء وتخفى مبتعدا عن الرؤساء ، الذين أرادوا أن يقتلوه . لقد جاء اليهم وأخبرهم أن كل ما يتمسكون به خاطئ ، لقد كان كمن يريد أن يجهز عقيدتهم

من أساسها ، لكنه لم يفعل ذلك كشخص محارب غاز ، ولكنه بالحبة والحنان أراد أن يدعوم إلى طريق أفضل . . ما أشجع الحبة المضحية .

الهدوء الذى يسبق العاصفة

فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالنَّيْكَالَ وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنِّيَا مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ .
(مرقس ١١ : ١١)

هذا العدد يظهر لنا صفتين خاصتين يسوع :

١ - إنها تربينا يسوع بعد عدته للمعركة النهائية . . لقد كان يسوع رجلا نظاميا يدرس كل شيء ويقرر كل شيء وعينه مفتوحتان على النتائج . . إنه فعل هنا كما يفعل القائد الذى يجمع كل معلوماته ويستعد لإعطاء الأمر للمعركة الفاصلة .

٢ - انها تربينا المكان الذى استمد منه قوته : فقبل أن يذهب الى المعركة ذهب الى بيت عنيا . الى انطلاوة مع أبيه السماوى . . ولأنه كان دائم المواجهة مع الله تمكن من أن يواجه الإنسان بشجاعة نادرة .

٣ - وهنا نرى شيئا خاصا بالتلاميذ . لقد كانوا معه ، وكانوا يظنون أن يسوع إنما يواجه التمردى بروح انتحارية . وفي مرات كثيرة نلومهم على جبنهم وتركهم إياه فى معركته النهائية ، ولكن لندكر أنهم رغم عدم معرفتهم الواسفة بما يحدث استمروا ملازمين إياه .

التينة الغير مشمرة

وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنِيَا جَاعَ . فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ
بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ وَجَاءَ لَمَلَهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ
شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ التَّيْنِ . فَأَجَابَ يَسُوعُ
وَقَالَ لَهَا لَا يَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْآبَدِ . وَكَانَ
تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ .

وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوْا التَّيْنَةَ قَدْ بَيَسَتْ مِنْ
الْأُصُولِ . فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي انظُرْ التَّيْنَةَ الَّتِي
كُنْتُمْ قَدْ بَيَسْتُمْ .

(مرقس ١١ : ١٢ - ١٤ ، ٢٠ : ٢١)

هذه القصة تأتي على شطرين ولكننا سندرسها ككل . فقد حدث الشطر
الأول منها في صباح أحد الأيام ثم حدث الشطر الثاني في صباح اليوم الثاني
وبين الإثنين حدثت حادثة تطهير الهيكل من البائعين والمشتريين .

وتعد القصة أصعب وأعتقد قصة في هذا الإنجيل ، ولقد ثارت ضدها
اعتراضات كثيرة نجعلها في اثنين .

١ - قال بعضهم إن القصة تظهر كأنها ليست صحيحة وليست من مقام
يسوع حتى يقوم بها ، ومع أنها قد تنسب إلى بعض صانعي المعجزات لكنها

لا تليق بيسوع لسبب بسيط وهو أن يسوع في كل خدمته رفض رفضاً باتاً أن يستخدم قوته في خدمة ذاته ونفسه ، فلم يرض أن يحيل الحجارة إلى خبز ليشبع جوعه ، ولم يرد أن يهرب من أعدائه مع أنه كان يستطيع ذلك ، فكيف إذن يستخدمها الآن في قتل شجرة لم يجد فيها تيناً لياً كلة .

٢ — قال آخرون إنه من غير المعقول أن يطلب يسوع ثمراً من الشجرة في ذلك الوقت بالذات ، فكان لا بد أن ينتظر إلى أواخر مايو حتى تثمر ولكنه لمها في منتصف أبريل ، فلو فعل يسوع ذلك لكان ذلك ظلماً . ولقد رد بعضهم على ذلك بالقول إن يسوع كان يطلب شيئاً أخضر . ولكن هذا القول غير معقول أيضاً ، لأن التين الأخضر رديء لا يستطيع أحد أن يأكله .

ولكننا نحن نعتقد أن يسوع فعل ذلك لسبب أعمق من عدم وجود تين في الشجرة ، إنه فعل ذلك كعمل رمزي .. مثل حملى كما فعل الأنبياء قديماً ، ويمكن أن تفسر هذا المعنى بأحد أمرين :

١ — إنها دينونة من يمد ولا يقفد . فالشجرة كانت تمد بالثمر ولكنها لم تثمر وفي هذا تشبه أمة إسرائيل . فكل تاريخها كان انتظاراً لحيء للسيا ، وعندما يجيء سوف يستقبلونه بكل بهجة ويقبلونه ملكاً عليهم ، ولكنه عندما جاء رفضوه ولم يتمموا ما كان ينتظروه الجميع منهم مثلهم في ذلك مثل رجل قيل عنه وهو صغير « إنه سيصبح شيئاً كبيراً » ولما كبر ولم يصبح ما انتظروه الناس قال « يمكنه أن يصبح شيئاً لو أراد » ولما كبر ولم يصبح شيئاً قال الناس « كان يمكن أن يصبح لو كان يريد » هذه هي إسرائيل ، لقد كانت انتظارات الناس فيها عظيمة ولكنها خيبت كل انتظار .. فاستحقت اللعنة .

٢ - إنها دبتونة الاحتراف بدون عمل : إن عمل الشجرة هو الإثمار ولكنها لم تثمر والعهد الجديد دائماً يعلن أن الثمر هو العلامة المميزة للحياة الحقيقية : « من ثمارهم تعرفونهم » [متى ١٦: ٧] « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة » [لوقا ٧: ٨] « ليس كل من يقول لى بارب بارب يدخل ملكوت السموات بل من يفعل لإرادة أبى [متى ٧: ٢١] فالتم عمل الديانة على خلق الإنسان خلقاً جديداً وتجعل حياته وحياة الآخرين أكثر سماحة ومحبة واستقامة فلن تكون ديانة حقيقية بل هى ديانة احتراف .

ومع ذلك فإننا نعتقد أن القصة فى غاية الصعوبة .

غضب يسوع

وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْمَسْجِدَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَقُلُوبَ مَوَائِدِ الصَّيَارِفَةِ وَكُرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ . وَلَمَّ يَدْعُ أَحَدًا يَحْتَازُ الْمَسْجِدَ بِمِثَاعٍ . وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلًا لَهُمْ أَلَيْسَ مَكْتُوبًا بِنْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الْأُمَّمِ . وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَعَارَةَ لُصُوصٍ . وَسَمِعَ الْكَتَبَةَ وَرُؤُسَاءِ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يَهْلِكُونَهُ لِأَنَّهُمْ خَافُوهُ إِذْ بَهَّتِ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ . وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ .

(مرقس ١١ : ١٥ - ١٩)

نستطيع أن نفهم هذه القصة جيداً لو رسمنا صورة واضحة لأقسام الهيكل .
والكتاب المقدس يستخدم كلمتين يونانيتين بترجمان إلى « هيكل » الأولى
« هيرون » hieron وتعنى كل المنطقة التي يقع فيها الهيكل . وكانت هذه
المنطقة تغطي قمة جبل صهيون وهي حوالى ٣٥٠ فدانا . أما الكلمة الثانية
فاسمها ناؤوس naos وهي مباني الهيكل المقدسة وكانت منطقة الهيكل تحاط
بسور ضخمة يتراوح طول ضلعه ما بين ١٠٠٠، ١٣٠٠ قدم ، تضم داخلها أروقة
كثيرة غير مباني الهيكل . كان الرواق الأول من داخل هذا السور هو
رواق الأمم . وكان يسمح للأمم أن يدخلوا فيه وفي نهايته أقاموا سوراً
منخفضاً مكتوب عليه نواهي عديدة لمنع الأمم من أن يتعدوه إلى الداخل
وإلا فمقاب من يدخله الموت . وفي داخل هذا السور المنخفض كان
هناك رواق آخر إسمه رواق النساء أو الحرم وفيه تجتمع النساء ولا تتعداه المرأة
ما لم تكن قد حضرت لتقديم الذبائح . ومن داخل رواق الحرم كان ، هناك
رواق ثالث اسمه رواق الإسرائيليين الذي يجتمع فيه الشعب في الأعياد والمناسبات
الضخمة ، وفيه يعطى الشعب الذبائح للكهنة . أما الرواق الداخلى فهو رواق
الكهنة . هنا فى رواق الكهنة يبني الهيكل وهو أقدس مكان فى المنطقة كلها
وهو ما سبقت الإشارة إليه باسم ناؤوس .

أما المكان الذى حدثت فيه هذه الحادثة فكان رواق الأمم أى الجزء
الخارجى من منطقة الهيكل ، وقد كان المقصود منه قبلاً أن يكون محل
استعداد للصلاة ولكنه أيام يسوع حول إلى أغراض علمية حيث أخذوا
يبيعون وبشرون فيه . وزاد الطين بلة أن هذا البيع لم يكن إلا نهبا وسلبا
للمعدين ، وكان النهب يسير بطريقتين .

الأولى عندما يدفع اليهودى ضريبة الهيكل . فقد كانت لا تدفع إلا بشاقل القدس ، وكان على كل فرد يهودى يقيد أن يدفع هذه الضريبة كل سنة ، وهى ما تساوى عشرة قروش ، وهى مبلغ كبير إذا ذكرنا أن أجر العامل اليوى فى ذلك الوقت لم يكن يتعدى القرشين يومياً وبالطبع كان المعيدون يحملون أموالاً غريبة من جهات متعددة من العالم ، وكان عليهم أن يستبدلوها بعملة مقدسة ليدفموها ؛ فكان الصيارفة يفعلون ذلك لهم فى مقابل قرشين لكل ضريبة ، وإن زاد المبلغ فيدفع قرشين آخرين ، بمعنى أن كل معيد ينبغى له أن يدفع أربعة قروش . أى أجر يومين لعامل مسكين .

أما الطريقة الثانية فكانت أكثر بشاعة وهى تسكن فى بيع الحمام . فقد كان الحمام يدخل فى بند الذبائح وكان على المعيد أن يشتروا زوج الحمام من داخل منطقة الهيكل حتى يضمنوا لياقة الذبيحة لأنهم كانوا يعتبرون أبة حمامة تأتى من الخارج مهما كانت ، أنها غير لائقة ولذلك اضطروا الجميع أن يشتروا من حمام الهيكل ، وهنا يحدث الاستغلال البشع . فزوج الحمام الذى كان يمكن أن يشتري بعشرة قروش من خارج الهيكل كان يبيعه فى الهيكل بمبلغ جنيه أى أنهم يضيفون على الثمن الحقيقى حوالى عشرة أضعافه وقد يزيد أحياناً ، حتى أن بعض معلمى اليهود الكبار ناروا على هذا الوضع ، لكنها كانت فريضة رؤساء الكهنة . ولا عجب فقد كانت للشادات والمشاحنات والمساومات الحامية تملأ منطقة الهيكل ، ورأى يسوع فى كل هذه العملية شيئاً لا يليق .

وكان هناك شيء آخر أثار يسوع وجعله يتخذ عملاً حاسماً يذكره عدد ١٦ إذ يقول إنه منع أى إنسان أن يبر الهيكل بمتاع . ذلك أن من قوانين

المهيكل أن كل من يمر في منطقة الهيكل كان عليه ألا يحمل عصا أو مزود أو حذاء ، وكان لهذا القانون قصده ، إذ قدس هذه المنطقة وجعل الناس لا يأتونها إلا للصلاة ، ولكن اليهود كسروا هذا القانون وداسوا هذه المنطقة المقدسة ، ولهذا ثار يسوع عليهم ، لأنه كان يخضع لهذا القانون ، بل لكي يوضحهم على ربائهم وجشعهم فأظهر لهم أنهم في سبيل ربح قبيح يكسرون قوانين وشرائع هيكلهم ، ميرهننا لهم ذلك من نفس الكتب المقدسة (اشعيا ٥٦ : ٧ ، إرميا ٧ : ١١) .

ويمكن أن نقول إن غضب يسوع اشتعل لهذه الأسباب .

١ — للاستغلال البشع الذي وقع على المعبد ، فسلطات الهيكل لم تعامل المعبد كإعزازة جاءت للصلاة ولا حتى كأدميين بل كأشياء يستخدمونها لأغراضهم الذاتية . إن استغلال الإنسان لأخيه الإنسان يثير غضب الله وخصوصاً إذ أخذ الدين ستاراً له .

٢ — لأن الناس دنسوا مكان الله المقدس فأخذوا منه مكاناً للتجارة الجشعة ، لقد حولوه إلى انتهازية بشعة .

٣ — وكان غضب يسوع أعمق في أنه يقتبس إشعيا ٥٦ : ٧ حيث يرميهم أن بيت الصلاة هو لجميع الشعوب بينما أوقفه اليهود لأغراضهم وحرّموا الأئمة من دخوله وإلا لكان عقابه الموت . إنهم كسروا وانتهكوا قصد الله السامى

قواعد الصلاة

فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ . لِأَنِّي
الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ
وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنْ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَهَمَّا قَالَ يَكُونُ
لَهُ . لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ
تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ . وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاعْفِرُوا إِنْ كَانَ
لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ
زَلَّاتِكُمْ . وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لَا يَغْفِرُ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ
أَيْضًا زَلَّاتِكُمْ .

(مرقس ١١ : ٢٢ - ٢٦)

هناك بعض الأقوال يذكرها مرقس في ثنايا هذا الأصحاح ، وإن كان متى
ولوقا يذكرانها في أمكنة أخرى ، فثلا يذكر متى كلام يسوع عن الإيمان في
مناسبة تختلف عن هذه المناسبة التي يذكرها مرقس (متى ١٧ : ٢٠) وهكذا
يقول لوقا (لوقا ١٧ : ١٦) والسبب في ذلك هو أن يسوع كان يكرر إعلاناته
في مناسبات مختلفة حينما دعت الحاجة إليها . هذه الأعداد التي أمامنا تضع لنا ثلاثة
قواعد للصلاة :

١ - الصلاة يجب أن تكون صلاة إيمان . كانت عبارة بنقل الجبال عبارة

مألوقة لكل يهودى وخاصة للمعلم الحكيم ، فالجبال كانت استعارة للصعاب
وخصوصاً الصعاب العقلية ، فالعلم الحكيم الذى يستطيع أن يتغلب على مشكلات
التلاميذ العقلية هو معلم يستطيع أن ينقل الجبال . وهكذا يذكر يسوع التلاميذ
أن نجبال الصعاب والمشكلات لا يمكن حلها وإزالتها إلا بالصلاة . قد يكون
هذا التصريح بسيطاً ولكنه يعنى مبدأين فى غاية الأهمية والصعوبة :

الأول هو أن نحمل كل مشكلاتنا إلى الله ، وهذا الأمر فى غاية الصعوبة
على أنفسنا فشكلاتنا تكن بالأكثر فى أننا نرغب أن نفتنى ما لا يجب أن
أن نفكر فيه ونرفض ما يجب أن نفتنيه ، وأن نعمل ما لا ينبغى عمله ونحجم
عن الواجب ، وأن نفكر فى المحرمات ونحرم ما يجب أن نركز فيه عقولنا ،
ولهذا نغير امتعان للمشكلات هو « هل أستطيع أن أحملها إلى الله فى الصلاة؟ »
أما الثانى فهو استمدادنا لأن نخضع لإرشاد الله فى أعمالنا . فى معظم
الأحيان نأتى إلى الله طالبين الإرشاد ونحن لا نقصد منه سوى الموافقة على
رغباتنا . ولكن لنكن متواضعين ومنتشجين أن نأتى إلى إلهنا مستعدين أن
نخضع لإرشاده ، لأنه لافائدة من مجيئنا إليه بطلب الإرشاد فى أمر قد قررنا فيه
قراراً حاسماً فاطماً لا رجعة فيه .

٢ - الصلاة يجب أن تكون صلاة انتظار وتوقع . يجب أن تكون
صلاة رجاء . ومن المسلم به ، حتى فى الأمور اليومية ، أن ما ننتظره موقنين أننا
سنحصل عليه ، يكون أسهل كثيراً مما لو قطعنا الرجاء فى جدوئه . فالريض
الذى يثق فى الطبيب الذى يعالجه تكون له فرصة للشفاء أكثر من المريض
الذى يثق فى أى طبيب معالج . وهكذا الصلاة التى ترفع إلى الله فى رجاء وتوقع
حقيق . فعندما نصلى يجب ألا نصلى لأنه فرضت علينا الصلاة بل لأننا نطلب من

أيدنا شيئاً نريده . قال أحدهم « لقد صليت في حياتي كثيراً ، وفي كل مرة أحشو فيها للصلاة أحاول أن أقنع نفسي بأن الله قد استجاب بعضاً من صلاتي في الماضي . ولكن في قرارة نفسي أعتقد أن رغباتي تقضى لي متأخرة .

٣ — يجب أن تكون صلاة محبة : فالرجل المملوء بالبغضاء لا يستطيع أن يصلي ، ولا يمكن أن تستجاب صلاته ، والسبب لذلك بسيط : فإنه يظن أنه يصلي الى الله في الوقت الذي لا تربطه بالله أية علاقة . إن العلاقة التي تربط اثنين معاً هي الطبيعة والبول للشركة أو الهدف المشترك ، فأين إذن العلاقة بين هذا الرجل المملوء بالبغضاء والله الذي هو محبة ؟ إن الكراهية قد حجبت هذا الرجل عن الله . ولكن إن أراد هذا الرجل أن يصلي صلاة مستجابة فليركع أولاً أمام الله بكل تواضع وخضوع وبطلب منه أن يطهر قلبه من هذه البغضاء للناس ويطهره من كل مرارة وبلاء بالحبة ، وعندئذ فقط يستطيع أن يتكلم مع الله ويعرف أن الله يسمع صلاته ويستجيبها له بحسب كرمه الفائق .

سؤال مكير وجواب قاطع

وَجَاءُوا أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَفِيهَا هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ أَقْبَلَ
إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخُ . وَقَالُوا لَهُ يَا سُلْطَانَ
تَفْعَلُ هَذَا وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا . فَأَجَابَ
يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً . أَجِيبُونِي
فَأَقُولُ لَكُمْ يَا سُلْطَانَ أَفْعَلُ هَذَا . مَعْمُودِيَّةٌ يُوحَنَّا مِنْ

السَّمَاوِ كَانَتْ أُمَّ مِنَ النَّاسِ أَجِيبُونِي . فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ
 إِنَّ قُلْنَا مِنَ السَّمَاوِ يَقُولُ فَلِمَ إِذَا لَمْ نُؤْمِنُوا بِهِ . وَإِنْ قُلْنَا مِنَ
 النَّاسِ . فَخَافُوا الشَّعْبَ . لِأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ
 بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ . فَأَجَابُوا وَقَالُوا يَسُوعَ لَا تَعْلَمُ . فَأَجَابَ يَسُوعَ
 وَقَالَ لَهُمْ وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا .

(مرقس ١١ : ٢٧ - ٣٣)

على جانبي دار الأمم من الجنوب والشرق كان في الهيكل رواقان الشرقي
 إسمه رواق سليمان ، وهو عبارة عن « بواكي » مبنية على أعمدة كورنثية طولها
 ٣٥ قدم . أما الجنوبي فكان يدعى الرواق الملوكي وهو أكثر ضخامة وروعة ،
 وهو مكون من أربعة صفوف من الأعمدة الرخامية ، يحيط كل عمود ستة أقدام
 وطوله ٣٠ قدما ، ومجموعها ١٦٢ عمودا . وكان من عادة معلمى اليهود أن يجلسوا
 تحت هذه الأعمدة فيجتمع من حولهم طلبتهم ومحبي علمهم ويسمعون منهم ،
 ولم تسكن هذه عادة اليهود فقط : بل كانت منتشرة أيضا في بلاد اليونان ،
 ولعل أوضح مثل لهذه العادة هي مدرسة الرواقيين ، فلقد سميت بهذا الاسم نسبة
 الى المكان الذي كانوا يتلقون العلم فيه .

كان يسوع يقف في ذلك المكان حين جاءت إليه جماعة من الكهنة
 والشيوخ والكتبة مرسله من قبل السهدريم ، لكي يتساءلوا عن السلطة التي
 استند عليها شخص مثله في طرد هذه الجماعة ، كان التساؤل طبيعيا ولكنه كان
 مكبرا ؛ فلو أجاب أنه استمد سلطانه من شخصيته لقبضوا عليه كشخص معتوه

لأنه خلق هذه الضجة الكبرى ويخشى أن يفعل أكثر من ذلك . ولو أجاب أن سلطانه جاء من الله مباشرة لقبضوا عليه كمنخص مجدف ، لأن الله لا يرضى بخلق هذه الضجة ، وفهم يسوع قصدهم الخبيث وأراد أن يجاوبهم ولكن بأن يوقفهم أمام الحق فيعرفوا أنفسهم وخبيثها . ولهذا أجابهم بقوله « أستطيع أن أجيبكم لو أنكم أجبتكم على سؤالى : هل كانت معمودية يوحنا من الله أو من الناس » . وفهموا هم ماذا قصد يسوع وعرفوا ضلالهم ، وقالوا فيما بينهم : لو أجبتنا إنها كانت من الله فلا بد أنه سيسألنا عن الدافع الذى دفعنا للوقوف ضده وعدم الإيمان بكرازته التى كانت تنصب على الإشارة إلى يسوع أنه هو المسيا ؛ ولو أجبتنا بالنفى لهاج الشعب علينا لأن الشعب يعتبره نبيا شهيذا . ولهذا قالوا فى حيرة وضعف . لا نعرف . وعندئذ قال يسوع « ولا أنا أقول لكم » وبهذا الموقف كشفوا أنفسهم جماعة أضعف من أن يواجهوا الحق ، ومن بضعف عن مواجهته يظل يتذبذب ويعرج بين الفرقتين حتى يمجذ نفسه فى موقف الضعف والتخاذل . قد يعترف الإنسان الذى يواجه الحق بشجاعة بأنه مخطئ ، ولكن اعترافه هذا سيخلق له المركز السامى . فالخسوف من مواجهة الحق هو أما مخزى مخجل .

الأصحاحُ الثاني عشر الرفض والجزاء

وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ بِأَمْثَالِ إِنْسَانٍ غَرَسَ كَرْمًا وَأَحَاطَهُ بِسِيَّاحٍ
وَحَفَرَ حَوْضَ مَمْعَصَرَةٍ وَبَنَى بُرْجًا وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَامِينَ وَسَافَرَ .
ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الْكَرَامِينَ فِي الْوَقْتِ عَبْدًا لِيَأْخُذَ مِنَ الْكَرَامِينَ
مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ . فَأَخَذُوهُ وَجَلَدُوهُ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا . ثُمَّ أَرْسَلَ
إِلَيْهِمْ أَيْضًا عَبْدًا آخَرَ . فَرَجَمُوهُ وَشَجَّوهُ وَأَرْسَلُوهُ مَهَانًا ثُمَّ
أَرْسَلَ أَيْضًا آخَرَ . فَقَتَلُوهُ . ثُمَّ آخَرِينَ كَثِيرِينَ فَجَلَدُوا مِنْهُمْ
بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا . فَإِذَا كَانَ لَهُ أَيْضًا ابْنٌ وَاحِدٌ حَبِيبٌ إِلَيْهِ
أَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَيْهِمْ أَخِيرًا قَائِلًا إِنَّهُمْ يَهَابُونَ ابْنِي . وَلَكِنْ أَوْلِيكَ
الْكَرَامِينَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ هَذَا هُوَ الْوَارِثُ . هَامُّوا ثَقُلَهُ فَيَكُونُ
لَنَا الْمِيرَاثُ . فَأَخَذُوهُ وَقَتَلُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ . فَمَازَا
يَفْعَلُ صَاحِبُ الْكَرْمِ . يَا بَنِي وَيُهْلِكُ الْكَرَامِينَ وَيُعْطِي
الْكَرْمَ إِلَى آخَرِينَ . أَمَا قَرَأْتُمْ هَذَا الْمَكْتُوبَ . الْحَجْرُ الَّذِي

وَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوَايَةِ . مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ
 هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا . فَطَلَبُوا أَنْ يُسَكِّوهُ وَلَكِنَّهُمْ خَافُوا
 مِنْ الْجَمْعِ . لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ . فَتَرَ كُوهٌ وَمَضُوا .
 (مرقس ١٢ : ١ - ١٢)

ذكرنا فيما سبق ، عندما كنا نفسر بعض أمثلة المسيح ، أن هذه الأمثال
 يلغى الألفسرة تفسيراً مجازياً ، لأنها قيلت أصلاً ، لالتسكتب بل لتسمع ، وفيها
 فكرة أساسية يفهمها السامع كما قصدها المسيح . لكننا أمام هذا المثل نجد أنفسنا
 أمام شيء فيه بعض الاختلاف عن الأمثلة الأخرى ، ففيه يتضح أن يسوع لم
 يقصد فكرة واحدة فقط دون النظر إلى التفاصيل بل أنه قصد التفاصيل التي
 وضعها فيه .. ولذلك فنحن سنفسر المثل في تفاصيله .

صاحب الكرم هو الله ، والكرم هو بيت اسرائيل . وهذه صورة
 مألوقة في العهد القديم [إشعيا ٥ : ١ - ٧] . هذا الكرم زود بكل ما يحتاج
 إليه مثل الكروم ففيه المعصرة التي تعصر العنب لتحويله إلى خمر ، وفيه البرج
 الذي يحفظون فيه المحصول ويحتوى فيه حراس الكرم .. لقد زود بكل شيء .
 أما الكرامون فهم قادة الشعب في كل أجيال هذه الأمة . والعبيد هم
 الأنبياء وغيرهم . فلقد لقب الأنبياء بالمبيد : كوسى وهرون وداود وكل الأنبياء
 [يشوع ١٤ : ٧ ، ٢٤ : ٩ ، ٢ صموئيل ٣ : ١٨ ، عاموس ٣ : ٧ ، إرميا ٧ : ٢٥ ،
 زكريا ١ : ٦] .

أما الإبن فهو يسوع نفسه . ولا بد أن غالبية السامعين كانوا يعرفون ماذا
 كان يقصد يسوع ، وعرفوا الشخصيات التي عنها .

أما القصة نفسها فلم تكن نادرة الحدوث في فلسطين ، فقد كانت البلاد مملوءة بالاضطراب العمالي نظراً لغياب أصحاب الممتلكات خارجاً عن البلاد ، وذلك إما لأنهم كانوا رومانيين يسكنون في روما أو لأنهم كانوا فلسطينيين يطلبون الراحة والترف خارجها . وكانت الشريعة تسمح لصاحب الكرم المتغيب أن يطلب ثمراً من كرمه بعد خمس سنوات من زراعته [لاويين ١٩ : ٢٣ - ٢٥] ، لأن إيجار هذه الكروم لم تسكن تدفع أموالاً بل تؤخذ نسبة مئوية من الثمر .

١ - وهذا المثل يحوى كثيراً من الحقائق التي تحتاج أن نعرفها عن الله .

(١) كرم الله : ويظهر في القيام بعمل كل ما يلزم الكرم والكراميين حتى لا يتعبوا في أعمالهم ، وهذا هو شأن الله معنا في كل حياتنا .. إنه كريم جداً مع الناس .

(ب) لفته في الناس : لقد ترك الكراميين ليعتقدوا في الكرم لأنه وثق فيهم وفي قدرتهم على القيام بهذا العمل ، أفليس هذا ما عمله مع كل إنسان حينما يتركه حراً في حياته ليختار ما يشاء ؟ قال أحدهم « إن أحب شيء إلى نفسي هو أن الله تركني أتصرف في حياتي بالقدر الذي يشعري بأنه يثق في » .

(ج) صبر الله عليهم : إن الله أعطى الكراميين فرصاً كثيرة ليوفوا ما عليهم من ديون ، إنه عاملهم بالصبر والحجة التي لا يستحقونها .

(د) انتصار عدله : قد يتمز الناس فرصة صبر الله عليهم ولكنهم يجهلون أن الدينونة آتية ولا بد ، قد يصبر الله على العصيان ولكنه لا يهمل المعاصي إلى الأبد

٢ - وهذا المثل يحوى بعض الحقائق عن يسوع .

(أ) إنه لم يعتبر نفسه عبداً بل ابناً ، إنه ليس من سلسلة الأنبياء ، إنه الكلمة النهائية التى نطق بها الله .. وفى هذا الإعلان يتعدى يسوع كل السلطات اليهودية لأنه فيها يعلن أنه هو المسيا .

(ب) لقد عرف أنه سيموت . فالصليب لم يكن مفاجئة له بل كان نهاية الطريق الذى اختاره ، وبهذا أعلن عن شجاعة نادرة المثل .

(ج) كان يعرف أن النصره النهائية له ، قد يقتل ويموت ولكنه كان يعرف أنها ليست النهاية ، فبعد الرفض يأتى التمجيد .

٣ - وهذا المثل يحوى بعض الحقائق عن الناس .

(أ) هناك سبب واحد يخفى وراء سلوك هؤلاء الكرامين وهو أنهم ظنوا أن صاحب الكرم بعيد عنهم جداً فلا يستطيع أن يفعل شيئاً . إنه فى نظرم ميت . وهذا موقف الكثيرين من الله .. لمنهم يسلكون بعناد وغباوة كأن الله لا يراهم ولا يسمعهم .

(ب) من يرفض مسئوليته وامتيازاته فلا بد بأن تؤخذ منه وتعطى لآخر ، فاليهود إذ رفضوا الدعوة تحول السيد إلى الأمم .

وينهى المثل بالاعتباس من مزمور ١١٨ : ٢٢ و ١٣ الحجر الذى رفضه البنائون هوذا قد صار رأس الزاوية . وحجر الزاوية هو الحجر الأسامى فى اللباني ولقد اقتبسه كثيرون من كتاب الوحي (أعمال ٤ : ١١ ، ١ بط ٢ : ٤ و ٧ ، رومية ٩ : ٣٢ ، ٣٣ ، أفسس ٢ : ٢٠) . وهو يشير أصلاً إلى اسرائيل لأنهم

كانوا يظنون أنفسهم أنهم أم حجر في بناء الكون ، ولكنها أهملت وانحطت في نظر العالم ، ولكن كاتب الزمور كان يرى أن الله سيعود ويعلم مجد اسرائيل مرة أخرى . ولكن الكتاب المسيحيون رأوا أن هذا الحجر هو المسيح نفسه وخاصة بعد موته وقيامته .

قيصر والله

ثُمَّ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ قَوْمًا مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالْهِيرُودُسِيِّينَ لَكَيْ
يَضْطَّادُوهُ بِكَلِمَةٍ . فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ
وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ بَلْ بِالْحَقِّ تَعَلِّمُ
طَرِيقَ اللَّهِ . أَيْجُوزُ أَنْ تُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا . نَعْطِي أَمْ
لَا نُعْطِي . فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ لِمَذَا تُجَرِّبُونِي . أَيَتُونِي بِدِينَارٍ
لِيَنْظُرَهُ . فَأَتَوْا بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ . فَقَالُوا
لَهُ لِقَيْصَرَ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ
وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ . فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ .

مرقس ١٢ : ١٣ - ١٧

تقد كان وراء هذا السؤال الخطير الكبير قصة طويلة مريرة تبدأ بهيرودس الكبير الذي مات سنة ٤ ق م ، فقد كان هذا الملك ملكا على كل فلسطين يدفع جزية إلى روما في مقابل أن أعطته استقلالا داخليا واسعا . وعند موته قسم

ملكه بين ثلاثة من أولاده ، فأعطى الجليل وبيريه إلى هيرودس وأنتيباس ، أما شرق الأردن وما يجاورها فقد أعطاه لفيليس ، وأعطى أرخيلوس السامرة واليهودية . ولقد سلك أنتيباس وفيليس بكل حكمة فاستقرا في حكمها أما أرخيلوس فقتل في ملكه فما كان من روما إلا أن حوات مملكته إلى ولاية رومانية تحكم حكما كاملا من قبل روما ، وكان ذلك إبتداء من سنة ٦ م . وكان من عادة الرومان أن يحكموا ولاياتهم بطريقتين مختلفتين : الطريقة الأولى هي التي يحكمون بها الولايات الهادئة المسالمة . إذ يضعونها تحت إشراف مجلس الشيوخ فيحكمها بواسطة قناصل ، أما الولايات المشاغبة فيشرف عليها الأمبراطور نفسه فيحكمها بواسطة ولاة . تعاونه فصائل كبيرة من الجنود الرومانية ، وكانت اليهودية من هذا الصنف من الولايات .

ولقد كانت أول عمل يقوم به كيرينيوس والى اليهودية هو التعداد الذي قصد به تنظيم دفع الضرائب وتنظيم الإدارة ، وقبل الناس المسالمون هذا العمل ، أما غيرهم فقد رفضوا وحاولوا إثارة الشعب ، وكان يتزعم حركة الشعب هذه رجل إسمه يهوذا الذي أثار الشعب بقوله إن الجزية لا تفضل العبودية . وبما أنهم شعب الرب فينبغي ألا يستمبدوا لأحد بل ينبغي أن يموتوا قبل أن يخضعوا لإنسان ، ولكن الرومانيين عرفوا كيف يخرسوه إلى الأبد ، لكن ظل شعاره في أذهان الناس « لاجزية لروما » .

أما هذه الجزية فكانت ثلاثة أنواع .

(١) الضريبة التي على الأرض وهي تشمل عشر الحنطة وخمس الخمر والتمر وكانت تدفع عينية أو مالا .

(ب) ضريبة الدخل وكانت ١ ٪ من دخل الفرد .

(ج) ضريبة الرأس وكان يدفعها كل رجل يتراوح عمره ما بين ١٤ - ٦٥ سنة وكل امرأة تتراوح ما بين ١٢ - ٦٥ سنة ومقدارها دينار للفرد الواحد ولم يعف منها أى فرد .

وعندما جاء الفريسيون والمهيرودسيون إلى يسوع دخلوا إلى موضوعهم عن طريق التملق ، لكن يزيهوا كل شك من عقل يسوع من جهتهم ، فيدفعوه إلى أن يتكلم بكل صراحة .

وكان سؤالهم غاية في المكر والدهاء .. لقد ظنوا عندما وجهوه إليه أنهم قد وضعوه في المأزق الحقبى : فلو وافق على دفع الجزية فقد شعبيته الواسعة وإن لم يوافق لفقد حياته بين يدي الرومان كشخص نائر متعصب .. لقد ظنوا أنهم إنما قد أمسكوا بيسوع بين أصابعهم .

لكن يسوع طلب منهم دينارا ، ويظهر أنه لم يكن يمتلك دينارا واحداً ، ولما أمسك به سألمهم عن صاحب الصورة التي عليه . ولاشك أن تلك الصورة كانت صورة طيباريوس قيصر ومن حولها كتب « طيباريوس قيصر ، أوغسطس الإلهي ابن أوغسطس » وعلى الوجه الآخر كتب « الكاهن الأعظم للأمة الرومانية » . ولا بد أن نفهم المبادئ الثلاثة التي تمسك بها الناس من جهة العملة حتى نستطيع أن نفهم القصة :

١ - العملة علامة القوة : فالفأح الغازى أو الثائر المنتصر يثبت نصرته أو تملكه بأن يضع صورته على العملة ، وبهذا يضمن سلطانه وحكمه .

٢ - وأينما سارت العملة هناك كان سلطان الملك سائداً، وكان سلطان الملك وهيبته تقاس بمساحة البلاد التي تستخدم فيها عملته .

ولأن صورة الملك واسمه كانا على العملة كانت هذه العملة تعتبر ملكاً له . ولهذا فقد كان جواب يسوع بهذا المعنى « لأنكم تستخدمون عملة طيباريوس فانكم بذلك تعترفون بسلطانه عليكم ، وإلى جانب ذلك فإن هذه العملة هي ملكه الخاص لأن صورته واسمه عليها . فإذا أعطيتموها له فإنكم إنما تعطونه حقه .. فأعطوها له ولكن اعلخوا أن هناك جانباً من الحياة يختص بالله وحده ولا سلطان يقتصر عليه » .

صار هذا القول مبدأً أبدياً وضع الحدود بين القوة المدنية والدينية ويقول أحد الساسة الكبار « إن هذه الكلمات أعطت للقوة المدنية قدسية لم تكن لها ، وحدوداً لم تعرفها من قبل . وكانت نهاية لكل إدعاء بشري بالسكال وأساساً راسخاً للحرية الإنسانية » . لقد كانت هذه الكلمات داعية إلى حقوق الدولة وحرية الضمير .

وعلى العموم . فقد وضع العهد الجديد ثلاثة مبادئ تحكم الصلة بين الفرد والدولة :

١ - الدولة مقامة من الله : فتوانين الدولة تحكم العلاقات الفردية والجماعية وبدونها تصح الحياة محطمة ، وخدمات تيسر الحياة على الفرد فهي التي تمده باحتياجاته من المياه والمواصلات والضمان الاجتماعي وغيره . . وبذلك تجعل من الحياة عملاً سهلاً .

٢ - لا يصح أن يتمتع الإنسان بكل هذه الامتيازات وفي الوقت نفسه

ينهرب من المسئوليات . ومن المؤكد أن الدولة الرومانية أدت للعالم خدمات جليلة لم يكن يحلم بها ، فقد أوجدت نوعاً من الاستقرار والسلام ، طاردت عصابات الطرق وقراصنة البحر ونشرت المدل بين الناس وحقا قال جود سيد « لقد كان من أعجاز الدولة الرومانية أن نشرت السلام في عالم مضطرب ، وتحت سيطرتها عاشت أسيا الصغرى والشرق في أمان واستقرار لم يعرفاه من قبل ، وكان الفرد تحت ظلها يباشر عمله بيسر وسهولة ، يجد لمة العيش ، يرسل أحياءه ويسافر بكل اطمئنان . والفضل للقوة الرومانية » .

ولهذا فليس من الإنسانية أن يعيش الإنسان في دولة كهذه ولا يؤدي واجبه من نحوها .

٣ - ولكن هناك حدود : فليد قال أبوت « كانت العملة ملكا لقيصر لأن صورته كانت عليها ، والإنسان ملك لله لأن صورة الله فيه (تكوين ١ : ٢٦ و ٢٧) . وعلى هذا فالإنسان يقدم للدولة كل إخلاصه وحبه وعمله : وفي نفس الوقت ينبغي أن يكون هو والدولة التي يخدمها ملكا لله ، وإن تصارع حق الدولة مع حق الله فإن الله يأتي أولاً . وعلى العموم فإن المسيحية تجعل الإنسان مواطناً صالحاً أكثر من أى شخص آخر .

الأفكار الخاطئة عن الحياة الآتية

وَجَاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ
وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ يَا مَعْ لِمَ كَتَبَ لَنَا مُوسَىٰ إِنْ مَاتَ لِأَحَدٍ أَخٌ
وَتَرَكَ امْرَأَةً وَلَمْ يُخَلِّفْنَا أَوْلَادًا أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ امْرَأَتَهُ وَيُقِيمَ

نَسْلًا لِأَخِيهِ . فَكَانَ سَبْعَةً إِخْوَةً . أَخَذَ الْأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ
نَسْلًا . فَأَخَذَهَا الثَّانِي وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ هُوَ أَيْضًا نَسْلًا . وَهَكَذَا
الثَّالِثُ . فَأَخَذَهَا السَّبْعَةُ وَلَمْ يَتْرُكُوا نَسْلًا . وَآخَرَ الْكُلِّ
مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا . فَفِي الْقِيَامَةِ مَتَى قَامُوا مِنَ مَنَّهُمْ تَكُونُ
زَوْجَةً . لِأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلْسَّبْعَةِ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ
أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الْكِتَابَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ .
لِأَنَّكُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يُرَوِّجُونَ وَلَا يُزَوِّجُونَ
بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ . وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْأَمْوَاتِ
إِنَّهُمْ يَقُومُونَ أَفَاقْرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى فِي أَمْرِ الْمَلِيْقَةِ كَيْفَ
كَلَّمَ اللَّهُ قَائِلًا أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ . لَيْسَ
هُوَ إِلَهُ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ . فَأَنْتُمْ إِذَا تَضِلُّونَ كَثِيرًا .

(مرقس ١٢ : ١٨ - ٢٧)

هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها الصدوقيون على مسرح الحوادث في
إنجيل مرقس . والصدوقيون حزب يهودي صغير ولكنهم يكوونون الطبقة
الارستقراطية في الشعب .. فمنهم رئيس الكهنة ، بل وغالبية الكهنة ينتمون
إليهم .. وكانت لهم ارتباطاتهم بالرومان فكانت الطبقة الحاكمة دائما تخرج
من صفوفهم . هذا وهم يختلفون كثيرا عن الفريسيين ، فهم لا يتمسكون إلا

بالكتب المكتوبة وخاصة أسفار موسى الخمسة ، ويرفضون رفضاً باتاً أى نوع من تقاليد الشيوخ التي يتمسك بها الفريسيون بشدة ؛ وبنوا عقيدتهم على إنكارهم للقيامة أو وجود روح أو ملاك ، على أنها لم تذكر في أسفار موسى .

وجاء جماعة منهم إلى يسوع لكي يجربوه في عقيدة القيامة ويحاولون إظهارها في صورة مضحكة . وانصب سؤالهم على الزواج من أرملة الأخ المتوفى الذي لم يتنجب نسلاً - وقد كان هذا الزواج مبنياً على ما جاء في (تثنية ٢٥ : ٥ - ١٠) . بمعنى أنه إذا مات رجل دون أن يتنجب نسلاً فينبغي على أخيه أن يتزوج زوجته ويعتبر أن الطفل الأول لبنا لهذا الأخ المتوفى ، وقد يموت الأخ الثاني والثالث وقد تتزوج إلى سابع أخ . وإذا ما أنجبت ابناً اعتبر ابناً للأخ الأول . وهذا الزواج كان المقصود منه أحد أمرين : إما لحفظ إسم الأسرة وإما لحفظ الميراث داخل العائلة . ولم يكن اليهود وحدثهم في هذا الأمر فقد كان عند اليونان تقليد يشابهه : فلو كان أب يوناني يمتلك بعض الممتلكات ولم يكن له إلا ابنة واحدة . فكان الميراث لا يؤول إلى الابنة بل إلى زوجها أو ابنها ، وكان يمكن للأب أن يترك الابنة والميراث لأي رجل يختار على شرط أن يتزوج هذه الابنة ، وإن مات الأب دون أن يعمل شيئاً فيستطيع أقرب رجل إلى الابنة أن يتزوجها ويأخذ الميراث . كان القصد كله حفظ الميراث في الأسرة .

ولقد كان سؤال الصدوقيين يتلخص في حالة مبالغ فيها من حالات هذا الزواج المعمول به في اليهودية .. امرأة تزوجت رجلاً مات دون أن يتنجب فتزوجها الأخ الثاني لينجب لأخيه نسلاً ولكنه مات دون أن يتنجب أيضاً وهكذا دواليك إلى الأخ السابع ، وفي نهاية الكمل ماتت المرأة .. ففي القيامة

لأيهم تكون زوجة .. وهنا سكت الصدوقيون منتفحين ظانين أنهم قد حطوا كل عقيدة القيامة .

وكان جواب يسوع ينقسم إلى شطرين :

١ - طبيعة القيامة وأسلوبها إذ بين أن القوانين الطبيعية الجسدية تنتهى فيطل الزواج ويصبح الناس كلائكة الله . ولم يكن كلام يسوع هذا جديداً على أسماخ اليهودى ، ففي سفر أخنوخ يقرأون « ستمتعون بفرح عظيم كلائكة الله » وهكذا يؤكد باروخ في كتابه ، ويعلم الربيون هذه العقيدة عينها «لاطعام ولاشراب ولا ولادة ولابيع ولاشراء ولاحسد ولا كراهية ، ولكن الصلاح يتوج الرؤوس ويصبح الجميع مملوئين بمجد الله » لقد كانت فكرة يسوع أن الحياة الآتية لا تقاس ولا تفهم بحسب قوانين الحياة الحاضرة .

٢ - حقيقة القيامة وهنا يوجه يسوع للصدوقيين نفس سهمهم فيجاوبهم من قلب الكتب التى ظنوها لا تبرر حادثة القيامة - أسفار موسى الخمسة ففي خروج ٣ : ٦ يقول الله إنه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، وحيث انه إله أحياء لا إله أموات فلا بد أن هؤلاء أحياء عنده ، وإن كانوا أحياء فلا بد أن القيامة موجودة وحقيقية . وهزم يسوع الصدوقيين على نفس أرضهم .

قد تبدو هذه القصة بعيدة عن إختبارتنا ، ولكننا نجد فيها حقيقتين أديتين .

١ - لقد أخطأ الصدوقيون بأن تصوروا السماء بصورة أرضية محضة وهذه غلظة الكثيرين فقد تصوروا المنود الحجر أنها نحوى أجل الصيد لأنهم كانوا

بطبيعتهم صيادون ، وتمتد إحدى القبائل المتقاتلة أن السماء هي المكان الذي يقاتلون فيه طول اليوم ، وفي الليل يقوم الأموات ويشقى الجرحى ، ويقضون كل الأمسيات في ولائم يشربون الخمر في كوؤس تصنع من جاجم الأعداء . وكان اليهود يكرهون البحر فكروا في سماء لا يوجد فيها البحر . وهكذا كره كل شعب الألم والحزن وظنوا السماء مكانا تزول فيه الأحزان وبهذا خلقوا السماء تلائم حالتهم .

هنا تفكير شخص ذاتي ولكن فيه كثير من الحق . ولكننا نحن لا نسعنا إلا أن نقول ما قاله بولس : « ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يتقونه » (١ كورنثوس ٢ : ٢٩ ، إيش ٦٤ : ٤) .

٢ — وبني يسوع عقيدة القيامة على حقيقة ارتباط الله بالرجل المستقيم وأبدية هذه العلاقة . فعندما يدخل الإنسان في شركة مع الإله الأبدى تصبح شركة أبدية . « إن الله لن يكف أن يكون لها من أحبوه وخدموه » وقال المرثم « لأنني دائما معك أمسكت بيدي اليمنى برأيك تهديني وبعد إلى مجد تأخذني » (مزمو ٧٣ : ٢٣ و ٢٤) لأنه لا يتصور أن علاقته بالله سوف تنقطع . وبعبارة أخرى : لا يوجد إلا شيء واحد خالد : المحبة .

المحبة لله والمحبة للقريب

فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ
أَجَابَهُمْ حَسَنًا سَأَلَهُ آيَةٌ وَصِيَّةٌ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ . فَأَجَابَهُ يَسُوعُ إِنَّ
أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ . الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ .

وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ
فِكَرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ . هَذِهِ هِيَ الرَّصِيَّةُ الْأُولَى . وَثَانِيَةٌ
مِثْلُهَا هِيَ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ
مِنْ هَاتَيْنِ فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ . بِالْحَقِّ قُلْتَ لِأَنَّهُ اللَّهُ
وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرٌ سِوَاهُ . وَتُحِبُّهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ
وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ وَتُحِبُّهُ الْقَرِيبَ كَالنَّفْسِ
هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُخْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ . فَلَمَّا رَأَاهُ يَسُوعُ
إِنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلِ قَالَ لَهُ لَسْتَ بَعِيدًا عَنِ مَلَكَوتِ اللَّهِ . وَلَمْ يَجْسُرْ
أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ .

(مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤)

لم يكن هناك اتفاق معهود بين خبراء الشريعة للوسوية وهم الكتبة وبين
الصدوقيين ، فيما اهتم الكتبة اهتماما بالفاظ بتفسير الشريعة تفسيرا واسما ولهذا
أقاموا حولها سياجا من التقاليد الشفوية التي تغطي كل نواحي الحياة - تقريبا ،
رفض الصدوقيون هذا التقليد ولم يقبلوه بتاتا ، ولهذا السبب فرح هذا الكتاتب
عندما سمع يسوع يسكت اعتراض الصدوقيين ويشجب منطقهم .

وجاء هذا الكتاتب بسؤال إلى يسوع لما ثارت حوله المناقشات العديدة ،
وانقسم الفكر اليهودي تجاهه إلى مدرستين : المدرسة الأولى أرادت أن توسع

في الشريعة توسعا ضحعا لا يحده حدود حتى نستطيع أن تغطي نواحي الحياة وبذلك سنوا آلافاً من القوانين والفواهي ، أما للدرسة الثانية فقد حاولت أن تجمع كل الناموس في جملة واحدة . فقد قيل مرة إن أحدم طلب من هليل أن يذكر الناموس وهو يقف على رجل واحدة فسكان جوابه « ما تكرهه لنفسك لا تفعله في جارك ، هذا هو الناموس كله أما الباقي فهو تفسير له . إذهب وتعلم » وسبقه اكيبا بالقول « إن أعظم ما في الناموس هو مبادؤه العامة » ، وسامان الصالح قال « يستند العالم على ثلاثة دعائم : الشريعة ، العبادة ، عمل المحبة » ويقدم سامليا أحد المعلمين دراسة وافية فيقول إن موسى أخذ من الرب ٦١٣ وصية ٣٦٥ منها بحسب أيام السنة ، ٢٤٨ على عدد أجيال الناس . ولكن داود جاء فأقتص هذا العدد كله إلى ١١ وصية في زمرور ١٥ ، ثم جاء إشعيا فأقتصها إلى ستة فقط (إش ٣٣ : ١٥) وميخا اختصرها إلى ٣ (ميخا ٦ : ٨) ، واختصر حبقوق الكل فقال « البار بالإيمان يحيا » (حبقوق ٢ : ٤) .

وكان السبب في انقسام اليهود إلى هاتين المدرستين هو تقييم الوصايا نفسها فبينما قال البعض إن هناك بعض المبادئ تعتبر جوهرية وفي غاية الأهمية دون غيرها قال آخرون إن كل الوصايا والشرايع والطقوس تقف على قدم المساواة . ومن يحاول أن يقاضل بينها فإنه يحطم ناموس الله .

وعلى هذا فقد كان سؤال هذا الكاتب ليسوع سؤالا مهما حيا لبني جيله . ولكن يماوب يسوع على هذا السؤال وضع وصيتين معا .

١ - الأولى « إسمع يا إسرائيل الرب الهك رب واحد ... » وهذه الجملة هي أساس عقيدة التوحيد عند اليهود (تثنية ٦ : ٤) . وهي جزء من الصلاة التي

تسمى « شماع » أى « يسمع » وهى تأتى من أول كلمة « إسمع » وصلاة
« الشماع » هذه تستخدم فى ثلاثة مواقف :

(أ) فهى الصلاة التى تبدأ بها الخدمة فى الجمع ، وتقال كاملة وهى
موجودة فى ثلاثة مقاطع ، مأخوذة من ثلاثة أمكنة من أسفار موسى (تثنية
٤ : ٦ - ١١ ، ١٣ : ٢١ ، عدد ١٥ : ٣٧ - ٤١) .

(ب) توضع أجزاءها الثلاثة فى صناديق جلدية وتعمل عصائب للجهة ولليد
(متى ٢٣ : ٥) يلبسها اليهودى المتمسك عندما يذهب للصلاة ليتذكر عقيدته
دأماً .

(ج) وتوضع فى صندوق صغير اسمه « ميزوزا » ويثبت فى باب منزل كل
يهودى وفى باب كل حجرة فيه . ولهذا فكل يهودى كان يعرف هذه الوصية
معرفة جيدة .

٧ - أما الثانية فهى « تحب قريبك ك نفسك » (لاويين ١٩ : ١٨) ،
لكن يسوع فى اقتباسه هذه الوصية عمل شيئاً واحداً فيها وهو أنه حولها من
تقييدها وتحديدها وجعلها مطلقة ، فالقريب عند اليهودى هو اليهودى أخيه ،
لكن يسوع حول معنى القريب إلى شىء أوسع وأعظم فاضحى القريب هو
كل إنسان .

أما الشىء الجديد الذى أدخله يسوع هنا فهو ربط الوصيتين معاً وجعلهما
وصية واحدة ، فى هذا الأمر لم يسبقه معلم واحد . نعم كانت هناك اتجاهات
حقيقية نحو هذا الأمر وخاصة فى كتابات « عهد البطارقة الإثني عشر » فى

عهد يساكر ٥ : ٢ يقول : « تحب الرب وتحب القريب ، وتشفق على الفقير والضعيف » ثم في ٧ : ٦ من نفس السفر « أحببت الرب وأحببت كل إنسان من كل قلوبى » وفي عهد دان ٥ : ٣ نجد « تحب الرب كل أيام حياتك ، وبمضكم بعضاً من قلب صادق » .

ولكن يسوع وحده هو الذى جعل من الوصيتين وصية واحدة ، وجعل الديانة تتألف من محبة الله ومحبة القريب .. بمعنى أن محبة القريب هى العلاقة الوحيدة لمحبة الله .

ولقد قبل هذا الكاتب هذا القول فقال إن محبة الله والقريب أعظم من الذبائح ، وبذلك أعلن أنه وصل إلى أعماق ما وصلت إليه اليهودية ، فن قبل قال صموئيل « هل مسرة الرب فى المحرقات والذبائح كما فى سماع صوت الرب ... » (١ صموئيل ١٥ : ٢٢) وردد هوشع نفس هذا القول « أريد رحمة لا ذبيحة » (هوشع ٦ : ٦) . إن العبادة السهلة التى تهتم بالذبائح ، بالطقوس ، ببناء الكنائس ، لا تنفع ، فهى التى جعلت الكاهن واللاوى يريان الجريح المحتاج ويعبران عنه لأنهما كانا ذاهبين إلى الهيكل ليقوما بخدمة الطقوس . أما العبادة الحقيقية فهى عبادة المحبة والإحسان .. هى العبادة التى لا تقام فى الهيكل فقط بل تقام فى كل الحياة فيصلح الإنسان كله ملكاً لله ..

لقد أحب المسيح الشاب لأنه ارتفع عن مستوى تفكير عصره ، ونظر إليه نظرة الدعوة والمحبة ، ولعله كان يقول له ، لقد تخطيت كثيراً من الحواجز والمعوقات والآن لست بمبدأ عن ملكوت الله .. فهل تقبل ؟

ابن دواڊ

ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم في الهيكل كيف يقول
الكتبة إن المسيح ابن داود . لأن داود نفسه قال بالروح
القدس قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئا
لقدميك . فداود نفسه يدعو ربا . فمن أين هو ابنه . وكان
الجمع الكثير يسمعه يسرورا .

(مرقس ١٢ : ٣٥ - ٣٧)

هذه القصة وإن كانت تبدو لنا نحن صعبة وغريبة في اتجاهاتها ومناقشاتها
لكنها سهلة ومألوفة لدى كل يهودي سمعها بينما كان يسوع يذكرها في أروقة
المبكل . ولكي نفهمها ينبغي أن نعلم أن كلمة « المسيح » وهي ترجمة للكلمة
اليونانية كريستس Chistos وللکلمة العبرية مسيا messiah لم تكن باسم
علم بل كانت لقباً . فهي تعني « الشخص المسوح من الله » وكان يطلق على
الملك هذا اللقب لأنه كان يمسح بدهن السحرة عندما كان يتوج ملكاً للأمة .
ولهذا فعندما كان يسوع يسأل « كيف يقول الكتبة إن المسيح هو ابن داود »
لم يكن يشير إلى نفسه مباشرة ، بل كان يقصد أن يسأل كيف يقولون إن
المسيح .. الملك المسوح من الله هو ابن داود ؟ » .

ولقد اقتبس يسوع مزمو ١١٠ : ١ لكي يدعم قواه ، وهذا المزمو كان
يعتبر من مزامير المسيا أو مسيح الرب ، وفيه يتساءل داود من الرب عن مجي
المسيا كأنه سيده وربّه ، فكيف يقول عنه إنه سيده إن كان هو ابنه ؟

فإذا كان يقصد يسوع هنا ٢. إن لقب ابن داود كان أكثر الألقاب
استخداما في الكلام عن المسيا ، وهذا واضح في العهد القديم (إسميائيل
٢: ٩ - ١١، ٧ - ١: ٩ - ٩ ، إرميا ٢٣: ٥ - إلخ ، ٣٣: ١٤ - ١٨ ،
حزقيال ٣٤: ٢٣ ... إلخ ، ٣٧: ٢٤ ، مزامير ٨٩: ٢٠ . إلخ) وبه خاطب
الجوع يسوع (مرقس ١٠: ٤٧ ، متى ٩: ٢٧ ، ١٢: ٢٣ ، ١٥: ٢٢ ،
٢١: ٩ و ١٥) وفي كل كتابات العهد الجديد إتضح أن يسوع كان من صلب
داود وخاصة في سلسلتي نسبة في متى ولوقا (رومية ١: ٣ ، ٢ تيموثاوس ٢: ٢٨ ،
متى ١: ١ - ١٧ ، لوقا ٣: ٢٣ - ٢٨) . ففي سؤاله هذا لم يقصد يسوع أن
يفكر أنه من نسل داود بل كان يقصد المسيا ليس فقط ابن داود بل هو أعظم
بكثير من ذلك إنه رب داود وسيده .

وتسكن المشكلة في أن هذا اللقب « ابن داود » حول إلى لقب المسيا الفاتح
الغازي الذي يقود الأمة إلى النصر بقوة السلاح ، فهو لقب سيامي قومي يعبر
عن مطامع اليهود في تكوين مملكة أرضي مجيد . ولهذا فلم يرض يسوع أن
يجعل هذا اللقب وحده يقتصر على معرفة الناس به ، إنه أعظم من ذلك إنه رب .
إن الناس ينبغي أن تتجه أفكارها لا إلى المسيا الغازي بل إلى الرب - إنه لم
يأت لتكوين مملكة أرضية بل ليأتي بالناس لله .

وعلى هذا فهو هنا يكرر محاولاته في إزالة فكرة المسيا المحارب الجبار من
عقول الناس ويضع مكانها فكرة المسيا عبد الرب الذي يأتي بالناس إلى نور
محبة الله الكاملة .

ديانة خاطئة

وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ تَحَرَّزُوا مِنَ الْكُتَيْبَةِ الَّتِي يَرْتَبِعُونَ
الْمَشَى بِالطَّيَالِسَةِ وَالتَّجِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ . وَالْمَجَالِسِ الْأُولَى فِي
الْمَجَامِعِ وَالثَّمَسَكَاتِ الْأُولَى فِي الْوَلَائِمِ . الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
مَيْوَاتِ الْأَرَامِلِ وَلَيْسَلَوْ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ . هُوَلاءِ يَأْخُذُونَ
دِينُونَ أَعْظَمَ .

(مرقس ١٢ : ٣٨ - ٤٠)

أعتقد أن الجزء الثاني من العدد ٣٧ يتبع هذا الفصل وليس الفصل السابق
كما يظهر ذلك في الترجمات الحالية وبحسب التقسيم العددي الحالي للأنجيل ،
فالناس لابد وأنها كانت تسمع يسوع يفرح عندما كان يوبخ الكتبة
والفريسيين لا عندما تسمع مناقشة لاهوتية . وهذه المناسبة يحسن أن نذكر أن
التقسيم العددي للكتاب المقدس ليس مضبوطا في كل حالة فقد قيل إن الذي
قسمه إلى آيات وأعداد هو الراهب استيفانوس ، وقد قام به في طريقه من
مدينته إلى مسكان طباعة الكتاب المقدس .

وفي هذا الفصل يوجه يسوع إتهامات قاسية إلى الكتبة منها :

أثمهم يحبون أن يسبوا لابسين طيالة واسعة طويلة ، ولقد كانت هذه
الأردية الواسعة في الشرق تعني الفنى والعظمة ، فن يلبسها هو رجل لا يعمل
ويسير بكل هدوء ، وهذا دليل على غناه وعظمته . وقد تعنى شيئا آخر كما ورد

أيضا في متى (٢٣ : ٥) إذ يطيلون الأذيال ويمهلون أهديا طويلا لها
(عدد ١٥ : ٣٨) ، والأصل في ذلك هو إظهار أنفسهم أنهم شعب للرب ،
ولكن الأمر تغير وأضحى الأمر هو إظهار أنفسهم فقط وجذب الانتباه إلى
شخصياتهم .

وهم يحبون التحيات في الأسواق حيث ينادون بكلمة « يا أبى » أو
« يا معلم » وهذه للناداة تشبع شهوتهم لحب الظهور .

ويحبون أن يتخذوا المقاعد الأولى في المجمع ، وكان في كل مجمع توجد
مجموعة من المقاعد في الأمام تواجه جمهور الحاضرين وتلاصق الصندوق الذى
فيه تحفظ الدرج المقدسة ، ومن يجلس هناك هو شخص مكرم مرموق ينظر اليه
بتبجيل .

يحبون الجلوس في المكان الأول في الولائم . والأمكنة في الولائم كانت
ترتب ترتيبا خاصا على شمال ويمين المضيف فكانوا يحبون هذه الأمكنة العالية .

ويسلبون بيوت الأرامسل : وهذه كانت عادة فريسية وحشية ذكرها
يوسيفوس مرات في كتاباته إذ قال « إن الفريسيين عظموا أنفسهم كجماعة ماهرة
في تفسير الشريعة الإلهية وتقليدات الآباء ، ولهذا فهم مختارو الله . . وفي مرات
كثيرة كانوا يدبرون مؤامرات قاسية وكثيرا ما كانوا يوجهونها ضد بعض
النساء » . وكانت هذه الفكرة تتلخص في أن الكاتب كان يظهر نفسه أنه
يعمل في ناموس الله بدون مقابل ، فكانت حاجاته تخدمها يدها ، ولكنه في
الوقت نفسه كان يوحى الى الناس أن الكاتب لابد أن يعيش في سعة حتى

يستطيع أن يعمل في خدمة الناموس ، فكان يمشى على هدايا بعض النساء والرجال . وكل من يقدم هذه العطايا له قدره عند هؤلاء الكتبة أما الذين لا يعطون ما هو مفروض عليهم أن يعطوه فكان القريسيون والكتبة يجبرونهم على الدفع بطرق ملتوية . . وخاصة النساء .

أما الصلاة للطويلة التي يقدمونها فكانت مملة ، لأنها لا تقدم الى الله بل للناس إنهم يقفون ليصلاوا في أمكنة يستطيع الجميع أن يروم منها يصلون .

في هذا الفصل القاسى يعلمنا يسوع بعض الأمور :

١ - انه يحذرنا من مرض الكبرياء . وكثيرون يظنون أنهم أخذوا صراخهم في الكنيسة لأنهم استحقوها وليس لأنهم عرفوا أن يخدموا متكررين ذواتهم كخدام لله . إنهم يظنون أن المركز الكنسى امتياز لا مسئولية .

٢ - انه يحذرنا من مرض حب الظهور . طبعا كل إنسان يحب أن يعامل باحترام لكن المسيحية تقول إن الأساس هو إنكار الذات لا تعظيمها . هناك قصة قيلت عن أحد الرهبان ، فقد أرسل الى أحد الأديرة ليكون رئيسه ، وقد كان متواضعا بدرجة أنه لما وصل الى الدير ظنه الرهبان واحدا من الرهبان البسطاء جدا فأرسلوه ليعمل في المطبخ ، وظل يعمل بكل همة ونشاط إلى أن جاء يوم زار فيه الأسقف هذا الدير واكتشف الأمر وارتفع الراهب المتواضع إلى مكانه اللائق به . إن الشخص الذى يدخل الخدمة لكي يحترمه الناس سيظل طيلة - خدمته - يعمل في المكان الخطيء إذ أنه يخدم نفسه لا المسيح .

٣ — يحذرنا من استخدام الدين لمصالحنا الشخصية لرفعة مرا كزنا ، لنوال ما نشتهي . إنه يحذر أولئك الذين يظنون أن يأخذوا كثيرا من الدين لا أن يعطون الكثير له وفيه .

أعظم عطية

وَجَلَسَ يَسُوعُ تِجَاهَ الْخِزَانَةِ وَنَظَرَ كَيْفَ يُلْقِي الْجَمْعُ نَحَاسًا فِي الْخِزَانَةِ . وَكَانَ أَغْنِيَاءَ كَثِيرُونَ يُلْقُونَ كَثِيرًا . فَجَاءَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ وَأَلْقَتْ فَلْسَتَيْنِ قِيمَتُهُمَا رُبْعٌ . فَدَعَا تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ الْأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقُوا فِي الْخِزَانَةِ . لِأَنَّ الْجَمِيعَ مِنْهُمْ فَضَّلْتَهُمْ أَلْقُوا . وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَاذِهَا أَلْقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا كُلَّ مَعِيشَتِهَا .

(مرقس ١٢ : ٤١ - ٤٤)

هناك بوابة إسمها : « باب الجميل » تقع ما بين دار الأمم ودار النساء في الهيكل ، ويلوح أن يسوع ذهب إلى ذلك المكان ليستريح قليلا بعد تعب المناقشات الحادة والتحديات الصعبة . وكان في مقابله في دار النساء ثلاثة عشر صندوقا للتقدمات إسمها « الأبواق » لأن شكلها كان يشابهها وكان لكل صندوق غرض خاص يدفع له الناس فيه ، فبعضها لشراء حنطة والآخر لشراء الزيت وهكذا . وعندما جلس يسوع هناك رأى أناسا يقدمون عطاياهم ، ولكنه لم يح من

بينهم امرأة مسكينة ألت بفلسين ، ووزن يسوع ما دفعته المرأة مع ما دفعه الأغنياء وعندئذ قيم هذه العطايا وقال : إن المرأة أعطت أكثر من الجميع لأنها أعطت كل احتياجها بينما أعطوا هم من فائض ما عندهم .
ونجد لأنفسنا عدة دروس للعطاء :

١ - لتكون العطية حقيقية يجب أن تكون بتضحية ، وقيمة العطية لا تهم ولكن مقدار ما كلفت العطي .. ليست الكمية ولكن مقدار التضحية . ولكم يتخجل الكثيرون منا عندما يقرأون هذه القصة ، فشاركتنا في عمل الرب لا تشم في رائحة التضحية بل إنه مشاركة الفضلات التي تسقط من موائدنا ، قد يكون هذا الموقف علامة على ضعف الكنيسة بل والسيحية أن العطايا تؤخذ من الناس الذين يظنون أنهم إنما يدفعون لأنهم يريدون أن يشتروا بشئ ما دفعوه إما عينات أو سرور أو تمتع .

٢ - العطاء الحقيقي هو العطاء الذي يتصف بروح المغامرة ، والا لأبقت هذه الأرملة فلساً واحداً معها، وهذا الفلاس بالنسبة لها له قيمته، ولكنها أعطت كل ما عندها . وعملها هذا عمل رمزي ، فما أندر ما نعطي كل شيء للمسيح ، لكننا نعطي جزءاً من نشاطنا ونحتفظ بالباقي ، جزءاً من وقتنا ونحتفظ بالباقي ، جزءاً من حياتنا ونحتفظ بالباقي ، إننا قليلاً ما نعطي بتضحية كاملة . . . نعطي كل ما عندنا .

٣ - إنه من الممتع والمشجع حقاً أن الشخص الذي أبرزه المسيح واحتفظ العهد الجديد بشخصيته كثال على التضحية والعطاء السخي هو الشخص الذي دفع فلسين . فقد نشعر أننا لا نمتلك شيئاً من المال أو شيئاً من المواهب التي تهز العالم، ولكن لنضع القليل جداً الذي لدينا في يد المسيح وهو يفعل به أكثر جداً مما نتخيل أو نفتكر .

الأصحاح الثالث عشر

يعتبر الأصحاح الثالث عشر من أصعب الأصحاحات فهماً للتفكير الحديث والسبب في ذلك هو أنه كتب من وجهة النظر اليهودية وامتلاءً بالتفكير اليهودي الذي لم يعد التفكير الحديث يحتمله كثيراً ، فالصور التي يستخدمها يسوع غير معروفة لنا وغير مفهومة . ولكن مع ذلك لا نستطيع أن نضرب صفحاً عن هذا الأصحاح لأنه مهم جداً للعقيدة المسيحية وخاصة عقيدة المجيء الثاني .

وعقيدة المجيء الثاني أصبحت مشككة عصرنا بل وكل العصور ، فلقد انقسم الناس تجاهها إلى فريقين : فالواحد يهمل هذه العقيدة إهمالاً تاماً كأنها لا تكون جزء من التراث المسيحي ، والثاني يهتم بها ويدرسها لدرجة أنها أضحت بالنسبة لهم العقيدة المسيحية الوحيدة . ويمكن أن نقرر والحالة هذه أن فكرة صحيحة عن هذا الأصحاح قد تصحح تفكيرنا بعض الشيء عن هذه العقيدة المهمة .

وأهم ما نعمله الآن هو أن ندرس التراث اليهودي بخصوص هذه العقيدة .. ندرس عناصره وأفكاره ومحلله .. ثم ندرس هذا الأصحاح جزءاً جزءاً وأخيراً نحاول أن نستخلص منه حقائق ثابتة دائمة لا بد أن تبقى في الكنيسة .

يوم الرب :

هناك فكرة مهمة يجب أن نبدأ بها هذا البحث ، ولا بد أن نرجع إليها مرات كثيرة إذا أردنا أن نعرف اتجاهات هذا الأصحاح . هذه الفكرة هي أن اليهود في كل عصورهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، ويعتقدون أنهم يوماً ما سوف يرتقون إلى المكانة اللائقة بهم . ولكنهم بعد جهاد عنيف

لسنوات طويلة قاسية هجروا الفكرة القائلة بأنهم قد يصلون إلى هذه المكاة التي ينتظرونها عن طريق الوسائط البشرية ، وبدأوا يتمسكون بالفكرة بأن الله لا بد وأن يتدخل تدخلاً فعلياً وقوياً ليأني بذلك الوقت السعيد . والوقت الذي فيه يتدخل أطلقوا عليه إسم « يوم الرب » . ولقد قالوا إن يوم الرب هذا سوف يسبقه أيام ضيقة عظيمة . أيام قاسية ومرعبة ، ثم يقبل هذا اليوم العظيم جباراً قوياً يززع أساسات السماء والأرض ويوقف الجميع أمام الدينونة الرهيبة ، وبعد أن يصفى الناس والعالم يخلق أرضاً جديدة وماء جديدة .

هذه العقيدة بتضارب فيها النقيضان . ففيها التفاؤل الذي لا يمكن أن يهزم ، الذي يؤمن بأن الله لا بد وأن يتدخل لنصرة شعبه ، وفيها التشاؤم المرير الذي يؤمن بأن العالم قد وصل إلى درجة من الفساد لا يمكن معها إصلاحه . لا بد من تغييره تغيراً كلياً .

دعنا ندرس بعض فصول العهد القديم لنعرف شيئاً عن يوم الرب هذا .

« . . في جميع الأسواق نحيب وفي جميع الأروقة يقولون آه آه ، ويدعون الفلاح إلى النوح وجميع عارفي الرثاء للندب ، وفي جميع الكروم ندب ، لأنني أعبر في وسطك قال الرب . ويل للذين يشتمون يوم الرب . لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور ، كما إذا هرب الإنسان مع أمام الأسد فصادفه اللدب أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية ؟ أليس يوم الرب ظلاماً لا نوراً وقتاماً ولا نور له » (عاموس ٥ : ١٦ - ٢٠) .

« ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء . . . لذلك ترتخي كل الأيدي ويذوب كل قلب إنسان ، فيرتاعون تأخذهم أوجاع

ومخاض يتلون كوالدة ، يهتمون بعضهم إلى بعض ، وجوههم وجوه لهيب .. »
(إشعياء ١٣ : ٦ - ١٦) .

وهكذا نجد الأصحاحين الثاني والثالث من يوثيل مملوئين بالويلات القاسية
عن يوم الرب . وتتوالى النصول في العهد القديم لتصف يوم الرب المفاجيء
للرعب الذى يهز كيان الناس والعالم ، سيطوى العالم فى خراب كامل ، وهيئة
الطبيعة وقوانينها سوف تقتلع وسوف ينظر الناس الإله الديان آتياً فى دبنونة
رهيبة .

وهناك ما ينبى أن نلاحظه فى تاريخ اليهود ، فإنه فى الفترة التى تسمى
« ما بين المهدين » قضى اليهود معظم هذه السنوات تحت سيطرة خارجية قاسية ،
ولهذا السبب تمسكوا بشدة بمعتقدهم فى يوم الرب ، وحاولوا أن يرسوموه
ويرسموا ماذا يمكن أن يكون فيه ، ولما لم تكن هناك لغة واقعية علمية تستطيع
أن تصف ذلك اليوم فقد استمضوا عنها بلغة الرؤى ، وظهرت الكتب المكتوبة
بهذا الأسلوب الرؤوى التى عادة ما يسمونه : « أبوكالبتك » apocalypses
وتعنى كشف أو إعلان. هذه الكتب الرؤوية كتبت فى أسلوب شعرى لائثرى ،
إنها رؤى لا كتابة علمية .. لأنها ليست تاريخاً واقعياً تمسك بكل تفاصيله ونبى
عليه حقائق ثابتة .

وفى هذا الفصل يستخدم يسوع بعض تعبيرات هذا الأسلوب الرؤوى ،
لأنها اللغة التى يسهل على الناس فهمها ، ولكنه كان يعرف كما كان سامعوه
يرفون أن هذه اللغة هى عبارة عن صور تعطى فكرة عما قد يفعله الله عندما
يتدخل بقوة فى التاريخ .

الاتجاهات المختلفة :

يمكن للقارئ أن يلاحظ اتجاهات مختلفة في التفكير في هذا الأصحاح ،
ويلاحظ أن كتابة الأناجيل جمعوا كل أقوال يسوع عن المستقبل ووضعوها معاً ،
ولهذا فيستطيع أى قارئ أن يميز بين خمسة اتجاهات يتكلم عنها يسوع
في هذا الأصحاح :

١ - هناك نبوات عن خراب أورشليم (١٣ : ١٤ و ٢١ و ٢٠) لقد تنبأ
يسوع عن خراب هذه المدينة وتمت نبوته عام ٧٠ م فأيد الهيكل وضاعت
كل معالم الشعب بالقسوة والجبروت الرومانى .

٢ - تحذير عن اضطهادات مقبلة (٩ - ١٣) إن أتباع يسوع
سيجوزون في اضطهادات ومرائر لا يتخيلها العقل ، وقد سبق فقال
لهم عنها .

٣ - تحذيرات بخصوص اخطار الأيام الأخيرة (٣ - ١٦ و ٢١ و ٢٢) سيقوم
أناس يحاولون بلبلة الأفكار وتحريف الإيمان ، ولقد حدث ذلك ، وما أكثر
ما سمع الناس لعقولهم المتسكبة وسدوا آذانهم عن صوت الله ، ولهذا أراد
يسوع أن يحى جميع تلاميذه من البدع والضلالات التى سبق قرأها .

٤ - إنذارات بخصوص الجيئة الثانية : (٧ و ٨ ، ٢٤ - ٢٧) ولقد
ذكر الجيئة الثانية فى الأسلوب الذى ذكر فيه يوم الرب فأضحت الجيئة الثانية
ويوم الرب بمتزجان معاً ، ولقد استخدم يسوع نفس اللغة التى استخدمها
الرؤويون ، ولهذا فإن كنا لا نأخذ كلام الرؤى حرفياً فلا ينبغي أن نأخذ كلام

يسوع وتصويره للمستقبل على أنه كلام حرفي ، لأنه يستخدم لغة العصر الذي يفهمها معاصروه .

٥ — إنذرات بخصوص وجوب السهر (٢٨ - ٣٧) فإذا كان الإنسان يعيش دائماً متوقفاً إنبلاج الأبدية في كل ساعة ... وإذا توقع تدخل الله في كل وقت وإذا توقع إنبلاج السماء ومجيء ابن الإنسان وبعد ذلك النهاية .. وإذا كانت كل هذه الأوقات معروفة لدى الله وحده وجب علينا أن نكون ساهرين .

وبهذا نستطيع أن نفسر هذا الأصحاح .. فإذا ذكرنا هذه الاتجاهات الفكرية التي تكون هذا الأصحاح ، وإذا ذكرنا أن يسوع تكلم عن مجيئه الثاني بنفس الأسلوب الذي يستخدمه العهد القديم في الكلام عن يوم الرب فإننا نستطيع أن نفهم هذا الأصحاح جيداً .

ولهذا فسوف نتقدم لدرس هذا الأصحاح لافي أعداد متتالية كما فعلنا من قبل بل ندرس بطريقة موضوعة أي نقسمه إلى مواضيع وندرسه .

خراب مدينة

وَفِيْمَا هُوَ خَارِجٌ مِّنَ الْمَيْكَلِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِّنْ تَلَامِيذِهِ
يَا مَعْلَمُ انظُرْ مَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ وَهَذِهِ الْأُبْنِيَّةُ . فَأَجَابَ يَسُوعُ
وَقَالَ لَهُ أَنْتَظِرْ هَذِهِ الْأُبْنِيَّةَ الْعَظِيمَةَ . لَا يُتْرَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ
لَّا يُتَّقَضُ .

(مرقس ١٣ : ٢١)

ولنبداً دراسة هذا الأصحاح بالتسكلم عن الهيكل ثم المدينة التي خربت.
لقد كان الهيكل الذي بناه هيرودس إحدى عجائب الدنيا ، فلقد بدأ في إقامته
من ٢٠ - ١٩ ق م ولم يكن قد انتهى بناؤه بعد في أيام المسيح . وكانت
مبانيه فوق جبل الريا ولم يشأ هيرودس أن يسوى قمة الجبل حتى يبنى هذا البناء
الضخم فوقه ولكنه عمل له مسطحاً صناعياً ضخماً على أربعة جدران قوية قواها
بمجموعة من الركائز للضخمة لكي تتحمل ثقل المباني . ويقول بوسيفوس إن
بعض الأحجار التي استخدمت في البناء كانت غاية في الضخامة طولها ٤٠ قدماً
وعرضها ١٨ قدماً وارتفاعها ١٢ قدماً ، ولهذا فلا عجب أن اندهش التلاميذ
عندما ذكر لهم يسوع أنه لن يبقى حجر على حجر من هذه الأحجار الجارية . وكان

المدخل الرئيسي للهيكل من الجنوب الغربي حيث ارتبطت مباني الهيكل
والمدينة نفسها بفتحة هائلة فوق واد متسع ، كانت هذه الفتحة مقامة على
أقواس ضخمة إتساعها ٤٢ قدما استخدمت في بنائها أحجار طولها ٢٤ قدما .
كان عمق الوادي حوالي ٢٢٥ قدما واتساع الصخرة التي ارتكزت عليها
الفتحة ٣٢٤ قدما ، وكان اتساع الفتحة نفسها ٥٠ قدما . وكانت تؤدي إلى
الحجرة الملوكية مباشرة حيث بنيت من صفيين من الأعمدة الرخامية الكورنثية
عددها ٣٧ عموداً ، كل واحد قطع من قطعة واحدة من الرخام .

أما مباني الهيكل نفسها فقد وصفها يوسيفوس في قوله « إن الواجحة كانت
تذهل جميع الناظرين إليها فقد طليت بمادة ناصعة البياض وغطى جزء كبير منها
بأطباق ذهبية لا يستطيع أى إنسان أن يثبت نظره فيها ، فيريقها اللامع كان
لا يقل شدة عن بريق الشمس نفسه ، ولكن هذا اللامع كان مرشدا للحجاج
إذ كانوا يرونه من مسافات شاسعة . أما أحجام الأحجار التي أقيم منها الهيكل
فكانت ضخمة جدا فطولها حوالي ٢٠ مترا وارتفاعها متران وعرضها
ثلاثة أمتار .

هذه هي المباني الجبارة الهائلة التي ظلها الفلاميد باقية الى الأبد ، وصعدوا
عندما أنبأهم يسوع بأنها سوف تزول ولا يبقى فيها حجر على حجر لا ينقض
وتمت نبوة المسيح بعد أقل من خمسين عاما من نطقها .

« إن كبرياء الإنسان ومجده لا ينفمان » فكل ما يبنيه ويقب فيه من
أبراج وحصون سوف يهدم ، ولكن قوة الله هي قلاعى وحصونى فى كل
ساعة ووقت .

آلام مدينة

فَتَى نَظَرْتُمْ رِجْسَةَ الْخُرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَا نِيَالُ النَّبِيِّ قَائِمَةً
حَيْثُ لَا يَنْبَغِي . لِيَفْهَمَ الْقَارِئُ . فَحِينَئِذٍ لِيَهْرَبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ
إِلَى الْجِبَالِ . وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلَا يَنْزِلُ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا يَدْخُلُ
لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا . وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى الْوَرَاهِ
لِيَأْخُذَ ثَوْبَهُ . وَوَيْدَلُ لِلْحَبَالَى وَالْمَرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ .
وَصَلُّوا لَكِنِّي لَا يَكُونُ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءِ . لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي
تِلْكَ الْأَيَّامِ ضَيْقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا
اللَّهُ إِلَى الْآنَ وَلَنْ يَكُونَ . وَلَوْ لَمْ يُقْصِرِ الرَّبُّ تِلْكَ الْأَيَّامَ لَمْ
يُخَلِّصْ جَسَدًا . وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ قَصَرَ
الْأَيَّامَ .

(مرقس ١٣ : ١٤ : ٢٠)

في هذا الفصل يصف يسوع الكوارث الفظيعة التي تحمل على أورشليم في
حصارها وسقوطها . وكان قصده من ذلك هو أن يحذر الناس منها ليهربوا
بمجرد أن يروها آتية في الأفق ، ولكنهم فعلوا عكس ما قاله لهم ، فبدلاً من
أن يهربوا تجمعوا في وسطها وهناك قتلهم السيوف وماتت الآلاف الكثيرة .

أما عبارة « رجسة الفساد » فقد وردت أولا في سفر دانيال [دانيال ٩ : ٢٧ ، ١١ : ٣١ ، ١٢ : ١١] ومعناها الحرفي « الفساد المرعب » وقد ذكرت لتصف ما عمله أنطوخينوس ايفانوس الذي حاول أن يستبدل الديانة اليهودية بالعبادة والمدنية اليونانية ، فقدم الخنزير محرقة على المذبح وأقام شعائر الديانات اليونانية . ثم أقام تمثالا كبيرا للاله « زيوس » وأمر الناس أن يعبدوه ، ويقول سفر المكابيين . « في الخامس عشر من شهر كاسلوف سنة ١٤٥ أقاموا رجسة الفساد على المذبح وبنوا المذابح الوثنية في كل يهوذا » . فرجسة الفساد هي المذابح الوثنية وكل ما كان يتصل بها ، وهكذا كانت نبوة يسوع أيضا ، فقد رآها آتية ، وقد حدث ذلك سنة ٤٠ م عندما حاول الامبراطور الحنون كاليجولا أن يقيم تمثاله ليعبد كإله في وسط الهيكل رغم نصيحة الذين أحاطوا به ، ولم ينفذ الأمر إلا موته في سنة ٤١ م .

فإذا كان يعنى يسوع رجسة الفساد ؟ لقد كان اليهود ينتظرون ليس فقط المسيا الذي يخلصهم ولكنهم كانوا ينتظرون ظهور قوة جبارة مضادة هي عبارة عن تجسيد حى للشر ، سماها بولس « إنسان الخطية » ، ورأى يوحنا أن القوة الرومانية هي هذه القوة الشريرة ، وهذا ما عبر عنه يسوع في نبوته في رجسة الفساد فكأنه يقول « يوما ما قريبا جدا سترون قوة الشر وقد أعلنت فتهمج على المكان المقدس وتحاول أن تحطمه » وبذلك عبر عن الحوادث الآتية بتعبيرات شائعة .

وفي سنة ٧٠ م ميلادية سقطت أورشليم بعد أن حاصرها بنطس الرومانى ، وقصة حصارها وسقوطها تمد من أقسى صفحات التاريخ فلقد مات الشعب داخل المدينة وهم مكندسون في وسطها بمئات الألوف ، مزقتهم الجاعات والاتقسامات وسيف الرومان ، ولقد وصف بوسيفوس هذه النهاية في الجزء الخامس من

كفأبه «حروب اليهود» ٩٧٠٠٠ أخذوا أسرى ، مليون ومائة ألف قتلوا بالجوع والسيف . ولقد اتسعت المجاعة فأبادت عائلات وبيوتا بأسرها ، وامتلات العليات بالنساء والأطفال الذين ماتوا جوعا ، وتكدست الجثث في الحواري ، وتجول الشباب والصبيان كالأشباح في المدينة والأسواق وكانوا يتساقطون واحد بعد الآخر . ولم يستطع إنسان أن يدفن موتاه ، ولما حاول بعضهم كانوا يدفنونهم مع الموتى ولقد دفن الناس أنفسهم أحياء ولم تكن هناك مرأى ولا أحزان لأن المجاعة أخذت كل عاطفة بشرية ، وجاء على المدينة صمت هائل . ولقد فتش كثيرون على الجيف والجثث التي ما كانوا يطيقون أن يروها بأعينهم وأكلوها ، وكانوا يمضغون جلود أحذيتهم ، وبلغ الأمر أن ذبحت إحدى الأمهات لبنها وأكلته وأعطت جزءا منه لبعض الناس »

لقد تمت نبوة يسوع وماتت مئات الألوف وسط المدينة أما الذين سمعوا صوته وأخذوا بنصيحته فقد نجوا من هذا العذاب البشري الذي يفوق كل وصف .

الطريق الصعب

فَانظُرُوا إِلَى نَفْسِكُمْ . لِأَنَّكُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ وَتُجَلَّدُونَ فِي مَجَامِعَ وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وُلاَةِ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ لَكُمْ . وَيَتَّبِعِي أَنْ يُكْرَزَ أَوْلَا بِالْإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ . فَتَمَتَّى سَأُفَوِّكُمْ لِئَسَلِّمَكُمْ فَلَا تَعْتَنُوا مِنْ قَبْلِ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ

وَلَا تَهْتَمُوا . بَلْ مَهْمًا أُعْطِيتُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَبِذَلِكَ تَكَلَّمُوا .
لِأَنَّ لَكُمْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ . وَسَيُسَلِّمُ الْآخِ
أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ وَالْأَبُ وَالِدَهُ . وَيَقُومُ الْأَوْلَادُ عَلَى وَالِدِيهِمْ
وَيَقْتُلُونَهُمْ . وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي .
وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ .

(مرقس ١٣ : ٩ - ١٣)

نأتي الآن إلى النبوة عن الاضطهادات وفي الحق لم يترك يسوع أتباعه
يمهلون ما ينتظرهم هم ، إن يسوع يفتح عيون الناس على الحقيقة دائماً .

أما النسليم إلى الجالس وأيدي الرؤساء والجلد في الجامع فقد عني به يسوع
الاضطهاد الذي يقع عليهم من اليهود . فقد كان السنهدريم هو المحكمة اليهودية
المليا ، ولكن في كل قرية ومدينة كان هناك نوع من هذه الجامع تحكم على
المراطقة بالجلد العلفي . أما الحكام والملوك فقد عني هم الرومان . كما حوكم
بولس أمام السلطات الرومانية من أمثال فيلكس وفتوس وأغريباس .

ولقد كان للايمان المسيحي أثره الكبير في تقوية الشهداء الذين واجهوا كل
ما يمكن أن يتخيله إنسان من اضطهادات ولكن في شجاعة وعزم . لقد كانوا
أعمى بسطاء قراء ولكن كانوا في ثباتهم مثلاً للصبر والشجاعة والرجاء .

أما مسألة عداوة الإنسان لأهل بيته فقد كانت إحدى لعنات المجتمع الروماني ،
فلم يكن يتردد بعض الناس أن يبلغوا عن أقربائهم إلى الرؤساء بأنهم غير
مخلصين للدولة .

وقد قيل إن أحد الرعايا الألمان في عهد هتلر قبض عليه وسجنوه وعذبوه عذابا عظيما ولكنه تحمل عذابه بشجاعة وصبر دون شكوى أو تذمر . ثم أطلق سراحه ، ولشدة اندهال الناس الذين عرفوا قصة شجاعته أنهم سمعوا نبأ انتحاره ، ولكنهم أخيراً عرفوا سبب ذلك لقد علم الرجل بعد خروجه أن ابنه هو الذى وشى به لدى السلطات فقبض عليه وعمل هكذا فلم يمكنه أن يتحمل الصدمة رغم شجاعته . بل إن عداوة الأقرباء ذكرت في كتب الأبوكريفا على أنها إحدى ضربات الأيام الأخيرة . « وسوف يهاجم الأصدقاء بعضهم البعض فجأة » [٤ إسدرا ٥ : ٩] . « وسيكرهون بعضهم البعض ويحاربون بعضهم البعض » [٢ باروخ ٣ : ٧٠] . « وسيكره بعضهم البعض الكبير ضد الصغير ، والصغير ضد الكبير ، الفقراء ضد الأغنياء ، والمنعطين ضد المعظماء . [اليوبيل ١٩ : ٢٣] . . وهكذا . إن الحياة ستقلب جميعا عندما يختفى الإخلاص وتزول الحجة ولا تبقى روابط عائلية .

ولقد كره الناس المسيحيين واتهموهم بأنهم سحرة مشعوذون ، والسبب في ذلك لأن المسيحية دخلت عميقا في الربط العائلية ، وكان المسيحي يحب المسيح أكثر من إخوته أو أولاده أو والديه . ولكن الكراهية زادت بسبب موقف المسيحيين الذى أثار الشكوك فيهم ، ولعل ذلك كان راجعا إلى الإشاعات الخبيثة التى أطلقها الكثيرون عليهم وخاصة اليهود ، وأم هذه الإشاعات هى أن المسيحيين هم أكلة لحوم البشر وذلك راجع إلى سوء فهم لقريضة العشاء الربانى . في هذه كلها يتحقق قول السيد « من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » فالحياة ليست موقفاً ولا معركة واحدة بل هى سياق مستمر . . سلسلة من المعارك ومن يصير فيها إلى المنتهى فهذا سينتصر . ويخبرنا ج جيفرسون عن أحد مشاهير

الرجال أنه رفض أن يكتب تاريخ حياته في إبان نجاحه وقال « لقد رأيت
كثيرين جداً يسقطون صرعى الفشل بعد النجاح الضخم » فالحياة ليست مضمونة
إلا بعد النهاية ، ولقد رأى يوحنا بنيان أن من أبواب السماء نفسها توجد مسالك
تؤدي إلى الجحيم .

أخطار الأيام الأخيرة

وَفِي مَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ مُتَّجِأً الْهَيْكَلِ سَأَلَهُ بُطْرُسُ
وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوَسُ عَلَى انْفِرَادٍ . قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا
وَمَا هِيَ الْعَلَامَةُ عِنْدَ مَا يَتِمُّ جَمِيعُ هَذَا . فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَابْتَدَأَ
يَقُولُ انظُرُوا لَا يَضِلُّكُمْ أَحَدٌ . فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي
فَأَتِلِينَ إِنِّي أَنَا هُوَ . وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ .

حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُوَذَا هُنَاكَ
فَلَا تُصَدِّقُوا . لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَّاءَ كَذَبَةٍ وَأَنْبِيَاءَ كَذَبَةٍ وَيُعْطُونَ
آيَاتٍ وَعَجَائِبَ لِكَيْ يُضِلُّوا أَوْ أَمَكْنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا . فَانظُرُوا
أَنْتُمْ . هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ .

(مرقس ١٣ : ٣ - ٦ ، ١١ - ٢٣)

لقد أنبا يسوع تلاميذه أن بعض المضللين سيظهرون في الأيام الأخيرة ،

ولقد ظهرت بالفعل كثير من البدع والمرطقات ليس بعد ذلك الوقت بكثير .
وهناك ثلاثة أسباب رئيسية للمرطقات .

١ - المرطقة تنبع من محاولة الشخص تكيف العقائد بحيث تتوافق مع حالته الروحية وبهذا ينطبق قول كاتب الزمور « قال الجاهل في قلبه ليس إله » إن هذا الجاهل ليس إنسانا غيبيا عقليا ولكنه غيبي روحيا ، وهذه النتيجة لم يصل إليها عقليا فأنكر وجود الله ولكنه حاول أن يستبعد الله من حياته ، لأن الله بالنسبة له شيء لا يطابق ولا يحتمل ، فالله إذن غير موجود . إن إحدى المرطقات أو الضلالات الشائعة هي ضلالة « ضد الناموس » . ويسير الجاهل في مناقشته هكذا : نحن الآن لسنا تحت الناموس ، وهذا حق . نحن الآن في عهد النعمة ، وهذا حق . ونعمة الله تكفي لكل خطية فهي أعظم من أن تعجز عن غفران أية خطية ، وهذا حق . إذن دعنا نخطيء لكي نعطي الفرصة لهذه النعمة العظيمة لتعلمن عن نفسها وعن مجدها . دعنا نعمل ما نريد » وهكذا يكيف الجاهل نعمة الله على حسب هواه .

وهناك مرطقة أخرى وهي أن الروح أهم من الجسد . الروح كل شيء والجسد لا شيء ، وإن كان كذلك فالإنسان يستطيع أن يعمل كل شيء بجسده وهذا لا يهم لأن الجسد تافه . فلا داعي لأن نضطرب ولنعطله كل احتياجاته وشهواته . وبهذا يكيف العقيدة لتوافق رغباته . وإذا نظرنا إلى عقيدتي مجيء المسيح والسماء والجحيم ورأينا كيف أن المسيحيين يحاولون أن يسقطوها من العقائد لأنها لا توافقان الذوق الحديث لعرفنا أن المسيحية تقف الآن في مواجهة بدعة جديدة -

٢ — والمرطفة تنشأ ثانية عن تأكيد حقيقة على حساب الحقائق اللاهوتية الأخرى ففي بحث صفات الله مثلاً قد نخطئ إذ نرجع صفة على صفة أخرى . فمثلاً لو فكرنا أن الله قدوس فقط فلا نستطيع أن نقرب منه أو نكون علاقة معه بل نفكر في إله بعيد ومفصل انفصلاً تاماً عن العالم ، ولو فكرنا في عدل الله فقط لمشنا حياتنا في خوف دائم منه ، ولو فكرنا في إله الهبة فقط لكنا ديانتنا ديانة العواطف والإحساسات التي لا تقف أمام الحقائق الأخرى . ففي المهد الجديد نجد أصحاحات أخرى تلازم لوقا ١٥ ولا بد من وجود تناقض ظاهري في المسيحية : فالله المحب هو الله العادل . . الإنسان حر لكن الله يدير ويدبر كل شيء . . الإنسان يعيش في الزمان وأسكنه مخلوق خالد . واستقامة الرأي في الديانة تشبه إنساناً يسير على حد سيف لو مال إلى الشمال أو اليمين يسقط . . يجب أن ترى الحياة ككل .

٣ — والمرطفة تقوم ثالثة من محاولتنا تكييف الديانة بحسب أمزجة الناس ، وهذه الكيفية يزول مجد الديانة . . يزول منها التويخ والتواضع والمسئولية الأخلاقية . إن عمل رجل الدين هو أن يغير الناس ليسبروا حسب الديانة لأن يغير الديانة لتسير حسب مزاج الناس .

٤ — والمرطفة تقوم من الإنقطاع عن الشركة المسيحية ، فكما فكر الإنسان وحده كلما كان قريباً من منطقة الخطر . هناك تقليد الكنيسة . . هناك مركز الكنيسة كعمود الحق فيجب أن نصدق هذا ، ومن يجد نفسه منفصلاً في تفكيره عن هذا كله فليفتش في نفسه فالخطأ قد يكون فيه . . إن الكنيسة الكاثوليكية محقة في قولها : إن الإنسان لا يستطيع أن يقول إن الله أبوه قبل أن يقول للكنيسة « أمه »

• - وتقوم المرطقة أخيراً من محاولة الإنسان أن يكون واضحاً كل الوضوح.
وهنا نجد التناقض الظاهري واضحاً . فبينما نريد أن نجعل عناصر إيماننا واضحة
مفهومة للجميع نجز عن أن نحتوى اللاهوت الغير محدود في عقولنا المحدودة ،
ولهذا فاللاهوت الأنيق المحدد الموضوع في تقسيم كامل هو لاهوت مشكوك فيه
مقناقض ، لأن اللاهوت ليس رياضة ولا هندسة ، « فالجاهل وحده هو الذى
يريد أن يضع السماء في عقله لأن عقله سينفجر ، أما الحكيم فهو من يضع رأسه
في السماء » . فعندما نفكر في ذكاء وعبقرية لنذكر أن هناك أسراراً عميقة لم
نصل إليها بعد .. ما علينا إلا أن نقف أمامها بخشوع نعبد ونصلى ونمجد ، وكما
قال تريليان « إننا نؤمن لأننا لا نستطيع أن نفهم كل شيء » .

مجيئه الثانى

فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَبِأَخْبَارِ حُرُوبٍ فَلَا تَرْتَأَعُوا . لِأَنَّهَا
لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ . وَلَكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بِمَدُّ . لِأَنَّهُ تَقُومُ
أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَتَمْلِكَةُ عَلَى تَمْلِكَةٍ وَتَكُونُ زَلْزَلٌ فِي أَمَاكِنَ
وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَاضْطِرَابَاتٌ . هَذِهِ مُبْتَدَأُ الْأَوْجَاعِ .

وَأَمَّا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ يَمُدُّ ذَلِكَ الضِّيْقِ فَالشَّمْسُ تُنْظِلُ وَالْقَمَرُ
لَا يُعْطِي ضَوْؤَهُ . وَجُجُومُ السَّمَاءِ تَسَاقُطُ وَالْقَوَاتُ الَّتِي فِي السَّمَوَاتِ
تَتَزَعَّعُ . وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ

كثيرةٍ وَتَجْدٍ . فَيُرْسِلُ حِينئذٍ مَلَائِكَتَهُ وَيَجْمَعُ مُخْتَارِيَهُ مِنْ
الْأَرْبَعِ الرِّيَاحِ مِنْ أَقْصَاءِ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ .

(مرقس ١٣ : ٧ و ٨ ، ٢٤ - ٢٧)

هنا يتكلم يسوع عن مجيئه الثاني موضعاً إياه بثلاث صور مأخوذة من
« يوم الرب » كما ورد في كتابات اليهود والعهد القديم .

١ - فيوم الرب يسبقه حروب . ويقول عزرا « اضطرابات في أمكنة
وقلاقل في الناس وكره في الأمم وقلق للرؤساء وزججرة في الأمراء » [٣ : ٩]
وفي مكان آخر يقول : « وسيغشى ساكني الأرض ذهول ودهشة وسيحاربون
بعضهم بعضاً . مدينة تحارب أخرى ومكان ضد آخر وشعب يقوم على شعب
ومملكة على مملكة » ويقول كتاب آخر « ملك يأمر ملكاً ويأخذ أرضه
ومملكة تحطم مملكة فيهرب حكامها إلى أرض أخرى . وتتغير الأرض وتتغير
البرابرة على اليونان ويمتصون تروتها ويحياه الناس المهلاك بها » [نبوات ساب
٣ : ٦٢٣ - ٦٤٧] .

ويشير باروخ إلى اثني عشر شيئاً تسبق العهد الجديد « أولاً قلق ثم ذبح
العظماء وثالثاً موت كثيرين ورابعاً قتل بالسيف وخامساً جوع وقحط وسادساً
زلازل ورعب وثامناً أرواح شريرة تهجم وتاسعاً سقوط نار وعاشراً الظلم
وحادى عشر شر وفساد وثاني عشر اضطراب من جراء هذه الضربات »
وعندما يتكلم يسوع عن الحروب فإنه يستعيد هذه الصور اليهودية .

٢ - يوم الرب يسبقه ظلام الشمس والقمر : والعهد القديم ملوّه بهذه

الصورة [عاموس ٨ : ٩ ويوثيل ٢ : ١٠ ، ٣ : ١٥ وحزقيال ٣٢ : ٨ ، ٤٧ ،
وإشعيا ١٣ : ١٠ ، ٣٤ : ٤] . وكتابات اليهود أيضاً مملوءة بذلك [٢ عزرا
٤ : ٥ - ٧ وباروخ ٣٤] .

٣ - ومن ضمن صور يوم الرب هو رجوع اليهود إلى فلسطين . والمهد
القديم مملوء بذلك [إشعيا ٢٧ : ١٣ ، ٣٥ : ٨ - ١٠ وميخا ٧ : ١٢
وزكريا ١٠ : ٦ - ١١] .

* * *

ولكن لنذكر هذا أن يسوع عندما كان يتكلم عن مجيئه الثاني لم يمت
جدول أوقات أو خريطة يرسم فيها المستقبل ، إنه يستخدم الصور التي استخدمها
اليهود لكي يقرب صورة مجيئه الثاني إلى العقول .

ولكن من المهم أن نلاحظ أن ما ذكره يسوع كان يحدث حقيقة : فروب
البرابرة على الحدود الرومانية ، والزلازل التي حدثت فخطت لودوكيا وابتاعت
بومباي والمجاعة التي حدثت في روما أيام كلودبوس قيصر . . . لقد كانت
الاضطرابات عظيمة حتى أن أحدهم قال « إن الآلهة لم تفش على الناس لتخلصهم
بل تهلكتهم » ولكن هناك شيء واحد مهم وبقيني وهو أن يسوع سيأتي
مرة أخرى .

إصحوا

فَإِنَّ شَجَرَةَ التَّيْنِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ . مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخِصًا
وَأُخْرِجَتْ أَوْرَاقًا تَعَلَّمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ . هَكَذَا أَنْتُمْ

أَيْضًا مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَائِرَةً فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَيَّ
 الْأَبْوَابِ . الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَا يَمِضُ هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ
 هَذَا كُلُّهُ . السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ .
 وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
 الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلَا الْابْنُ إِلَّا الْآبُ . انظُرُوا . اسْمُرُوا وَصَلُّوا
 لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ . كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ
 تَرَكَ بَيْتَهُ وَأَعْطَى عَمِيدَهُ السُّلْطَانَ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ
 وَأَوْصَى الْبُيُوتَ أَنْ يَسْمُرَ . اسْمُرُوا إِذَا . لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى
 يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ أَمْسَاءً أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ أَمْ صِيحَاحَ الذِّيكِ أَمْ
 صَبَاحًا . لِثَلَاثِ يَأْتِي بَغْتَةً فَيَجِدُكُمْ نِيَامًا . وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ
 لِلْجَمِيعِ اسْمُرُوا .

(مرقس ١٣ : ٢٨ - ٣٧)

هناك أمران مُجدر ملاحظتهما في هذا الفصل :

١ - ظن بعض العلماء خطأ أن يسوع عندما قال إن هذه الأشياء تحدث في هذا الجيل أنه كان يقصد مجيئه ، وظنوا أن نبوته لم تتحقق ، ولكنه في

الحقيقة كان يقصد لا مجيئه الثاني بل عن خراب اورشليم ، لأنه هو يمتدح مراحة
إن ابن الإنسان لا يعرف ساعة مجيئه . فنبوته اختصت بأورشليم والهيكل .

٢ - إن يسوع قال إن ابن الإنسان لا يعرف اليوم ولا الساعة التي يأتي
فيها ، ويترك أشياء كثيرة في يد الله وهو بذلك يوضح أولئك الذين يظنون
أنهم يعرفون أكثر منه ويرسمون خرائط لمجيئه .. إنه تعديف .

٣ - وبعد ذلك يظهر الرب النتيجة العملية لهذا كله . نحن كأنا ينتظرون
سيدهم متى جاء ولكنهم لا يعرفون متى ، فلا داعي للخوف المستيري لكن
لنعلم أن يوماً ما سيكل عملنا .. إننا نعيش عيشة مقدسة فلا نهم كثيراً متى يأتي
بل لنجعل كل يوم مقدساً حتى إذا جاء وواجهناه لا ننجعل منه . إن الحياة كلها
تكون استعداداً لمقابلة الملك .

هذا الأصحاح صعب ولكن لنا فيه حقائق مجيدة :

١ - إن الذي يعرف أسرار التاريخ هو رجل الله فقط ، لقد رأى يسوع
خراب اورشليم بينما لم يره غيره لأنهم لم يكونوا لله . وهكذا كل من يريد أن
يقود أمه يجب أن يقوده الله أولاً . إن الإنسان الذي يعرف الله هو الإنسان
الذي يستطيع أن يعرف تديبه .

٢ - إنه يخبرنا حقيقتين عن المجيء الثاني :

(أ) إنها تخبرنا أن الحق الموجود في هذه العقيدة قد نساء عند ضيقتنا

(ب) إن الصور التي رسمها يسوع هي صور يهودية ذكرها ليفهم الناس

بلفتهم ، ولهذا فعندما نحاول أن نبنى فوقها حوادث واقعية تاريخية فإننا نحصل عن الطريق الذى رسمه هو . إننا نعرف شيئا واحداً وهو أن التاريخ يسير ويتقدم ولا بد من الكمال .. بالجمىء الثانى .

٣ - إنه يخبرنا أن الجاهل هو الشخص الذى ينسى الله وينهك فى العالم ، أما الحكيم فهو الذى يذكر دائماً أنه يجب أن يكون مستعداً للنداء ومتى فعل ذلك فالنهاية لن تكون خوفاً وانزعاجاً بل فرح المنتصرين .

الأصحاح الرابع عشر

العمل الأخير يبدأ

وَكَانَ الْفِصْحُ وَأَيَّامُ الْفَطِيرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ . وَكَانَ رُؤْسَاءُ
الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يُنْسِكُونَهُ بِمَكْرٍ
وَيَقْتُلُونَهُ . وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلَّا يَكُونَ شَغَبٌ
فِي الشَّعْبِ .

(مرقس ١٤ : ١ و ٢)

من هنا يبدأ العمل الجماعي الأخير الذي قام به يسوع . وكان ذلك قرب عيد الفصح . إن الفصح والبطير عيدان منفصلان لا يجب الخلط بينهما . فالفصح يقع يوم ١٤ نيسان أو ١٤ أبريل تقريبا أما البطير فهو عبارة عن سبعة أيام تلحق بعيد الفصح . عيد الفصح عيد كبير يحفظ سبتا للرب أما عيد البطير فهو عيد صغير قد تعمل فيه الأعمال « الهامة » والتي تسبب الخسائر بتوقفها . اليوم العظيم هو يوم الفصح .

وعيد الفصح هو أحد الأعياد الثلاثة — الفصح ، الخمسين ، المظال — التي فيها ينبغي على كل يهودي قد بلغ سن الرشد ويسكن حول اورشليم في دائرة قطرها ١٥ ميلا أن يعيدها في اورشليم نفسها . ولهذا العيد طبيعتان :

(أ) له طبيعة تاريخية [خروج ١٢] ففيه يذكر الاسرائيليون كيف خلصهم الرب من مصر بعد أن ضربها بعدة ضربات شديدة كان آخرها موت الأبنكار ، ولكن الاسرائيليين ذبحوا في بيوتهم حملانا ورشوا دماءها على القائمتين والعتبة وبذلك عبر الملك المهلك عن بيوتهم . وقبل أن يخرجوا من مصر كان عليهم أن يأكلوا هذا الخبز مع فطير غير مختمر . هذا ما يعنيه الفصح تاريخيا .

(ب) له طبيعة زراعية : إذ فيه يبدأ حصاد الشعير ، وفي ذلك اليوم يحضرون حزمة من الشعير ليرددونها أمام الرب [لاويين ٢٣ : ١٠ و ١١] . ولا يمكن أن يباع المحصول الجديد أو يشتري إلا بعد ترديد هذه الحزمة .

وكان اليهود يعتمدون لهذا العيد استعدادا هائلا : فكانوا يدرسون ويعطون عنه في الجامعات وفي المدارس ، حتى يستطيع أن يعرف السكل طبيعة هذا العيد ومجده . وكانوا يفعلون شيئا غريبا وهو أنهم كانوا يبيضون القبور التي على جانبي الطريق . فقد كان اليهود أحيانا يدفنون موتاهم بجانب الطريق ، وكانت أحكام الشريعة تقول إن من يلمس قبر ميت فقد تنجس لأنه لمس الميت ، فلهذا فقد كان الحجاج يخافون أن يلمسوا القبور في طريقهم إلى أورشليم فكانت السلطات تبيض القبور فتظهر للناس واضحة فيبتعدون عنها . وكان الحجاج في طريقهم ينشدون بعض المزامير الخاصة واسمها مزامير المصاعد [مزامير ١٢٠ — ١٣٤] أي المزامير التي كانوا يرنمونها في صعودهم إلى أورشليم ، ويقال إن مزمور ١٢٢ كان للزمور الذي رنم عندما يصعد الحجاج آخر مرتفع لهم نحو المدينة .

وكانت أورشليم في تلك الأعياد تزدهم إزدحاما شديدا فقد كان يحضر إليها

حجاج من كل أمة وشعب لأن أمنية كل يهودى هى أن يأكل الفصح ولو مرة فى أورشليم قبل أن يموت، ولهذا فقد كانت العائلات تفتح بيوتها للحجاج، ولما كانت للدينة تضيق بمن فيها ، كانوا يذهبون إلى بيت فاجى وبيت عنيا . وهناك ملحوظة ذكرها يوسفوس توضح الازدحام الشديد الذى يسود أورشليم فى تلك الأعياد فقد قال إن أحد حكام اليهود أراد أن يبرهن لنيرون أهمية الديانة اليهودية فعمل تعدادا لما يذبح من الخراف فى عيد الفصح فوجده ٢٥٦٠٠٠ حملا . ولما كانت الشريعة تسمح لمشرية بأن يشتركوا فى حل ، ولهذا نستطيع أن نعلم أن حوالى ثلاثة ملايين نسمة تفتد إلى أورشليم فى ذلك العيد .

ولهذا فقد كانت السلطات اليهودية تهتم كثيراً جداً بتلك الأيام . فى عيد الفصح يرتفع الإحساس بالقومية وبالظلم فى آن واحد إذ يذكر اليهود كيف أن الرب قد خلص آباءهم من يد فرعون، وكانوا يودون أن يتخلصوا من الرومان . وكان الحاكم يأتى من قيصرية عاصمة حكمه إلى أورشليم ومعه بضعة كتائب من الجيش الرومانى وبمسكرون فى قلعة أنطونيو المشرفة على الهيكل ، وبذلك يستطيع أن يحفظ صمام الأمن من الإفلات .

ولقد عرفت السلطات اليهودية هذا الأمر وأحست أنه يجب أن يقبضوا على يسوع سراً وإلا اضطربت للدينة ، ومتى اضطربت تعجز أية قوة على إخادها فى ذلك الوقت .

لقد كان آخر عمل يقوم به يسوع فى مدينة مكتظة بالناس جاموا ليذكروا خلاصهم فى الماضى من العبودية . وهم يبهلون أن خلاصهم من عبودية الشرتم على يدى مسيح الله الذى يقطن بينهم وهم لم يعرفونه بعد .

المحبة المسرفة

وَفِيهَا هُوَ فِي بَيْتِ عَنِيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الْأَبْرَصِ وَهُوَ مُسْكِي
جَاءتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةٌ طِيبٍ نَارِدِينَ خَالِصٍ كَثِيرٍ الثَّمَنِ .
فَكَسَرَتْ الْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ . وَكَانَ قَوْمٌ مُتَعَاظِنَ
فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا لِمَذَا كَانَ تَلْفُ الطِّيبِ هَذَا . لِأَنَّهُ كَانَ
يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى
لِلْفُقَرَاءِ . وَكَانُوا يُؤَنَّبُونَهَا . أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ انْتَرِكُوهَا . لِمَذَا
تُزَعِجُونَهَا . قَدْ عَمِلْتِ بِي عَمَلًا حَسَنًا . لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ
حِينٍ وَمَتَى أَرَدْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْرًا . وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ
مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ . عَمِلْتِ مَا عِنْدَهَا . قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنْتِ
بِالطِّيبِ جَسَدِي لِتُكْفِينِي . الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ حِينَئِذَا
يُكْرَزُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ يُخْبَرُ أَيْضًا بِمَا فَعَلْتَهُ هَذِهِ
تَذْكَارًا لَهَا .

(مرقس ١٤ : ٣ - ٩)

إن أهمية هذه القصة تكمن في أنها تكشف عن آخر عمل رحمة وجه يسوع.

كان يسوع في ذلك الوقت يتناول طعام الغداء في بيت سمعان الأبرص في

بيت عنيا . وكان اليهود في الولايم لا يجلسون بل يتكئون فوق وسائد على أيديهم اليسرى ويأكلون بأيديهم اليمنى . وبينما كان يسوع يأكل جاءت امرأة من وراثه ومعهما قارورة من الطيب الخالص . لتسكبه عليه . كانت المادة أن يضع المضيف بضع قطرات من العطور على رأس الضيف عندما يدخل منزله ، ولكن هذه المرأة فعلت شيئا كبيرا فقد سكبت الطيب كله ، وكان طيبا نادرا وغالى الثمن جدا إذ كان من الناردن الذى يؤخذ من نبات نادر ينمو في بلاد الهند ، وليس ذلك فقط بل أنها كسرت القارورة ، وكسرها ممناه أنها تقدر يسوع كأجد ضيف قد دخل البيت فلا يستحق لإنسان غيره أن يدهن بالطيب . ولكن الأمر الذى رآه يسوع ولم تره هذه المرأة ولا الحاضرون هو أن كسر زجاجة الطيب معناه تكفين هذا العزيز الذى يدهن به ، فقد كانت العادة أن يكسروا زجاجة الطيب الذى يدهن به جسد الميت ثم تجمع بقايا الزجاجة وتوضع مع الميت في كفنه . ولو أن المرأة لم تقصد مطلقا هذا المعنى ولكن هذا ما حدث .

ولقد أثار هذا العمل غضب بعض الحاضرين فقد كان ثمن الطيب يساوى أجر سنة كاملة للعامل اليهودى ، ولهذا فقد كان من الخجل أن يبعر مثل هذا الطيب بهذه الكيفية القريبة ، لكن يسوع عرف تفكير قلوبهم ورد عليهم من نفس الكتاب المقدس « الفقراء معكم في كل حين [تثنيه ١٥ : ١١] وكانه يقول : تستطيعون أن تمدوا يد المونة لأى فقير تريدون لأنهم معكم . أما بالنسبة لى أنا فلن تقدرُوا أن تفعلوا شيئا . . لقد عملت ذلك لتسكبنى .

هذه القصة ترينا كيف يتصرف الهب :

١ - لقد ذكر يسوع عن هذا العمل أنه عمل حسن « وفي اللغة اليونانية توجد كلمتان تصفان الحسن : الأولى أجاثوس agathos ومعناه الطاهر - بالمعنى الأخلاقي والكلمة الثانية كالوس Kalos ومعناه الشيء الجميل المحبوب . الكلمة الأولى قد تعني الطاهر ولكنها قد تعني الصعب . فالإنسان الطاهر قد يكون قاسياً صارماً . أما الكلمة الثانية فتعني أن حسنه فيه الجمال والجاذبية ولقد وصف يسوع عمل المرأة بالكلمة الثانية أى أنه عمل محبب جميل فيه الجاذبية .. ما أعظم ما يعود للكنيسة بالنفع لو كان عملها عملاً محبباً جذاباً جميلاً ؟

٢ - إن المحبة الأصلية هي محبة مسرقة في نظر الناس . إنها لا تجلس لتعجب هذا أو ذلك . أنها تعطي كل ما تستطيعه .. ولو أمكنها لأعطت كل العالم ، ومع ذلك فالعطية في نظرها صغيرة .. هناك نوع من المغامرة في عنصر المحبة الحقيقية .

٣ - والمحبة عندما تعمل فإنها تعمل كأنها الفرصة الأخيرة لها في العمل . ومن مصائب الحياة أننا عندما تتحرك مشاعرنا لعمل الخير نؤجل عمله ظانين أن فرصة أحسن سوف تسنح لنا لنقدم فيها خدمة أكبر من هذه ، ولكن قد لا تأتي الفرصة مرة أخرى . قد نخجل أن نرسل خطاب شكر لشخص عمل لنا خدمة ، قد نخجل أن نعبّر بالكلام عن شكرنا ومحبتنا لشخص ما ، قد نخجل أن نقدم لشخص هدية بسيطة أو كلمة خاصة .. قد نخجل أن نفعل ذلك ونميت هذا الشعور لأنه صغير بل ونؤجله إلى أن تخبث الفرصة لأن نعمل شيئاً أعظم من ذلك وقد لا يأتي هذا الوقت أبداً . وما كان أجمل الحياة لو عمل الناس عملاً جميلاً حسناً مثلما عملت هذه المرأة بأول فرصة تسنح ؟ لقد أثلجت قلب يسوع بعملها هذا .

٤ - ويمكننا أن نلاحظ هنا ثقة يسوع اللانهائية في الأب . إنه يرى الصليب أمامه ، ولكنه يثق أنه ليس نهاية المطاف ، سوف ينتصر وسوف يغير بقصتها في العالم كله . إن قصة هذه المرأة ومدى حبها وتضحيتها سوف تكون جزءا حيا من الإنجيل .

الخاتمة

ثُمَّ إِنَّ يَهُودًا الْأِسْخَرْيُوطِيَّ وَاحِدًا مِنَ الْإِسْنَى عَشَرَ مَضَى
إِلَى رُؤْسَاءِ الْكَهَنَةِ لِيَسَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ . وَلَمَّا سَمِعُوا فَرِحُوا وَوَعَدُوهُ
أَنْ يُعْطَوْهُ فِضَّةً . وَكَانَ يَطْلُبُ كَيْفَ يُسَلِّمَهُ فِي فُرْصَةٍ
مُؤَافِقَةٍ .

(مرقس ١٤ : ١٠ و ١١)

يضع مرقس ، كفتان عبقرى ، متناقضات صارخة جنباً إلى جنب ليعمل منها قصة حياة المسيح الجبارة . وها هو هنا يرسم بالظلال السوداء صورة الحياة الكئيبة بجوار النور الباهر الذى شتمه الحجة فى عمل هذه المرأة العظيمة .

وذكري يهوذا تهز القلب حزنا وكآبة . . فقد صورته دانتى وهو ملقى فى أسفل طبقات الجحيم المملوءة بالثلوج المتراكمة . . تلك الطبقة التى خصصت لا للأشرار المتهمين بالغضب الحاد بل للأشرار المحترفين الذين يعملون فى صمت وعناد وقساوة ضد محبة الله .

ومع أن كلمات مرقس لا تترك مجالاً للتفسير فإننا نستطيع أن نلمح شيئاً وراء العمل الذى عمله يهوذا .

١ — الجشع : فى متى ٢٦ : ١٥ نجد يهوذا يذهب الى السلطات اليهودية ويطلب ثماناً لتسليم يسوع لهم ، ويساوم معهم حتى يصل المبلغ إلى ثلاثين من الفضة . ولقد أثار لنا يوحنا الطريق إذ أعلن أن هذه السلطات كانت تفتش وتبحث عن أسلم الطرق لتسليمه للحكومة وقتله ويلوح أنهم خصصوا مبلغاً من المال لأى إنسان يسلم يسوع [يوحنا ١١ : ٢٧] تماماً كما كانوا يفعلون مع كل الخارجين عن القانون ، ولقد ذهب يهوذا لأنه كان يريد المال . . . لقد كان سارقاً ولصاً [يوحنا ١٣ : ٦] . لقد كانت شهوة المال عند يهوذا شديدة دفعتة إلى أن يبيع سيده . ولكم أعمت شهوة المال الكثيرين فجعلتهم يفكرون فى كم سيربحون لافى مشروعية الوسيلة التى يربحون بها . لقد عرف يهوذا كم كلفه طمعه ولكن معرفته جاءت متأخرة .

٢ — وكان وراءها الحسد والغيرة : يقول أحد شعراء الألمان إن يهوذا عندما تبع المسيح مع الاثنى عشر كان شاباً موهوباً فاضلاً يبشر بمستقبل باهر ، ولكن الغيرة المرة من يوحنا الذى صار التلميذ المحبوب حولت تلك المواهب إلى رماد شر . إن ما نعرفه يقيناً هو أن شجاراً عنيفاً كان ينشب بين التلاميذ عن أيهم الأعظم فى ملكوت السموات ، ولكن بقية التلاميذ تغلبوا على تلك المواقع وضبطوا أنفسهم ، أما يهوذا فكانت غيرته عمياء أعمته عن كل خير وساقته إلى الشر .

٣ — ولا بد أن كان وراءها الطموح . وفى الأناجيل يظهر التلاميذ كثيراً

وهم ينتظرون ويطلبون ملكوتنا أرضيا بتبوأون فيه أعلى للراکز ، ولا بد أن يهوذا كان يشاركهم هذا الطموح الخاطيء ، ولا بد أنه كان الأول فيهم الذي اكتشف خطأ عقيدتهم هذه وبذلك تحول حبه الشديد ليسوع إلى كراهية قاتلة . وهكذا يؤدي الطموح الخاطيء بصاحبه ، إن الطموح الحقيقي هو الذي يبنى على المحبة والشرف والعمل الحسن وبذلك يصل الى ما يصبو اليه صاحبه .

٤ — هناك بعض المفكرين من يظنون أن يهوذا لم يكن يقصد بخيائته ليسوع أن يقوده الى الصلب والموت . . إنه قصد شيئاً آخر غير الذي حدث . فلقد كان المسكين وطنياً متمصباً متحمساً ، ورأى في يسوع القوة والامكانية على تحقيق آمال أمته ، ولكنه لما رأى يسوع لا يقوم بذلك العمل ذهب الى سلطات اليهود وباعه لهم لالكي يميته بل لسكى يجبر يسوع على العمل ، كان يظن أن يسوع سوف يخلص نفسه ويبدأ عمله العظيم لليهود ، والدليل على ذلك أنه عندما رأى أن خطته سارت في الطريق المضاد لتفكيره مضى ورمى ثمن الحياة وشنق نفسه (متى ٢٧ : ٣ - ٥) . وإن صح ذلك فأساة يهوذا تعد أقسى مأساة في التاريخ البشرى .

٥ — يتفق يوحنا ولوقا معاً على أن يهوذا قد دخله الشيطان (لوقا : ٢٢ : ٣ ، يوحنا ١٣ : ٢٧) وقد نقول إن الأمر كله يتلخص في أن يهوذا أراد أن يجعل يسوع يعمل ما يريد هو لا أن يعمل هو ما يريد يسوع ، لقد تبع يسوع لا ليكون واحداً من أتباعه بل ليجمعه يتم له كل خطته ويحقق أحلامه ، لم يستسلم لسيدته بل أراد أن يجعل سيدته يستسلم له ؛ ولكنه عندما رأى يسوع يسير في طريقه المرسوم كرهه وخانه وسلمه للأعداء . إن أساس عمله هذا هو خطية الكبرياء ،

فالكبرياء هي أن يحاول الإنسان أن يكون وأن يعمل ما يريد لا أن يكون وأن يعمل ما يريد الله ، هذه هي خطية الشيطان وما نذر نفسه له .. إنه الآن ينفذ كل شيء ضد إرادة الله . . هذه الروح تجسدت في يهوذا .

نحن نشمئز عند تفكيرنا في يهوذا ، ولكن دعنا نذكر هذا : أنه سقط لأنه كان جسماً حاسداً طموحاً متكبراً فهل نحن أفضل بكثير منه ؟ هذه الخطايا هي التي جعلت يهوذا يخون يسوع ويسلمه وهي بنفسها مازالت تندفع الكثيرين أن يخونوه في كل جيل وعصر .

الاستعداد للعيد

وَفِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفِطْرِ حِينَ كَانُوا بَدِّيْحُونَ الْفِصْحَ
قَالَ لَهُ تِلَامِيذُهُ أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نَمْضِيَ وَنَمِدَّ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ . فَأَرْسَلَ
اِثْنَيْنِ مِنَ تِلَامِيذِهِ وَقَالَ لهُمَا اذْهَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيُلَاقِيَكُمَا
إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ . اتَّبِعَاهُ . وَحِينَئِذَا يَدْخُلُ فَقُولَا لِرَبِّ الْبَيْتِ
إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تِلَامِيذِي .
فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً مُمَدَّةً . هُنَاكَ أَعِدَّا لَنَا .
فَخَرَجَ تَلْمِيذَاهُ وَأَتَيَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَجَدَا نَاسًا قَالًا لَهُمَا .
فَأَعَدَّا الْفِصْحَ .

(مرقس ١٤ : ١٢ - ١٦)

قد لا يحتاج أن تذكر أن يسوع كان مرتبا ومنظما في كل حياته ، فلم يكن يترك الظروف وحدها لتسيره ، وقد ظهر ذلك — كما رأينا — في قصة ترتيبه للدخول الإنتصاري عندما أرسل تلميذه ليحضرا الأتان وعرفنا أنه لا بد وأن كان له مع صاحبه اتفاق سابق . وبالمثل نجد في هذه القصة حالة أخرى في تنظيم يسوع لحياته . فهو إذ يطلب من تلميذه أن يذهبا إلى اورشليم فيجدا هناك شخصا حاملا جرة ، لا بد وأنه كان يعرف هذا الشخص ولا بد أنه اتفق معه على تمضية الفصح . وحمل الجرار لم يكن عملا عاديا للرجال بل كانت النساء فقط يحملن الجرار . فانسان كهذا يحمل جرة لا بد وأن كان اتفاقا سابقا بينه وبين المسيح .

وكانت البيوت اليهودية الكبيرة تقسم إلى غرف ، وفوق السطح كانت توجد غرفة مخصوصة صغيرة إسمها العلية ، وكان يمكن أن يصعد إليها أى زائر عن طريق سلالم خارجية فلا يدخل داخل المنزل . هذه العلية كانت تستخدم كخزن أو في تمضية وقت الراحة أو الصلاة ، ولكن الاستعمال الخاص لها كان استعمالا تعليميا إذ كان المعلم اليهودى يجلس هناك مع تلاميذه يعلمهم ويفسر لهم الكتب .

هناك شيء آخر ينبغي أن نعرفه وهو كيفية تقسيم الأيام عند اليهود ، فقد كان اليوم يبدأ في الساعة السادسة من المساء السابق ، فيوم السبت مثلا كان يبدأ الساعة السادسة من مساء الجمعة وينتهي في السادسة من مساء السبت .

وهنا تتساءل : ما هى الاستعدادات التى يقوم بها اليهود ليوم الفصح ؟

العمل الأول هو اخلاء المنزل من الخير ، فكل رب بيت يجب أن يفقس

البيت كله لثلا يوجد فيه خبيرة أو خبز مختمر . ويفعلون ذلك لأنهم يذكرون يوم خروجهم من مصر (خروج ١٢) عندما كانوا في عجلة شديدة من أمرهم وكان عليهم أن يأكلوا بغاية السرعة فلم يكن هناك وقت للخبز المختمر ، فأمرهم الرب أن يأكلوا فطيراً من غير خمير . زد على ذلك عقيدة اليهود في الخمير فانهم كانوا يرمزون للشرب بالخمير ، فهي رمز الفساد والانحلال ولهذا فقد كان رب البيت يمسك بمصباح ويفتش في البيت بطريقة طقسية عن كل خمير ليخلص البيت منه . وقبل التفتيش يصلى :

« مبارك أنت أيها الرب الهنا ملك الكون الذى قدستنا بوصيتك وأمرتنا أن نتخلص من الخمير » .

وبعد الانتهاء يقول رب البيت أيضا :

« كل الخمير الذى فى حوزتى ما رأيته وما لم أراه ليفسد وليكن كتراب الأرض » .

يجيء بعد ذلك ذبح حمل النصح ويكون ذلك بعد الظهر قبل حلول مساء العيد . وكان يجب على العابد أن يذبح حمله بنفسه . وحالما يقطع رقبة الحمل كان واحد من الكهنة الواقفين فى صفين طويلين يأخذ دمه فى إناء ذهبى أو فضى ثم يسلمه إلى الكاهن الواقف بجواره وذلك يسلمه لآخر حتى يأتى إلى الكاهن الواقف بجوار المذبح فيسكبه على المذبح ، وكان الدم مساو للحياة فى نظر كل يهودى . وبعد ذلك يسلم الحمل وتوضع الكوارع والشحم على المذبح لأنها قدس للرب . وبعد ذلك يرجع العابد إلى بيته ويشوى الحمل بتمامه شيا .

لا يساقه ولا يطبخه ولا يدع شيئاً يلمسه بل يحمله على قضيب من حديد ويشويه
شياً .

أما المائدة فكانت هل شكل مربع مفتوح من أحد جوانبه ، وكانت
منخفضة يجلس إليها الضيوف على وسائل مستندين على الكوع الأيسر
ويستخدمون اليد اليمنى في الأكل .

وكان هناك أشياء مهمة يجب على اليهودى أن يقوم بها ، ولا بد أن قام بها
تلاميذ السيد :

١ — الخبز وهو يذكرهم كيف حفظت بيوتهم في مصر من ضربة الملاك
المهلك .

٢ — الخبز الفطير وهو يذكرهم كيف أكل آباؤهم بمجلة وسرعة عند
هروبهم من مصر .

٣ — إناء به ماء ملح ليذكرهم بالدموع التي سكبها آباؤهم في بيت
العبودية وبالبحر الأحمر الذي جازه آباؤهم بمعجزة عظيمة .

٤ — الأعشاب المرة : فجبل برى ، سريس ، البقلة المباركة والخس وغيرها
لذكرهم بالمر الذي شربه آباؤهم في بيت العبودية .

٥ — هناك عجينة اسمها « كاروشيث » وهى خليط من التفاح والبلخ
والقنول وغيرها لذكرهم بالطين الذي حولوه إلى لبن في مصر وفيها بعض
عصى القرفة لذكرهم بالخبز .

٦ - أربعة كؤوس من الخمر المخلوط بالماء ، وكانت الكؤوس التي يشربونها في أوقات مخصوصة أثناء الأكل تذكّرهم بمواعيد الله الأربعة المذكورة في خروج ٦: ٦ ر ٧

أخرجك من تحت أقدام المصريين أخلصك بذراع ممدودة
أخلصك من العبودية أجعلك شعباً لي وأكون لك إلهاً

هذه هي الاستعدادات التي كان يقوم بها كل يهودي عند اقتراب عيد الفصح إذ يذكرون كل ما حدث لهم بالتفصيل عند إخراج الرب لهم من مصر في هذا العيد نفسه جالس مخلص العالم كله وبحرره لياً كل الفصح مع تلاميذه .

آخر صيحات المحبة

وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ جَاءَ مَعَ الْإِثْنَى عَشَرَ . وَفِيهَا هُمْ مُتَكِنُونَ
يَأْكُلُونَ قَالَ يَسُوعُ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي .
الْأَكْلُ مَعِيَ . فَأَبْتَدَأُوا يَحْزَنُونَ وَيَقُولُونَ لَهُ وَاحِدًا فَوَاحِدًا هَلْ
أَنَا . وَآخَرُ هَلْ أَنَا . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ . هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْإِثْنَى
عَشَرَ الَّذِي يَفِيسُ مَعِيَ فِي الصَّخْفَةِ . إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ
مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ . وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَلِيكَ الرَّجُلِ
الَّذِي بِهِ يُسَلِّمُ ابْنَ الْإِنْسَانِ . كَانَ خَيْرًا لِدَلِيكَ الرَّجُلِ لَوْ
لَمْ يُوَلَدْ .

(مرقس ١٤ : ١٧ - ٢١)

وبدأ عيد الفصح وجلس يسوع وتلاميذه للأكل ، وكانت الطريقة التي يأكلون بها الفصح هي نفسها منذ أن بدأ الفصح في مصر ماعدا فارق واحد وهو أنهم في مصر أكلوه على عجلة وبسرعة لأنهم كانوا عبيداً هاربين من العبودية ، أما الآن فإنهم يأكلونه متسكثين علامة أنهم أصبحوا أحراراً لهم بيوتهم وأمتهم المستقلة .

وكانت كلمات الكتب المقدسة على لسان يسوع دائماً ، وكان يذكر في تلك الفترة كلمات للرغم في (مزمو ٤١ : ٩) ، وفي هذه الحادثة نجد عدة أمور عظيمة .

١ — كان يسوع يعرف تماماً ما يجري من حوله ، وماذا سيحدث له ومع ذلك فلم يثن إلى الوراء وهذه هي الشجاعة الكاملة ليسوع . يقول هوميروس إنهم قالوا لأخيل إنه إن ذهب إلى المعركة فسوف يقتل فأجاب أخيل « ولو فأنا هنا لكي أتقدم » . نعم كان يسوع هنا لكي يتقدم .

٢ — كان يسوع يعرف قلب يهوذا . إن الأمر الغريب هنا هو أن التلاميذ لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئاً ولم يشكوا في يهوذا وإلا لكانوا أوقفوه بالقوة ، لأن يهوذا حاول أن يخفي كل شيء عنهم ونجح في ذلك ولكنه لم يستطع أن يخفي شيئاً عن يسوع ، إنه يعرف أعماق قلوب الناس .

لأن أفكارنا عريانة أمام ناظريك وخطايانا السرية مكشوفة أمام ناظريك الطاهر . نعم « طوبى لأتقياء القلب » .

٣ - في هذه الآيات نجد يسوع يمنع يهوذا أمرين :

(١) نداء المحبة الأخير ، كأنه يقول له « أنا أعرف ماذا ستعمل
أفلا تتوقف إذن ؟ »

(ب) التحذير الأخير ، لقد عرفه بالتأنيخ الفظيعة لما يدور في عقله ولما يدبره
الآن ومع ذلك فهو لم يجبره على شيء . كان يمكن ليسوع أن يوقف يهوذا
فلا يستطيع أن يفعل شيئاً ، كان يمكن أن يجبر بعية تلاميذه بذلك وبعدئذ
لا يستطيع يهوذا أن يخرج حياً من تلك الغرفة ، ولكن يسوع تركه حراً ،
وهذا هو الموقف البشري كله : إن الله يحذرنا وينذرنا ولكنه يتركنا أحراراً
لأنه خلقنا عاقلين نقدر الظروف التي نجتازها . . . إن المسؤولية النهائية في الخطية
والهلاك تقع على الإنسان إذ يصم أذنيه على تحذير وإنذار محبة الله ويعمل
ما يريد .

تقول إحصدي الأساطير اليونانية إن جماعة من للفنين المشهورين كانوا
يجلسون على الصخور في البحار ويقنون أحلى ما عندهم عندما يرون سفينة قادمة،
وعندما كان البحارة يسمعون الغناء الجميل كانوا ينجذبون إليه وبذلك تصطدم
سفنهم بالصخور وتتكسر . ولقد عالج إثنان من رؤساء البحار هذا الأمر :
الأول كان يجبر البحارة على ألا يسموا هذه الأغاني فيسد آذانهم ويربطهم
في المركب بالحبال فلا يستطيعون قيادة السفينة إلى الهلاك أما الثاني فقد كان يفتي
على قيثارته أغاني أجمل وأحلى مما كان يأتي من على الصخور وبذلك يجذب
البحارة إليه ويبعدهم عن الغناء المهلك . هكذا يفعل الله ، إنه يدعونا دعوة أحلى

وأعجده من الدعوة التي تأتينا من العالم والخطية لعلنا نرجع فلا نهلك . . إنه لا يجبرنا بل يدعونا بالحب .

رمز الخلاص

وَفِيهَا هُمْ يَا كَلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ
وَقَالَ خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي . ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ
وَأَعْطَاهُمْ فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ . وَقَالَ لَهُمْ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ
الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ . الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي
لَا أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ تِتَابِجِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَما أَشْرَبُهُ
جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ
الزَّيْتُونِ .

(مرقس ١٤ : ٢٢ - ٢٦)

يجب أولاً أن نتبع الخطوات التي تسير فيها أكلة الفصح حتى نستطيع أن نفهم ماذا كان يفعل يسوع وتلاميذه في تلك العلية .

١ - كأس القادوس : أو كأس القداسة أو الانفصال وهذا يعني فصل هذه الأكلة عن كل الأكلات الأخرى . يصب رب الأسرة الكأس ثم يعطى ويشرب ويعطى كل أهل البيت ليشربوا .

٢ - غسل اليدين الأول . كان على من يأكل الفصح أن يغسل يديه ثلاث مرات بالطريقة التي شرحت في أصحاح ٧ .

٣ - قطعة من الأعشاب تغمس في الماء للملح وتؤكل . قد يكون ذلك لفصح الشبهة ، ولكن في أصلها كان العشب يشير إلى الزوا التي تغمس في الدم أما الماء الملح فكان يشير إلى دموع الشعب في أرض مصر ثم إلى مياه البحر الأحمر التي اجتازوها .

٤ - كسر الخبز : وهناك بركتان تذكران عند كسر الخبز « مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الكون الذي تغطي من الأرض خيرات » أو « مبارك أنت أيها الآب السماوي الذي تعطينا الآن خبزنا كفافنا » . وعلى المائدة كانوا يضعون ثلاث دوائر من الفطير الغير مختمر ، وكانت تؤخذ الوسطى وتسكسر ، وكانوا يأكلون جزءاً صغيراً منها ليتذكروا أنهم إننا كانوا يأكلون الفقات المتساقط من المصريين وأن العبد لم يأكل من رغيف واحد كامل ، وعندما كانوا يكسرونه كان رب البيت يقول « هذا هو خبز الضيق الذي أكله آباؤنا في مصر ، فمن هو جائع فليأت ويأكل ومن هو محتاج فليأت ويميد الفصح معنا » أما اليهود المعاصرون فيضيفون « هذه السنة نحفظ الفصح هنا أما السنة القادمة ففي أرض إسرائيل . هذه السنة كمبيد أما الآنية فستحترق » .

٥ - ذكر قصة الخلاص ، وتسير هكذا : يسأل أصغر شخص موجود على المائدة عن السبب الذي يجعل هذا اليوم متميزاً عن كل الأيام ، ولماذا يعملون كل هذا . وعندئذ يبدأ رب البيت في قص حكاية الخلاص العظيم الذي عمله الرب مع شعبه مبتدئاً من الأول حتى عبورهم البحر الأحمر . فالفصح عند اليهود ليس مطلقاً لكنه ذكرى لخلاص عظيم .

٦ - عندئذ يرثم الحاضرون مزمورى ١١٣ ، ١١٤ وهما جزء من مجموعة اسمها مجموعة الحمد (١١٣-١١٨) وهى أول ما يحفظه الولد اليهودى عن ظهر قلب .

٧ - عندئذ يشربون الكأس الثانى واسمه كأس « هاجاداه » أو كأس التفسير أو الإعلان .

٨ - عندئذ يغسل كل الحاضرين أيديهم إستعداداً للأكل .

٩ - وعندئذ تقال البركة « مبارك أنت أيها الرب إلهنا الذى تنبت ثمرأ من الأرض ، مبارك أنت يا الله الذى قدستنا بوضيتك وجمعتنا لنا كل فطيراً » .

١٠ - توضع بعض الأعشاب المرة فى وسط قطعتين من الفطير ثم نفس فى « الكاروشيث » . هذه تسمى بالقمة . وهى تذكروهم بالعبودية التى ذاقوها فى مصر .

١١ - عندئذ تبدأ الوجبة الأصلية . فىأ كاون الحمل كله فلا يبقى منه شىء ، وإذا بقى فيحرقونه فى النار ولا يستخدمون أى شىء منه فى أية وجبة أخرى .

١٢ - غسل الأيدي مرة أخرى .

١٣ - بقية الفطير يؤكل .

١٤ - صلاة الشكر التى فيها يطلبون محبىء إيليا ليملن محبىء المسيا .

ثم يشربون الكأس الثالثة وهي كأس الشكر : وتجري البركة عليها هكذا .
« مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الكون الذي خلقت نمار الكرمة » .

١٥ - الجزء الثاني من مزامير الحمد ١١٥ - ١١٨ .

١٦ - الكأس الرابع ثم مزمور ١٣٦ الذي يدعى مزمور الحمد الأعظم .

١٧ - صلاتان قصيرتان « كل أعمالك تسبحك أيها الرب إلهنا ، وكل
قديسيك الأبرار الذين يعملون مسرتك وشعبك بيت إسرائيل يرنمون بفرح
عظيم ويمجدون ويمظمون ويمجدون ويخشعون ويمطون للملك لاسمك يا الله
إلهنا ، لأنه حسن الحمد لك ومبهيج الترنم لاسمك من الآن وإلى الأبد
أنت الله » .

« كل نفس حية تحمد اسمك أيها الرب إلهنا ، وكل روح بشر تمجدك
وتذكر أعمالك أيها الرب إلهنا لأنه من الآن إلى الأبد أنت الله وبجوارك
لا إله آخر مخلص وقاد » .

وهنا تنتهي طقوس الفصح ، ونعتقد أن يسوع قد أخذ البند ١٣ ، ١٤ ،
وحولها إلى نفسه وكانت الترنيمة ١٦ هي التسبحة التي رنموها وخرجوا .

والآن ماذا فعل يسوع ؟ وماذا كان يريد أن يضع في حياة تلاميذه
وعقولهم ؟ لنرجع إلى الوراثة ونأمل بعض الأعمال التي قام بها الأنبياء . . . لقد
كانت أعمالا رمزية تبقى في ذاكرة الشعب عندما ينسون الكلمات ، فالنبي أحمو
يقطع ثوبه ، إلى إثني عشر قطعة علامة على تقسيم مملكة إسرائيل (١ ملوك ١١ :

٢٩ - ٢٢) ويضع إرميا النير على عنقه علامة للعبودية ويكسر حفانيا النير (إرميا ٢٧، ٢٨: ١٠-١٢) وهذا ما كان يعمله حزقيال دائماً (حزقيال ٤ : ١ - ٨، ١٥: ٤) . هذا ما فعله يسوع لكي يذكّر التلاميذ بعمله من أجلهم حتى يرسم في حياتهم وقلوبهم ويقول لهم « أنظروا : كما يكسر هذا الخبز سيكسر جسدي من أجلكم وكما ينسكب هذا الكأس هكذا ينسكب دمي من أجلكم ..

ولكن ماذا كان يقصد عندما ذكر أن الكأس هو للعهد الجديد بدمه ؟ إن العهد عنصر مهم من عناصر الديانة اليهودية . فأساس هذه الديانة هو أن الله دخل في عهد مع هذا الشعب عند جبل سيناء ، أي دخل في صلة وعلاقة معهم . (خروج ٢٤ : ٣ - ٨) . ولقد كان جوهر هذا العهد مبنياً على الشريعة وحفظها ، فإن حفظ الإسرائيليين الشريعة فإنهم يبقون في عهد مع الرب ، أما إذا كسروها فهم قد نقضوا العهد . ولم يأت يوم فيه تم اليهود شريعة إلههم فأدانهم الرب . . إنهم شعب صلب الرقبة . وهنا يأتي يسوع ويقول لتلاميذه « إني أدخل معكم في عهد آخر .. عهد جديد صلة جديدة لا تبني على الشريعة ولكن على دمي .. ولأن دمي يعبر عن المحبة فهذا العهد هو عهد الحب » . فهذه الصلة الجديدة هي صلة الحب لا الناموس ، وأضحى الناس أحراراً من الناموس وصاروا في حماية محبة الله العميقة . هذا هو الجوهر الذي لا يخطئه العقل في عمل يسوع .

فشل الأصدقاء

وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ إِنَّكُمْ تَشْكُونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ .

لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتبهدد الخراف . ولكن بعد
قيام أسبقكم إلى الجليل . فقال له بطرس وإن شك الجميع فانا
لا أشك . فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم في هذه
الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات . فقال
بأكثر تشديد ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك .
وهكذا قال أيضا الجميع .

(مرقس ١٤ : ٢٧ - ٣١)

إن أعظم ما يثير إعجابنا في يسوع أنه لم يقابل موقفاً لم يكن مستعداً له . كان
يعرف أن بعضهم سيمارضه ويعاديه ويسىء فهمه ، وقد عرف أن أصدقاءه
سيخونونه ، كان يعرف الصليب والآلامه وكان مستعداً لمواجهة كل شيء .
ولكن الشيء الذي كسر قلبه أكثر من أى شيء آخر هو أنه كان يعلم أن
أحبائه سيتخلون عنه ساعة التجربة . إن الإنسان يحتاج إلى صديق في وقت
التجربة أكثر من أى وقت آخر ، ولكن في هذا الوقت بالذات يهرب تلاميذ
السيد ويتركونه . ويترك أصدقائه له يكون يسوع قد جاز كل تجربة وضيق في
الحياة . في قصة إسمها « الثبات » يتكلم المؤلف عن شخص إسمه بطرس إنخذ شماراً
له في حياته « الحياة لا تهم ولكن الشجاعة في مواجهة الحياة » . يقول بطرس
هذا عندما وصل قمة الجبل « مبارك عذاب الجسد والآلامه ، مباركة الخسائر
وخيانة الأصدقاء وإنكار الحب ، مبارك فشل كل رجاء أرضي ، مبارك الحزن
والألم والصعاب التي تتطلب الشجاعة . . مبارك كل هذا لأنها تصنع مني رجلاً »

وعندما يركع بطرس ليصلي يقول : « إصنع مني رجلاً لا يخاف أى شيء بل يستعد لمواجهة كل الأشياء : الحب ، الصداقة والنجاح . سواء أوجد كل هذا أم لم يوجد . إجعلنى شجاعاً .. إجعلنى شجاعاً » .

لقد أظهر يسوع أكثر من أى إنسان عاش على الأرض ثباتاً ، وظهر أنه يسير في الطريق الحق مهما كانت الظروف ، حتى أننا نحس أننا نأفأسنا عندما نتأمل بطولة يسوع المنقطعة النظير

وعندما أخبر يسوع تلاميذه عن تركهم إياه لم يصدق ولم يتخيل ذلك ، ولم يكن بطرس كاذباً ، إنه لم يكن أقل من ذلك القائد الذى أسروه وأوقفوه أمام حبل المشنقة وطلبوا منه أن يتخلى عن مليكته فقال « قد تخلعون رأسى من بين كتفى ، ولكنكم لا تستطيعون أن تخلعوا قلبي من بين أضلعي » . نعم كان بطرس صادقاً إلا أنه نسي شيئاً واحداً يمكن فى الكلمة « تشكون » . إن هذه الكلمة تأتى من « اسكانديلتزن » Skandalizein وهى تعنى الطعم الذى يوضع فى الفخ ليحجر رجل الطير إليه فى ساعة من ساعات الضعف ، لقد نسي بطرس ضعف الطبيعة البشرية ، نسي التجربة الشديدة التى يوجهها الشيطان فى ذلك الوقت .. لقد كان بطرس واثقاً أزيد مما يجب .

ولكن مع ذلك لنذكر أن قلب بطرس كان مع يسوع ، حتى فى سقطته كان يحب يسوع ، ونحن نحب ألف مرة تلك الحرارة .. حرارة المحبة التى قد تفضل أحياناً ولكنها تقوم مرة من كبوتها ، مرة أخرى أكثر من برودة الكراهية المسمومة التى ملأت قلب يهوذا .

لتكن إرادتك

وَجَاءُوا إِلَى صَيِّعَةَ اسْمِهَا جُثَسَيَانِي فَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ اجْلِسُوا هُنَا
حَتَّى أَصَلِّيَ . ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا وَابْتَدَأَ يَدَهْشُ
وَيَكْتَتِبُ . فَقَالَ لَهُمْ نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ . أَمْكُثُوا
هُنَا وَاسْهَرُوا . ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى الْأَرْضِ وَكَانَ يُصَلِّي
لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ . وَقَالَ يَا أَبَا الْآبِ كُلُّ شَيْءٍ
مُسْتَطَاعٌ لَكَ . فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ . وَلَكِنْ لِيَكُنْ لَأَمَّا
أُرِيدُ أَنَا بَلْ مَا تَرِيدُ أَنْتَ . ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُمْ نِيَامًا فَقَالَ لِبَطْرُسَ
يَا سَمْعَانَ أَنْتَ نَائِمٌ . أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسَهَّرَ سَاعَةً وَاحِدَةً . اسْهَرُوا
وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ . أَمَّا الرُّوحُ فَدَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ
فَضَعِيفٌ . وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى قَائِلًا ذَلِكَ الْكَلَامَ بِعَيْنِهِ . ثُمَّ رَجَعَ
وَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً فَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَاذَا
يُجِيبُونَهُ . ثُمَّ جَاءَ ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ نَامُوا الْآنَ وَاسْتَرِيحُوا . يَكْفِي .
قَدْ أَنْتِ السَّاعَةُ . هُوَذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي الْخَطَاةِ . قُومُوا
لِنَذْهَبَ . هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدْ اقْتَرَبَ .

(مرقس ١٤ : ٣٢ - ٤٢)

إننا نرتعش أحياناً ونحن نقرأ هذه الكلمات لأننا نفتتح وحدة يسوع مع الآب . لقد كان من الخطورة بمكان أن يستمر يسوع في العلية ، فعين السلطات تراقبهم ولو بقوا هناك لضاع الجميع . فخرج يسوع وذهب إلى بستان جشيماني ، ويلوح أنه بستان أحد أصدقاء يسوع الأثرياء عمله لنفسه وتموديسوع أن يذهب إليه . ونفهم ذلك من عقيدة اليهود في قداسة أورشليم الفائقة التي جعلتهم يجرمون عمل بسانين فيها ، فكان أثرياء اليهود يعملون لهم جنات في الخارج ، وكان يهوذا يعرف مكان يسوع ولذلك ذهب إليه مباشرة .

وعندما جاء يسوع إلى البستان كان يحتاج أكثر من كل وقت مضى إلى الصداقة : صداقة البشر وصداقة الآب . إنه ليس حسناً أن يبقى الإنسان وحده (تكوين ٢ : ١٨) . قد لا يستطيع الصديق أن يفعل لنا شيئاً .. قد لا يستطيع أن يشاركنا التجربة . ولكننا نحتاج إليه وقت التجربة . . نحتاج إلى وجوده . . إلى أذنيه لتسمع لنا . . إن مجرد وجوده هو تعزية لنا . ومن اللدهش ومن الحزن أن يرى التلاميذ الذين أكدوا بشدة أنهم ، ولو قتلوا ، لن يتركوا يسوع لم يستطيعوا أن يقضوا معه ساعة واحدة . . ولكنهم معذورون . . فتعب اليوم كله . . والاضطراب والقلق الذي كانوا يمانونه قد هدأ أبدانهم فارتحموا على الأرض وناموا .

هناك أشياء واضحة أمامنا في هذا الفصل .

١ — إن يسوع صلى لكي تعبر عنه هذه الكأس ، وكانت نفسه حزينة جداً حتى الموت . لقد كان يعرف الصليب . . يعرف آلام الموت . . يعرف التضحية الجبارة الهائلة وهو يرى الحياة تتفتح أمامه . . ولكنه مع ذلك كان ملوئاً بالإيمان الشجاع الذي يسير حتى ولو في الظلام والسكرب .

٢ - خضع لإرادة الآب . « أباً » هي الكلمة الأرامية « لأبى » يسوع لم يخضع لإله يلعب بحياة الناس ويلهو بالأمم ، لا يهتم بشيء . . انه لم يخضع للحظ أو القدر القاسى ، بل كان خاضعاً للآب . . نعم كان هو الآب حتى فى هذا الوقت الهائل الذى يتطلب فيه مسئولية لا يطيقها البشر . عندما قتل الأعداء ريتشرد كاميرون قطعوا يديه ورأسه وحلواها إلى أبيه الذى كان مسجوناً لنفس السبب الذى من أجله قتل لإبنه . ولما قدموها له سألوه إن كان يعرفها فرفعها وقبلها وقال « نعم أعرفها إنها جزء من جسم أبى . لأبى الحبيب . . ولكنه الرب . . وصالحه هى إرادته ومشيئته التى لا تركنى ولم تترك أبى . . إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى » .

عندما ندعو الله أبانا تهون علينا كل البلايا وتصبح الحياة سهلة . . قد لا نفهم ما يحدث أمامنا ولكننا نتأكد من أن « يد الآب لا تسيل الدموع من عين الطفل الغالى عبثاً » هذا ما عرفه يسوع وهذا ما جعله ينطلق إلى الصليب فى ثبات .

لنلاحظ كيف انتهى الفصل لقد أقبل مسله فماذا فعل يسوع؟ لم يهرب وما كان أسهل هروبه . . كلا إنه واجه الموت . . إنه لم يثن ولم يهرب .

القبض عليه

وَاللَّوْقَتِ فِيهَا هُوَ يَتَكَلَّمُ أَقْبَلَ يَهُودًا وَاحِدًا مِنْ الْاَثْنَى عَشَرَ
وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ
وَالكُتْبَةِ وَالشُّيُوخِ . وَكَانَ مُسَلِّمُهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ عَلَامَةً قَائِلًا الَّذِي

أَقْبَلَهُ هُوَ هُوَ . أَمْسِكُوهُ وَامْنُضُوا بِهِ بِحِرْصٍ . فَجَاءَ لِلْوَقْتِ وَتَقَدَّمَ
إِلَيْهِ قَائِلًا يَا سَيِّدِي يَا سَيِّدِي . وَقَبَّلَهُ . فَأَلْقُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ
وَأَمْسَكُوهُ . فَاسْتَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ السَّيْفَ وَضَرَبَ عَبْدَ
رَبِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذُنَهُ .

فَأَجَابَ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُمْ كَأَنَّهُ عَلَى لَصٍ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ
وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي كُلَّ يَوْمٍ . كُنْتُ مَعَكُمْ فِي الْهَيْكَلِ أَعْلِمُ
وَلَمْ تُسَيِّكُونِي . وَلَكِنْ لِكَيْ تُكْمَلَ الْكُتُبُ . فَتَرَكَهُ
الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا .

(مرقس ١٤ : ٤٣ - ٥٠)

مع أن قصة مرقس قصة مختصرة لكنها هنا رواية متكاملة الأطراف نجد
من شخصياتها :

١ - يهوذا : كان يهوذا يعرف أن الناس تعرف يسوع حالما تراه لأنها
تعودت أن تراه ، لكن ظلام الليل والمشاعل بين الأشجار وظلال الأغصان
الكثيفة ، هذه كلها تحتاج إلى شخص متأكد من المعرفة حتى يقبض عليه ،
وكانت العلامة التي وضعها لهم هي القبلة . . وكانت القبلة شيئاً مألوفاً بين
التلميذ ومعلمه ، فعندما كان التلميذ يجيء إلى معلمه كان يقبله وهكذا فعل
يهوذا . لكن الأمر المحزن أن يهوذا لم يقبل يسوع قبلة التلميذ للمعلم بل قبلة الحب

لحيبيه . فقلة التلميذ لعله إسمها « فيلاين » أما قبلة الحب فاسمها « كاتافيلين »
Kataphilein . ومعنى ذلك أن يهوذا استخدم أقدس علامة في خيانة يسوع ..
لأنها لم تكن قبلة عادية طبيعية بل قبلة الحب استخدمها في الخيانة .

٢ - المجموع: جاء الجوع - كما يقول مرقس - من قبل الكهنة
والكتبة والقربيين أى أنهم جاءوا من قبل السنهدريم . ولقد كان للسنهدريم
عساكره الخاصة حتى في وجود الرومان والعساكر الرومان بينهم ، وفي سيرهم
لأنهم إليهم ليف كبير من الشوارع . لقد جاءوا وهم يظنون أنهم سيقابلون
بالقوة ولهذا استعدوا لسفك الدماء وإشاعة الرعب لأنهم هم مصدر الرعب
لا يسوع .

٣ - هناك رجل يستل سيفه ويضرب : يغيرنا يوحنا (يوحنا ١٨: ١٠)
إنه كان بطرس ويوحنا أن مرقس حذف الإسم لأن ذكر اسمه لم يكن مأمون
العواقب عند كتابة هذا الإنجيل . لكن يوحنا استطاع أن يذكر من هو الذى
ضرب لأن كتابة الإنجيل كانت متأخرة . قد يكون من الخطأ أن يستل أحد
سيفه ويضرب إنساناً من الخلف فيقطع أذنه . ولكننا نسر إذ نجد إنساناً يضرب
ضربة واحدة من أجل يسوع .

٤ - التلاميذ : لقد تحطمت أعصابهم ولم يستطيعوا مواجهة الموقف .
لقد خافوا أن يشاركوا يسوع مصيره ويقتلوا مثله فهربوا .

٥ - يسوع نفسه : في وسط هذا البحر من الاضطراب كان يسوع
وحده يمثل الهدوء والثبات التام . فهو الذى كان يوجه الأمور كلها لاعساكر
السنهدريم . لقد انتهى نضال وكفاح البستان وخرج ليعتم إرادة الله الأمانة .

شاب ما

وَتَبِعَهُ شَابٌ لَابِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ فَأَمْسَكَ الشُّبَّانَ . فَتَرَكَ
الإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا .

(مرقس ١٤ : ٥١ ر ٥٢)

هذان العددان يظهران كأنهما غريبان عن هذا الفصل ، فهما لا يضيفان
جديداً إلى هذه القصة . وإلى جانب ذلك فإننا لا نجدهما في متى ولو قام مع أن
الإثنين يتبعان مرقس في ترتيب قصته وحوادثه بأمانة تامة إلا أنهما يتركان
هذه الحادثة بدون أن يشيرا إليها من بعيد أو قريب . وهنا نتساءل : لماذا
يذكرها مرقس هنا ؟ السبب بسيط وهو أن هذا الشاب كان هو مرقس
بعينه ، وكأنه يقول ، إذ يذكر هذه القصة ، « لقد كنت هناك » مع أنه
لا يذكر اسمه .

وإذا ذكرنا أن سفر الأعمال يذكر أن بيت مريم أم مرقس كان هو
المكان الذي اتخذته الكنيسة ليكون مقراً لاجتماعاتها (أعمال ١٢ : ١٢)
نرجح أن هذه العلية التي قضى فيها المسيح تلك الليلة الأخيرة لم تكن سوى
في هذا البيت . وعلى هذا الأساس استمرت الكنيسة في اجتماعاتها فيه .. وهذا
يظهر أماننا إيماناً :

(١) قد يتمكن أن يكون مرقس حاضراً العشاء الأخير . لقد كان غلاماً
صغيراً لم تهتم بأمره أحد ولكنه أعجب يسوع ، فعندما خرج مع تلاميذ تبعه
في الوقت الذي كان يجب أن يكون في فراشه ، ولم يكن لابسا سوى إزار

من كبتان : ربما كان مرقس هناك بين الأشجار يرى ويسمع ما يحدث حوله .
وهذا يفسر لنا مشكلة واحده وهى : من الذى كان يعرف قصة صراع يسوع
فى البستان ومن هو مصدرها إذا كان التلاميذ قد ناموا ساعتها ؟ لا بد أنه كان
مرقس ذلك الصبي الذى وقف وراء الأشجار يرقب بطله العظيم وهو يناضل
فى البستان .

(ب) وقد يمكن أن يكون ذهاب مرقس إلى البستان قد حدث بطريقة
أخرى . من قصة يوحنا (يوحنا ١٣ : ٣٠) نعلم أن يهوذا خرج إلى رؤساء
الكهنة قبل انتهاء العشاء وأحضر جند الهيكل وجاء إلى البيت ولكنه لم يجد
يسوع أو تلاميذه فبدأ يسأل ويناقش وعرف أنه ذهب إلى البستان ، وفى أثناء
ذلك استيقظ مرقس من النوم وسمع اللغط والضوضاء فما كان منه إلا أنه التفت
بالإزار وخرج وراء الجمع ورأى ذلك المنظر الذى حدث فى البستان .

ومهما كانت الظروف والطريقة التى جاء بها إلى هذا المكان لنذكر شيئاً
واحداً وهو أن مرقس يذكر هذه القصة عن نفسه .. لم يستطع أن ينسى
تلك الليلة ، وكان متواضعاً فلم يرد أن يذكر اسمه ولكنه وضع ختمه وإمضاءه
وكانه يقول « أنظروا لقد كنت أنا هناك عندما كنت ولداً صغيراً » نعم قرأ
هذا القول فيما بين السطور .

المحاكمة

فَصَوًّا يَدْسُوعَ إِلَى رَنبِسِ الْكَهَنَةِ فَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ
الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ وَالْكَتَبَةِ .

وَكَانَ زُرُوسَاةَ الْكَهَنَةِ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ عَلَى يَسُوعَ
 لِيَقْتُلُوهُ فَلَمْ يَجِدُوا . لِأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا وَلَمْ تَتَّفِقْ
 شَهَادَاتُهُمْ . ثُمَّ قَامَ قَوْمٌ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا قَائِلِينَ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ
 يَقُولُ إِنِّي أَنْقَضُ هَذَا الْهَيْكَلَ الْمَصْنُوعَ بِالْأَيْدِي وَفِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ أَبْنِي آخَرَ غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِأَيْدِي . وَلَا يَهَذَا كَانَتْ شَهَادَاتُهُمْ
 تَتَّفِقُ . فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسْطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ قَائِلًا أَمَا
 تُجِيبُ بِشَيْءٍ . مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَؤُلَاءِ عَلَيْكَ . أَمَا هُوَ فَكَانَ سَاكِنًا
 وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ . فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَقَالَ لَهُ أَنْتَ الْمَسِيحُ
 ابْنُ الْمُبَارَكِ . فَقَالَ يَسُوعُ أَنَا هُوَ . وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ
 جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ . فَمَزَّقَ رَئِيسُ
 الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهَدَاءٍ . قَدْ سَمِعْتُمُ النَّجَادِيْفَ
 مَا رَأَيْتُمْ . فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ . فَابْتَدَأَ
 قَوْمٌ يَبْصِقُونَ عَلَيْهِ وَيُغَطُّونَ وَجْهَهُ وَيَلْكَمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ تَنْبَأُ
 وَكَانَ اتُّخْدَامُ يَلْطَمُونَهُ .

(مرقس ١٤ : ٥٣ ، ٥٥ - ٦٥)

كانت الأمور تتحرك بسرعة إلى قضائها المحتوم :

وفي تلك الأيام كانت سلطة السنهدريم محدودة وغير مطلقة نظراً لسيطرة السلطة الرومانية عليه ، وكان عليه أن يجزم في الأمور الدينية فقط ، ولم يكن عمله سوى حمل للدعى العام الذى يوجه التهم ولكنه لا يستطيع أن ينفذ الحكم، لأن سلطة التنفيذ كانت من اختصاص السلطات الرومانية .

وليس هناك شك في أن السنهدريم - ليتخلص من يسوع - كسر كل قوانينه التى تشرحها المشنا واحدة فواحدة . ومع أن بعضاً من تلك القوانين والإجراءات لم تكن سوى مثل عليا لا تطبق لكن هناك قوانين أخرى كان يجب أن تطبق في محاكمة يسوع لكنهم كسروها كلها .

كان السنهدريم ، محكمة لليهود العليا ، يتكون من واحد وسبعين عضواً من كهنة - صدوقيين - وكهنة وفريسيين وشيوخ . وإذا غاب بعضهم عن الاجتماع يجب أن يملأ مكانهم الشاغر في تلك الجلسة . وكانت الجلسات تسير تحت إشراف وإدارة رئيس الكهنة وكان الأعضاء يجلسون في نصف دائرة حتى يستطيع كل عضو أن يرى ما يجرى أمامه وفي مواجهتهم كان تلاميذ المعلمين اليهود يجلسون ، وقد يشتركون في الدفاع عن المتهم لافي إدانته ، أما مكان الاجتماع الرسمي فيجب أن يكون في قاعة « الحجر المنحوت » ولا يمكن أن يصدر قرار يوافق عليه إلا في هذه القاعة . أما وقت الاجتماعات فينبغى أن تكون نهاراً ، ولا يجوز أن يجتمع ليلاً أو في أيام الأعياد . وفي أثناء المحاكمة كان يجب أن يفحص الشهود كلا على حدة ويجب أن نكون الشهادة متطابقة تماماً حتى يؤخذ بها وبعد أن يصدر الحكم يجب أن تمضى ليلة كاملة قبل أن يعلنه المجتمع فيصبح نافذ المفعول لعل المحكمة تراجع نفسها .

هذه هي قواعد اجتماع السنهدريم كتحكمة وكيفية سير الدعوة ، فإذا تأملنا في محاكمة يسوع نجدهم قد كسروا هذه القواعد ، فهم قد اجتمعوا ليلا وفي غير المكان الذي يجب أن يجتمعوا فيه ، ولم يعط كل واحد الأعضاء قراره بنفسه ، ولم تمنح ايلة على إجراءات القضاء وتنفيذ الحكم . وهكذا .

أما بخصوص الشهود فلم تتفق كلمتهم ، ولعل أحدهم سمع كلام يسوع في الهيكل عن نقض الهيكل ، ثم سمعه وهو يكلم تلاميذه عن أحجار الهيكل التي ستنقض ولا يبقى منها حجر على حجر فخاف بالشهادة أمام المحكمة ولكن الشهود لم يتفقوا على شيء . وتقول قصة اللابوكريفيا إن مجموعة كبيرة من الشهود دخلوا ليقدموا شهادة لم يردوا أعضاء المحكمة فقد شهد أحدهم أنه كان أعمى وقد شفاه يسوع وآخر قال إنه شفاه من برصه وآخر من عرجه ورابع من الفالج وغير ذلك .

ولما رأى رئيس المحكمة ذلك أمسك بالأمر بين يديه ووقف بسأل يسوع سؤالاً يجرمه القانون ، إنه سؤال أساسي يدع المتهم بوجه التهمة لنفسه وليس من العقول أن يسأل إنسان أن يدين نفسه . ولكن رئيس المحكمة لم يكن يهتم بالقانون قدر اهتمامه بقتل يسوع ، فوجه هذا السؤال إليه « هل أنت هو ابن الله المبارك » ولما رأى يسوع أن كل شيء قد انتهى أجاب بالاجاب . وقد كان هذا عين ما يطالبه السنهدريم بحكم على يسوع بالموت نتيجة التجديف . وهنا نرى مرة أخرى بعض صفات يسوع .

١ - كان شجاعاً : لقد عرف أنه سيموت ، ولكنه لم يتردد فنطق بالصدق ، ولو كان قد أنكر التهمة لعجزوا عن محاكمته .

٢ - كان شديد الثقة ومع أنه كان يرى الصليب أمام ناظره لكنه كان يتكلم واثقاً من النصر النهائية .

لأنه من المآسى القاتلة أنهم ينكرون المدلاة على من جاء ليهب الناس الحب
ويحترقونه بطريقة خشنة فظة .

الشجاعة والجهن

وَكَانَ بُطْرُسُ قَدْ تَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَاخِلِ دَارِ رَئِيسِ
الْكَهَنَةِ وَكَانَ جَالِسًا بَيْنَ الخُدَّامِ يَسْتَدْفِي عِنْدَ النَّارِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ فِي الدَّارِ أَسْفَلَ جَاءَتْ إِحْدَى جَوَارِي رَئِيسِ
الْكَهَنَةِ ، فَلَمَّا رَأَتْ بُطْرُسَ يَسْتَدْفِي نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ وَأَنْتَ
كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ . فَأَنْكَرَ قَائِلًا لَسْتُ أُدْرِي وَلَا أَفْهَمُ
مَا تَقُولِينَ . وَخَرَجَ خَارِجًا إِلَى الدَّهْلِيزِ . فَصَاحَ الدَّيْكَ . فَرَأَتْهُ
الْجَارِيَةُ أَيْضًا وَابْتَدَأَتْ تَقُولُ لِلْحَاضِرِينَ إِنَّ هَذَا مِنْهُمْ . فَأَنْكَرَ
أَيْضًا . وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا قَالَ الخَاضِرُونَ لِبُطْرُسَ حَقًّا أَنْتَ مِنْهُمْ
لِأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ أَيْضًا وَلِنُتِكَ نُشْبَهُ لَعْنَتِهِمْ . فَأَبْتَدَأَ يَلْمَنُ وَيُخْلِيفُ إِلَى
لَا أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ . وَصَاحَ الدَّيْكَ ثَابِتَةً .
فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ لَهُ يَسُوعُ إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ
يَصِيحَ الدَّيْكَ مَرَّتَيْنِ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَلَمَّا تَفَكَّرَ
بِهِ بَكَى .

(مرقس ١٤ : ٥٤ ، ٦٦ - ٧٢)

كثيراً ما نعلم بطرس عندما تقرأ قصة إنكاره لأننا نؤكد بشدة مسألة الإنكار ولكن لو عرفنا كل الظروف لأشفتنا عليه كثيراً وأخذنا حذرنا نحن لثلاثين سقط . لقد أظهر بطرس إلى تلك اللحظة شجاعة نادرة .. بل شجاعة مغامرة إذ يقف هو وحيداً ويده سيفه ليضرب عبد رئيس الكهنة متحدياً كل هذا الجمهور الضخم المتعطش للدم ؟ وبعد ذلك ماذا يعمل ؟ يذهب إلى نفس البيت — بيت رئيس الكهنة — الذي يخدم فيه هذا الرجل ؟ لقد هرب الباقون أما هو فالتصق بيسوع .. وهناك في وسط الجمع وقف بصطلي لأن الليلة كانت باردة ، ولا بد أنه كان ملتفاً في رداءه ، لكن أحدهم أتى بقطعة من الخشب في النار فارتفعت السنة النار وأضاء المكان وظهر بطرس وعرفوه أنه من تلاميذ يسوع . ولنتأمل هنا أمرين هاميين : الأول هو أنه بدأ يحلف ويلعن نفسه ولكنه لم يلعن يسوع أبداً — إنه لم ينكره هو بل أنكر معرفته به ... الأمر الثاني أنه كان من السهل عليه أن يهرب، ولكن رغم كل المضايقات استمر باقياً مسروراً في نفس المكان ليعرف ماذا يجري ليسوع في الداخل . وبينما هو ينكر علاقته بيسوع ويقسم ويشتم نفسه إذ بالدك بصيح وتغير نوبة الحراسة عند الحرس الروماني وكان بطرس في آخر إنكاره . وحالاً تسمع أذناه الصوت يتذكر بطرس وينكسر قلبه . هنا يجب أن نكون على حذرنا لقد سقط بطرس سقطه الرجل الشجاع ، لقد انكسر كل الرجال ولكن قبل أن ينكسر هو لقد تقدم كثيراً عنهم حتى قارب أن يصل إلى النهاية وهناك سقط . إننا نعجب من شجاعة بطرس أكثر مما نصدم بسقطته .

* * *

ولكن هناك شيء آخر ا لندكر أن هذه القصة لم تيجء إلا من بطرس نفسه وكما نذكر أن أنجيل مرقس ما هو إلا ذكريات بطرس ، ولا بد أن هذا الشيخ

كان يذكر قصة إنكاره لسيدته عدة مرات .. كأنه يقول « هذا كل ما علمت
ولكن يسوع لم يكف عن أن يحبني » عندما كان أحد الوعاظ العظام داخل إلى
مكان الاجتماع استلم خطاباً وقرأه فوجد فيه قصة سمطة شريرة سقط فيها هو من
مدة طويلة قبل أن يتجدد ، وكتب له هذا الرجل قائلاً « إن كنت صادقاً في
وعظك فاذكر على المنبر هذه القصة . وأخذ هذا الواعظ هذا الخطاب وقرأه
أمام الجمهور الفير ثم قال لهم « أنظروا ماذا كنت وكيف كنت أتصرف ،
ولكن يسوع أحبني كثيراً .. كثيراً جداً حتى أنه افتداني وخلصني » هذا
ما كان يقوله بطرس .. انظروا كيف أنكرته وكيف استمر في محبته لي .

إن قصة جن بطرس وإنكاره تتحول إلى قصة شجاعة ومجد إذا قرأناها
بلياقة .

الأصحاح الخامس عشر

صمت يسوع

وَالْوَقْتِ فِي الصَّبَاحِ تَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوعُ
وَالْكَتَبَةُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ فَأَوْتَقُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ وَأَسْلَمُوهُ
إِلَى بِيلاطس .

فَسَأَلَهُ بِيلاطسُ أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ ، فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ
تَقُولُ . وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ كَثِيرًا .
فَسَأَلَهُ بِيلاطسُ أَيْضًا قَائِلًا أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ . أَنْظِرْ كَمْ
يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ ، فَلَمْ يُجِيبْ يَسُوعُ أَيْضًا بِشَيْءٍ حَتَّى تَعَجَّبَ
بِيلاطسُ .

(مرقس ١٥ : ١ - ٥)

عندما جاء الصباح اجتمع السنهدريم مرة أخرى لكي يثبت ما حكم به على
يسوع أثناء الليل . ولما لم تكن لهم السلطة على تنفيذ الحكم على يسوع فقد
حلوه إلى بيلاطس . وهناك كما نخبرنا لوفا ظهرت كراهية اليهود على أشدها ضد

يسوع . فلم يكتفوا أن يوجهوا إليه الاتهام الدينية كجذف على الله وكاسر للشريعة ومحطم لتقاليد الآباء لعلمهم أنها لا يهتم بها الوالى الرومانى بيلاطس . فما كان منهم إلا أن اتهموه تهماً سياسية . اتهموه أنه يدعى الملك وأنه يفسد الشعب وأنه طلب ألا تعطى جزية لقيصر .. [لوقا ٢٣ : ١ و ٢] . اتهموه بذلك وكانوا يعلمون أنهم كذبة ، وكذلك عرف بيلاطس كذبهم . وسأل بيلاطس يسوع عما إذا كان ملك اليهود ، فرد عليه يسوع رداً غريباً « أنت تقول » وهو يعنى ذلك هكذا : « قدأ كون قد صرحت أنى ملك اليهود ، ولكنى لست ملكاً كما تفهمون ، وبملكى لست من هذا العالم ، أنا لست ثورياً سياسياً . . . إننى ملك فى ملكوت المحبة » فاقنع بيلاطس بذلك ، ولكن على قدر ما كان يقتنع على قدر ما كانت نفوس اليهود السوداء تظهر فيوجهون إليه الاتهام تلو الآخر .

وكان بيلاطس يسأل يسوع ولكنه لم يكن يجاوب بل ظل صامتا وفى أحابين كثيرة كان الصمت أبلغ من كل كلام :

١ — فهناك صمت القلب المدهش للعجب . وفى مرات كثيرة نصفق أو نهتف لمن يمتلون أو يخطبون إعجاباً بهم ولكن متى زاد إعجابنا فإننا نصمت فى حضرتهم وقد يظهر إنسان بنظرة واحدة من عينيه شكراً أعمق وأعظم مما تقوله آلاف الكلمات المكتوبة فى قواميسنا .

٢ — وهناك صمت الاحتقار فقد تسمع كلام أحدهم أو سؤاله أو حجته ، وبدلاً من أن ترد عليها كلمة بكلمة محتقرا إياها ما عليك إلا أن تدير ظهرك له وتتركه بدون جواب فيحس الاحتقار والخزى أضعاف المرات .

٣ — وهناك صمت الخوف ! فهناك من يحبس الخوف الكلام فى فمه .

إن جبنه الروحي أو النفسى يؤثر على لسانه فلا يستطيع أن يتكلم فلا يعمل سوى أن بصمت صمت الخزى .

٤ — وهناك صمت القلب الحزين : وفي مرات كثيرة يجرح الإنسان فيحزن ولا يستطيع أن يجد كلاما يعبر به عن حزنه أو اعتراضه أو غضبه فيسكت. والحزن الأعمق هو الحزن الصامت الذى يفوق الغضب والتوبيخ وأى صنف من الكلام.

٥ — هناك صمت الكارثة أو المأساة وهذا صمت لأنه لا يوجد كلام وهذا بعينه كان صمت يسوع . لقد عرف أنه لا يوجد أى ارتباط أو تفاهم بينه وبين اليهود وعرف أن بيلاطس لا يمتلك الشخصية العميقة التى يكلمها هو ، عرف أن وسائل الاتصال وكيفيته قد انقطعت تماما . فقد اسدلت الكراهية ستارا حديديا بينهم وبينه ، وضعف بل جبن بيلاطس عن أن يعمل شيئا .

إنه لموقف مرر أن يجد الإنسان نفسه فيه غير مقتنع بالكلام لأن الكلام لا فائدة منه .. ليتقذنا الله من هذه المواقف .

رغبة الجماهير

وَكَانَ يُطْلِقُ لَهُمْ فِي كُلِّ عِيدٍ أُسِيرًا وَاحِدًا مَن طَلَبُوهُ ، وَكَانَ الْمَسْمَى بَارَابَاسَ مُوثَقًا مَعَ رُفَقَائِهِ فِي الْفِئْتَةِ الَّذِينَ فِي الْفِئْتَةِ فَعَلُوا قَتْلًا . فَصَرَخَ الْجَمْعُ وَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ أَن يَفْعَلَ كَمَا كَانَ دَائِمًا يَفْعَلُ لَهُمْ . فَأَجَابَهُمْ بِيلاطسُ قَائِلًا أَتُرِيدُونَ أَن أُطْلِقَ لَكُمْ الْيَهُودِيَّ .

لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً . فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحرى باراباس . فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم فإذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونهُ ملك اليهود . فصرخوا أيضاً اصليهُ . فقال لهم بيلاطس وأى شرِّ عمل . فازدادوا جِدًّا صراخاً اصليهُ . فيبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليُصلب .

(مرقس ١٥ : ٦ - ١٥)

لا نعرف شيئاً كثيراً عن باراباس سوى ما تذكره الأناجيل عنه فقد كان قاتلاً ولصاً لم يكن نشالاً ولم يكن لصاً مكبراً بل كان قاطع طريق شريراً . ويلاحظ أنه كان واحداً من جماعة اسمها «سيكاري» أي «حاملو الخناجر» امتلأت بهم فلسطين ، وكانوا يحملون خناجرهم تحت أرديتهم . وهم مستعدون لاستعمالها في كل وقت ولأجل أنفه الأسباب ، كانوا وطنيين متمصبين لذا كان باراباس محبوباً لدى الرعاة الذين جعلوه مثلاً لهم .

* * *

ولكن ما هو السر الكامن وراء هذا الجمع الذي وقف خارجاً يرفض يسوع ويطلب أن يصلبوه بدلاً من باراباس ؟ هل هو نفس الجمع الذي سار أمام يسوع منذ أسبوع مضى يرحب به كملك . وابن داود ؟ اعتقد لا . إنه جمهور يختلف

كل الاختلاف . إن الجمع الذي رحب بيسوع قد أخذ على غرة ولم يعرف بخبر القبض عليه . نعم لقد هرب التلاميذ ولا بد أنهم نشروا خبر القبض ، ولكن الناس لم تكن تتخيل أن السنهدريم سيكسر قوانينه ويحاكم يسوع ليلا فانقضى الليل والصباح ولم يتجمع أحد من محبي يسوع .

أما هذا الجمع فقد كانوا جماعة أخرى .. إن الشعب يعرف أن الوالى سيطلق لهم سجيناً في كل عيد ، ويلوح أن الإشاعة خرجت أن السجين المطلوب هو باراباس ولهذا خرج محبو باراباس إلى دار الولاية لكي يستقبلوا بطلمهم ومثلهم الأعلى ، وبينما هم ينتظرون هناك لوح بيلاطس لليهود بعزمه على إطلاق يسوع لهم بدلاً من باراباس ، فجن جنونهم وصرخوا طالبين هذا اللص . . . وعرف رئيس الكهنة أنها فرصة عظيمة فأشعل حماسهم وطلب من الرعاغ أن يصرخوا طالبين صلب يسوع . هذا هو سر الجموع التي رحبت بيسوع والتي طلبت صلبه وفي طلبهم لباراباس ورفضهم ليسوع كانت الجماهير :

١ — تفضل كاسر الناموس على محب الناموس . إحدى الكلمات التي تترجم « خطية » في العهد الجديد هي « أنوميه . anomia أى بلا ناموس . وفي قلب الإنسان ميل طبيعي إلى الفوضى وكسر الناموس والحياة التي بلا قيود أو نظام .. ويقول أحد أبطال رواية من روايات كبلنج :

أرسلني إلى مكان شرقي السويس حيث يبدو الحسن هناك شيئاً حيث لا توجد وصايا عشرة بل يفعل الإنسان ما يريد .

نعم هناك أوقات فيها تمنى أنه لو لم تكن هناك وصايا عشر . . هذا الجمع كان الممثل الواضح للانسانية بلا نظام .

٢ - كانوا يفضلون الحرب على السلام : طلبوا قاتل ورفضوا رئيس السلام.
 هذه هي البشرية التي لم تقض أكثر من ١٣٠ سنة في سلام طيلة الثلاثة آلاف
 سنة الماضية . إن الناس كثيرا ما يحاولون فض المشكلات بالحرب وهي لا تقض
 إلا بالسلام والمحبة .. وكان هذا الجمع من هؤلاء القوم .

٣ - اختاروا الكراهية والفسوة بدلا من المحبة : لم يكن لباراباس غير
 قلب حقود وخنجر حاد ، ولم يكن ليسوع سوى القلب الحب الشفوق واختار
 الرعاع باراباس ورفضوا يسوع . إنها طريق الخطية والبغض .



هناك كلمة مؤلفة قاسية . وهي « ولما جلدوه » وكانوا يلون جسد المذنب
 ليا فيظهر ظهره فيضربونه بألّة عبارة عن سيور من الجلد بها قطع مدببة من الرصاص
 والعظام فكانت تقطع ظهره ، وكانت أحيانا تقلع الدين وكانت تميت الإنسان
 وكان بعضهم يمين تحت ضرباتهم . ولكن القليل من كان يتماسك ويشعر
 بعذابها وهكذا فعل يسوع .

استهزاء العساكر

فَضَى بِهِ الْعَسْكَرُ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْوَلَايَةِ وَجَمَعُوا
 كُلَّ الْكُتَيْبَةِ . وَالْبَسُوهُ أَرْجَوَانًا وَصَفَرُوا إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ
 وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ ، وَابْتَدَأُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ السَّلَامُ يَا مَلِكَ
 الْيَهُودِ . وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ

ثُمَّ يُسْجَدُونَ لَهُ جَائِعِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ ، وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ
تَزَعُّوا عَنْهُ الْأَرْجَوَانَ وَالْبَسُوهُ نِيَابَهُ ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ
لِيَصْلُبُوهُ .

(مرقس ١٥ : ١٦ - ٢٠)

انتهى الحاكم الروماني من إجراءات محاكته ونطق بالحكم قائلا « الحكم هو أن هذا الرجل يجب أن يصلب » ثم التفت إلى الحرس وقال لهم « جهزوا الصليب » ثم ذهب وأسلم يسوع ليد العساكر . ومكث يسوع فترة بين يدي عساكر الوالي ، الذين كانوا يعيشون في دار الولاية يحرسونها ، إلى أن يجهزوا له صليبه وهناك بدأوا يستهزئون به .

واعتقد أن هذا الجزء من إجراءات محاكمة المسيح وصلبه كان أقل الأجزاء ابلاما على نفسه فهو لم يكن بدافع الكراهية والحقد الشديد كما كان يبدو تصرف اليهود إزاءه ، ولا بدافع الجبن والخوف من تحمل المسؤولية كما كان يتصرف الوالي . إنما كان يسوع بالنسبة للعساكر أحد الرجال الذين يقادون إلى الصليب فأضحى مثار استهزائهم وضحكهم ، فأحضروا له رداء ملكيا وبدأوا يسجدون له .

وكان هذا العمل هو بدء السخرية بالسيحية كلها ولقد كانت المسيحية وجهة استهزاء الكثيرين ، ولقد وجد كثير من الكتابات والرسومات على حوائط بومباي تشير الضحك على المسيحيين ، ومنها أن أحدهم رسم حماراً ورسم مسيحياً يركع أمامه ثم كتب تحتها : هذا الرجل يعبد إلهه . فعندما يسخر الناس بالمسيحيين وعندما يستهزئون من عبادتهم وعقائدهم وتصرفاتهم فليذكر كل

مسيحي أنهم إنما قدفلوا لسيدهم من قبل .. بل وكانوا يزدادون سخرية وهياجا عليه كلما أوغل هو في الهدوء والثبات .

الصليب

فَسَخَرُوا رَجُلًا مُجْتَازًا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ سَمَانُ الْقَيْرَوَانِيِّ
أَبُو الْكَسْنَدْرُسِ وَرُوِّقْسَ لِيَحْمِلَ صَلِيْبَهُ . وَجَاءُوا بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ
جُلُجَّةٍ الَّذِي تَفْسِيرُهُ مَوْضِعُ جُمُجَّةٍ . وَأَعْطَوْهُ نَخْرًا نَمْرُوجَةً
بِعُرٍّ لِيَشْرَبَ فَلَمْ يَقْبَلْ . وَلَمَّا صَلَّبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ
عَلَيْهَا مَاذَا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ . وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ فَصَلَّبُوهُ
وَكَانَ عُنْوَانُهُ عَلَيْهِ مَكْتُوبًا مَلِكُ الْيَهُودِ . وَصَلَّبُوا مَعَهُ اِصْنَيْنِ
وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ . قَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ
وَأُخْصِيَ مَعَ أَثْمَةٍ .

(مرقس ١٥ : ٢١ - ٢٨)

وإجراءات الصليب عند الرومان دائماً واحدة لا تتغير ، فعندما يعدون الصليب يحمله الحكوم عليه إلى مكان التنفيذ، وفي سيره يحيط به أربعة عساكر على شكل مربع وأمامهم يسير جندي حاملاً لوحة كبيرة مكتوب عليها الجناية التي بسببها حكم عليه بالصلب ثم يسير الموكب في أطول طريق حتى يستطيع أكبر عدد من الناس أن يشاهدوه فيكون لهم بمثابة تحذير وإنذار . وحالما يصلون

إلى مكان التنفيذ يقون بالصليب على الأرض ثم يقون بالصلوب عليه
ويسمرون يديه ويربطون رجليه بغير مسامير ويضعون بين ساقيه قطعة من الخشب
تتحمل ثقله عندما يرفعون الصليب إلى أعلى فلا تنقطع يداؤه ثم يثبت الصليب هناك،
وهو ليس مرتفعاً ، ثم يترك المصلوب هناك عدة أيام إلى أن يموت من الجوع
والعطش والعذاب . وقد يستمر المصلوب أسبوعاً وقد يصاب بالجنون من شدة
العذاب .



ذلك اليوم كان يوماً قاتماً بالنسبة لسمعان القيروانى الذى سخره الرومان
ليحمل صليب يسوع الذى لم يقو على حمله . وكان للرومان السلطة على تسخير
أى إنسان فى فلسطين ليعمل أى عمل يريد مادام شعار السلطة على كتفه ؛ وكان
سمعان القيروانى من أفريقيا ، ولا بد أن جاء إلى أورشليم لياً كل الفصح ولو
مرة واحدة فى حياته فى رحاب الهيكل ، ولا بد أنه مكث نصف عمره يوفر
تكاليف الحج إلى الهيكل . ولا بد أن سمعان كره هذا العمل وأبغضه وحاول
أن يتخلص منه ، ومن الممكن أن يكون قد ألقى بالصليب على الأرض واستعد
لترك ذلك المكان حالماً وصلوا إلى مكان التنفيذ ، ولكن شيئاً أمسك به
وأوقفه . . شيئاً ما فى يسوع نفسه ، ولا بد أن صلة وثيقة توصلت بينه وبين
يسوع المصلوب والمقام فأضحى من ضمن أتباعه الذين حملوا صليبه مكرهين أولاً
ثم محبين مضعين بعد ذلك . وقرأ عنه أنه أبوروفس واسكندر اللذين وجدوا
فى كنيسة رومية ، ولا بد أن مرقس يذكر ذلك لأن الناس فى رومية ، التى
كتب فيها الإنجيل ، يعرفونه . وبهذه الكيفية يرسل بولس الرسول تحياته

إلى « روفس المختار في الرب وأمه أمي » ولا بد أن هذه الصلة بنيت على أساس متين . هذا الأساس المذكور في أعمال ١٣ : ١ عندما نقرأ أن من بين الذين شيعوا بولس في خدمته وإرسالته من أنطاكية سيمون النيجيري وهو سمعان الأفرقي .

أيمكن أن نقول إن كل هذا قد حدث وأن سمعان القيرواني قد أضحي واحداً من ضمن قادة الكنيسة في أنطاكية الذين ساعدوا في الإرسالية الأولى للأمم ؟ وهل يمكن أن نقول إن المسيحي يوماً ما كان يقاسى مرارة التسخير لأجل يسوع ولكنه عندما وصل إلى الجلجثة تحول إلى عابد ومضحي لأجل المسيح .

* * *

وحاول أحد الجنود أن يستحي يسوع الخلل المزوج بالمرار حتى يقوبه على تحمل الآلام . . وكانت بعض النسوة الرحيمات القلب من أورشليم يحضرن هذا الشراب لكي يعملن على تخفيف آلام هؤلاء المنسكين . ولكن يسوع رفض أن يشربه ، لقد آثر أن يشرب الكأس إلى التمام . قيل عن أحد رجال الله المشهورين أنه سأل الطبيب إن كان هناك أمل في شفاؤه ، فأجاب الطبيب بالنفي ، فقال رجل الله « إذن إمتنع عن الأدوية والمخدرات أريد أن أذهب إلى إلهي في كامل وعي » .

* * *

وكان من عادة الأربعة العساكر الذين يحيطون بالمصاب أن يقتسموا

ثيابه وكانت ثياب اليهودى خمسة قطع : الرداء الخارجى والداخلى والحذاء والمنطقة وغطاء الرأس ، وكانوا يفتسمون الأربعة أما الخامس وهو الرداء فكانوا يلقون قرعة عليه لأنهم لا يجدون فائدة من تقسيمه . وهكذا فعل مع يسوع اقتسموا ثيابه وعلى لباسه ألقوا قرعة .

* * *

لقد صلب يسوع بين نصين ، ولقد كان هذا العمل رمز لحياته كلها ، فإنه فى كل خدمته كان يخاطب المشارين والخطاة لكي يربحهم إلى ملكوت السموات .

المحبة اللانهائية

وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهْرُونَ رُؤُوسَهُمْ فَأَثَلِينَ
 آمِ يَا نَاقِضَ الْمَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . خَلِّصْ نَفْسَكَ
 وَأَنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ . وَكَذَلِكَ رُؤِوسَاءِ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ
 فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكُتَّابَةِ قَالُوا خَلِّصْ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ
 أَنْ يُخَلِّصَهَا . لِيَنْزِلِ الْآنَ الْمَسِيحُ مُلْكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ
 لِتَرَى وَتُؤْمِنَ . وَاللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ كَأَنَّا يُعَيِّرَانِهِ .

(مرقس ١٥ : ٢٩ - ٣٢)

لقد وضع اليهود آخر تحديات أمام يسوع : « إنزل من على الصليب ونحن

نؤمن بك « لقد كان طلبا خاطئا يناقض تماما ما جاء يسوع لأجله . لقد وعدوا أنهم يؤمنون به لو نزل من على الصليب ، ولكننا نحن نؤمن به لأنه لم ينزل من على صليبه . إن يسوع قد جاء ليظهر حب الله للبشر، وكان هو الحبة المتجسدة . فلورفض يسوع الصليب لما كانت هناك محبة إلهية غير محدودة . فالصليب هو العلامة التي ترى أن محبة الله ليست محدودة . . إنه لا يوجد هناك خط لاتتمناه هذه الحبة . . إنه لا يوجد شيء لا يستطيع تلك الحبة أن تفعله . ولكن يسوع سار كل الطريق إلى الصليب . . يسوع أظهر أنه تألم من أجل البشر وشرب كأس الموت والعذاب إلى آخره . إنه يعلن أن الله قد أحب البشر هذه الحبة الالمحدودة حتى أنه قاسى في سبيلهم كل شيء .

لو جاء يسوع من على الصليب لما كان هناك رجاء فيه ولكننا في الصليب نحن نريح أنفسنا على عطف الله اللانهائى .

المأساة والانتصار

وَلَمَّا كَانَتْ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ كَانَتْ ظِلْمَةٌ عَلَى الْأَرْضِ
 كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ . وَفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ
 بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا لِأُولَى الْأُولَى لَمَّا شَبَقْتَنِي . الَّذِي تَفْسِيرُهُ إِلَهِي
 إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكَتَنِي . فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ لَمَّا سَمِعُوا هُوَذَا
 يُنَادِي إِيْلِيَا . فَكَرَّضَ وَاحِدٌ وَمَلَأَ إِسْفِنْجَةَ خَلَا وَجَعَلَهَا
 عَلَى قَمِيَّتِهِ وَسَقَاهُ قَائِلًا انزُّكُوا . لِنَرَ هَلْ يَأْتِي إِيْلِيَا لِنُنزِلَهُ .

فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ . وَأَنْشَقَّ حِجَابُ
 الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ . وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِثَّةِ
 الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هَكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ قَالَ حَقًّا كَانَ
 هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنَ اللَّهِ . وَكَأَنَّتُ أَيْضًا نِسَاءً يَنْظُرْنَ مِنْ
 بَيْدٍ يَنْهَنُّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسَى
 وَسَالُومَةُ . اللَّوَاتِي أَيْضًا تَبِعْنَهُ وَخَدَمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ .
 وَأَخْرُ كَثِيرَاتُ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ .

(مرقس ١٥ : ٢٢ - ٤١)

نأتي الآن إلى آخر منظر من مناظر المأساة القاسية، وكأما الطبيعة خجلت
 من أن ترى بشاعة ما فعل البشر فخفت أنوارها وزلزل زلاهما . دعنا ننظر إلى
 الناس الذين كانت لهم صلة بهذا الموقف المروع .

١ - يسوع نفسه : قال يسوع شبتين :

(١) إلهي إلهي لماذا تركتني . هناك سر في هذه الصرخة لانستطيع أن
 نتطلع إليه ولكننا قد نستطيع أن نقول شيئاً . لقد جاء يسوع إلينا ، اتخذ
 طبيعتنا البشرية وجزا في كل ضيقنا ، عمل عملنا وواجه تجاربنا . . عرف فشل
 الأصدقاء وعداوة الأعداء وجبن المستهترين . . عرف الجوع والعطش . . عرف
 كل شيء ما عدا شيئاً واحداً لم يعرفه وهو الخطية ومرارة نتائج الخطية . والذي
 عمله الخطية هي أن تفصل الإنسان عن الله ، ولهذا فلم يكن يسوع إلى الآن

قد جاز في تلك النيران الملتهبة نيران الانفصال عن الله . ولكن يسوع الآن يحمل خطايا ويتحمل نتائجها . ولهذا فهو يخبر تلك المرارة مرارة حجب الله وسيبه عنه لأنه حمل كل الخطايا . . إنه لم يعمل خطية ولكنه جاز في اختبار نتائج الخطية فعرف كيف يكون الانسان عندما ينفصل عن إلهه . وكانت خبرة قاسية محطمة لنفس لم تعرف البعد عن الله . ولكنه جاز فيها وانتصر . ولهذا فانا لا نخشى أن نجيء إليه ونحن في كررة بعيدة منفصلين عن الله لكي يردنا إليه .. نأتى إليه لأنه يعرف حالتنا وجاز في اختبار ، إنه تجرب في كل شيء مثلنا

(ب) هناك الصرخة العالية المذكورة في (لوقا ٢٣ : ٤٦ ، متى ٢٧ : ٥٠) مع أن يوحنا لم يذكرها بل قال إن يسوع مات بعد أن قال « قد أكل » (يوحنا ١٩ : ٣٠) . وفي النص الأصلي « أكل » هي كلمة واحدة . وربما صرخ يسوع بهذه الكلمة صرخة النصر والرجاء . لقد تم عمله ولقد كسب معركته ، وبعد أن جاز في الظلام المروع جاء النور وذهب إلى إلهه في نصرته .

٢ — هناك الواقفون الذين أرادوا أن يروا ابلياً آتياً إليه . . إنه رأى في الصليب شيئاً تجب معرفته ولكن الصليب بكل ما فيه وما يحيط به لم يبعث في نفسه الشعور بالخشوع والرهبة أو حتى الشفقة . . إنه أراد أن يتفرج على موت يسوع .

٣ — وهناك قائد المئة وهو جندي روماني جبار حارب في معارك كثيرة ورأى كثيرين يموتون ولكن لم ير إنساناً يموت مثل هذا الإنسان ، وعرف انه ابن الله . لو عاش يسوع وعلم وشفى لجذب الكثيرين إليه . ولكن الصليب وجدته هو الذي يصلح الناس مع الله .

٤ — النساء الواقفات من بعيد . كن مختارات مكسورات القلوب محطات من الحزن ولكنهن كن هناك . لقد أحبين فلم يستطعن أن يتركنه ، إن المحبة تلتصق بالمسيح حتى وإن لم يستطع العقل أن يعرف السبب . إن المحبة وحدها هي التي تعلمنا المسيح وتجعلنا نراه في وسط للتجارب القاصية .

* * *

هناك شيء آخر يجب أن نلاحظه : انشقاق حجاب الهيكل الذي يفصل قدس الأقداس بغيرنا بأمرين رمزيين :

(١) انفتح الطريق إلى الله . لم يكن قدس الأقداس مفتوحاً للإنسان سوى رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة ، ولكن الآن انشق الحجاب وانفتح الطريق إلى الله .

(ب) في قدس الأقداس كان يسكن الله بنفسه ولكن في انشقاق الحجاب استطاع الناس أن يروا الله وجهاً لوجهاً . لم يعد الله محتجباً لاجابة للناس بأن يفتشوا ويحتموا ويفلسفوا . فمن يرد أن يرى الله فليتنظر إلى يسوع « من رآني فقد رأى الآب » .

الرجل الذي وهب يسوع قبره

وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ إِذْ كَانَ الْإِسْتِمْدَادُ . أَيُّ مَا قَبِلَ السَّبْتِ .
جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ مُشِيرٌ شَرِيفٌ وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا
مَلَكَوتَ اللَّهِ فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ .

فَتَعَجَّبَ بِيِلَاطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيحًا فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ
 هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ . وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ وَهَبَ الْجَسَدَ
 لِيُوسُفَ . فَاشْتَرَى كِتَابًا فَأَنْزَلَهُ وَكَفَّنَهُ بِالْكَتَّانِ وَوَضَعَهُ فِي
 قَبْرِ كَانَ مَنْحُوتًا فِي صَخْرَةٍ وَدَحْرَجَ حَجْرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ .
 وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسَى تَنْظُرَانِ أَيْنَ
 وَضِعَ .

(مرقس ١٥ : ٤٢ - ٤٧)

أسلم يسوع الروح حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر يوم الجمعة قبل السبت .
 وكان وقت الاستعداد للسبت . فلم يكن هناك وقت للتلكؤ ، لأن السبت الذى
 فيه يمنع كل عمل كان على الأبواب . ولهذا فقد تصرف يوسف الرامى بسرعة
 لكي يدفن جسد يسوع .

لم تكن العادة أن تدفن اجساد المجرمين المصلوبين بل كانوا يتركونهم حتى
 يموتوا ثم يلقون بجثثهم فى العراء لتأكلها الكلاب والطيور المفوحشة ولقد قيل
 إن اسم الجلجثة ومعناه الجمجمة ، جاء من كثرة الجماجم الموجودة فوقه . ولكن
 جسد يسوع لم يترك هكذا بل لقد ذهب يوسف الرامى إلى بيلاطس لكي يطلبه
 فأندهش الوالى لموت يسوع هكذا مبكراً ، ولما علم يقينا بموته سمح ليوسف بأن
 يأخذه .

يوسف الرامى هذا بطل دراسة غريبة

١ - إن يوسف هو المصدر الحقيقي لقصة الخباكة أمام السهديم ، لقد هرب التلاميذ ولم يكن واحد منهم حاضراً ، فلا بد أن تأتي هذه المعلومات من واحد كان يراقب في هذه الجلسة . ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الشخص هو يوسف الرامى . وإن صح ذلك فيكون ليوسف ضلع كبير في كتابة الأناجيل .

٢ - هناك مأساة حقيقية في حياة يوسف تذكرنا بحياة الكثيرين : لقد كان عضواً في السهديم ولكننا لم نسمع كلمة واحدة منه أو عنه دفاعاً عن يسوع ، ولم يتضح أنه تدخل في الخباكة من أجله . ولكنه أعطى يسوع قبره . لقد قدم خدمة له عندما مات ولكنه لم يفعل شيئاً له وهو حي . هذه مأساة الكثيرين الذين يحتفظون بالزهور والزينات لقبور الذين ماتوا بينما لم يقولوا لهم كلمة واحدة حسنة في حياتهم . ولكن تغيير الدنيا لو أظهرنا شعورنا الحقيقي للناس في حياتهم وليس فقط بعد موتهم .

٣ - ولكننا ينبغي ألا ننسى في إيلام يوسف الرامى ، فإن صليب يسوع قد فعل في حياته أكثر جداً مما فعلت حياته فعندما رآه بعلم ويحي وبشفي انجذب اليه ولكنه لم يستطع أن يتقدم خطوة واحدة إيجابية نحوه ، ولكنه عندما رآه في صليبه - ولا بد أنه كان حاضراً عملية الصلب . انصهرت حياته فيه بالعبء . لقد سبقه قائد المئة وسار هو في نفس الطريق .

لقد تحققت فيهما كلمات السيد : « وأنا إن ارتفعت أجذب إلى الجميع »
(يوحنا ١٢ : ٣٢) .

الأصحاح السادس عشر

قولا لبطرس

وَبَعْدَ مَا مَضَى السَّبْتُ اشْتَرَتْ مَرِيْمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرِيْمُ أُمِ
يَعْقُوبَ وَسَالُومَةَ حَنُوطًا لِثَاثَيْنِ وَيَدَهِنَّهُ . وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ
الْأُسْبُوعِ أَتَيْنِ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ . وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا
يَذَنَّهُنَّ مَنْ يُدْخِرُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ . فَتَطَلَّمْنَ وَرَأَيْنَ أَنَّ
الْحَجَرَ قَدْ دُخِرَ . لِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمًا جِدًّا . وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ
شَابًّا جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لِابْسَا حُلَّةً بَيْضَاءَ فَأَنْدَهَشْنَ . فَقَالَ لَهُنَّ
لَا تَنْدَهَشْنَ . أَنْتُنَّ تَطَلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ . قَدْ قَامَ .
لَيْسَ هُوَ هَهُنَا . هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ . لَكِنَّ اذْهَبْنَ
وَقُلْنَ لِتِلَامِيذِهِ وَلِبَطْرُسَ إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ . هُنَاكَ تَرَوْنَهُ
كَمَا قَالَ لَكُمْ . فَخَرَجْنَ سَرِيعًا وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ لِأَنَّ الرِّعْدَةَ
وَالْحِيْرَةَ أَخَذَتْهُنَّ وَلَمْ يَقُلْنَ لِأَحَدٍ شَيْئًا لِأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ .

(مرقس ١٦ : ١ - ٨)

لم يكن هناك وقت لتحنيط جسد يسوع لأن السبت كان قد أزف ، ولكن عندما مضى السبت قام النساء باكرًا جداً وذهبن إلى القبر ليقتنن بتلك الخدمة الأخيرة لمن أحببناه وأحبهن ، ولكنهن كن محتارات فيما بينهن من يرفع لمن الحجر . فالتقور لم يكن لها أبواب لكي تفتح ، وأمام فتحة القبر كان يوجد أخدود وفيه يوضع حجر ضخيم دائري أكبر كثيراً من طاقة النسوة لكي يرفعهن . ولكن عندما وصلن إلى القبر وجدن الحجر قد دحرج ووجدن داخله رسولا ذكرهن أعظم خبر يمكن أن يتخيله إنسان .. لقد قام من بين الأموات .

* * * *

هناك شيء واحد مؤكد وهو أنه لو لم يكن قد قام المسيح لما كنا قد سمعنا عنه . فالنساء اللواتي جئن إلى القبر جئن وقصدن تحنيط جسد ميت عزيز ، والتلاميذ اعتقدوا أن كل شيء قد انتهى ، فما الذي يدفع هؤلاء أجمعين للقيام بهذه الحركة الكبرى ؟ الجواب البسيط هو أن شيئاً ما قد حدث .. هذا الشيء ليس أقل من قيامة يسوع نفسه ، فالبرهان البسيط القاطع على قيامة المسيح هو وجود الكنيسة المسيحية . فالقيامة هي التي وهبت القوة لنسوة خائفات والفرح لتلاميذ حزائي ، والحياة للإيمان المسيحي . ومن القيامة نعلم :

١ - إن يسوع ليس شخصاً موجوداً في الكتب ولكنه هو حاضر .
الذكرى مهما كانت عزيزة ستمحى والزمن كفيل بأن يزيل كل شيء . ولكن يسوع بقي لا كذكرى بل كحضور كامل موجود .. إنه ليس شخصاً ندرسه ولكنه شخص نقابله .

٢ — إن الحياة المسيحية ليست « معرفة عن يسوع » ولكنها « معرفة يسوع » وهناك فرق ضخم بين الاثنين . قد أعرف الكثير جيدا عن العطاء ولكني لا أعرفهم شخصيا . . وهكذا بخصوص يسوع فقد يعرف أ بسط إنسان يسوع أكثر ألف مرة من أعظم عالم لاهوتي درس مئات الكتب عن يسوع.

٣ — إن الإيمان المسيحي إيمان حي . إنه لا يقف لأن موضوعه يسوع الحى ، ولهذا فهناك حقائق وإعلانات جديدة يكشفها لنا يسوع فى حياتنا .

ولكن أمن كلمة فى هذا الفصل هى : قولوا لإخوتى — وبطرس . ولكم أتلمعت هذه الكلمات قلب بطرس ، لا بد وأنه قد تعذب بذكريات انكاره إياه . ونجأة تأتبه رسالة منه ؟ له هو دون أى تلميذ بمفرده ؟ إن من امتيازات يسوع أنه لا يفكر فى بطرس الذى أنكره بل فى العذاب الذى ذاقه هذا المسكين فىسوع شقوق جدا بأن يواسى الخاطيء التائب أكثر من شفقه بمعاقبة خطيته . لقد قال أحدم « إن أعظم ما عمله يسوع هو أنه يثق فىنا حتى فى وقت هزيمتنا » .

إرسالية الكنيسة

وَبَعْدَ مَا قَامَ بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلًا لِمَرْيَمِ الْمَجْدَلِيَّةِ
الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ . فَذَهَبَتْ هَذِهِ وَأَخْبَرَتْ
الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَهُمْ يَنُوحُونَ وَيَبْكُونَ . فَلَمَّا سَمِعَ أُولَئِكَ أَنَّهُ
حَيٌّ وَقَدْ نَظَرْتَهُ لَمْ يُصَدِّقُوا .

وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ بَهِيَّةَ أُخْرَى لِاثْنَيْنِ مِنْهُمْ وَهُمَا يَمْشِيَانِ
مُنْطَلِقَيْنِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ . وَذَهَبَ هَذَانِ وَأَخْبَرَا الْبَاقِينَ فَلَمْ يُصَدِّقُوا
وَلَا هُذَيْنِ .

أَخِيرًا ظَهَرَ لِلْأَحَدِ عَشَرَ وَهُمْ مُسْكِنُونَ وَوَيْحَ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ
وَقَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ . وَقَالَ لَهُمْ
أَذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَاكْرَزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا . مَنْ
آمَنَ وَعَاطَمَدَ خَلَصَ . وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنَّ . وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبِعُ
الْمُؤْمِنِينَ . يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَةِ
جَدِيدَةٍ . يَحْمِلُونَ حَيَاتٍ وَإِنْ شَرُّوا شَبْنًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ وَيَضَعُونَ
أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ .

ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمْ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ
اللَّهِ . وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكْرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ
مَعَهُمْ وَيُنْبِتُ الْكَلَامَ بِالْآيَاتِ التَّائِبَةِ . آمِينَ .

(مرقس ١٦ : ٩ - ٢٠)

كما سبق وعرفنا في المقدمة أن إنجيل مرقس ينتهي إلى عدد ٨ من هذا
الأصحاح أما عدد ٩ - ٢٠ فلم نجده في المخطوطات القديمة الموثوق بها ، ويلوح

أن أحدهم قد تلخص عمل الكنيسة وحياتها ووضع هذا الملخص ليكون بديلا
عن تلك النهاية المبتورة . وكانها كان يعلم أن للكنيسة عملا مهما يجب أن
تقوم به :

١ - للكنيسة عمل وعظي : إن الوعظ هو واجب الكنيسة وواجب
كل مسيحي حتى يمكن للعالم كله أن يعرف ويسمع الأخبار السارة عن يسوع
وخلاص يسوع .

٢ - للكنيسة رسالة شفائية : إن الكنيسة ينبغي أن تهتم بأجساد الناس
مثلما تهتم بأرواحهم . فيسوع جاء لكي يشفي الروح والجسد معا .

٣ - الكنيسة هي مجتمع القوة : ولا أفصد أن أقول إن المسيحي يمكن
أن يشرب السم أو يدوس على الحيات فلا يحدث له شيء ما ، لأن وراء هذه
الصورة جوهر آخر هو جوهر المسيحي الذي يستطيع أن يتعامل مع الحياة بقوة
لا يستطيعها غيره من الناس . . إنه شجاع .

٤ - الكنيسة لا تعمل هذا العمل لوحدها . فالسيح في وسطها يعمل فيها
وبواسطتها وهو لن يتركها .

وهكذا ينهى الإنجيل بالإعلان أن :

« الحياة المسيحية هي الحياة التي تفضي في حضرة وبقوة ذلك الذي

« صلب وقام »

